

دُرَّةُ النَّاصِحِينَ فِي الْوَعظِ وَالْإِرشَادِ

تأليف

عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبرى

من علماء القرن الثالث عشر للهجرة



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا من الناصحين ، وأفهمنا من علوم العلماء الراسخين . والصلاة والسلام على من نسخ دينه أديان الكفرة والطالحين ، وعلى آله وأصحابه الذين كانوا بتمسك شريعته صالحين .

وبعد : فيقول العبد البائس الفقير ، إلى رحمة ربه القدير ، عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخويني . أكرمهم الله بلفظه وكرمه العلي : قد كنت ما كثا في البلدة العظيمة للنباهة بالقسطنطينية . صابها الله تعالى وسائر البلاد من الآفات والبليّة .

فلما رأيت بين الإخوان الطلبة والشايع الوالي ، الذين هم بين الأنام كالمصاييح في ظلم الليالي ، موعظة مرغوبة فيما بينهم وبين العلماء الفضلاء ، الذين هم كانوا باعتصام معدن العلم وورثة الأنبياء ، لكنها غير مرتبة على نسق القرآن العظيم والفرقان الحميد ، أردت أن أكتبها وأصلح خطأها بعناية الملك الحميد ، وقد صادفنا بعض الطلبة من إخواننا يقولون بالسنتهم ما ليس في كتابنا ويحفظون بل يكفرون في نصائحهم ومواعظهم إلى اللنعمسين في النعاس ، ويسرون الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . صرفه الله عن إلقاء القتن في قلوبنا . ثم طرأ بي من الأيام الحادثة مرض شديد بأمر الله وتقدير الملك الحميد ، وكنت ذا فراش عدة من الأيام ، بحيث ما قدرت على نبذة من الكلام ، ونذرت في أثنائه إن عصمني العاصم من الآفات والبلايا ، أت ألقى معشوقا بين العشاق والبرايا ، وأقص على وجهه القرطاس ضياء الشموس والأنوار ، وأجرى بين الأنام ماء للذ والبحار .

ولما رزقت الخلاص من المرض للسطور ، وما بقي عندي شيء من الفتور ، وغثرت على هذه الأقوال ، وما وقعوا بأيديهم في الخطأ والضلال ، وأخذت في الكتابة بعناية الملك للنان ، صار كل مسائلها كأنهم الياقوت والرجان ، لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جاث . ورببت كل آية بتنظيم القرآن الكريم ، وانتقيت ما دل على أوصاف الجنان والجحيم ، وألحقت بعض الأحاديث الشريفة والقصص اللطيفة ، فيمن يعمل عمل قوم لوط من الخبيث والحبيثة ،

وينت ما شأنه في الدنيا والآخرة ، ويهمل بحجب الحسد أو الرجم على قياس الزاني والزانية . ولنا
خرجت من بطن الأم إلى دار الفناء ، واحتاجت إلى اسم معين من أشرف الأسماء . سميتها :
« درة الناصحين » جعلها الله بين الإخوان من الصالحين . إلا أني ألتبس من بعض الأذكياء
فضلاً عن الفضلاء والكبراء أن يصلح ما وقع خطأ مني ، وأن يرفع ما نشأ سهواً عني ؛ لأن
الإنسان محل النسيان ، ولأن شروع مثلي في مثل هذا من الفضاحة . كما أن كناية الأشل من
الضياعة ، والاشتغال بمثل هذا في أثناء التحصيل ، كإلقاء النقود الجيدة في النيل ، ما العفو
وما التكفير إلا من الغفران ، ما الذنب وما التقصير إلا من العصيان .
والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل . وهو حسي ونعم الوكيل . له الحمد على كل حاله
سوى الكفر والضلال ، وهو المنزه عن الشبه والمثال .

المؤلف

دعاء

يقال عند ابتداء المجلس

صلوا على رسولنا محمد ، صلوا على طيب قلوبنا محمد ، صلوا على شفيع ذنوبنا محمد ، اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين ، صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ، ونحن على ما قال خالقنا ورازقنا
ومولانا من الشاهدين الشاكرين بقلب سليم . ثم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم
الم ذلك الكتاب . . . إلى آخره

دعاء

يقال عند ختام المجلس

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وآله وصحبه
أجمعين . اللهم نظم أحوالنا وحسن أفعالنا ، وخلصنا من ألم الفقر والنذل واعصمنا من البلاء
والوباء والطاعون ، ومن شرور الأعداء والشياطين والنفس الأمارة بالسوء ، اللهم يسر لنا
الانتظام في جميع الأمور الدينية والدنيوية وحصل مرادنا بالخير . اللهم بعدنا من الشر والعصيان .
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء . يا محول الأحوال
والأحوال حول حالنا إلى أحسن حال . اللهم يا كثير النوال ، يا خالق جميع الأفعال ، وفقنا لثمة
الخير في جميع الأقوال والأحوال . اللهم سلمنا وسلم ديننا ، ولا تسلب وقت التزعم إيماننا ، ولا
تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا وارزقنا خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير .

دعاء

يقال عند ختام الكتاب جميعه

اللهم ربنا ياربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا يا مولانا إنك أنت التواب
الرحيم ، واهدنا ووفقنا إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ببركة ختم القرآن العظيم ، وبجرمة
حبيبك ورسولك الكريم ، واعف عنا يا كريم ، واعف عنا يا رحيم ، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك
وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين .

اللهم زينا بزينة ختم القرآن ، وأكرمنا بكرامة ختم القرآن ، وشرفنا بشرافة ختم القرآن .
وألبسنا بخدمة ختم القرآن ، وأدخلنا الجنة مع القرآن ، وعافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة
بجرمة ختم القرآن ، وارحم جميع أمة محمد بجرمة ختم القرآن . اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا

قرينا ، وفي القبر مؤنسا ، وفي القيامة شفيعا ، ولى الصراط نورا ، وإلى الجنة رفيقا ،
ومن النار سترآ وحجابآ ، وإلى الخيرات كلها دليلا وإمامآ . بفضلك وجودك وكرمك
يا أرحم الراحمين .

اللهم ارزقنا بكل حرف من القرآن حلاوة ، وبكل كلمة كرامة ، وبكل آية سعادة ، وبكل
سورة سلامة ، وبكل جزء جزاء . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
الطيبين الطاهرين .

اللهم انصر سلطان المسلمين ، وانصر وزراءه ووكلاءه وعساكره إلى يوم الدين .
واكتب السلامة والعافية علينا وعلى الحجاج والغزاة والمسافرين والقيمين في برك وبحرك من
أمة محمد أجمعين .

اللهم بلغ ثواب ما قرأناه ونور ما تلوناه بعد القبول منا بالفضل والإحسان هدية واصلة إلى
روح نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإلى أرواح أولاده وأزواجه وأصحابه رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين ، وإلى أرواح آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وبناتنا وإخواننا وأخواتنا وأعمامنا وعماتنا
وأخواتنا وخالاتنا وأصدقائنا وأسائدتنا وأقربائنا ومشايخنا ولمن له حق علينا ، وإلى أرواح جميع
المؤمنين وللمؤمنات وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين .
جزى الله عنا سيدنا محمدآ صلى الله عليه وسلم بما هو أهله . سبحانه ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .

دعاء

يقال عند الانتهاء من الطعام

الحمد لله الذى قال فى كتابه : (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) والصلاة
والسلام على رسولنا محمد الذى يحب الأسخياء والأغنياء الطعمين ، وعلى آله وأصحابه المحبين
الفقراء والمساكين والسكرمين .

اللهم اجعل نعمتنا دأمة ودولتنا قائمة ، وأولادنا علماء ، ولا تسلط علينا ظلما . اللهم
أرحم صاحب هذا الطعام والآكلين ، وأعط البركة لمال صاحب هذا الطعام والحاضرين
وأطعمنا من طعام الجنة ، وأسقنا من شراب الكوثر ، وزوجنا بحور عين ، وأكرمنا برؤية
جمالك يا إله العالمين .

اللهم زد ولا تقلل بحرمة سيد المرسلين ، والحمد لله رب العالمين . الفاتحة .

المجلس الأول : في فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(شهر رمضان) مبتدأ خبره ما بعده أو خير مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف للضاف ، أى كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان ، وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول وأن تصوموا وفيه ضعف ، أو بدل من أيام معدودات . والشهر من الشهرة . ورمضان مصدر رمض إذا احترق فأضيف إليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والألف والنون كما منع دأية في ابن دأية علما للغراب للعلمية والتأنيث ، وقوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان » فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس ؛ وإنما مموه بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش أو لارتماض القنوب فيه أو لوقوعه أيام الرمض ؛ أى الحر حينئذ تفلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة (الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه إنزاله ، وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى سماء الدنيا ثم نزل منها إلى الأرض أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى (كتب عليكم الصيام) . وعن النبي عليه الصلاة والسلام « نزلت صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والزبور لثمانى عشرة من رمضان ، والقرآن لأربع وعشرين » والموصول بصلته خبر المبتدأ أو صفته والخبر فبن شهد والقاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط . وفيه إشعار بأن الإنزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حال من القرآن ، أى أنزل فيه وهو هداية الله للناس بإعجازه وآيات واضحات مما يهدى إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (قاضى يضاوى)

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل » أى لحقه ذل وحقارة « ذكرت عنده ولم يصل على » ورغم أنف رجل عنده أبواه أو أحدهما فلم يعمل في حقهما عملا يدخل بسببه الجنة ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان وتم رمضان قبل أن يغفر له « لأن رمضان شهر رحمة ومغفرة من الله تعالى فإن لم يغفر له فيه فهو مغبون (زبدة الواعظين) وروى عنه عليه الصلاة والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لوقم ذلك النور بين الخلائق كلهم ليسعهم » (زبدة الواعظين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من فرح بدخول رمضان حرم الله جسده على النيران » . وقال عليه الصلاة والسلام « إذا كان أول ليلة من رمضان يقول الله تعالى من ذا الذى يحبنا فنحنجه ، ومن ذا الذى يطلبنا فنطلبه ، ومن ذا الذى يستغفرنا فنغفر له بحرمة رمضان ، فيأمر الله تعالى

الكرام الكاتبين في شهر رمضان بأن يكتبوا لهم الحسنات ولا يكتبوا عليهم السيئات ويمحو الله تعالى عنهم ذنوبهم الماضية » . روى أن صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنزلت ليلة أول شهر رمضان ، والتوراة لست ليال من رمضان بعد سبعمائة عام من صحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والزبور لاثنتي عشرة ليلة منه خلت من بعد التوراة بخمسمائة عام ، والإنجيل لثمان عشرة منه بعد الزبور بألف ومائتي سنة ، والفرقان لسبع وعشرين منه بعد الإنجيل بستمائة وعشرين سنة ، انتهى (من كتاب الحياة) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو تعلم أمتي ما في رمضان لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان » لأن الحسنه فيه مجتمعة والطاعة مقبولة والدعوات مستجابة والذنوب مغفورة والجنة مشتاقه لهم (زبدة الواعظين) وعن حفص الكبير أنه قال : يقول داود الطائي : غلبني النوم في أول ليلة من رمضان فرأيت الجنة فكأنني جالس على شط نهر من در وياقوت إذ رأيت جوارى الجنة كأنهن الشمس من نور وجههن ، قفقت : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قفلن : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، نحن للحامدين الصائمين الراكبين الساجدين في شهر رمضان ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « الجنة مشتاقه إلى أربعة نفر : تالي القرآن وحافظ اللسان ومطعم الجيعان والصائمون في شهر رمضان » (رونق المجالس) وفي الخبر « إذا هل هلال رمضان صاح العرش والكرسى والملائكة ومادونهم يقولون طوبى لأمة محمد عليه الصلاة والسلام بما عند الله تعالى لهم من الكرامة واستغفرت لهم الشمس والقمر والكواكب والطيور في الهواء والسماك في الماء وكل ذى روح على وجه الأرض في الليل والنهار إلا الشياطين عليهم اللعنة فاذا أصبحوا لا يترك الله تعالى أحداً منهم إلا يغفر له . ويقول الله تعالى للملائكة : اجعلوا صلاتكم وتسيحكم في رمضان لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » .

حكى أن رجلاً اسمه محمد كان لا يصلي قط فاذا دخل رمضان يزين نفسه بالياب والطيب ويصلي ويقضى ما فاتته . قيل له لم تفعل ذلك ؟ فقال هذا شهر التوبة والرحمة والبركة عسى الله أن يتجاوز عني بفضلته ، فمات فرؤى في المنام قليل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي بحرمة تعظيمي رمضان . وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا استيقظ أحدكم من نومه في شهر رمضان وتحرك في فراشه وتقلب من جانب إلى جانب يقول له ملك قم بارك الله فيك ورحمك الله ، فاذا قام بنية الصلاة يسدعو له القرائش ويقول اللهم أعطه الفرش للرفوعة ، وإذا لبس ثوبه يدعو له الثوب ويقول اللهم أعطه من حلل الجنة ، وإذا لبس نعليه تدعو له نعلاه وتقولان اللهم ثبت قدميه على الصراط ، وإذا تناول الإناء يدعو له الإناء ويقول اللهم أعطه من أكواب الجنة ، وإذا توضأ يدعو له الماء

ويقول اللهم طهره من الذنوب والخطايا ، وإذا قام إلى الصلاة يدعوه البيت ويقول اللهم وسع قبره ونور حفرته وزد رحمة وينظر الله تعالى إليه بالرحمة ويقول عند الدعاء يا عبدى منك الدعاء ومنا الإجابة ومنك السؤال ومنا النوال ومنك الاستغفار ومنا الغفران » (زبدة الواعظين) وفي الخبر « إن رمضان يحىء يوم القيامة في أحسن صورة فيسجد بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى : يا رمضان سل حاجتك فخذ بيد من عرف حقك فيدور في العرصات فيأخذ بيد من عرف حقه فيقف بين يدى الله تعالى فيقول الله تعالى : يا رمضان ماذا تريد ؟ فيقول أريد أن تتوجه بتاج الوفاء فيتوجه الله تعالى بألف تاج ثم يشفع في سبعين ألفاً من أهل الكبائر ثم يزوج بألف حوراء مع كل حوراء سبعون ألف وصيفة ثم يركبه على البراق فيقول الله تعالى ماذا تريد يا رمضان ؟ فيقول أنزله بجوار نبيك فينزله الله الفردوس فيقول الله يا رمضان ماذا تريد ؟ فيقول قضيت حاجتى يارب أين كرامتك فيعطى مائة مدينة من ياقوتة حمراء وزبرجدة خضراء وفي كل مدينة ألف قصر » (زهرة الرياض) وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » وعن زيد بن ربيع عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على مائة في كل يوم جمعة غفر الله له ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر » (زبدة الواعظين) خ أبوهريرة . أى روى البخارى عنه « من قام رمضان » أى أحيا ليلاته بالعبادة غير ليلة القدر تقديراً أو معناه أدى التراويح فيه « إيماناً » أى تصديقاً بثوابه « واحتساباً » أى إخلاصاً نصبهما على الحالية أو على أنها مفعولان له « غفر له ما تقدم من ذنبه » (مشارك) وعن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها للثيرة وتتحرك أوراق أشجار الجنة فيسمع من ذلك صدى لم يسمع السامعون أحسن منه فتنظر الحور العين إلى ذلك فيقلن : اللهم اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً فما من عبد صام رمضان إلا زوجة الله تعالى زوجة من تلك الحور في الجنة كما قال الله تعالى في كلامه القديم (حور مقصورات في الخيام) وعلى كل حوراء منهن سبعون حلة ليست على لون واحد ولكل امرأة سرير من ياقوتة حمراء منسوجة بالدر وعلى كل سرير سبعون فراشاً وسبعون مائدة من ألوان الطعام هذا لمن صام رمضان سوى ما عمل من الحسنات » فينبغى للمؤمن أن يحترم شهر رمضان ويحتز من النكرات ويشغل بالطاعات من الصلاة والتسبيح والتذكير وتلاوة القرآن . قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام : إني أعطيت أمة محمد نورين كيلا يضرهم ظلمتان ، فقال موسى : ما النوران يارب ؟ فقال الله تعالى : نور رمضان ونور القرآن ، فقال موسى وما الظلمتان يارب ؟ قال الله تعالى : ظلمة القبر وظلمة يوم القيامة . (درة الواعظين) وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حضر مجلس العلم في رمضان كتب الله تعالى له بكل قدم عبادة سنة ويكون معي تحت

العرش ، ومن داوم على الجماعة في رمضان أعطاه الله تعالى بكل ركعة مدينة غلاً من نعم الله تعالى ، ومن بر والديه في رمضان ينال نظر الله تعالى بالرحمة ، وأنا كفيل في الجنة ، ومامن امرأة تطلب رضا زوجها في رمضان إلا ولها ثواب مريم وآسية ، ومن قضى حاجة أخيه المسلم في رمضان قضى الله تعالى له ألف حاجة يوم القيامة » وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أسرج في مسجد من مساجد الله تعالى في رمضان كان له نور في قبره وكتب له ثواب الصائين في ذلك المسجد وصلت عليه الملائكة واستغفر له حملة العرش مادام ذلك في المسجد » (ذخيرة العابدين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال « إذا كان أول ليلة من رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النيران ولم يفتح باب منها وفتحت أبواب الجنان ولم يغلق باب منها ويقول الله تعالى في كل ليلة من رمضان ثلاث مرات : هل من سائل فأعطيته سؤله ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ ويعتق الله بكل يوم من رمضان ألف ألف عتيق من النار قد استوجب العذاب وإذا كان يوم الجمعة يعتق في كل ساعة ألف ألف عتيق من النار ، فإذا كان آخر يوم من رمضان يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر » (زبدة الواعظين)

صوم يوم الشك على سبعة أوجه : ثلاثة منها جائزة مع الكراهة ، وثلاثة بغير كراهة ، وواحد لا يجوز أصلاً . أما الثلاثة التي هي جائزة مع الكراهة . فالأول هو أن يصوم يوم الشك بنية رمضان . والثاني أن ينوي به واجباً آخر . والثالث أن يصومه بنية مترددة . يعني إن كان من رمضان فهو منه وإن كان من شعبان فهو منه فهذه جائزة وأما الثلاثة التي هي جائزة بغير كراهة فهو أن يصوم يوم الشك بنية التطوع أو بنية شعبان أو بنية مطلقة . وأما الواحد الذي لا يجوز أصلاً فهو أن يصوم يوم الشك على أنه إن كان من رمضان فأنا صائم وإلا فلا فهو لا يجوز أصلاً (قاضيان) .

المجلس الثاني : في فضيلة الصوم

سورة البقرة - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) يعني الأنبياء . والأمر من لدن آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه تأكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطبيب للنفس . والصوم في اللغة : الإمساك عما تنازع إليه النفس . وفي الشرع : الإمساك عن المفطرات الثلاث يابض النهار فاتها معظم ما تشتهي النفس . (لعلكم تتقون) المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها ، كما قال عليه الصلاة والسلام « يامعشر الشباب من

استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحسن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » أو الإخلال بأدائه لأصاته وقدمه (أياماً معدودات) مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهاك هيلا ، ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضرار صوموا لدلالة الصيام عليه ، والمراد بها رمضان ، أو ماوجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء ، أو ثلاثة أيام من كل شهر ، أو بكما كتب على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة ، وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام ، لما روى أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين يوماً كفارة لتحويله . وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً يضره الصوم ويعسر معه (أو على سفر) أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر (فعلة من أيام آخر) أى فعليه صوم عدة أيام الرض أو السفر من أيام آخر إن أفطر (قاضى يضاوى) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « جاءني جبرائيل ، وقال يا محمد لا يصلى عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه الملائكة كان من أهل الجنة » (زبدة) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال حكاية عن ربه تعالى « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزي به » لأن الصوم سر ليس فيه عمل يشاهد له بخلاف سائر الطاعات ولأنه سر لا يراه أحد لا الله تعالى فالتزم جزاءه ، ولذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال . « إذا كان يوم القيامة يحى قوم لهم أجنته كأجنته الطير فيطربون بها على حيطان الجنة ، فيقول لهم خازن الجنة ، من أنتم ؟ فيقولون نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول هل رأيتم الحساب ؟ فيقولون لا ، ثم يقول ثانيا هل رأيتم الصراط ، فيقولون لا ، ثم يقول هم وجدتم هذه الدرجات ؟ فيقولون عبدنا الله تعالى سرأ في دار الدنيا وأدخلنا الجنة سرأ في الآخرة » (زبدة الواعظين) وإذا خاف الصائم على نفسه الملاك من الجوع والمطش أو كان مريضاً فخاف زيادة للرض جاز له أن يفطر لأن الحالة حالة الضرورة والضرورات تبيح المحظورات (روضة العلماء) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أعطيت أمتى خمسة أشياء لم تعط لأحد قبليهم : الأول إذا كان أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم بالرحمة ومن نظر الله إليه بالرحمة لا يعذبه بعده أبداً . والثاني يأمر الله تعالى الملائكة بالاستغفار لهم . والثالث أن رائحة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . والرابع يقول الله تعالى للجنة اتخذى زينتك ويقول طوبى لعبادى المؤمنين هم أولياى . والخامس يغفر الله تعالى لهم جميعاً » . ولذا روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه

للصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى في كل ساعة من رمضان يعتق ستمائة ألف رقبة من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر ، وفي ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر ، وفي يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر إلى يوم الفطر » (مشكاة) وعن جابر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا كان آخر ليلة من رمضان بكت السموات والأرض والملائكة مصيبة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام » قيل يا رسول الله أى مصيبة هي ؟ قال عليه الصلاة والسلام « ذهاب رمضان فان الدعوات فيه مستجابة والصدقات مقبولة والحسنات مضاعفة والعذاب مدفوع » . فأى مصيبة أعظم من ذهاب رمضان فإذا بكت السموات والأرض لأجلنا فنحن أحق بالبكاء والتأسف لما ينقطع عنا من هذه الفضائل والكرامات (حياة القلوب) وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق ملكا له أربعة أوجه من وجه إلى وجه مسيرة ألف سنة فوجه يسجد إلى يوم القيامة يقول في سجوده : سبحانك ما أعظم جمالك ، وبوجه ينظر إلى جهنم ويقول الولد لمن دخلها ، وبوجه ينظر إلى الجنان ويقول طوبى لمن دخلها ، وبوجه ينظر إلى عرش الرحمن ويقول رب ارحم ولا تعذب صائمي رمضان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام » (زهرة الرياض) . وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى يأمر الكرام الكاتبين في شهر رمضان أن يكتبوا الحسنات لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ولا يكتبوا عليهم السيئات ويذهب عنهم ذنوبهم الماضية » . وقال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (زهرة الرياض) يقال الصوم ثلاث درجات : صوم العوام وصوم الخواص . وصوم خواص الخواص . أما صوم العوام ، فكف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وأما صوم الخواص فهو صوم الصالحين ، وهو كف الجوارح عن الآثام فلا يتم ذلك إلا بعبادة خمسة أشياء : الأول غض البصر عن كل ما يئثم شرعا . والثاني حفظ اللسان عن الغيبة والكذب والنميمة واليمين الغموس ، لما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « خمسة أشياء تحبب الصوم » أى تبطل ثوابه : « الكذب والغيبة والنميمة واليمين الغموس والنظر بشهوة » . والثالث كف الأذن عن استماع كل مكروه . والرابع كف جميع الأعضاء عن المكاره وكف البطن عن الشبهات في وقت الإفطار ؛ إذ لا معنى للصوم عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام فثله كمن بنى قصرا وهدم مصرا . قال عليه الصلاة والسلام « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » . والخامس أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يملأ بطنه ولذا قال عليه الصلاة والسلام « مامن وعاء أبغض إلى الله من بطن مليء من الحلال » . وأما صوم خواص الخواص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ، فإذا تفكر هذا الصائم فيما سوى الله يحصل الفطر من صومه وهو رتبة الأنبياء والصديقين ، فان تحقيق هذا المقام الإقبال إلى الله تعالى بالكلية والانصراف عن غيره (زبدة الواعظين)

اعلم أن الصوم عقيقة لا يقع عليها حواس العباد فلا يعلمه إلا الله والصلح قصار الصوم عبادة بين الرب والعبد ولله كل هذه عبادة وطاعة لا يعرفها إلا الله أضافها إلى نفسه فقال « الصوم لي وأنا أجزى به » وقيل أضافه إلى نفسه لأن الصوم عبادة لا يقع لأحد فيها شركة مع الله تعالى لأن من العباد من يعبد الصم ويسجد له ويصلي للشمس والقمر ويتصدق لأجل الصم وهم الكفار وليس من العباد أحد يصوم للصم أو للشمس أو للقمر أو للنهار بل يصوم لله تعالى خالصاً فلما كان هذا عبادة لا يتعبد بها لغير الله وهي عبادة خالصة لله تعالى أضافه إلى نفسه ، فقال : « الصوم لي وأنا أجزى به » فقوله وأنا أجزى به يعني أكون له عن صومه على كرم الربوبية لأعلى استحقاق العبودية . وقال أبو الحسن معنى قوله وأنا أجزى به كل طاعة ثوابها الجنة والصوم جزاؤه لقائي أنظر إليه وينظر إلى ويكلمني وأكله بلا رسول ولا ترجمان انتهى ما قاله في مختصر الروضة فاحفظه وانصح الناس ولا تكن من التشبهين . ويجوز للصائم أن يمس امرأته ويقبلها في رمضان عندنا إذا كان يأمن على نفسه فإن خاف على نفسه الجماع أو الإنزال بنفسه للس فلا يجوز ذلك . وقال سعيد بن المسيب لا يباح للصائم التقبيل والمساخاة ولم يخف أو لم يخف لما روى عن ابن عباس أن شاباً قام إلى ابن عباس فقال له أقبل وأنا صائم ؟ فقال لا ، قام إليه شيخ فقال أقبل وأنا صائم ؟ فقال نعم ، فعاد إليه الشاب فقال له : آتجل له ما حرمت على ونحن على دين واحد ؟ فقال لأنه شيخ يملك إربه وأنت شاب لا تملك إربك . يعني عضوك وعورتك (روضة العلماء) قيل المراد بالصوم قهر عدو الله فإن وسيلة الشيطان بالشهوة وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب فلا يستفاد من الصوم قهر عدو الله تعالى وكسر الشهوات إلا بتذليل النفس بقلة الأكل ، ولذا روى في مشروعية الصوم أن الله تعالى خلق العقل ، فقال أقبل فأقبل ، ثم قال أدبر فأدبر ، ثم قال من أنت ومن أنا ؟ قال العقل أنت ربي وأنا عبدك الضعيف ، فقال الله تعالى يا عقل ما خلقت خلقاً أعز منك ، ثم خلق الله تعالى النفس فقال لها أقبلي فلم تجب ثم قال لها من أنت ومن أنا ، فقالت أنا أنا وأنت أنت فعذبها بنار جهنم مائة سنة ثم أخرجها فقال من أنت ومن أنا ، فأجابته كالأول ثم جعلها في نار الجوع مائة سنة فسألها فأقرت بأنها العبد وأنه الرب ، فأوجب الله تعالى عليها الصوم بسبب ذلك (مشكاة) قيل الحكمة في فرضية الصوم ثلاثين يوماً أن أبانا آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل في الجنة من الشجرة بقي في جوفه مقدار ثلاثين يوماً فلما تاب إلى الله تعالى أمره بصوم ثلاثين يوماً بلياليها لأن لذة الدنيا أربعة : الطعام والشراب والجماع والنوم فأنها حجاب للعبد عن الله تعالى وفرض على محمد وأمه بالنهار وأيسح الأكل بالليل وهو فضل من الله تعالى وكرم علينا (بهجة الأنوار) حكى أن مجوسياً رأى ابنه في رمضان يأكل في السوق فضربه وقال لم لم تحفظ حرمة المسلمين في رمضان ؟ فمات المجوسى فرآه عالم في المنام على سرير المعزة في الجنة فقال أنت مجوسيا ؟ فقال بلى ولكن سمعت وقت الموت نداء من فوقى يا ملائكتى لا تتركوه

مجرى ما كرموه بالإسلام بحرمته لرمضان ، فالإشارة أن المجوسى لما احترم رمضان وجد الإيمان فكيف بمن صامه واحترمه (زبدة المجالس) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه تعالى « كل حسنة يعملها ابن آدم يضاعف له أجرها من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » . اختلف العلماء فى قوله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به مع أن الأعمال كلها له وهو الذى يجزى بها — على أقوال : أحدها أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع فى غيره لأن الرياء يقع لابن آدم وإنما الصوم شىء فى القلب ، وذلك أن الأعمال لا تكون إلا بالحركات إلا الصوم قائماً هو بالنية التى تخفى عن الناس . وثانيها أن المراد بقوله وأنا أجزى به أنه انفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف أجره ؛ وأما غيره من العبادات فقد يطلع عليها بعض الناس . وثالثها معنى قوله الصوم لى وأنا أجزى به أى أنه أحب العبادة إليه . ورابعها الإضافة إليه وهى إضافة تشريف وتضعيف كما يقال بيت الله . وخامسها أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب فلما تقرب الصائم إلى الله بما يوافق صفاته أضافه إليه . وسادسها أن المعنى كذلك لكن بالنسبة إلى الملائكة لأن ذلك صفاتهم . وسابعها أن جميع العبادات يوفى منها مظالم العباد إلا الصيام . واتفق العلماء على أن المراد بالصوم فى قوله : الصوم لى وأنا أجزى به صيام من سلم صيامه من المعاصى قولاً وفعلًا (مفتاح الصلاة) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » صدق رسول الله فيما قال .

المجلس الثالث : فى فضيلة العلم

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وعلم آدم الأسماء كلها) إما بخلق علم ضرورى بها فيه أو بإلقاء فى روعه ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل . والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالباً ولذلك يقال علمته فتعلم . وآدم اسم أعجمى كآزر وشالخ ، واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم . فلذلك يلقى بنوه أخياً (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمناً إذ التقدير أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى (واشتعل الرأس شيباً) لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون للمعرض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) تبكى لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف والتدبير فى الموجودات وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس

بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ((إن كنتم صادقين) في زعمكم أنكم أحق بالخلافة لصمتكم (قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعتراف بالعجز والقصور وإشعار بأن سؤالهم كان استفساراً ولم يكن اعتراضاً وأنه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الإنسان والحكمة في خلقه وإظهاراً لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه (إنك أنت العليم) الذي لا يخفى عليه خافية (الحكيم) المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن أنجاءكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم على صلاة » (شفاء شريف) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقاً إلى العلم سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر إن العلماء ورثة الأنبياء » . وعن أبي ذر أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يا أبا ذر لأن تعدو فتعلم باباً من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلي مائة ركعة ولأن تعدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلي ألف ركعة » وقال عليه الصلاة والسلام « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى له ثواب سبعين نبياً » وقال عليه الصلاة والسلام « من جلس عند العالم ساعتين أو أكل معه ثقتين أو سمع منه كلمتين أو مشى معه خطوتين أعطاه الله تعالى جنتين كلجنة مثل الدنيا مرتين » (مشكاة الأنوار) وعن علي كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « سألت جبريل عن أصحاب العلم فقال هم سرج أمتك في الدنيا والآخرة طوبى لمن عرفهم والويل لمن أنكرهم وأنقضهم » (كواشي) وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى الصلاة مع الجماعة وجلس في حلقة العلم وسمع كلام الله وعمل به أعطاه الله تعالى ستة أشياء : الرزق من الحلال وينجو من عذاب القبر ويعطى كتابه يمينه ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ويحشر مع النبيين وبني الله له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء له أربعون باباً » (زبدة) وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال « للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة سنة » . يقال العلم أفضل من العمل بخمسة أوجه : الأول العلم بغير عمل يكون والعمل بغير علم لا يكون . والثاني العلم بغير عمل ينفع والعمل بغير علم لا ينفع . والثالث العلم لازم والعلم منور كالسراج . والرابع العلم مقام الأنبياء كما قال عليه الصلاة والسلام « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » . والخامس العلم صفة الله والعمل صفة العباد وصفة الله أفضل من صفة العباد (تفسير التيسير) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « خير سليمان عليه السلام بين العلم والملك فاختار العلم فأعطى العلم والملك » . وقال بعض الحكماء : العلم ثلاثة أحرف : عين ولام وميم واشتقاق العين من عليين ، واشتقاق اللام من اللطف ، واشتقاق اليم من الملك . فالعين يجاوز

صاحبه إلى عليين ، واللام يجعله لطيفاً ، والميم يجعله ملكاً على الخلق . ويقال يدل على شرف العلم قوله تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام (وقل رب زدني علماً) لأن الله تعالى أعطى محمداً كل العلوم ولم يأمره بطلب زيادة غير العلم (مجالس الأبرار) حكى أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى باب المسجد فرأى الشيطان عند بابه ، فقال صلى الله عليه وسلم : يا إبليس ما تصنع هنا ؟ فقال الشيطان أريد أن أدخل المسجد وأفسد صلاة هذا المصلي ولكن أخاف من هذا الرجل النائم قال صلى الله عليه وسلم : يا إبليس لم لم تخف من المصلي وهو في العبادة والناجاة مع ربه وتخاف من النائم وهو في الغفلة قال الشيطان : للمصلي جاهل وإفساده أسهل ولكن النائم عالم إذا أغويت المصلي وأفسدت صلاته أخاف من يقظته وإصلاحه عجلاً ، فقال عليه الصلاة والسلام « نوم العالم خير من عبادة الجاهل » (منهاج التعلين) وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أن يحفظ العلم فليعلم أن يلزم خمس خصال : الأولى صلاة الليل ولو ركعتين . والثانية دوام الوضوء . والثالثة التقوى في السر والعلانية . والرابعة أن يأكل كل للتقوى لا للشهوات . والخامسة السواك » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « خير الدنيا والآخرة مع العلم وشرف الدنيا والآخرة مع العلم والعالم الواحد أكبر من جهة الفضل عند الله تعالى من ألف شهيد » والمراد من العالم في هذا الحديث هو عالم عمل بعلمه . قال عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق تحت العرش مدينة مكتوباً على بابها من زار العلماء فكأنما زار الأنبياء » ولذا قال صلى الله عليه وسلم « جالس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة » وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام « إن الله تعالى خلق مدينة من نور تحت العرش مثل الدنيا عشر مرات فيها ألف شجرة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ومرجان ، فإذا كان يوم القيامة فتحت أوراقها ثم ينادى مناد من قبل الرحمن أين الذين صلوا الصلوات الخمس مع الجماعة فجلسوا في حلقة العلم يجيئون إلى ظل هذه الأشجار اليوم فيجيئون فيجلسون تحت هذه الأشجار ، ثم يوضع بين أيديهم مائدة من نور فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، فيقال لهم كلوا منها جميعاً » (كذا في مكاشفة الأسرار) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « مامن مؤمن يحزن بموت عالم إلا كتب الله تعالى له ثواب ألف عالم وألف شهيد » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « موت العالم موت العالم » وفي الكواشي : من شتم امرأ من أهل العلم بكلمة الجحاح يكفر وتطلق امرأته طلاقاً بائناً عند محمد وعند أهل الفقه . وقال الصدر الشهيد في فتاوى بديع الدين : من استخف بالعالم يكفر وتطلق امرأته بائناً . وقال عليه الصلاة والسلام « سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء والفقهاء فيبتليهم الله تعالى بثلاث بليات : أولاهما رفع البركة من كسبهم . والثانية يسلط الله تعالى عليهم سلطاناً ظالماً . والثالثة يخرجون من الدنيا بغير إيمان » (كذا في مكاشفة الأسرار) وروى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال

« إذا كان يوم القيامة يؤتى بأربعة نفر عند باب الجنة بغير رؤية الحساب والعذاب : الأول العالم الذى عمل بعلمه . والثانى الحاج الذى حج بغير عمل الفساد . والثالث الشهيد الذى قتل فى المعركة . والرابع السخى الذى اكتسب مالا حلالا وأنفقه فى سبيل الله بغير رياء فينازع بعضهم بعضا لدخول الجنة أولا فيرسل الله تعالى جبرائيل ليحكم بينهم فيسأل أولا الشهيد فيقول له ما عملت فى الدنيا وأنت تريد دخول الجنة أولا فيقول قتل فى المعركة لرضا الله تعالى فيقول ممن سمعت ثواب الشهيد ؟ فيقول من العلماء فيقول احفظ الأدب لا تقدم على معلمك ثم يرفع رأسه إلى الحاج فيقول مثله ذلك ، ثم إلى السخى فيقول مثل ذلك ، ثم يقول العالم إلهى ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخى وبسبب إحسانه فيقول الله عز وجل صدق العالم يارضوان افتح أبواب الجنة حتى يدخل السخى الجنة وهؤلاء بعده » (كذا فى مشكاة الأنوار) وقال عليه الصلاة والسلام « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » . وكذا أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : أنا عليم أحب علما . وقال الحسن رحمة الله عليه : مداد العلماء يوزن يوم القيامة بدم الشهداء فيترجح مداد العلماء على دم الشهداء ، وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « كن عالما أو متعلما أو سامعا ولا تكن رابعا قهلك » قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل ؟ فقال « العلم بالله » لأن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل ، فعلم من هذا أن العلم أشرف جوهرها من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم وإلا لكان علمه هباء مشورا . وقال « النظر إلى وجه العالم عبادة » وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها والحوت فى البحر يصلون على معلم الناس خيرا » (زبدة الواعظين) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله جعل بنى آدم على ثمان خصال : منها أربع لأهل الجنة : وجه مليح ولسان فصيح وقلب تقى ويد سخى ، وأربع لأهل النار : وجه عابس ولسان فاحش وقلب شديد ويد بخيل » صدق رسول الله . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « احذروا ثلاثة أصناف من الناس وهم العلماء الغافلون والفقراء المدهنون والتصوفون الجاهلون » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « قوام الدنيا بأربعة أشياء : أولها بعلم العلماء . والثانى بعدل الأمراء . والثالث بسخاوة الأغنياء . والرابع بدعوة الفقراء » ولولا علم العلماء لهلك الجاهلون ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لهلك الأغنياء ولولا عدل الأمراء لأكل بعض الناس بعضا كايأكل الذئب الغنم . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من أنفق درهما على طالب العلم فكأنما أنفق مثل جبل أحد من الذهب الأحمر فى سبيل الله تعالى » وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاة فى الجماعة مع المسلمين أربعين يوما لم تفته ركعة كتب الله له براءة من النفاق » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى الصبح ثم جلس ليذكر الله تعالى يعطيه الله تعالى

في الفردوس سبعين قصراً من ذهب وفضة» وقال النبي عليه الصلاة والسلام «إنما مثل الصلاة كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى عليه وسخ؟» قالوا لا قال «كذلك الصلاة تغسل الذنوب» (دقائق الأخبار).

المجلس الرابع : في فضيلة شهر رمضان

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) أي قتل لهم إني قريب ، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأحوالهم وإطلاعهم على أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روى : أن أغرايا جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناجيه ؟ فنزلت هذه الآية (أجيب دعوة الداع إذا دعان) تقرير القرب ووعده للداعي بالإجابة (فليستجيبوا لي) أي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهامهم (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات والمداومة عليه (لعلهم يرشدون) راجين إصابة الرشده وهو إصابة الحق وقرئ : بفتح الشين وكسرهما . واعلم أن الله تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر ، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خير بأحوالهم مميح لأحوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيذاً له وحثاً عليه . (قاضي يضاوي) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : «ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلي على النبي عليه الصلاة والسلام فإذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ويدخل الدعاء ، وإذا لم يفعل ذلك رجع دعاؤه» . حكى أن واحداً من الصلحاء جلس للتشهد ونسى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام فرأى رسول الله في نومه قيام عليه الصلاة والسلام فقال له : لم نسيت الصلاة على ؟ فقال يا رسول الله اشتغلت بثناء الله وعبادته فنسيت الصلاة عليك ، فقال عليه الصلاة والسلام أما سمعت قولي : الأعمال موقوفة والدعوات محبوسة حتى يصلي على ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ولم يكن فيها صلاة على ردت عليه حسناته فلم يقبل منها شيء (زبدة) وروى أن موسى عليه السلام ناجى ربه فقال : إلهي هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتني حيث أجمعني كلامك ؟ قال الله تعالى يا موسى إن لي عبداً آخر جهنم في آخر الزمان فأكرمهم بشهر رمضان وأنا أكون أقرب إليهم منك ، فاني كلمتك وبينى وبينك سبعون ألف حجاب فإذا صامت أمة محمد وايضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت الإفطار ، يا موسى طوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه في رمضان فلا أجازيهم دون لقائي . فينبغي للعاقل أن يعرف حرمة هذا الشهر ويحفظ قلبه فيه من الحسد

والعداوة للمسلمين ومع ذلك يكون خائفاً وخاشياً الله أيقبل صومه أم لا ؟ حيث قال الله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) يخرج الصائمون من قبورهم ويعرفون صيامهم يتلقون بالموائد والتحف والأباريق يقال لهم كلوا قد جتمع حين شبع الناس واشربوا قد عطشتم حين روى الناس واستريحوا فيأكلون ويشربون واناس في الحساب (تنبيه الغافلين) عن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال « سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن فضائل التراويح في شهر رمضان فقال : يخرج للأومن من ذنبه في أول ليلة كيوم ولدته أمه ، وفي الليلة الثانية يغفر له ولأبويه إن كانا مؤمنين ، وفي الليلة الثالثة ينادى ملك من تحت العرش استأنف العمل غفر الله ماتقدم من ذنبك وفي الليلة الرابعة له من الأجر مثل قراءة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وفي الليلة الخامسة أعطاه الله تعالى مثل من صلى في المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ، وفي الليلة السادسة أعطاه الله تعالى ثواب من طاف بالبيت المعمور ويستغفر له كل حجر ومدر ، وفي الليلة السابعة فكأنما أدرك موسى عليه السلام ونصره على فرعون وهامان وفي الليلة الثامنة أعطاه الله تعالى ما أعطى إبراهيم عليه السلام ، وفي الليلة التاسعة فكأنما عبد الله تعالى عبادة النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي الليلة العاشرة يرزقه الله تعالى خيري الدنيا والآخرة ، وفي الليلة الحادية عشرة يخرج من الدنيا كيوم ولد من بطن أمه ، وفي الليلة الثانية عشر جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وفي الليلة الثالثة عشرة جاء يوم القيامة آمناً من كل سوء ، وفي الليلة الرابعة عشرة جاءت الملائكة يشهدون له أنه قد صلى التراويح فلا يحاسبه الله يوم القيامة ، وفي الليلة الخامسة عشرة تصلى عليه الملائكة وحملته العرش والكرسي ، وفي الليلة السادسة عشرة كتب الله له براءة النجاة من النار وبراءة الدخول في الجنة ، وفي الليلة السابعة عشرة يعطى مثل ثواب الأنبياء ، وفي الليلة الثامنة عشرة نادى ملك يا عبد الله إن الله رضى عنك وعن والديك ، وفي الليلة التاسعة عشرة يرفع الله درجاته في الفردوس ، وفي الليلة العشرين يعطى ثواب الشهداء والصالحين ، وفي الليلة الحادية والعشرين بنى الله له بيتاً في الجنة من النور ، وفي الليلة الثانية والعشرين جاء يوم القيامة آمناً من كل غم وهم ، وفي الليلة الثالثة والعشرين بنى الله له مدينة في الجنة ، وفي الليلة الرابعة والعشرين كان له أربع وعشرون دعوة مستجابة ، وفي الليلة الخامسة والعشرين يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر ، وفي الليلة السادسة والعشرين يرفع الله له ثوابه أربعين عاماً ، وفي الليلة السابعة والعشرين جاز يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف ، وفي الليلة الثامنة والعشرين يرفع الله له ألف درجة في الجنة ، وفي الليلة التاسعة والعشرين أعطاه الله ثواب ألف حبة مقبولة ، وفي الليلة الثلاثين يقول الله يا عبدى كل من ثمار الجنة واغتسل من ماء السلسيل واشرب من الكوثر أناربك وأنت عبدى » (مجالس) وعن عائشة رضى الله

عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اعتكف إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (خ م) وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « كان النبي عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الأخير من رمضان حتى توفاه الله » ثم اعتكف أزواجه بعده أى اعتكفن في بيوتهن ولذا قال الفقهاء يستحب للنساء أن يعتكفن في مكانهن (شرح المشرق) .

المجلس الخامس : في اطمئنان القلب بمشاهدة قدرة الله تعالى

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) إنمّا سأل ذلك ليصير علمه عياناً (قال أولم تؤمن) بآتي قادر على الإحياء باعادة التركيب والحياة (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أى بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون القلب باضافة العيان إلى الوحي والاستدلال (قال فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكاوغرابا وحمامة (فصرهن إليك) فأملهن واضممنهن إليك لتعلمها وتعرف شأنها لكلا تلتبس عليك بعد الإحياء (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) أى ثم جزئنهن (ثم ادعهن) قل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيًا) ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً (واعلم أن الله عزيز) لا يهجز عما يريد (حكيم) ذو حكمة بالغة في كل مايفعله ويندره . (قاضى يضاوى) .

(وإذا قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) قال الحسن : كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه مر على دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار على ساحل البحر فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلن منها فما وقع منها يصير في البحر وإذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها في التراب يصير تراباً فإذا ذهب السباع عنها جاءت الطيور فأكلت منها فما سقط منها رفعه الريح في الجوّ فلما رأى ذلك تعجب منها وقال يارب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع وحواصل الطيور وأجواف دواب البحر فأرني كيف تحيها لأعابن فأزداد يقيناً فعاتبه الله (قال أولم تؤمن قال بلى) يارب علمت وآمنت (ولكن ليطمئن قلبي) أى ليسكن قلبي إلى اللعينة والمشاهدة أراد أن يصبر له علم اليقين وعين اليقين (قال فخذ أربعة من الطير) قال مجاهد : أخذ طاوسا وديكا وحمامة وغراباً ، وقيل بطة خضراء وغراباً أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر (فصرهن إليك) أى قطعهن ومزقهن ، وقيل اجهن واضممنهن إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) قال المفسرون : أمر الله تعالى إبراهيم أن يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ، ثم أمره أن يجعل أجزائها على الجبال . واختلفوا في عدد الجبال ، فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أمر أن يجعل طائر أربعة أجزاء

ويجعلها على أربعة جبال ؛ وقيل جبل على جانب الشرق وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب . وقيل جزأهن سبعة أجزاء ووضعها على سبعة أجبال وأمسك رءوسهن ثم دعاهن بقوله : فتعالين باذن الله تعالى ، فجعل كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى وكل عظم يطير إلى العظم الآخر وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها إلى بعض في السماء بغير رأس ثم أقبلن إلى رءوسهن سعيًا فكلما جاء طائر طار رأس فان وجده رأسه دفنا منه وإن لم يجده تأخر حتى يلقي كل طائر رأسه فذلك قوله تعالى (ثم ادعهن يأتينك سعيًا) قيل المراد بالسعي الإسراع والعدو ، وقيل المشي كما قال الله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) والحكمة في المشي دون الطيران كونه أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لتوهم أنها غير تلك الطير وأن أرجلها غير سليمة ، وقيل السعي الطيران (واعلم أن الله عزيز حكيم) (تفسير معالم) روى أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف السموات والأرض ثم نظر إليها نظرة بهية فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فعلى وارفع منه زبد ودخان وبخار وارفع من خشية الله فمن ثمة يرتعد ذلك الماء إلى يوم القيامة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء ، وخلق من ذلك الزبد الأرض ، ثم بعث الله ملكًا من تحت العرش فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه وإحدى يديه كانت بالشرق والأخرى كانت بالمغرب باسطين يابضتين على الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لتقديمه موضع قرار فأهبط الله من الفردوس نوراً له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فأهبط الله ياقوته خضراء من أعلى درجة في الجنة غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى ذنبه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ولكن ذلك الثور في البحر فهو يتنفس في كل يوم نفسين فإذا تنفس مد البحر وإذا أمسك نفسه رجع فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وأرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهن الحوت العظيم اسمه نون وكنيته يلهوب ولقبه يهيموت فوضع الصخرة على ظهره وسأر جسده خالي ؛ فالخوب على البحر والبحر على متن الرياح والرياح على القدرة ، قال كعب الأجر : إن إبليس تغفل إلى الحوت الذي كان على ظهره الأرض كلها والشجر والدواب وغيرها وقال له ألق عن ظهرك هؤلاء الأتقال أجمع قال فهم الحوت أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فضج إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت ، قال كعب إنه لينظر إليها وتتنظر إليه فان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت هو الذي أقسم الله به فقال (ن والقلم وما يسطرون)

صدق الله العظيم (تفسیر ثعلبی رحمہ اللہ تعالیٰ) هذه كلها من قدرة الله تعالى العلي الكبير المتعال .

(نوع آخر متعلق بأحوال الدنيا والآخرة) ذكر في الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليطلب من المظلوم أن يهبها له أو يستحل منه أو يقضى منه قبل أن يأخذ منه خصاؤه يوم لا يوجد دينار ولا درهم » .
(حكاية) إن صياداً في الزمن الأول أخذ سمكة فأخذها منه العوان وضربه فقال الصياد يارب خلقتني ضعيفاً وخلقتني قوياً حتى ظننتني سيطر علي خلقاً من خلقك فأجعله عبرة للمسلمين ، فلما ذهب العوان إلى داره شوى السمكة ، فلما وضعها على المائدة وأراد أن يتناولها لدنشته السمكة بإذن الله تعالى وأخذ الدود يده فلم يقدر على الصبر حتى قطعها ثم سرى إلى ذراعها حتى قطعها ثم نلم فرأى في المنام من يقول له رد الحق إلى صاحبه حتى تتجو من هذه العلة ، فلما استيقظ علم ذلك فجاء إلى الصياد فأعطاه عشرة آلاف درهم واستحل منه فلما جعله في حل تناثر منه الدود فصارت يده كما كانت بقدرة الله تعالى (مكاشفة القلوب)
عن أبي أمامة الباهلي رضي الله تعالى عنه أنه قال « إذا توفي الرجل ووضع في قبره جاءه ملك وقعد عند رأسه وعذبه وضربه ضربة واحدة بمطرقة لم يبق عضو منه إلا قطع وتلهب في قبره ثم قيل له قم بإذن الله فإذا هو يقوم مستويا فيصبح صبيحة يسمعها ما بين السماء والأرض إلا الجن والإنس ثم يقول له الليت لم فعلت هذا ولم تعذبني وأنا أقيم الصلاة وأؤدي الزكاة وأصوم رمضان ؟ فيقول أعذبتك بأنك مررت يوماً بمظلوم وهو يستغيث بك فلم تنقه واصلت يوماً ولم تنزه من بولك » ولذا قيل : نصرة المظلوم واجبة كما روى عنه عليه الصلاة والسلام « من رأى مظلوماً فاستغاث به فلم ينقه ضرب في قبره مائة سوط من نار » (مكاشفة القلوب)
قال النبي عليه الصلاة والسلام « من زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة حرة كانت أو أمة فمات بغير توبة فتح الله له في قبره ثلاثمائة باب من نار يعذب فيه إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة يدخل النار مع الداخلين » (حياة القلوب) .

حكى أن الحسن البصري ومالك بن دينار وثابت البناني دخلوا على رابعة العدوية ، فقال الحسن ياربعة اختارى منا واحداً فإن النكاح سنة النبي عليه الصلاة والسلام ، قالت : لي مسائل من أجابها زوجت نفسي منه ، فسألت الحسن أولاً ما تقول حيث قال يوم الميثاق هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي من أي صنف أكون ؟ فقال لأدرى ، فقالت حين صورني الملك في راحم أمي هل كنت شقية أو سعيدة ؟ قال لأدرى ؟ قالت إذا قيل لواحد أن لا تخافوا ولا تحزنوا ولواحد لا بشرى لكم من أي صنف أكون ، قال لأدرى ، قالت القبر يكون روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران كيف يكون قبري ؟ قال لأدرى

قالت يوم تبيض وجوه وتسود وجوه كيف يكون وجهي ؟ قال لأدري ، قالت إذا نادى للنادى يوم القيامة ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة وفلان بن فلان قد شق شقاوة فمن أكون أنا ؟ قال لأدري فبكوا جميعا وخرجوا من عندها (بهجة الأنوار) .

وحكى أيضا أنه لما مات زوج رابعة العدوية استأذن في الدخول عليها الحسن البصرى وأصحابه فأذنت لهم في الدخول عليها وأرخت ستراً وجلست وراء الست ، فقال لها الحسن وأصحابه إنه قد مات بعلك ولا بد لك منه ، فقالت نعم ولكن من أعلمكم حتى أزوجه نفسي ؟ فقالوا الحسن البصرى فقالت إن أجبتى في أربع مسائل فأنا لك . فقال صلى الله عليه وسلم إن وصى الله تعالى أجبته . قالت ماتقول لومت وخرجت من الدنيا أخرج على الإيمان أم لا ؟ قال هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، ثم قالت ماتقول لو وضعت في القبر وسألتى منكر ونكير أقدر على جوابهما أم لا ؟ قال هذا غيب ولا يعلم الغيب إلا الله ، قالت إذا حشر الناس يوم القيامة وتطارت الكتب أعطى كتابي يميني أم شمالي ؟ فقال هذا غيب أيضاً ، ثم قالت إذا نودي للناس فريق في الجنة وفريق في السعير كنت أنا من أى الفريقين ؟ قال هذا غيب أيضاً . قالت من كان له غم هذه الأربعة كيف يشتغل بالتزويج ، ثم قالت يا حسن أخبرنى كم جزء خلق الله العقل ؟ قال عشرة أجزاء : تسعة للرجال وواحد للنساء ، ثم قالت يا حسن كم جزء خلق الله الشهوة ؟ قال عشرة أجزاء : تسعة للنساء وواحد للرجال . ثم قالت يا حسن أنا أقدر على حفظ تسعة أجزاء من الشهوة بجزء من العقل وأنت لاتقدر على حفظ جزء واحد من الشهوة بتسعة أجزاء من العقل ، فبكى الحسن وخرج من عندها (مشكاة الأنوار) .

المجلس السادس : في فضيلة إعطاء الصدقة في سبيل الله

سورة البقرة - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة) أى مثل نفقهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة على حذف مضاف (أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما يسند إلى الأرض والياء والنبت على الحقيقة هو الله تعالى . والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منه سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه . وقد يكون في الدرة والدخن وفي البر في الأرض الغلة في بعض الأراضى (والله يضاعف) تلك المضاعفة (لمن يشاء) بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق وقدر إفاقته . (قاضى يضاوى) .

زلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسى وبعيتي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها لربي فقال له رسول الله «بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت» وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لا جهاز له قرتل هذه الآية (مثل الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال الكلبي ومقاتل: نزلت هذه الآية في شأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت له أربعة دراهم ولم يملك غيرها، فلما نزل التحريض على الصدقة تصدق بدرهم بالليل وبدرهم بالنهار وبدرهم في السر وبدرهم في العلانية قرتل (الذين ينفقون) الآية (أبو الليث) قال عليه الصلاة والسلام: «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة». روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام «ما من دعاء إلا بينه وبين الله تعالى حجاب حتى يصلي صاحبه على محمد فإذا فعل ذلك خرق الحجاب واستجيب له الدعاء». وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال عليه الصلاة والسلام «لما خلق الله تعالى الأرض وتحركت خلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فتعجب للملائكة وقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال نعم النار فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال نعم الماء فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال نعم الريح فقالوا يا رب هل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة يمينه يخفيها عن شماله فهو أشد منه» لكن بعد رعاية أمور: أحدها أن يتخفى الصدقة كما قال الله تعالى (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وبهذا السبب بالغ السلف في إخفاء صدقاتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم من المتصدق، وبعضهم ربط في ثوب الفقير نائماً، وبعضهم ألقى في طريق الفقراء لئلا أخذوها والثاني أن تحذر من اللئى والأذى كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والأذى كالأذى ينفق ماله رئاء الناس). والثالث أن تخرجها من أطيب أموالك كما قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) حتى لا تكون بمن قال الله تعالى فيهم (ويجعلون لله ما يكرهون) الآية ولذا قال رسول الله عليه الصلاة والسلام «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب» أى الحلال كما قال سفيان الثوري: من أتقى الحرام في طاعات الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر إلا بالماء الطاهر والذنب لا يطهر إلا بالحلان. والرابع أن تعطى بوجه طليق مستبشر غير مستكره كما قال الله تعالى (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ولذا قال عليه الصلاة والسلام «سبق درهم على مائة ألف» يعنى أن

درها واحداً من الحلال بالاستبشار أفضل من مائة ألف مع الكراهة . والخامس أن
 تحرى بصدقك محلاً وتعطى العالم التقي الذى يستعين بها على طاعة الله تعالى وتقواه أو الصالح
 القل ولذا قال الله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) وروى عن النبي عليه الصلاة
 والسلام أنه قال « الصدقة إذا خرجت من يد صاحبها تكلمت بخمس كلمات : الأولى
 كنت صغيرة فكبرتني . والثانية كنت حارسة فالآن صرت حارسك . والثالثة كنت عدواً
 فأحببتني . والرابعة كنت فانية فأبقيتني . والخامسة كنت قليلة فكثرتني كما قال الله تعالى
 (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم
 يطعم أخاه حتى يشبعه ويسقيه حتى يرويه إلا بعده الله تعالى من النار وجعل بينه وبينها
 سبعة خنادق بين كل خندقين خمسمائة عام ونادت جهنم يارب ائذن لى بالسجود شكراً
 لك فقد أزدت أن تعق أحداً من أمة محمد من عذابي لأنى كنت أستحي من محمد أن
 أعذب التصديق من أمته فلا بد لى من طاعتك ثم أمر الله تعالى ليدخل الجنة التصديق
 بلقمة خبز أو بقبضة تمر » . وقد حكى أنه كان فى بنى إسرائيل قحط شديد سنين متوالية
 وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها فى قمها لتأكلها فنادى السائل فى الباب أعطينى لله
 لقمة فأخرجتها من قمها فدفعها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لأن تحتطب وكان لها
 ابن صغير معها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم فى أثر الذئب فبعث الله تعالى
 جبريل فأخرج الصبي من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال لها : يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة
 (كذا فى تفسير الحنفى) وكذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها « إن امرأة أتت إلى النبي عليه
 الصلاة والسلام وقد يست يدها اليمنى ، فقالت يانبي الله ادع الله حتى يصلح يدي ، فقال لها النبي
 عليه الصلاة والسلام ما الذى أيس يدك ؟ قالت رأيت فى المنام قد قامت القيامة والجحيم سمرت
 والجنة أزلقت فرأيت فى نار جهنم والدنى فى يدها قطعة من الشحم وفى الأخرى خرقة صغيرة تنقى
 بهما النار ، فقلت مالك أراك فى هذا الوادى وكنت مطيعة لربك وراضيا عنك وزوجك ؟ قالت
 يا ابنتى كنت فى الدنيا بخيلة وهذا الموضع للخلاء ، قلت لها وما هذه الشحمة والخرقة فى يدك ؟ قالت
 هما اللتان تصدقت بهما فى الدنيا وما تصدقت فى جميع عمرى إلا بهما ، وقلت أين أبى ؟ قالت هو
 سخي وهو فى موضع الأسخياء ، ثم جئت إلى الجنة وإذا والدنى قائم على حوضك يسقى الناس يارسل
 الله فقلت يا أبى إن والدنى كانت امرأتك الطيعة لربها وأنت راض عنها ، وهى فى نار جهنم
 تحرق وأنت تسقى الناس من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فأعطها شربة من الحوض ،
 فقال يا ابنتى حرم الله على البخلاء والمذنبين حوض النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم أخذت
 منه كأساً يلاً إذن أبى فسقيت به أمى العطشى ، ثم سمعت صوتاً يقول أيس الله تعالى

يدك حيث سقيت العاصية البخيلة من حوض النبي عليه الصلاة والسلام فانتبهت فاذا يدي قد يبست ، ثم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : فلما سمع النبي عليه الصلاة والسلام قولها وضع عصاه على يدها ، فقال إلهي بحق الرؤيا التي حكمت أصليح يدها فصلحت يدها فصارت كما كانت » قال النبي عليه الصلاة والسلام : « السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ غصنا منها قاده إلى الجنة ، والبخل شجرة في النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ غصنا منها قاده إلى النار » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « السخي قريب إلى الحق والخلق ، والبخل بعيد من الحق والخلق » كما قال عليه الصلاة والسلام « البخيل لا يدخل الجنة ولو كان زاهداً » .

حكى أن حداة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت إن رجلا له شجرة وأنا أفرخ على تلك الشجرة وهو يرفع أفرأخي فدعا سليمان عليه السلام صاحب الشجرة فمنعه منه ، وقال لشيطانين إني آمركما إذا كان العام القابل ورفع هذا الرجل فرخ هذا الطير فخذاه واجبلاه نصفين وارميا نصفه إلى المشرق ونصفه إلى المغرب فلما كان العام القابل نسي صاحب الشجرة قول سليمان عليه السلام ، وأراد أن يصعد الشجرة وقد تصدق بلقمة فرفع فرخ الطير ، فجاء الطير إلى سليمان عليه السلام وشكا من صاحب الشجرة فدعا سليمان عليه السلام الشيطانين فأراد أن يعاقبهما ، وقال لهما لم لا تفعلان ما أمرتكما ؟ فقالا يا خليفة الله إن صاحب الشجرة لما أراد أن يصعد الشجرة قصدنا أن نأخذنه ولكن تصدق على رجل مسلم بقطعة خبز فبعث الله إليه ملكين من السماء حتى أخذنا كل واحد منا ورميا به فرمى أحدهما إلى المشرق والآخر إلى المغرب ودفع شرنا عنه ببركة صدقته . وحكى أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل قعير على باب غني فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغني خبزاً حاراً فدفعته إليه وجاء الغني - شؤم الدار - فقطع يد بنته فحول الله حاله وأذهب ماله واقتقر ومات في حال ذلك ، وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة فجاءت يوماً إلى باب رجل غني فخرجت والدته فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها إلى بيتها فقصت تزويجها إلى ابنها ، فلما زوجها زينتها وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها . فقال لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجني يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى مرة أخرى فرد عليها مرات ، فهتف هاتف من زاوية الباب أخرجني يدك اليمنى يا أمتي لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا جرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى تامة بقدرة الله تعالى وأكلت مع زوجها فاعتبروا يا أولى الأبصار وأنفقوا في سبيل الله حتى تنالوا سعادة الدارين (كذا في زبدة الواعظين) : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أكرم الضيف فقد أكرمني ، ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ، ومن أبغض الضيف

قَدْ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهُ تَعَالَى » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « إِنْ الضَّيْفُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ الْمُؤْمِنِ دَخَلَ مَعَهُ أَلْفُ بَرَكَةٍ وَأَلْفِ رَحْمَةٍ » وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « مَا مِنْ أَحَدٍ يَأْتِيهِ الضَّيْفُ فَيُكْرِمُهُ بِمَا وَجَدَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا تَفَحَّ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِأَبٍ فِي الْجَنَّةِ » ومن عَمَرَ خِرَابًا يَعْنِي أَشْبَعَ جَائِعًا وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، ومن مَنَعَ الطَّعَامَ عَنِ الْجَائِعِ مَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فَضْلَهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَذَبَهُ فِي النَّارِ ، ومن أَطْعَمَ جَائِعًا لَوَجَّهَ اللَّهُ تَعَالَى وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . قال النبي عليه الصلاة والسلام « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عَلَى ظَهَرِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : طَلَبُ الْعِلْمِ وَالْجِهَادُ وَالْكَسْبُ مِنَ الْحَلَالِ فَطَالِبُ الْعِلْمِ حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمُجَاهِدُ وَلِيُّ اللَّهِ وَالْكَاسِبُ مِنَ الْحَلَالِ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ » صدق رسول الله (دَقَائِقُ الْأَخْبَارِ) . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « اتَّقُوا النَّارَ » أَيْ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا وَقَايَةً ، أَيْ حِجَابًا مِنَ الصَّدَقَةِ « وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » أَيْ جَانِبِهَا أَوْ نِصْفِهَا فَانْهَيْدِ الرَّمْقَ سِوَا لِلْطِفْلِ فَلَا يَحْتَقِرَنَّ لِلتَّصَدُقِ ذَلِكَ . اتَّفَقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَلَى الرَّوَايَةِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ (كَذَا فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) . فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْإِتِّفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبَبُ الْوُصُولِ إِلَى الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالنَّجَاةِ مِنَ الْخَوَافِ وَالشَّدَائِدِ وَالْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا رَوَى الْخَطِيبُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ سَبْعِينَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ أَهْوَنُهَا الْجَنْمُ وَالْبَرَصُ » (كَذَا فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ) .

المجلس السابع : في ذم أكل الربا

سورة البقرة — (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا) أَيْ الْآخِذُونَ لَهُ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْأَكْلَ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ مَنَافِعِ الْمَالِ وَلِأَنَّ الرِّبَا شَائِعٌ فِي الطَّعُومَاتِ وَهُوَ زِيَادَةٌ فِي الْأَجْلِ بِأَنْ يَبَاعَ مَطْعُومٌ بِمَطْعُومٍ أَوْ تَقْدُّ بِتَقْدٍّ إِلَى أَجَلٍ ، أَوْ فِي الرِّضْ بِأَنْ يَبَاعَ أَحَدُهُمَا بِأَكْثَرٍ مِنْهُ مِنْ جِنْسِهِ (لَا يَقُومُونَ) إِذَا بَعَثُوا مِنْ قُبُورِهِمْ (إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ) إِلَّا قِيَامًا كَقِيَامِ الْمَرْبُوعِ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَى مَا يَزْعُمُونَ مِنْ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْبِطُ الْإِنْسَانَ فَيَصْرَعُ ، وَالْخَبْطُ ضَرْبٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِوَاءٍ كَخَبْطِ الْعَشَوَاءِ (مِنَ الْمَسِّ) أَيْ الْجَنُونِ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ زَعْمَاتِهِمْ أَنَّ الْجَنِّي يَمْسُهُ فَيَخْلُطُ عَقْلَهُ ، وَلِذَا قِيلَ جَنَّ الرَّجُلُ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا يَقُومُونَ أَيْ لَا يَقُومُونَ مِنَ الْمَسِّ الَّذِي بِهِمْ بِسَبَبِ أَكْلِ الرِّبَا أَوْ يَقُومُ أَوْ يَتَخَبَّطُهُ فَيَكُونُ نَهْوضُهُمْ وَسُقُوطُهُمْ كَالْمَرْبُوعِينَ لَا لِاخْتِلَالِ عَقُولِهِمْ وَلَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ أَرَادَ فِي بَطُونِهِمْ مَا أَكَلُوهُ مِنَ الرِّبَا فَأَثَقَلَهُمْ (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) أَيْ ذَلِكَ الْعَقَابُ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ نَظَّمُوا الرِّبَا وَالْبَيْعَ فِي سَبِيلِ وَاحِدٍ لِإِفْضَائِهِمَا إِلَى الرِّيحِ فَاسْتَحْلَوْهُ اسْتِحْلَالَهُ فَكَانَ الْأَصْلُ إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ الْبَيْعِ وَلَكِنْ عَكْسَ اللَّبَالَةِ كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الرِّبَا أَصْلًا وَقَانَسُوا بِهِ

البيع ، والفرق بين ، فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين ففعل مساس الحاجة إليها أو توقع رواجها يجبر هذا الغبن (وأحل الله البيع وحرم الربا) إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس بمعارضة النص (قاضى يضاوى) .

عن زيد بن الحباب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من قال اللهم صل على محمد وأتزله للنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى » (شفاء) وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أربعة حق على الله تعالى أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق وعاق الوالدين » رواه الحاكم . ففيه تأويلان : أحدهما أنه محمول على من فعله ثم استحلّه . والثانى أن لا يدخلهم الجنة أولا عند دخول الفائزين وأهل السلامة ، ثم إنه قد يجازى بمنعه عن دخولها أولا ثم يدخلها بعد ذلك وقد لا يجازى بل يعفو الله تعالى عنه . وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وماهى ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى والفرار يوم الزحف وقذف الحصنات الغافلات المؤمنات » الحديث . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام « الربا ثلاثة وسبعون باباً أبسرهما مثل أن ينكح الرجل أمه » رواه الحاكم . وقال عليه الصلاة والسلام « تصيب الربا أعظم عند الله تعالى من ثلاث وثلاثين زنية يزنيها الرجل فى الإسلام » وقال عليه الصلاة والسلام « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية » (حياة القلوب) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا باع الرجل الدرهم بالدرهمين والدينار بالدينارين فقد رانى فاذا عمل شيئا من الحيلة فقد رانى وخاذع الله عز وجل واتخذ آيات الله هزوا » (فردوس أكبر) وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال « لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده » رواه مسلم . وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام فى قصة الإسراء « . . . فانطلق بى جبريل الى رجال كثيرة كل رجل منهم بطنه مثل بطن البعير الضخم منضدين بعضهم على بعض على سابلة آل فرعون يطؤهم آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقبلون مثل الإبل المهومة » أى مثل الإبل التى صيح بها لتجد فى سيرها ، أو كذى التهم بالتحريك إفراطا فى الشهوة للطعام من الجوع « يخطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ، ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا

يستطيعون أن يرجعوا أى أن يزيلوا مكانهم حتى يغشاهم آل فرعون « أى يطؤهم » مقيلين ومدبرين فذلك عذابهم فى البرزخ « أى بين الدنيا والآخرة . وقال عليه الصلاة والسلام : « وآل فرعون يقولون اللهم لاتقم الساعة أبدا » أى يوم القيامة يقول الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قلت « يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء آكلو الربا من أمتك (لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) » الآية . وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أنه قال « كان عليه الصلاة والسلام إذا صلى القداء أقبل علينا بوجهه ، فقال لأصحابه هل رأى أحد منكم من رؤيا قصص عليه ما شاء الله أن يقص فيوما قال هل رأى أحد منكم من رؤيا الليلة ؟ قلنا لا قال عليه الصلاة والسلام : لى رأيت الليلة شخصين أتياى فأخرجاني إلى أرض مقدسة فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم ، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذى فى النهر فاذا أراد أن يخرج رعى الرجل الذى على الشط بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رعى فى فيه بحجر فيرجع كما كان ، قلت ما هذا الذى رأيت فى النهر ؟ قال آكل الربا » رواه البخارى .

وعن أبى رافع رضى الله عنه أنه قال بعث خلخال فضة من أبى بكر فوضع الخلخال فى كفه والدرهم فى كفه الأخرى فكان الخلخال أثقل منها قليلا فأخذ مقراضا ليقطعه فقلت الزيادة لك يا خليفة رسول الله ، فقال أبو بكر سمعت من النبي عليه الصلاة والسلام : « الزائد والمستزيد فى النار » (موعظة) وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا ، فقال : إذا باع رجل ثوبا يساوى عشرة بعشرين فقد حصل ذلك الثوب مقابلا لعشرين فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منها مقابلا للآخر فى المالة عندهما فلم يكن أخذ صاحبه شيئا بغير عوض . أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال فى مدة الأجل فإن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حق يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين (حياة القلوب) وذكر فى سبب تحريم الربا وجوه : أحدها أن الربا يقتضى أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقدا أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام . والوجه الثانى إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدرهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضى ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارة وطلب الأرباح . والوجه الثالث أن الربا هو سبب انقطاع العروف بين الناس من القرض ، فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للحتاج واسترجاع مثلها لطلب الأجر من

الله تعالى . والوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لانعلم وجه الحكمة في ذلك ، وهذا تصريح بأن النص يبطل القياس ، لأنه جعل تحليل الله وتحريمه دليلاً على بطلان قياسهم (حياة القلوب) عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعر بالشعر ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء ، عينا بعين ، يداً بيد ، ولكن يبيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعر والتمر بالملح يداً بيد كيف شئتم من التفاضل » لأن تفاضلها لا يكون ربا ، لأن الجنس معدوم فاحفظ ولا تكن من الغافلين ؛ وما نص على تحريم الربا فيه إن كيلاً فهو كيلى أبداً كالبر والشعر والتمر أو نص على تحريمه وإن وزناً فهو وزنى أبداً كالذهب ، والنضة ولو تعورف بخلافه لأن النص قاطع وهو أقوى من العرف والأقوى لا يترك بالأدنى وما لا نص فيه جعل على العرف كغير الستة المذكورة وهي قوله عليه الصلاة والسلام « لا تبيعوا الذهب بالذهب » إلى آخره . واعلم أن الحيل الشرعية للاحتراز عن الربا وإن كانت جائزة عند بعض الفقهاء إلا أنها مكروهة عند البعض وهو الأرجح . صورتها رجل أراد أن يستقرض عشرة دراهم من آخر بعشرة ونصف مدة شهر مثل أن يبيع الرجل ثوباً يساوى عشرة بعشرة إلى آخر ويسله ويأخذ منه عشرة ، ثم يقول الآخر بين المجلس : أبيع هذا الثوب بعشرة ونصف ويشتري المستقرض منه بتلك القيمة بمدة معلومة والربا في هذه الصورة مندفع ولكن الأولى أن لا يفعل مثل هذه الحيلة لأن التقوى خير من الفتوى ، أو أن يعطى للقرض إلى المستقرض ثوباً يساوى اثني عشر درهما بقيمته في مدة معلومة ثم يبيع المستقرض إلى الأجنبي بعشرة ثم الأجنبي إلى البائع الأول وهو المقرض بعشرة أيضاً ويقول له أعط العشرة إلى فلان الذي اشتريت هذا الثوب منه ، فإذا أعطى البائع الأول الذي هو المشتري من الأجنبي والمقرض من وجه عشرة دراهم إلى المستقرض منه كان المستقرض مديوناً له باثني عشر درهما والزيادة أيضاً في هذه الصورة ليست ربا ولكن ينبغي للمؤمن أن يحترز عن المعاملة الغير الشرعية حتى لا يؤخذ في دار الآخرة . وتفصيل هذا في الكتب الفقهية فعليك بطلاعة أصل هذه النقولة من الترجمة إلى العربية وادع لناقها الفقير بالأدعية الحيرية تل الشفاعة المصطفوية بعد التمسك بالسنة السنية ، ولا تشكن في نعم الله الجليلة المفاضة على العباد للذنبة حتى لا تحرم من السعادة السرمديّة وأبصر ما أحضرتك بالإمعان والدقة النظرية .

المجلس الثامن : في فضيلة الصلاة مع الجماعة

سورة البقرة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الدين آمنوا) بالله ورسوله وبما جاءهم (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطفهما على ما بينهما لإناقتهما على سائر الأعمال الصالحة (لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم) من آت (ولا هم يحزنون) على فائت (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه كان جالساً في المسجد ، فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه بجانبه فوق أبي بكر رضى الله عنه ، ثم اعتذر النبي عليه الصلاة والسلام إليه فقال : « يا أبا بكر إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا أحد يصلى طي أكثر منه فانه يقول كل غداة وعشية : اللهم صل على محمد بعدد من صلى عليه وصل على محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه وصل على محمد كما ينبغي الصلاة عليه فلذلك أجلسته أعلى منك » . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام « من صلى الصلوات الخمس مع الجماعة فله خمسة أشياء : الأول لا يصيبه فقر في الدنيا . والثاني يرفع الله تعالى عنه عذاب القبر . والثالث يعطى كتابه يمينه . والرابع يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والخامس يدخله الله تعالى الجنة بلا حساب ولا عذاب » (مصابيح) قال عليه الصلاة والسلام : « صلاة الرجل مع الجماعة خير من صلاة أربعين سنة في بيته منفرداً » . وروى أن الجماعة تفضل على المفرد بسبع وعشرين درجة . وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يحشر الله قوما وجوههم كالسكاك فقول لهم الملائكة ما أعمالكم ؟ فيقولون كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة والوضوء ولا نشغل بغيره ، وقوما وجوههم كالقمر ، فيقال لهم : ما أعمالكم ؟ فيقولون كنا نتوضأ قبل الأذان ، وقوما وجوههم كالشمس فيقولون بعد السؤال : كنا نسمع النداء في المسجد » (درة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كبر العبد للصلاة يقول الله تعالى للملائكة ارفعوا ذنوب عبدي عن رقبة حتى يعبدني طاهراً فتأخذ الملائكة الذنوب كلها فإذا فرغ العبد من الصلاة تقول الملائكة ياربنا أنعدها عليه فيقول الله تعالى يا ملائكتي لا يليق بكبرى إلا العفو قد غفرت خطاياهم » . وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى يحشر مساجد الدنيا يوم القيامة كأنها بخت يرض قوائمها من العنبر وأعناقها من الزعفران ورجوسها من المسك وأذانها من الزبرجد الأخضر والمؤذنون يهودونها والأئمة يسوقونها في عرصات يوم القيامة كالبرق الخاطف فيقول أهل القيامة : أهؤلاء من الملائكة القريبين أم من الأنبياء والمرسلين ؟ فينادى لابل هؤلاء

من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يحفظون الصلوات بالجماعة » ولذا قال عليه الصلاة والسلام « من تواضأ بالماء الجاري وصلى خلف الإمام القارى قد استحق رحمة الله البارى » (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله تعالى جبرائيل عليه السلام على أحسن صورة وجعل له ستائة جناح طول كل جناح مابين الشرق والمغرب نظر إلى نفسه فقال إلهى هل خلقت أحسن صورة منى ؟ فقال الله تعالى لا ، فقام جبرائيل وصلى ركعتين شكرا لله تعالى فقام في كل ركعة عشرين ألف سنة ، فلما فرغ من الصلاة قال الله تعالى يا جبرائيل عبدتنى حق عبادتى ولا يعبدن أحد مثل عبادتك لكن يحىء فى آخر الزمان نبى كريم حبيب إلى يقال له محمد وله أمة ضعيفة مذنبية يصلون ركعتين مع سهو وتقصان فى ساعة يسيرة وأفكار كثيرة وذنوب كبيرة فوعزنى وجلالى إن صلاتهم أحب إلى من صلاتك لأن صلاتهم بأمرى وأنت صليت بغير أمرى ، قال جبرائيل يارب ما أعطيتهم فى مقابلة عبادتهم ؟ فقال الله تعالى أعطيتهم جنة للأوى ، فاستأذن من الله تعالى أن يراها فأذن الله تعالى له فأتى جبرائيل وفتح جميع أجنحته ثم طار ، فكلما فتح جناحين قطع مسيرة ثلاثة آلاف سنة ، وكلما ضم قطع مثل ذلك فطار على هذا ثلثائة عام فحجز ونزل فى ظل شجرة وسجد لله تعالى فقال فى سجوده : إلهى هل بلغت نصفها أو ثلثها أو ربعها ؟ فقال الله تعالى يا جبرائيل لو طرت ثلثائة ألف عام ولو أعطيتك قوة مثل قوتك وأجحة مثل أجنحتك فطرت مثل ما طرت لاتصل إلى عشر من أعشار ما أعطيته لأمة محمد فى مقابلة ركعتين من صلاتهم » (مشكاة الأنوار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على تعظيما لى جعل الله تعالى من تلك الصلاة ملكا له جناحان جناح بالشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت الأرض السابعة وعنقه متصل بالعرش ويقول الله تعالى لهذا الملك صل على عبدى كما صلى على نبى محمد عليه الصلاة والسلام فيصل على إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يروى عن الله تعالى أنه قال : ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي لى حقا ، ومن ضيعهن فهو عدو لى حقا . قيل يا رسول الله وما هن ؟ قال : الصلاة والصوم وغسل الجنابة ، قال : هن أمانة بين الله وبين عبده ، أمر بالمحافظة عليهن » والمراد منها إقامتها فى أوقاتها مع إتمام القرائن والواجبات والسنن حتى إن الرجل إذا صلى فى غير وقتها فقد ضيعها على ما روى فى الخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت رجالا ونساء يضربون على رؤوسهم قنسىل دماغهم كالنهر العظيم يقولون ياويله وياثوراه قللت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال الذين يصلون الصلاة فى غير وقتها » والدليل عليه قوله تعالى (خلف من بهم خلف أضعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية ، وكذا إذا لم يصلها بالجماعة كما روى أن رجلا جاء

إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال إني رأيت في المنام كأن في إحدى يدي عشرين ديناراً وفي الأخرى أربعة فسقط العشرون من يدي واحمرت الأربعة فقال عليه الصلاة والسلام هل صليت العشاء بالجماعة ؟ قال لا قال الساقط من يدك فضل الجماعة التي فاتتك ، وأما الأربعة فالتى صليت في بيتك لم تقبل منك (زهرة الرياض) قال عليه الصلاة والسلام « من حافظ على الصلوات كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً وبرهاناً ونجاة » (تبيين المحارم) قال عليه الصلاة والسلام « عشرة نفر لا يقبل الله صلاتهم : رجل صلى وحيداً بغير قراءة ، ورجل يصلى ولا يؤدي زكاته ، ورجل يؤم قوما وهم له كارهون ، ورجل مملوك أبى ، ورجل شارب الخمر مدمن ، وامرأة زوجها ساخط عليها ، وامرأة صلت بغير خمار ، والإمام الجابر الجائز ، ورجل أكل الربا ، ورجل لا انتهاء صلاته عن الفحشاء والمنكر » قال عليه الصلاة والسلام « من لم تنبه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده صلاته عند الله إلا مقنناً وبعداً » وقال الحسن إذا لم تنهك صلاتك عن الفحشاء فلست بمصل وردت صلاتك يوم القيامة على وجهك كالخرقة الثخينة المتوسخة (مكاشفة القلوب) وعن معاذ بن جبل وجابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أنهما قالا لما عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة للعراج إلى السموات رأى في السماء الأولى ملائكة يذكر الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى ، وفي الثانية رأى ملائكة يركون الله تعالى منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون رءوسهم ، وفي الثالثة رأى ملائكة يسجدون لله تعالى منذ خلقهم الله لا يرفعون رءوسهم إلا حين سلم عليهم نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فرفعوا رءوسهم وردوا سلام النبي عليه الصلاة والسلام ثم سجدوا ثانياً إلى يوم القيامة ، ولذا صارت السجدة اثنتين ، وفي الرابعة رأى ملائكة يتشهدون ، وفي الخامسة رأى ملائكة مسبحين ، وفي السادسة رأى ملائكة مكبرين ومهللين ، وفي السابعة رأى ملائكة مسلمين منذ خلقهم الله تعالى فهم قلب النبي عليه الصلاة والسلام واشتهى أن يكون له ولأمته هذه العبادات كلها فعلم الله تعالى همه واشتياقه عليه الصلاة والسلام فجمع عبادة ملائكة السموات السبع وأكرم نبيه عليه الصلاة والسلام بها وقال : « من أدى الصلوات الخمس نال عبادة ملائكة السموات السبع » (روضة العلماء) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصلاة مرضاة الرب وسنة الأنبياء وجب للملائكة ونور المعرفة وأصل الإيمان وواجبات الدعاء وقبول الأعمال وبركة في المال والكسب وسلاح على الأعداء وكرهية الشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره إلى يوم القيامة وظل على رأسه يوم القيامة وتاج على رأسه ولباس على بدنه وستر بينه وبين النار وحجة بين يدي الرب وتقل في الميزان وجواز على الصراط ومفتاح للجنة » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه

حريش من ولد العترب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من الشرق إلى الغرب فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام يا حريش إلى أين تذهب ولمن تطلب ؟ فيقول خمسة نفر : الأول تارك الصلاة ، والثاني مانع الزكاة ، والثالث عاق الوالدين ، والرابع شارب الخمر ، والخامس التكلم في المسجد بكلام الدنيا » فلذا قال الله تعالى (وأن الساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فاعتبروا يا أولى الأبصار ولا تكونوا من الغافلين . (زبدة الواعظين) .

المجلس التاسع : في فضيلة التوحيد

سورة آل عمران — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(شهد الله أنه لا إله إلا هو) بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها (والملائكة) بالإقرار (وأولوا العلم) بالإيمان بها والاحتجاج عليها ، شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد (قائماً بالقسط) مقبلاً للعدل في قسمه وحكمه . وانتصابه على الحال من الله ، وإنما جاز إفراجه بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكباً لعدم اللبس كقوله تعالى « ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة » أو من هو والعامل معنى الجملة أى تفرد قائماً أو أحقه لأنه حال مؤكدة أو على اللوح أو الصفة للنفق وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في الشهود به إذا جعلته صفة أو جالا من الضمير . وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو أو الخبر المحذوف (لا إله إلا هو) كرره للتأكيد ولزيادة الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليتقن عليه قوله (العزيز الحكيم) فيعلم أنه للوصوف بهما ، وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ، ورفعهما على البدل من الضمير أو الصفة لفاعل شهد . وقد روى في فضلها أنه عليه الصلاة والسلام قال « يحاء أصحابها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدى هذا عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وهى دليل على فضل علم أصول الدين وسرف أهله (إن الدين عند الله الإسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أى لا دين مرضى عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به النبي عليه الصلاة والسلام (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب للتقدمة في دين الإسلام فقال قوم إنه حق ، وقال قوم إنه مخصوص بالعرب ونظام آخرون مطلقاً أو في التوحيد فثلث النصارى ، وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقيل هم قوم موسى عليه الصلاة والسلام اختلفوا بعده ، وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى عليه الصلاة والسلام (إلا من بعد ما جاءهم العلم) أى بعد ما علموا حقيقة الأمر أو تمكنوا

لَسَقَطَتْ عَلَيْهِمْ وَيَسِدُ كُلُّ مِنْهُمْ لَوَاءً مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ يَجْتَمِعُونَ كُلَّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ حَوْلَ جَبَلِ قَافٍ يَتَضَرَّعُونَ بِالسَّلَامَةِ لِأَمَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا اِرْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ لَا تَعَذِّبْهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَى الصَّبْحِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا مَلَأْتُكَ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ » (مَجَالِسُ الْأَبْرَارِ) قِيلَ إِنْ فِي رَجَبٍ ثَلَاثَةٌ أَحْرَفَ رَأُوهُ يَدِلُّ عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَجِيهِهِ يَدِلُّ عَلَى جَرَمِ الْعَبْدِ وَبَأُوهُ يَدِلُّ عَلَى بَرِّ اللَّهِ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَقُولُ يَا عَبْدِي جَلَّتْ جَرْمُكَ وَجَنَائِكَ بَيْنَ بَرِيٍّ وَرَحْمَتِي فَلَا يَبْقَى لَكَ جَرْمٌ وَلَا جَنَايَةٌ بِحَرَمَةِ شَهْرِ رَجَبٍ (مَجَالِسُ الْأَنْوَارِ) وَقِيلَ إِنْ رَجَبٌ بَعْدَ مَا يَمُضِي يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا شَهْرِي هَلْ يَحِبُّونَكَ وَيَعْظُمُونَكَ ؟ فَيَسْكُتُ وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَسْأَلَ ثَانِيًا وَثَالِثًا . ثُمَّ يَقُولُ : إِلَهِي أَنْتَ سَتَارُ الْعُيُوبِ أَمَرْتَ خَلْقَكَ بِأَنْ يَسْتَرُوا عُيُوبَ غَيْرِهِمْ وَسَمَانِي رَسُولَكَ أَصَمُّ أَنَا سَمِعْتُ طَاعَتَهُمْ وَلَمْ أَسْمَعْ مَعْصِيَتَهُمْ فَلِلَّذَلِكَ سَمِيَ الْأَصَمُّ ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْتَ شَهْرِي مُعِيبُ أَصَمٍّ وَعِبَادِي مُعِيُونَ قَبْلَتَهُمْ مَعَ عُيُوبِهِمْ بِحَرَمَتِكَ كَمَا قَبْلَتِكَ وَأَنْتَ مُعِيبٌ وَأَغْفِرُ لَهُمْ بِنِدَامَةٍ وَاحِدَةٍ فَيْكَ وَلَا نَكْتُبُ لَهُمُ الْعَاصِيَ فَيْكَ (أَعْرَجِيَّةٌ) وَقِيلَ سَمِيَ أَصَمًّا لِأَنَّ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ يَكْتُبُونَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي سَائِرِ الشُّهُورِ ، وَفِي هَذَا الشَّهْرِ يَكْتُبُونَ الْحَسَنَاتِ وَلَا يَكْتُبُونَ السَّيِّئَاتِ فَلَا يَسْمَعُونَ فِيهِ شَرًّا حَتَّى يَكْتُبَ (مَشْكَاةُ الْأَنْوَارِ) وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنْ رَجَبٌ شَهْرُ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي » وَأَخْرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَلَالُ فِي فَضَائِلِ رَجَبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : صَوْمُ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ كَفَّارَةٌ لثَلَاثِ سَنِينَ وَالثَّانِي كَفَّارَةٌ لثَلَاثِ سَنِينَ وَالثَّلَاثُ كَفَّارَةٌ لثَلَاثِ سَنِينَ ثُمَّ كُلُّ يَوْمٍ كَفَّارَةٌ لثَلَاثِ سَنِينَ كَمَا فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : إِنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَصُمْ بَعْدَ رَمَضَانَ إِلَّا رَجَبَ وَشَعْبَانَ . أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَنَّهُ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « إِنْ فِي الْجَنَّةِ نَهْرٌ يَقَالُ لَهُ رَجَبٌ أَشَدُّ يَبَاضًا مِنْ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ مَنْ صَامَ يَوْمًا مِنْ رَجَبٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ » (أَعْرَجِيَّةٌ) وَإِنَّمَا سَمِيَ رَجَبٌ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَرْجِيهِ أَيْ تَعْظِمُهُ تَقُولُ رَجَبْتُ الشَّيْءَ إِذَا عَظَّمْتَهُ ؟ وَمَنْ تَعْظِيمُهُمْ لَهُ أَنْ خَدَمَ الْكَعْبَةَ يَفْتَحُونَ بَابَ الْكَعْبَةِ فِي هَذَا الشَّهْرِ كُلِّهِ وَفِي سَائِرِ الْأَشْهُرِ لَا يَفْتَحُونَ إِلَّا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَيَقُولُونَ الشَّهْرُ شَهْرُ اللَّهِ وَالْبَيْتُ بَيْتُ اللَّهِ وَالْعَبْدُ عَبْدُ اللَّهِ فَلَا يَمْنَعُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ فِي شَهْرِ اللَّهِ (أَعْرَجِيَّةٌ) . حَكَى أَنَّ امْرَأَةً فِي بَيْتٍ لِلْقُدْسِ كَانَتْ عَابِدَةً إِذَا جَاءَ شَهْرُ رَجَبٍ تَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً تَعْظِيماً لَهُ وَكَانَتْ تَنْزِعُ اللَّبَاسَ الْأَطْلَاسَ وَتَلْبَسُ ثَوْبَ الْبَلَّاسِ فَمَرَضَتْ فِي رَجَبٍ وَأَوْصَتْ ابْنَهَا بِأَنْ يَدْفِنَهَا مَعَ بِلَاسِهَا فَكَفَنَهَا ابْنُهَا فِي ثِيَابٍ مَرْتَفَعَةٍ رِيَاءَ النَّاسِ فَرَأَاهَا فِي النَّامِ فَقَالَتْ يَا بَنِي لِمَ لَمْ تَأْخُذْ بِوَصِيَّتِي إِنِّي غَيْرُ رَاضِيَةٍ عَنْكَ فَاتَّبِعْهُ فَرُوعًا وَنَبَشْ قَبْرَهَا فَلَمْ يَجِدْهَا فِي قَبْرِهَا وَتَحْيِيرَ وَبَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا فَسَمِعَ نَدَاءً يَقُولُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ عَظَمِ شَهْرِنَا رَجَبٌ

لا تركه في القبر فريداً وحيداً (زبدة الواعظين) . روى عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول جمعة لا تبقى ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويجمعون في الكعبة فينظر الله لهم ويقول يا ملائكتي اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهلهم وصائم رجب وشعبان ورمضان فاتهم شباع لاجوع لهم ولا عطش » (زبدة الواعظين) . روى في الخبر « إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين الرجبيون ؟ فيخرج نور فيتبع جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ذلك النور ويتبع الرجبيون ثم يمرّون على الصراط كالبرق الخاطف ثم يسجدون لله تعالى شكراً لتجاوزهم الصراط فيقول الله تعالى أيها الرجبيون ارفعوا رؤوسكم اليوم قد قضيت السجود في الدنيا في شهرى ارتحلوا إلى منازلكم » (رونق المجالس) . حكى عن ثوبان أنه قال : كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام فمررنا بمقبرة فوقف عليه الصلاة والسلام فبكى بكاء شديداً ثم دعا الله فقلت له لم بكيت يا رسول الله ؟ فقال « يا ثوبان هؤلاء يعذبون في قبورهم ودعوت لهم فخفف الله عنهم العذاب » ثم قال عليه الصلاة والسلام « يا ثوبان لو صام هؤلاء يوماً من رجب وما ناموا منه ليلة ما عذبوا في قبورهم » فقلت يا رسول الله : أصوم يوم وقيام ليلة منه يمنع عذاب القبر ؟ قال عليه الصلاة والسلام « يا ثوبان والذي بعثني بالحق نبيا ما من مسلم ومسلمة يصوم يوماً ويقوم ليلة من رجب يريد بهما وجه الله إلا كتب الله له عبادة سنة صام نهارها وقام ليلتها » . (زبدة الواعظين) قالوا الأحاديث الواردة في صلاة الرغائب موضوعة والتميم بوضعها ابن الجهم وبعد هذا التصريح لا اعتداد بكونها المذكورة في بعض الكتب والرسائل لأننا نعرف أمر الدين وحصول الثواب والعقاب من الشارع لعدم استئصال العقل فيه فتلك الصلاة في هذه الليلة لم يصلها النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه ولم يحث عليها فلا يحصل فيها الثواب بل يكون فعلها عبثاً يخشى منه العقاب (روى) قال الماوردي في الإقناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فلم يثبت فيه صلاة مخصوصة تختص به فعلى هذا ينبغي ممن له ديانة وإذعان أن لا يلتفت إلى ما انكسب عليه الناس في هذا الزمان ولا يغتر بشيوعه في دار الإسلام وكثرة وقوعه في البلاد العظام من صلاة الرغائب في ليلة الجمعة الأولى منه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار » وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « شر الأمور محدثاتها » وكل من هذين الحديثين يدل على كون تلك الصلاة في هذه الليلة بدعة وضلالة لكونها من محدثات الأمور لعدم وقوعها في عصر

الصحابة والتابعين ولا في عهد الأئمة المجتهدين بل حدثت بعد المائة الرابعة من الهجرة النبوية ولذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها وقد ذمها العلماء من أعيان التأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتملة على منكرات فاترك هذا واعتصم بالطاعات حتى تبحر الجنات العاليات وعلو المراتب والدرجات (مجالس روى) كما قال صاحب مجمع البحرين في شرحه إن رجلا يوم العيد في الجبابة أراد أن يصلي قبل العيد فنهاه على كرم الله وجهه فقال الرجل يا أمير المؤمنين إني أعلم أن الله لا يعذب على الصلاة فقال على وإني أعلم أن الله تعالى لا يشيب على فعل حتى يقوله رسول الله ويبحث عليه فتكون صلاتك عبثا والعبث حرام فقلعه تعالى يعذبك به لخالفك لرسوله خذ ما حررتة ولا تكن من الشبهين (من مجالس روى ملخصا) . وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « خلق الله تعالى وجوه الحور من أربعة ألوان أبيض وأخضر وأصفر وأحمر ، وخلق بدنهن من الزعفران والمسك والعنبر والكافور وشعرها من القز نقل فمن أصابع رجلاها إلى ركبتيها من الزعفران الطيب ومن ركبتيها إلى سرتها من المسك ومن سرتها إلى عنقها من العنبر ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ولو بصقت بصقة في الدنيا لصارت مسكا مكتوب في صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى ما بين منكبها فرسخ وفي كل يد من يديها عشرة أسورة من ذهب وفي أصابعها عشرة خواتيم وفي رجلاها خلاخيل من الجواهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار) .

المجلس الثاني عشر : في فضيلة الرجال على النساء

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية وتخلل ذلك بأمرين وهي وكبي فقال (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله الرجال على النساء بكل العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستعداد بالفراق (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالأهر والنفقة . روى أن سعد بن الربيع أحد تبعاء الأنصار نشزت عليه امرأته حبشية بنت زيد بن أبي زهير فطمعها فأنطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشكاه فقال عليه الصلاة والسلام « لتقتص منه » ففرت فقال « أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير » (فالصالحات قانتات) مطيعات لله قائمات بحقوق الأزواج (حافظات للغيب) لمواجب الغيب أي يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال (بما حفظ الله) يحفظ الله إياهن بالأمر على حفظ الغيب والحث عليه : لوعده الوعيد والتوفيق له أو بالذي حفظه

الله لمن عليهم من الهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرى بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالأمر الذي حفظ حق الله أو طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال. (قاضى يضاوى) .

نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع الأنصارى لطم امرأته بنت محمد بن مسلمة فجاءت إلى رسول الله فأمر بالقصاص فنزل عليه جبرائيل من ساعته بهذه الآية (الرجال قوامون على النساء) يعنى مسلطون فى أمور النساء وتأديهن (أبو الليث) روى عن فضيل بن عبيدة أنه قال : دخل رجل فصلّى صلاة فقال اللهم اغفر لى وارحمنى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « عجبت أيها المصلى ، إذا صليت فأقعد فأحمد الله بما هو أهله وصل على ثم ادع » ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام فقال عليه الصلاة والسلام له « أيها المصلى ادع تحب ، ادع تحب كذلك من مع اسمى فصلّى على استجاب الله كل دعائه » روى عن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسها » ثم تلا عليه الصلاة والسلام (الرجال قوامون على النساء) يعنى مسلطون على تأديهن وأمورهن . وروى عن أنس بن مالك أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « المرأة إذا صلت خمسا وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها تدخل من أى باب شاءت من أبواب الجنة » رواه أبو نعيم ، عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « المرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح وأياما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق عنها سبعة أبواب النار وفتحت لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيها شاءت بغير حساب » . وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تحيض إلا كان حيضها كفارة لما مضى من ذنوبها وإن قالت فى أول اليوم الحمد لله على كل حال وأستغفر الله من كل ذنب كتب الله لها براءة من النار وجوازاً على الصراط وأماناً من العذاب ورفع الله تعالى لها بكل يوم وليلة درجة أربعين شهيداً إذا كانت ذاكرة لله تعالى فى حيضها » . وقال الحسن البصرى هذه للنساء الصالحات للطيبات لزوجها فى الأمور الشرعية (حكى) أن رجلاً فى عهد النبي عليه الصلاة والسلام خرج غازياً فقال لامرأته لا تخرجى من هذا البيت حتى أرجع إليك ففرض أبوها فأرسلت رسولاً إلى رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أطيعى زوجك وكذا مرة بعد مرة فأطاعت زوجها ولم تخرج من البيت فمات أبوها ولم تره فصبرت على ذلك حتى رجع زوجها إليها فأوحى الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن الله قد غفر لها باطاعة زوجها . وروى عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا غسلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها

ألف حسنة وغفر لها ألقي خطيئة واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ورفع لها ألف درجة » رواه أبو منصور في مسند الفردوس . وأما ذمهن فروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : دخلت أنا وفاطمة على رسول الله عليه الصلاة والسلام فوجدناه با كيا قفلنا ماذا ييكك يا رسول الله ؟ فقال « رأيت النساء ليلة أسرى بي إلى السماء في شدة عذاب فذكرت شأنهن وبكيت قلت يا رسول الله ما الذي رأيت قال رأيت امرأة معلقة من شعرها وبغلي دماغ رأسها ورأيت امرأة معلقة بلسانها قد أخرجت يدها من ظهرها والقطران يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة بشديها من وراء ظهرها والزقوم يصب في حلقها ورأيت امرأة معلقة قد شدت رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وقد سلطت عليها حيات وعقارب ورأيت امرأة تأكل جسدها والنار توقد من تحتها ورأيت امرأة يقطع جسدها بمقراض من النار ورأيت امرأة مسودة الوجه وتأكل أمعاءها ورأيت امرأة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغها من منخرها وبديها متين من البرص والجذام ورأيت امرأة رأسها كرأس الخنزير وبديها كبذن الحمار لها ألف ألف نوع من العذاب ورأيت امرأة على صورة الكلب تدخل العقارب والحيات من قبلها أو من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون على رأسها بمقامع من نار » فقامت فاطمة وقالت يا أبي ويا قرة عيني أخبرني ما كانت أعمال هذه النساء ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « يا فاطمة أما المعلقة بشعرها فكانت لا تكتم شعرها من الرجال ، وأما المعلقة بلسانها فكانت تؤذي زوجها بلسانها » ثم قال عليه الصلاة والسلام « ما من امرأة تؤذي زوجها بلسانها إلا جعل الله لسانها يوم القيامة سبعين ذراعاً ثم عقد خلف عنقها » وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أما امرأة عذبت زوجها بلسانها فهي في لعنة الله وسخطه ولعنة الملائكة والناس أجمعين » وروى عن عثمان رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيراً إلا أحبط الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل » وأما المعلقة بشديها فكانت ترضع أطفال الحلق من غير أمر زوجها وأما المعلقة برجلها فكانت امرأة تخرج من بيتها بغير إذن الزوج ولا تغتسل من الحيض والنفاس . وأما التي تأكل جسدها فكانت تمزق للرجال وتغتلب الناس . وأما التي يقطع جسدها بمقراض من الناس فكانت تشهر نفسها للناس يعني ليروا زيتها وتحب كل من يراها بهذه الزينة من الرجال وأما التي شد رجلاها مع يديها إلى ناصيتها وسلطت عليها الحيات والعقارب فكانت تقدر على الصلاة والصيام ولم تتوضأ ولم تصل ولم تغتسل من الجنابة . وأما التي رأسها كرأس الخنزير وبديها كبذن الحمار فكانت نمامة وكاذبة . وأما التي على صورة الكلب فكانت فتانة تبغض زوجها » وروى عن أبي ذر أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أما امرأة قالت لزوجها عليك لعنة الله

وهي ظالمة لعنها الله تعالى من فوق سبع سموات وكل شيء خلقه الله تعالى إلا الثقلين « أى الإنس والجن ، وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيا امرأة أدخلت على زوجها الغم في أمر النفقة أو كلفته مالا يطيقه لا يقبل الله منها صرفا ولا عدلا » وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو كان جميع ما في الأرض ذهبا وفضة وحملت امرأة إلى بيت زوجها ثم نفرت عليه يوما من الأيام بقولها من أنت إنما المال لى ولا مال لك أحبط الله عملها ولو كان كثيرا » وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « أيا امرأة خرجت من بيت زوجها بغير إذنه لعنها كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر حتى ترجع إلى بيت زوجها » وروى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « المرأة إذا خرجت من باب دارها مزينة ومعطرة بالطيب والزوج بذلك راض بنى لزوجها بكل قدم بيت في النار » نعوذ بالله الملك الجبار ، وروى عن طلحة بن عبد الله رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أيا امرأة كلحت في وجه زوجها فتدخل عليه الغم فهي في سخط الله إلى أن تضحك في وجه زوجها فتدخل عليه السرور » وروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فامتنعت فبات الزوج غضبان عليها لعنهما الملائكة حتى تصبح » رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، وروى عن سلمان الفارسي أنه قال : دخلت فاطمة رضى الله تعالى عنها على رسول الله فلما نظرت إليه دمعت عينها وتغير لونها فقال عليه الصلاة والسلام « مالك يا بنتى » قالت يا رسول الله كاث بينى وبين طى الباردة مزاح ونشأ من الكلام أن غضب على بكلمة خرجت من فى فلما رأيت أن عليا قد غضب ندمت وغممت فقلت له يا حبيبي ارض عني وطفف حوله اثنتين وسبعين مرة حتى رضى عني وضحك في وجهي مع الرضا وأنا خائفة من ربي فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام يا بنتى واللذى بعثنى بالحق نبيا إنك لو مت قبل أن ترضى عليا لم أصل عليك ثم قال « يا بنتى أما علمت أن رضا الزوج هو رضا الله وغضب الزوج هو غضب الله . يا بنتى أيا امرأة عبت عبادة كعبادة مريم بنت عمران ثم لم يرض عنها زوجها لا يقبل الله تعالى منها يا بنتى أفضل أعمال النساء إطاعة الزوج وبعدها ليس لها عمل أفضل من الغزل ، يا بنتى جلوس ساعة عند الغزل خير لمن من عبادة سنة ويكتب لمن بكل طاقة أى بكل نوع من الثياب من غزلهن ثواب شهيد ، يا بنتى إن المرأة إذا غزلت حتى تكسو زوجها وصيائها وجبت لها الجنة وأعطاه الله بكل من تسربل من أثوابها مدينة في الجنة » قال النبي عليه الصلاة والسلام « أيا رجل كان له امرأتان فلم يعدل بينهما في النفقة ولم يسو بينهما في المضجع والمطعم والشرب

فهو برىء منى وأنا برىء منه ولا نصيب له فى شفاعتى إلا أن يتوب » وقال عليه الصلاة والسلام « من كان له امرأتان فمال إلى إحداها دون الأخرى » وفى رواية « ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » . (كذا فى مرشد التأهلين) .

المجلس الثالث عشر : فى فضيلة بر الوالدين

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) صنأ أو غيره ، أو شيئاً من الإشراك جلياً أو خفياً (وبالوالدين إحساناً) وأحسنوا بهما إحساناً (وبذى القربى) وبصاحب القرابة (واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) الذى قرب جواره ، وقيل الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين ؛ وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيماً لحفظه (والجار الجنب) البعيد أو الذى لا قرابة له . وعنه عليه الصلاة والسلام « الجيران ثلاثة بخار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو الشرك من أهل الكتاب » (والصاحب بالجنب) الرقيق فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة أو سفر فانه محبك وحصل بمجنبك وقيل المرأة (وابن السبيل) المسافر أو الضيف (وما ملكت أيمانكم) العبيد والإماء (إن الله لا يحب من كان مختالاً) يأنف من أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم (غفوراً) يتفاخر عليهم . (قاضى يضاوى) .

وعن عامر بن ربيعة أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة كما صلى على فليقل من ذلك العبد أو ليكثر » (شفاء شريف) قال الله تعالى (وقضى ربك) أى أمر أمراً مقطوعاً به (أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) بأن تحسنوا بالوالدين لأنهما السبب الظاهر للوجود والتعيش (إما يلغى عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) فلا تضجر مما يستقذر منهما ويستقل من مؤتمهما ، وهو صوت يدل على تضجر (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باعلاظ (وقل لهما قولاً كريماً) جميلاً (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لافتقارهما إلى كل من كان أقهر خلق الله تعالى إليهما (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى بأن يرحمهما برحمته الباقية (كإيائى صغيراً) رحمة مثل رحمتهم على وتربيتهم وإرشادهم لى فى حال صغرى (قاضى يضاوى) . (ت) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعبدوا الرحمن » أى أفردوه بالعبادة لأن المستحق للعبادة هو الله تعالى فمن أشرك فى عبادة ربه شيئاً لا يقبل منه عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين كما قال الله تعالى (لأن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن

(٤ - درة الناصحين)

من الحاسرين) فعلى العاقل أن يخلص في عبادة ربه كما قال الله تعالى (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (زبدة الواعظين) يقال للوالد على الولد عشرة حقوق : الطعام إن احتاج ، والخدمة إن احتاج ، والإجابة إن دعا ، والإطاعة إن أمر غير معصية ، والتكلم معه باللين دون القلظة ، وإن احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها ، والمشي خلفه ، والإرضاء له بما رضى لنفسه ، والإكرام له بما يكره لنفسه ، والدعاء له بالمغفرة كلما دعا لنفسه (تنبيه الغافلين) عن الفقيه أنه قال سئل عن الوالد إذا ماتا ساخطين على الولد هل يمكن أن يرضيهما بعد وفاتهما ؟ قيل يمكن بثلاثة أشياء : أولها أن يكون صالحا ، والثاني أن يصل قرابتهما وأصدقاهما ، والثالث أن يستغفر لهما ويدعو لهما ويتصدق لهما (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك أن النبي عليه الصلوة والسلام قال « لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل المؤمن الجنة حتى يأمن جاره من لسانه » وقال عليه الصلوة والسلام « من أكرم جاره وجبت له الجنة ومن آذى جاره لعنه الله والملائكة والناس أجمعون » (حياة القلوب) عن النبي عليه الصلوة والسلام أنه قال « من أنفق على الضيف درهما فكأنما أنفق ألف درهم في سبيل الله » وقال النبي عليه الصلوة والسلام « مامن أحد يأتيه الضيف فأكرمه إلا قسح الله له بابا من الجنة » . (حكي) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا جاءه ضيف قام بنفسه يحضه قيل في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الملائكة يقومون في منزل فيه ضيف فأنا أستحي أن أجلس والملائكة قائمون » (أعراجية) عن النبي عليه الصلوة والسلام أنه قال : « أخبرني جبرائيل عليه الصلوة والسلام فقال : إن الضيف إذا دخل على أخيه المسلم دخلت معه ألف بركة وألف رحمة وغفر الله ذنوب أهل ذلك البيت ولو كانت ذنوبهم أكثر من زبد البحر وورق الأشجار وأعطاه الله تعالى ثواب ألف شهيد وكتب له بكل لقمة أكلها الضيف ثواب حجة مبرورة وعمرة مقبولة وبني الله تعالى له مدينة في الجنة ، ومن أكرم ضيفا فكأنما أكرم سبعين نبيا » (كنز الأخبار) روى عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلوة والسلام أنه قال : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية وولد صالح يدعو له بالمغفرة وعلم ينتفع به بعده » (تنبيه الغافلين) قال عليه الصلوة والسلام : « تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار » . وروى عن بعض أهل العلم أنه قال : أفضل الأعمال إجابة بطن شعبان بالصيام (أخلص الخالصة) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم فقال يا رسول الله كانت لي ثمانية آلاف درهم فأمسكت منها لنفسي وعبالي أربعة آلاف درهم وأقرضت منها لربي

أربعة آلاف درهم فقال عليه الصلاة والسلام «يا عبد الرحمن بارك الله لك فيها أسكت وفيها أعطيت»
وقال عثمان بن عفان يا رسول الله على جهاز من لاجهازه فزلت هذه الآية (مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم) قال الفقيه : المتصدق كمثل الزارع فإن كان الزارع حاذقاً في عمله ويكون البذر جيداً
وتكون الأرض عاملة يكون الزرع طيباً كثيراً فكذلك إذا كان المتصدق صالحاً والمال طيباً حلالاً
ووضع موضعه فيكون الثواب أكثر (شفاء أندوعى) وقال الفقيه أبو الليث : قد ذكر الله تعالى
في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وجميع كتبه وأمر في جميعها وأوحى إلى جميع رسله بعمل
رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخط الوالدين . وسئل النبي عليه الصلاة والسلام أي الأعمال أفضل ؟
فقال عليه الصلاة والسلام « الصلاة في وقتها ثم بالوالدين ثم الجهاد في سبيل الله » (كذا في التنبيه)
ويقال ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل واحدة منها بغير الأخرى : الأولى قوله تعالى
(أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا تقبل الصلاة منه . والثانية
قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فمن أطاع الله تعالى ولم يطع الرسول لا تقبل إطاعته
لله . والثالثة قوله تعالى (أن اشكر لي ولوالديك) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه
لا يقبل الله تعالى شكره . والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « من أَرْضَى والديه
فقد أَرْضَى خالقه ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه » (تنبيه الغافلين) روى أن سليمان عليه
السلام سافر بين السماء والأرض حتى بلغ بحراً عميقاً فرأى في البحر موجاً هائلاً فأمر الريح
أن تسكن فسكنت الريح فأمر عفرتها بأن يفوس في البحر فخاص العفريت فلما بلغ
قعره رأى قبة من درة يضاء لا تهب لها فأخرجها ووضعها بين يدي سليمان عليه السلام
فتعجب من ذلك فدعا الله فافتتح باب القبة فإذا فيها شاب ساجد ، فقال سليمان عليه
السلام من أنت أمن اللائكة أم من الجن أم من الإنس . ؟ قال بل أنا من الإنس فقال سليمان
عليه السلام بأي سبب نلت هذه الكرامة قال ير الوالدين لما كانت والدتي عجوزاً كنت
أحملها على ظهري ، وكان دعاؤها لي اللهم ارزقها القناعة واجعل مكانه بعد وفاتي في موضع
لا في الأرض ولا في السماء ، ولما توفيت كنت أدور على ساحل البحر فرأيت فيه قبة من
درة فقمريت إليها فافتحت القبة لي فدخلت فيها فانطبقت القبة باذن الله تعالى فكنيت
لأدري أقي الهواء أنا أم في الأرض ورزقي الله فيها ؟ فقال سليمان عليه السلام كيف
يرزقك الله فيها ؟ قال إذا جمعت خلق الله فيها شجرة وعليها ثمر فزرقتي منه وإذا عطشت ينبع
منها ماء أشد يابضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج ، فقال سليمان عليه السلام
كيف تعلم الليل والنهار فيها ؟ قاله : إذا انفجر الصبح ابيضت القبة فأعرف أنه نهار ،

وإذا غربت الشمس تكون القبة في الظلام فأعرف أنه جاء الليل فدعا الله تعالى فانطبقت القبة وهو فيها كما كانت (جمع اللطائف) . حكى أن موسى عليه السلام قال : إلهي أرني جليسي في الجنة ، فقال الله تعالى اذهب إلى البلد الفلاني إلى السوق الفلاني فهناك رجل قصاب وجهه كذا فهو جليسيك في الجنة ، فذهب موسى عليه السلام إلى ذلك الدكان فوقف هناك إلى وقت الغروب فأخذ القصاب قطعة لحم وطرحها في زنبيل ، فلما انصرف قال موسى عليه السلام ؟ هل لك في الضيف ؟ قال نعم فمضى معه حتى دخل داره فقام الرجل وطبخ من ذلك اللحم مرقعة طيبة ثم أخرج من داره زنبيلاً فيه عجوز ضعيفة كأنها فرخ حمامة فأخرجها منه فأخذ معلقة وكان يضع الطعام في فيها حتى شبعت وغسل ثوبها وجففه وألبسها ثم وضعها في الزنبيل فحركت العجوز شفتيها . قال موسى عليه السلام قد رأيت شفتيها قائنا : اللهم اجعل ابني جليس موسى في الجنة ، ثم أخذها الرجل فعلقها على الوتد ، فقال موسى عليه السلام ما الذي صنعت ؟ قال إن هذه والدتي قد ضعفت حتى لا تقدر على القعود ، فقال موسى عليه السلام لك البشارة ، أنا موسى وأنت جليسي في الجنة . يسرها الله بحمرة أسمائه الطيبة وبحمرة من هو أفضل البرية . هذه حكاية لطيفة في الزبدة فعلها بالصدق والعمدة .

(حكى) أن مجوسياً أتى إبراهيم عليه السلام فاستضافه ، فقال له إبراهيم عليه السلام ما أضيفك حتى تخرج عن دينك وتترك المجوسية وانصرف ؟ فأوحى الله بإبراهيم ما تضيفه حتى يخرج عن دينه ماضرك لو أضفته هذه الليلة ونحن نطعمه ونسقيه سبعين سنة وهو يكفر بنا ، فلما أصبح إبراهيم عليه السلام طلب المجوسى فوجده خلف عليه ، فقال له المجوسى : ما أعجب أمرك بالأمس تطردنى واليوم تطلبنى ؟ فأخبره إبراهيم عليه السلام أن الله تعالى أوحى إلى فى أمرك كذا وكذا ، فقال المجوسى أيعاملنى رب الأرباب بهذه المعاملة وأنا أكفره ؟ أمدد يدك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . (كذا فى بعض كتب الموعظة وذكره أيضا الشيخ سعدى فى بستانه) وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن فى الصدقات خمس خصال : الأولى تزيدهم فى أموالهم ، والثانية دواء للرض ، والثالثة : يرفع الله تعالى عنهم البلاء ، والرابعة : يمرون على الصراط كالبرق الخاطف ، والخامسة : يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب » ، صدق رسول الله . وقال النبى عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال الصلوات الخمس وأفضل الأخلاق التواضع » صدق رسول الله (دقائق الأخبار)

المجلس الرابع عشر: في فضيلة المحبة لله ورسوله

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها بمراقبة أكرم الخلائق وأعظمهم قدراً (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) يان للذين حال منه أو من ضميره . قسمهم أربعة أقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على أن لا يتأخروا عنهم وهم الأنبياء الفائزون بكمال العلم والعمل للتجاوزون حد الكمال إلى درجة التكامل ، ثم الصديقون الذين سعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر في الحجج والآيات وأخرى بمعارض التصفية والرياضات إلى أوج العرفان حتى اطلعوا على الأشياء وأخبروا عنها على ما هي عليه ، ثم الشهداء الذين أدى بهم الحرص على الطاعة والجدة في إظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في إعلاء كلمة الله تعالى ، ثم الصالحون الذين صرفوا أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته (وحسن أولئك رفيقا) في معنى التعجب ، ورفيقا نصب على التمييز أو الحال ، ولم يجمع لأنه يقال للواحد والجمع كالصديق ، أو لأنه أريد وحسن كل واحد منهم رفيقا . (قاضى يضاهى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على عشر آيات إذا أصبح وعشراً إذا أمسى آمنه الله تعالى من النزع الأكبر يوم القيامة وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » (زبدة الواعظين) (من النبيين) يان للنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أن الكلام في يان حكم طاعة نبينا عليه الصلاة والسلام لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أن طاعته عليه الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الأعصار (أبو السعود) (والصالحين) الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته ، وليس المراد باللمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث الخ (أبو السعود) عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن هذه الآية نزلت في حق ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر على مفارقتة فأتى النبي يوماً وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله عن حاله ؟ فقال يا رسول الله ما بي من وجع ولا مرض غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة خفت أن لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزل وإن لم أدخل فلا أراك أبداً فكيف يكون فيها حالى فزلت (ومن يطع الله والرسول) الآية (تفسير) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من أحب الله تعالى أكثر ذكره ، وثمرته أن يذكره الله برحمته وغفرانه ويدخله الجنة

مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ومن أحب النبي عليه السلام أكثر من الصلاة عليه وثمرته الوصول إلى شفاعته ومحبته في الجنة » (كذا في الجامع الصغير) عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أحب سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة » فمن أراد أن ينال رؤية النبي عليه الصلاة والسلام فليجبه حباً شديداً ، وعلامة الحب الإطاعة في سنته السنية وإكثار الصلاة عليه ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال « من أحب شيئاً أكثر من ذكره » (رواه في الفردوس) (هق) عن عمر بن مرة الجهني رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجل من قضاة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله رأيت أنى إن شهدت أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وصليت الصلوات الخمس وصمت رمضان وقمت ليلته وأديت الزكاة فمعن أنا ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام له « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعه ما لم يعق والديه » لأن عاق الوالدين بعيد من الرحمن (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا أراد الله تعالى أن يدخل المؤمنين الجنة يبعث إليهم ملكاً ومعه هدية وكسوة من الجنة فإذا أوردوا الدخول قال لهم الملك قفوا فان معي هدية من رب العالمين فقالوا ما تلك الهدية فيقول للملك هي عشرة خواتم مكتوب في أحدها : سلام عليكم طبت فادخلوها خالدين . وفي الثاني : ادخلوها بسلام آمين . وفي الثالث : أذهبت عنكم الأحزان والهموم . وفي الرابع ألبسناكم الحلل . وفي الخامس : وزوجناهم بحور عين . وفي السادس : إنى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون . وفي السابع : صرتم شباباً لا يهرمون أبداً . وفي الثامن : صرتم آمينين لا تخافون أبداً . وفي التاسع : ورفيقكم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون . وفي العاشر : كنتم في جوار الرحمن ذى العرش الكريم العظيم ، فدخلون الجنة فيقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » (سفينة الأبرار) (هق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » (ت) عن زيد بن طلحة عن أبيه عن جده عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الدين بدا غريباً وسيرجع غريباً ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتي » (الطريقة المحمدية) قال مقاتل : عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة : عجل إبراهيم وكبش إسماعيل وناقة صالح وحوت يونس وبقرة موسى وحمار عزير ونملة سليمان وهدد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وبراقي محمد عليهم الصلاة والسلام ، فكلهم يصيرون على صورة الكبش ثم يقضى بين العباد فلا يبقى يومئذ ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شهيد إلا ظن أن لا ينجو لما يرى من شدة العذاب والحساب وهول ذلك اليوم إلا من عصمه الله (مشكاة الأنوار) عن الحسن البصري رحمه الله عليه أنه قال : رأيت بهرام العجمي يوماً من الأيام ينبش القابر ويأخذ

روى المولى ويظمن بالعصا في ثقب الأذن فان نفذت عصاه من ثقب الأذن إلى الثقب الآخر رعى ذلك الرأس وإن لم تنفذ أصلا رماه أيضا وإن قرت موضع الدماغ قبله ودفنه ، فسألته عن ذلك ، فقال أما الذى تنفذ فيه العصا من الأذن إلى الأذن الأخرى فهو الذى سمع النصيحة والقول الحق فدخل في أذن وخرجا من الأذن الأخرى ولم يقرأ في دماغه ولم يأخذها فلا خير فيه . وأما الذى لا تنفذ فيه أصلا فهو الذى لم يسمعها لشغله بمراد نفسه وشبهواتها فلا خير فيه . وأما الذى قرت العصا في دماغه فهو الذى أخذ النصيحة والقول الحق وثبتا في دماغه فهو المقبول عند الله فأقبله وأدفعه (حياة القلوب) روى أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه كفى الجامع الصغير : قال عليه الصلاة والسلام : « قال الله تعالى أعددت » أى هيات ، فيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن كذا قاله المناوى « لعبادى الصالحين » أى القائمين بماوجب عليهم من حق الحق والخلق « ملا عين رأيت » أى مالا رأيت العيون كلها فان العين في سياق النفي تفيد الاستغراق ومثله قوله « ولا أذن سمعت » بتووين عين وأذن ، وروى بفتحهما « ولا خطر على قلب بشر » معناه أن الله تعالى ادخر في الجنة من النعم والحيرات واللذات ما لم يطلع عليه أحد من الخلق بطريق من الطرق (كذا ذكره المناوى) .

اعلم أن للعبد ثلاثة أمور هى أصناف حسنته ، وهى عمل قلبه وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع بل يعلم ، وعمل لسانه وهو يسمع ، وعمل أعضائه وهو يرى ، فاذا أتى العبد بهذه الأشياء عملا صالحا يجعل الله لمسموعه مالا أذن سمعت ولمرئيه مالا عين رأيت ولعمل قلبه مالا خطر على قلب بشر ، فعلى العبد أن يواظب على الطاعات لأن الله لا ينقص شيئا من أجور الحسنات بل يعطى الجنة والدرجات (سنانية) روى عن حاتم الزاهد أنه قال : من ادعى حب مولاه من غير ورع فهو كذاب ، ومن ادعى دخول الجنة من غير إتفاق مال فهو كذاب ، ومن ادعى حب النبي عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب ، ومن ادعى حب الدرجات من غير صحبة مع الفقراء والمساكين فهو كذاب (تنبيه الغافلين) وعن سعدون المجنون أنه كان يكتب في كفه : الله ، فقال له السرى السقطى ماتصنع يا سعدون ؟ فقال أنا أحب الله تعالى وقد كتبت اسم ربى في قلبى حتى لا يسكنه غيره وكتبته على لسانى حتى لا يذكر غيره والآن كتبت على كفى حتى أنظر إليه بعينى فيكون نظرى مشغولا به (مشكاة الأنوار) .

(حكى) أن ممنون تزوج بامرأة في آخر عمره فولدت له بنتا ، فلما بلغت ثلاث سنين وجد في قلبه تعلقا بها فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت ونصبت علامات كل نبي وولى موراءهم علم رفيع نوره قد سد الأنق فسأل عنه فقالوا هو علم الحبيين الخالصين قرأى ممنون نفسه بينهم فجاء واحد من الملائكة فأخرجه من بينهم ، فقال ممنون أنا محب لله تعالى

وهذا علم المحبين فلم تخرجني ؟ فقال : نعم أنت من المحبين لله تعالى ، فلما حلت محبتك لولدك في قلبك محونا اسمك من المحبين لله تعالى ، فبكى ممنون وتضرع في نومه فقال إلهي إن كان الولد مانعاً لي عنك فادفعه عني حتى أقرب إليك بلطفك وكرمك ، فسمع صائحاً يقول واويلاه فانتبه فقال ماهذه الصيحة قالوا إن ابنتك سقطت من السطح فماتت . فقال الحمد لله الذي أذهب الالام عني (مشكاة الأنوار) وعن ذي النون المصري أنه قال : رأيت رجلاً في الهواء جالساً متربّعاً وهو يقول : الله ، قفلت من أنت ؟ قال أنا عبد من عباد الله . قفلت بما وجدت هذه الكرامة ؟ قال تركت هواي لهواه فأجلسني الله تعالى على الهواء . وكذا روى عن ممنون المجنون أنه كان مشهوراً بمحبة مولاه وكان يسميه الناس ممنون المجنون وسماه الخواص ممنون المحب وهو يسمي نفسه ممنون الكذاب فارتقى يوماً على النبر ليعظ الناس فلم يلتفتوا إلى قوله فترك الناس وانتمت إلى قناديل المسجد ، فقال اسمعوا أتم يا قناديل خبراً عجيباً عن لسان ممنون ، فرأوا أن القناديل قد دخلوا في الرقص وتقطعوا وتساقطوا للتأثير كلام ممنون (كذا في زبدة الواعظين) . فالخاص أن الإطاعة لله تعالى ولرسوله سبب لمراقبة النبيين والأولياء والصالحين . عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً أيلحق بهم ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « المرء مع من أحب » (كذا في المصاييح) فمن أحب الله تعالى أكثر ذكره ، فثمرته أن يذكره الله تعالى برحمته وغفرانه ويدخله الجنة مع أنبيائه وأوليائه ويكرمه برؤية جماله ، ومن أحب النبي عليه الصلاة والسلام أكثر الصلاة عليه فثمرته الوصول إلى شفاعته وصحبته في الجنة (سنانية) روى عن سعيد بن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون على إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب » (شفاء شريف) .

المجلس الخامس عشر : في بيان فضيلة السلام

سورة النساء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) الجمهور على أنه في السلام ويدل على وجوب الجواب إما بأحسن منه وهو أن يزيد عليه ورحمة الله ، فإن قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية ، وإما برد مثله لما روى « أن رجلاً قال لرسول الله عليه الصلاة والسلام : السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك ، فقال الرجل تقصتنى فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إنك لم تترك لي فضلاً فرددت عليك مثله » وذلك لاستجماعه أقسام اللطالب السلامة عن الضرر وحصول

للتافع وثباتها ، ومنه قيل أو للترديد بين أن يحى المسلم ببعض التحية وبين أن يحى بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية . وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وفي قراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها (إن الله كان على كل شيء حسيباً) يحاسبكم على التحية وغيرها (قاضى يضاوى) .

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « **السلام** اسم من أسماء الله فأفشوه بينكم » وفي رواية « إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة ، فإن لم يرد عليه رد عليه من هم معه ثم يلغونه سبعين مرة » وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يمر على قوم فلا يسلم عليهم ، ويقول لا يغنى من السلام عليهم إلا أتى أخشى أن لا يردوا على قتلهم الملائكة (من بحر العلوم) وذكر (في بستان العارفين) « إذا مررتهم بقوم فسلموا عليهم فإذا سلمتم عليهم وجب عليهم الرد » وقال : يسلم للماشي على القاعد والصغير على الكبير والراكب على الماشي وراكب الفرس على راکب الحمار ويسلم الذي يأتيك من خلفك ويسمع الراد جوابه لأنه إذا لم يسمع لم يكن جواباً ويسلم على أهل بيته حين يدخله ، فإن دخل بيتاً ليس فيه أحد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة يردون سلامه فتحصل تلك البركة أزيد وأتم . واختلف العلماء في التسليم على الصبيان فقال بعضهم يسلم عليهم ، وقال بعضهم لا يسلم عليهم ، وقال بعضهم التسليم أفضل من تركه وبه نأخذ . وفي زبدة المسائل : إن قال رجل السلام عليك يا زيد فرد عليه عمرو لا يسقط عن زيد . وفي روضة العلماء : إذا استقبل واحد لواحد اختلف الفقهاء . قال بعضهم يسلم الذي جاء من المصر على الذي جاء من القرية لأنه جاء من الأمان فيسلم على الذي جاء من القرية ليكون إخباراً عن سلامة حال المصر . وقال بعضهم يسلم الذي جاء من القرية على الذي جاء من المصر لأن الذي جاء من المصر جاء من أفضل الموضع ، وكفى بهذا هادياً إن كنت من القانع ، وانتشر بين الناس ضياء الطالع ، وكن مخوف العلماء بالسيف اللامع (شرح) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمي في ذلك الكتاب » قيل إن الابتداء بالسلام قبل الكلام أو الحاجة منة مستحبة ليس بواجب ، واستماعه مستحب بل واجب على الصحيح ، وهو سنة على الكفاية ، ورده فرض كفاية ، فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم وسلام كلهم أفضل وأكمل . وكذا رده واجب بحيث لو لم يسمعه لا يسقط عنه هذا الفرض حتى قيل لو كان السلام عليه أصم يجب على المسلم أن يحرك شفاهه ويديه بحيث لو لم يكن أصم لسمعه انتهى . وقيل إذا قال الرجل السلام عليك بالإنفراد فقل وعليكم السلام بالجمع لأن المؤمن لا يكون وحده بل معه الملك فلا ينبغي أن يقول المسلم عليك بالإنفراد لأنه إذا قال ذلك فقد حرم الملائكة وحرم نفسه من جواب الملائكة ، وإن كانوا مستغنيين

عن تسليماً فاستبغتن عن جوابهم بالرحمة . وأما صفة الرد فالأفضل أن يقول وعليكم السلام بالواو فلو حذفها جاز وكان تاركاً للأفضل ، ومن أراد أن يسلم إن شاء يسلم بالتعريف وإن شاء بالتشكيك ؛ وأما في سلام الصلاة فالتعريف ، وبشروط أن يكون الرد على الفور ، فإن أخره ثم رده لم يعد جواباً وكان آثماً بترك الرد لأن في تركه إهانة للمسلم ، ولو آتى سلام من غائب مع رسوله أوفى ورقة وجب الرد على الفور ، ولا سلام على أهل البدعة والكفر واللعب .

واختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدأهم به فذهبنا تحريم ابتدأهم ووجوب رده عليهم بأن يقول عليك بلا واو وعليك مثله فقد ورد دليلنا في عدم الابتداء قوله عليه الصلاة والسلام « لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام وإذا لقيتم أحداً في الطريق فاضطروه إلى منعه » لأن الابتداء بالسلام إعزاز لهم ولا يجوز الإعزاز للكفار . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا » إيماناً كاملاً « ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه مسلم وأبو داود ، وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف انتهى . قال في التارخانية : ويكره تحريمها عند قراءة القرآن جهراً لكن يرد جوابه لكونه قادراً على تحصيل فضيلتي القرآن ورد السلام وعلى مستمع القرآن وكذلك عند مذاكرة العلم ، ولا يسلم على أحد ممن تذاكروا العلم ، وإن سلم فهو آثم وكذا عند الأذان والإقامة ، والصحيح أنه لا يرد السلام أيضاً في هذه المواضع وإن كان بالإخفاء انتهى . وروى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال « خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لى شيء فعلته لم فعلته ولا شيء لم أفعله لم تفعله ، وقال يا أنس إني موصيك بوصية فاحفظها : أكثر الصلاة في الليل تحبك الحفظة وإذا دخلت على أهلك فسلم عليهم يزد الله في بركاتك ؛ وإن استطعت أن لا تأوى إلى فراشك إلا على طهارة فافعل فانك إن مت مت شهيداً ، وإذا خرجت من عند أهلك فسلم على من لقيت يزد الله حسناتك ، ووقر كبير المسلمين وارحم صغيرهم أكن أنا وأنت في الجنة كهاتين وشبك بين السبابة والوسطى ، واعلم يا أنس أن الله يرضى عن العبد باللقمة يأكلها فيحمد الله عليها والشربة من ماء يشربها فيحمد الله تعالى » الحديث . وعن ابن سلام رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة » . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة غرفاً من ألوان كلها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قالوا يا رسول الله لمن تلك الغرف ؟ قال لمن أثنى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » .

قلنا : ومن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال سأخبركم عن ذلك : من لقي أخاه وسلم عليه فقد أثنى السلام ، ومن أطمع أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطمع الطعام ، ومن صام رمضان وستامن شوال فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الأخيرة والغداة « أى الفجر » مع جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام « وهم اليهود والنصارى والمجوس ، كما صرح به الإمام الأندلسى رحمه الله انتهى . ويكره السلام عند رواية الحديث وعند الأذان وعند الإقامة إذا كان القوم مشغولين ببناء الأذان والإقامة ، والسلام يأتى ولكن يردون جوابه ، وعلى من كان فى الحلاء فعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى عليه يرد به بقلبه لا بلسانه . وقال أبو يوسف لا يرد به مطلقا . وعند محمد يرد به بعد الفراغ من الحاجة ، وعلى المصلى ، والسلام يأتى ولا يرد جوابه ، وعلى السائل وإن سلم السائل فلا يجبرده ؛ وعلى القاضي فى المحكمة ولا يجب الرد عليه ؛ وعلى أستاذه عند الدرس ولو سلم لا يجبرده ، وعلى لاعب الشطرنج ، وعلى لاعب الزرد وغيره ، وعلى المبتدعة ، وعلى الملاحمة ، وعلى الزنادقة ، وعلى المضحك ، وعلى قارئ القصة الكاذبة ، وعلى أهل اللغو ، وعلى أهل السب ، وعلى أهل الهجو ، وعلى القاعد على رؤوس الطريق لينظر إلى المرأة الحسناء أو إلى الأمرد الصبيح وعلى العريان سواء كان فى الحمام أو غيره وعلى المازح ، وعلى الكذاب ، وعلى من يسب الناس وعلى المشتغل فى السوق ، وعلى آكل الطعام فى السوق أو على الدكان والناس ينظرون ، وعلى المتغنى ، وعلى مطير الحمام وعلى الكافر (قاله ابن كمال باشا يسر الله له ما شا فى شرح حديث السلام قبل الكلام) وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تكلم قبل السلام فلا تحبوه » . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما « ان إبليس عليه اللعنة يبكى عند سلام المؤمن ويقول واويلاه لا يفترق هذان المؤمنان حتى يففر لهما » الحديث . قالوا تحية النصارى وضع اليد على القم ، وتحية اليهود الاشارة بالاصبع ، وتحية المجوس الانحناء ، وتحية العرب حياك الله ، وتحية المسلمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهى أشرف التحيات (من الثنويات) وعن عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه « أن رجلا جاء إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليكم فرد عليه فقال لك عشر حسنات ، ودخل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فقال له لك ثلاثون حسنة ، ثم أتى آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته فرد عليه فقال لك أربعون حسنة » (كذا فى مشكاة المصابيح) .

المجلس السادس عشر : فى وفاة النبى عليه الصلاة والسلام

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(اليوم أكلت لكم دينكم) بالنصر والاظهار على الأديان كلها أو بالتصميم على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتى)

بالهداية والتوفيق ، أو بإكمال الدين ، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية (ورضيت لكم الاسلام) اخترته لكم (دينا) من بين الأديان وهو الدين عند الله لا غير . (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « قال لى جبرائيل يا محمد إن الله تعالى خلق بحراً من وراء جبل قاف وفي البحر ممك يصلى عليك فمن أخذ منه سمكة يسمت يدها وتصير السمكة من جملة الأحجار » هذا إشارة إلى أن العبد إذا صلى على محمد وصلى الصلوات الخمس بالجماعة ينجم من أيدي الزبانية ومن عذاب النار . روى أنه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله تعالى عنه فقال له النبي عليه الصلاة والسلام « ما يبكىك يا عمر ؟ » قال أبكاني أنا كنافي زيادة من ديننا فإذا كمل فإنه لا يكمل شيء إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام « صدقت » (أبو السعود) . (قوله اليوم) اللام للعهد والمراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الأزمنة الماضية والآتية ، وقد روى أن هذه الآية نزلت بعد عصر يوم الجمعة بعرفات في حجة الوداع والنبي عليه الصلاة والسلام واقف بعرفة على الابل ولم ينزل بعدها شيء من الفرائض فحين نزلت لم يطق النبي عليه الصلاة والسلام احتمال معانيها فانتكأ على ناقته فبركت الناقة فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد قد تم اليوم أمر دينكم واتقطع ما أمرك ربك وما نهاك فاجمع أصحابك وأخبرهم بأنى لا أنزل عليك بعد هذا اليوم فرجع النبي عليه الصلاة والسلام من مكة وآتى المدينة فجمع أصحابه وقرأ عليهم الآية وأخبرهم بما قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام ففرح أصحابه وقالوا قد تم ديننا إلا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فإنه قد اغتم وآتى منزله وغلق الباب واشتغل بالبكاء في الليل والنهار فسمع الأصحاب ذلك فاجتمعوا وأتوا منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقالوا يا أبا بكر لم تبكى في موضع الفرح والسرور لأن الله تعالى قد أتم ديننا ؟ فقال يا أصحاب أتم لا تعلمون ما يصيبكم من المصائب أما سمعتم أنه إذا تم أمر بدا نقصه وهذه الآية تنبئ عن اقتراننا وعن كون الحسن والحسين يقيمين وعن كون أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أرامل فوقع الصراخ بين الأصحاب وبكوا جميعاً وسمع غيرهم البكاء من حجرة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وجاءوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا يا رسول الله لا ندرى ما حال الأصحاب غير أنا سمعنا بكاءهم وصراخهم فتغير لون النبي عليه الصلاة والسلام وقام مسرعاً حتى انتهى إلى الأصحاب فرآهم في ذلك الحال فقال ما يبكيكم ؟ فقال على رضى الله تعالى عنه إن أبا بكر يقول إني سمعت من هذه الآية رائحة وفاة رسول الله وهل يستدل بهذه الآية على وفاتك ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق أبو بكر فيما قال وقد قرب ارتحالى من بينكم وحن وقت فراقى منكم ، وهذا إشارة إلى أن أبا بكر أعلم الصحابة فلما سمع أبو بكر ذلك صاح صيحة وخر مغشياً عليه وارتعد على رضى الله تعالى عنه واعتز الأصحاب وخافوا بأجمعهم وبكوا بكاء شديداً حتى بكت الجبال والأحجار معهم والملائكة في السموات وبكت

الدود والحيوانات في البرارى والبحار ثم صافح النبي عليه الصلاة والسلام كل واحدا من الأصحاب وودعهم وبكى ووصى لهم ثم عاش بعد نزول هذه الآية أحدا وثمانين يوما . وقيل لما نزل قوله تعالى (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) الآية عاش عليه الصلاة والسلام بعدها خمسين يوما ولما نزل قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) عاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ولما نزل قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) الآية عاش بعدها أحد وعشرين يوما . وهذه الآية آخر ما نزل من القرآن ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها سعد يوما للنبر فخطب خطبة فبكت منها العيون ووجلّت منها القلوب واتشعرت منها الأبدان وبشر وأنذر . وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه لما قرب وفاة النبي عليه الصلاة والسلام أمر بلالا أن ينادى الناس للصلاة فنادى فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى ركعتين خفيفتين بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وخطب خطبة بليغة وجلّت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال : « يا معاشرة المسلمين إني كنت لكم نبيا وناصحا وداعيا إلى الله باذنه وكنت لكم كالأخ الشفيق والأب الرحيم من كانت له عندى مظنة فليقم وليقتص منى قبل القصاص في القيامة » فلم يقم إليه أحد حتى قال ثانيا وثالثا فقام رجل يقال له عكاشة بن محصن فوقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام فقال فذاك أبى وأمى يا رسول الله لولا أنك ناشدتنا مرة بعد مرة ما كنت أقدم على شيء من ذلك ولقد كنت معك في غزوة بدر جارب نافتى ناقتك فزلت عن الناقة ودنوت منك حتى أقبل فخذك فرفعت القضيب الذى تضرب به الناقة للسرعة فى المشى وضربت به خاصرتى فلا أدري أعمدا كان منك يا رسول الله أم أردت به ضرب ناقتك ؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حاشا يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله بالضرب » فقال النبي عليه الصلاة والسلام لبلال « يا بلال انطلق إلى منزل فاطمة فأتني بقضيبي » فخرج بلال من المسجد ويده على رأسه فقال هذا رسول الله أعطى القصاص من نفسه فقرع باب فاطمة فقالت من على الباب فقال جئتك لقضيب رسول الله فقالت فاطمة يا بلال ما يصنع أبى بالقضيب فقال يا فاطمة إن أباك يعطى القصاص من نفسه فقالت فاطمة يا بلال من الذى يطيب قلبه أن يقتص من رسول الله ؟ فأخذ بلال القضيب ودخل المسجد ودفع القضيب إلى رسول الله والرسول دفعه إلى عكاشة ، فلما نظره أبو بكر وعمر قاما فقالا يا عكاشة نحن بين يديك فاقص منا ولا تقتص من النبي عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله « اقبدا قد عرف الله تعالى مكانكما » فقام على رضى الله تعالى عنه فقال يا عكاشة أنا فى الحياة بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام لا يطيب قلبى أن تقتص من رسول الله عليه الصلاة والسلام فهذا ظهري وبطنى فاقص منى بيدك واجلدنى بيدك فقال عليه الصلاة والسلام « يا على قد عرف الله مكانك ونيتك » فقام الحسن والحسين فقالا

يا عكاشة ألت أنت تعرفنا أنا سبطا رسول الله والقصاص منا كالقصاص من رسول الله ؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لها « اقعدا يا قرني عيني » ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام « يا عكاشة اضرب إن كنت ضاربا » فقال يا رسول الله ضربتني وأنا عار عن ثوبي فكشف رسول الله عن ثوبه فصاح للمسلمون بالبكاء فلما نظر عكاشة إلى يياض جسم الرسول انكب عليه وقبل ظهره وقال فداك روحى يا رسول الله من يطيب قلبه أن يقتص منك يا رسول الله ؟ وإعافلتهم رجاء أن يمس جسمى بجسمك الشريف ويحفظنى ربى بحرمته من النار فقال عليه الصلاة والسلام « ألامن يحب أن ينظر إلى أهل الجنة فلينظر إلى هذا الشخص » فقام المسلمون يقولون بين عينيه ويقولون طوبى لك نلت الدرجات العلى ومراقبة محمد عليه الصلاة والسلام فى الجنة انتهى . اللهم يسر لنا شفاعته بعزتك وجلالك (من الموعظة الحسنة) قال ابن مسعود : لما دنا وفاة النبي عليه الصلاة والسلام جمعنا فى بيت أمنا عائشة ثم نظر إلينا فدمعت عيناه وقال « مرحبا بكم زحمتكم الله ، أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق وقرب التقلب إلى الله تعالى وإلى الجنة السأوى فليغسلنى طى وليصب الماء الفضل ابن عباس وأسامة بن زيد يعينهما وكفنونى فى ثيابى إن شئتم أو حلة يمانية يضاء فاذا غسلتمونى ضعونى طى سريرى فى بيتى هذا طى شفير لحدى ثم اخرجوا عنى ساعة فأول من صلى على الله عز وجل ثم جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك اللوت مع جنوده ثم سائر الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فوجا وصلوا طى » فلما سمعوا فراق النبي عليه الصلاة والسلام صاحوا وبكوا وقالوا يا رسول الله أنت رسولنا وشمل جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نرجع ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « تركتكم طى المحجة والطريقة البيضاء وتركتم لكم واعظين ناطقا وصامتا فالناطق القرآن والصامت اللوت إذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة وإذا قست قلوبكم فلينبوها بالاعتبار فى أحوال اللوت » فرض رسول الله عليه الصلاة والسلام فى آخر شهر صفر وكان مريضا ثمانية عشر يوما يعودنه الناس وكان ابتداء مرضه الذى مات فيه صداعا عرض له عليه السلام ، وبعث عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين ومات فيه فلما كان يوم الاثنين ثقل مرضه فأذن بلال أذان الصبح وقام يباب رسول الله فقال السلام عليك يا رسول الله فقالت فاطمة إن رسول الله مشغول بنفسه فدخل بلال المسجد ولم يفهم كلامها فلما أسفر الصبح جاء بلال ثانيا وقام بالباب فقال كذلك فسمع رسول الله صوته فقال « ادخل يا بلال إني مشغول بنفسى وثقل على مرضى ، يا بلال مرأبا بكر أن يصلى بالناس » فخرج بلال باكيا ووضع يده على رأسه وهو ينادى وامصيتاه وانقطع رجاء وانكسار ظهراه ياليتنى لم تلدنى أبى فدخل المسجد فقال يا أبا بكر إن رسول الله يأمر أن تصلى بالناس هو مشغول بنفسه ، فلما رأى أبو بكر محراب رسول الله خاليا عنه لم يتألك نفسه فصرخ صراخا وخر مغشيا عليه

فضج المسلمون معه فسمع النبي عليه الصلاة والسلام ضجيجهم فقال يا فاطمة ما هذا الصباح والضجيج ؟ قالت ضج المسلمون لفقدك منهم فدعا رسول الله عليا والفضل بن عباس واتكأ عليهما فخرج إلى المسجد وصلى بهم ركعتي الفجر من يوم الاثنين ثم ولى بوجهه إلى الناس فقال يامعشر المسلمين أنتم في وداع الله تعالى وكنفه عليكم بتقوى الله وطاعته فاني مفارق الدنيا وهذا أول يومى من الآخرة وآخر يومى من الدنيا فقام وذهب إلى بيته . فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن اهبط إلى حبيبي بأحسن صورة وارفق به في قبض روحه فان أذن لك أن تدخل فادخل وإن لم يأذن لك فلا تدخل وارجع فهبط ملك الموت على صورة أعرابي فقال السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أأدخل ؟ فأجابت فاطمة فقالت يا عبد الله إن رسول الله مشغول بنفسه ، ثم نادى الثانية فقال السلام عليكم يا رسول الله ويا أهل بيت النبوة ؟ أأدخل ؟ فسمع عليه الصلاة والسلام صوته فقال يا فاطمة من على الباب ؟ قالت رجل أعرابي نادى ققلت إن رسول الله مشغول بنفسه ثم نادى الثالثة ققلت مثله فنظر إلى نظرة فاقشعر جلدى وخافه قلبي وارتعدت فرائصى وتغير لوني فقال عليه الصلاة والسلام أتدرين من هو يا فاطمة ؟ قالت لا ، قال عليه الصلاة والسلام هو هاذم اللذات وقاطع الشهوات ومفرق الجماعات ومخرب الدور ومعمر القبور فبككت فاطمة رضى الله تعالى عنها بكاء شديداً فقالت واولئنا لموت خاتم الأنبياء وامصيتناه لمات خير الأتقياء ولا تقطاع سيد الأصفياء واحترناه لا تقطاع الوحي من السماء فقد حرمت اليوم من كلامك ولا أسمع بعد اليوم سلامك فقال عليه الصلاة والسلام لا تبكى فانك أول أهلى لحوقاً بي ثم قال عليه الصلاة والسلام ادخل ياملك الموت فدخل فقال السلام عليك يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام عليك والسلام وأجبت زائراً أم قابضا ؟ فقال جئت زائراً وقابضا إن أذنت لى وإلا فأرجع فقال ياملك الموت أين تركت جبرائيل ؟ فقال تركته فى السماء الدنيا والملائكة يعزونه فلم يلبث ساعة حتى هبط جبرائيل عليه الصلاة والسلام وجلس عند رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ألم تعلم أن الأمر قد قرب فقال بلى يا رسول الله قال صلى الله تعالى عليه وسلم بشرنى مالى عند الله من الكرامة فقال إن أبواب السماء قد فتحت والملائكة صفوا ينتظرون فى السماء لروحك وأبواب الجنان قد فتحت والحوار كلها قد تزينت ينتظرون لروحك فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله ، ثم قال بشرنى يا جبرائيل كيف تكون أمتى يوم القيامة ؟ قال أبشرك أن الله تعالى قال إني حرمت الجنة على سائر الأنبياء حتى تدخلها أنت وحرمتها على سائر الأمم حتى تدخلها أمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الآن طاب قلبى وزال غمى ، ثم قال عليه الصلاة والسلام ياملك الموت ادن منى فدنا يعالج قبض روحه فلما بلغ الروح منه السرة قال عليه الصلاة والسلام يا جبرائيل ما أشد مرارة الموت افولى جبرائيل وجهه عنه ، فقال عليه الصلاة

والسلام يا جبرائيل أكرهت النظر إلى وجهي ؟ فقال يا حبيب الله من يطيق قلبه أن ينظر إلى وجهك وأنت في سكرات الموت ، قال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه كان روح النبي عليه الصلاة والسلام في صدره وهو يقول : أوصيكم بالصلاة وما ملكتم أيمانكم ، فما برح يوصي بهما حتى انقطع كلامه » ، وقال على رضى الله تعالى عنه إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر نفسه حرك شفثيه مرتين فألقيت معي فسمعتة يقول خفية أمتى أمتى فقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الاثنين من شهر ربيع الأول .

فلو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مغلدا

وروى أن عليا وضع رسول الله عليه الصلاة والسلام على السرير ليغسله فاذا بهاتف يهتف من زاوية البيت بأعلى صوت لاتغسلوا محمداً فإنه طاهر مطهر فوق في نفسى شيء من ذلك فقال على من أنت فان النبي أمرنا بذلك ؟ فاذا بهاتف آخر ينادى يا على غسله فان الهاتف الأول كان إبليس عليه اللعنة حسداً على محمد وقصد أن لا يدخل محمد قبره مغسولاً فقال على جزاك الله خيراً إذ أخبرتنى أن ذلك إبليس عليه اللعنة فمن أنت ؟ قال أنا الحضر حضرت جنازة محمد عليه الصلاة والسلام فغسله على رضى الله تعالى عنه وصب الماء الفضل بن عباس وأسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهم أجمعين وجبرائيل عليه الصلاة والسلام جاء بمنحوط من الجنة وكفونوه ودفنوه في حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها ليلة الأربعاء وسط الليل وقيل ليلة الثلاثاء وهى قائمة على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وتقول يامن لم يلبس الحرير ولم ينم على الفرش الوثير يامن خرج من الدنيا ولم يشيع بطنه من خبز الشعير يامن اختار الحصر على السرير يامن لم ينم طول الليالى من خوف السعير .

المجلس السابع عشر : فى ذم شارب الخمر

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب) أى الأصنام التى نصبت للعبادة (والأزلام) سبق تفسيرها فى أول السورة (رجس) قدر تعاف منه العقول وأفرده لأنه خبر للخمر وخبر للعطوفات محذوف ، وأو خبر لمضاف محذوف كأنه قال إنما تعاطى الخمر والميسر (من عمل الشيطان) لأنه مسبب عن تسويله وتزيينه (فاجتنبوه) الضمير للرجس أو لما ذكر أو للتعاطى (لعلمكم تفعلون) لئى تفعلوا بالاجتناب عنه . واعلم أنه تعالى أكد تحريم الخمر والميسر فى هذه الآية بأن صدر الجملة بإنما وقرنها بالأنصاب والأزلام وسماها رجساً وجعلها من عمل الشيطان تنبها على أن الاشتغال بهما شر بحث أو غالب وأمر بالاجتناب عن عيניהما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم . (قاضى يضاوى) .

روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا

صلى المؤمن على قبض تلك الصلاة ملك نالوت باذن الله تعالى وبلغها إلى قبري فيقول الملك يا محمد إن فلان بن فلان من أمتك صلى عليك فأقول بلغني عشر صلوات وقل له حلت شفاعته لك ثم يصعد الملك حتى ينتهي إلى العرش فيقول يارب إن فلان بن فلان صلى على جبيك محمد مرة فيقول الله تعالى بلغه مني عشر صلوات ثم يخلق الله تعالى من صلاته بكل حرف ملكه ثلاثمائة وستون رأساً وفي كل رأس ثلاثمائة وستون وجهاً وفي كل وجه ثلاثمائة وستون فما وفي كل فم ثلاثمائة وستون لساناً يتكلم بكل لسان ويثنى على الله تعالى ثلاثمائة وستين نوعاً فيكتب ثواب ذلك للمصلي على النبي عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة » روى أن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما غرس الكرم ولم تخضر جاءه إبليس عليه اللعنة فقال يابني الله إن أردت أن تخضر الكرم فدعني أذبح عليها سبعة أشياء فقال أفل فذبح أسداً ودباً ونمراً وابن آوى وكلباً وديكاً وثعلباً وصب دماءهم في أصل الكرم فاحضرت من ساعتها وحملت الكرم من العنب سبعين لونا وكانت تحمل من قبل لونا واحداً فلذلك كان شارب الخمر شجاعاً كالأسد وقوياً كالذئب وغضباً كالنمر ومحدثاً كابن آوى ومقاتلاً كالكلب ومنقماً كالثعلب ومصوتاً كالديك (حياة القلوب) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال إن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » (رواه البخاري) . قوله « وهو مؤمن » الواو للحال تقديره هو حال كون شارب الخمر ليس بمؤمن عند الشافعي لأن العمل جزء من الإيمان الكامل عنده وعندنا ليس بجزء في مطلق الإيمان ولأن الإيمان الكامل فلذلك كان تارك العمل مؤمناً عندنا لأنه سئل رسول الله عن قوله : لا يشرب شارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فأدار دائرة واسعة في الأرض ثم أدار في وسط الدائرة دائرة أخرى ، فقال الدائرة الأولى للإسلام والدائرة الثانية للإيمان فان شرب العبد أوزني أو سرق خرج من دائرة الإيمان إلى دائرة الإسلام ولا يخرج من دائرة الإسلام إلا بالشرك نعوذ بالله تعالى . اعلوا أيها الإخوان أن الإيمان والإسلام واحد عندنا بدليل قوله تعالى (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) أي من الغبونين لأنه اختار منزلة النار ، بدل منزلة الجنة ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر » رواه الطبراني . وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر نزع الله عنه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه » رواه الحاكم ، وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « إذا زنى العبد أو شرب الخمر خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فاذا فرغ من ذلك العمل

رجع إليه الإيمان » رواه البخارى . قال الفقيه أبو الليث : إياك وشرب الخمر فإن في شربها عشر خصال مذمومة : أولها أنه إذا شرب الخمر يصير بمنزلة المجنون فيصير ضحكة للصبيان ومذموماً عند العقلاء . والثانية أنها مذهب للعقل ومتلفة للمال . والثالثة أن شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء . والرابعة أن شربها يمنع عن ذكر الله وعن الصلاة . والخامسة أن شربها يجعله على الزنا لأنه إذا شرب الخمر يمكن أن يطلق امرأته وهو لا يشعر . والسادسة أنها مفتاح كل شر لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصي . والسابعة أنها تؤذى حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق . والثامنة أنه وجب عليه الحد ثمانين جلدة وإن لم يضرب في الدنيا يضرب في الآخرة بسوط من نار على رءوس الناس ينظر إليه الآباء والأصدقاء . والتاسعة أنه غلق باب السماء على نفسه لأنه لا يرفع حسناته ولا دعاؤه أربعين يوماً . والعاشر أنه يخاطر على أنه يخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند موته ، فهذه العقوبات في الدنيا قبل موته وقبل أن ينتهى إلى عقوبات الآخرة ، فلا ينبغي للعاقل أن يختار لذة قليلة على لذة طويلة ، وروى عن أبي أمامة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق السحرة ومن مات مدمن الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجري من فروج الزانيات يؤذى أهل النار من تن ريعه » رواه أحمد وابن عدى ، وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من شرب الخمر فلا تزوجه وإن مرض فلا تعودوه وإن مات فلا تصلوا عليه ، فوالذي بعثني بالحق نبيا ما شرب الخمر إلا ملعون في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، ومن أطعمه لقمة سلط الله على جسده حية وعقربا ، ومن قضى حاجته فقد أعانه على هدم الإسلام ، ومن أقرضه فقد أعانه على قتل مؤمن ، ومن جالسه حشره الله يوم القيامة أعصى لأحبة له » الحديث . وقيل الكبائر الإشراف بالله وقتل النفس بغير حق وشرب الخمر والزنا واللواط وقذف المحصنين والمحصنات بالزنا وعقوق الوالدين المسلمين بغير حق أو بفعل والفرار من التحف من رجل واحد أو رجلين في الحرب وأكل مال اليتيم ظلما وشهادة الزور وأكل الربا وأكل في نهار رمضان بغير عذر عامداً ومقاطعة الرحم واليمين الفاجرة وأكل أموال الناس ظلما والنقص في الكيل والميزان وتقديم الصلاة على وقتها وضرب المسلم بغير حق وشم النبي عليه الصلاة والسلام والكذب على النبي متعمداً وكتمان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة وقتل نفسه أو قطع عضو من أعضائه والديانة والسعاية بين الرجل والمرأة والسعاية عند الظالم والسحر ومنع الزكاة والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والوقعة في أهل العلم وإحراق الحيوان بالنار وإمتاع المرأة من زوجها بلا سبب فكلمها كباثر . وروى عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول : « اجتنبوا الخمر فإنها أم الحباث فإنه كان رجل ممن كان قبلكم يتعبد ويعتزل الناس

فلعلته امرأة سوء فأرسلت إليه خادما فقال : إنا ندعوك للشهادة قد دخل فطقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى إذا أنضى أى بلغ إلى امرأة جالسة وعندها غلام وزجاجة فيها خمر فقالت إنا لم ندعك للشهادة ولكن ندعوك لقتل هذا الغلام أو تقع على أو تشرب كأساً من الخمر فان أبيت صحت بك وفضحتك ، قال فلما رأى أنه لا بد من ذلك قال اسقيني كأساً من الخمر فسقته كأساً من الخمر فزال عقله حتى وقع عليها أى جامعها وقتل الغلام. فاجتنبوا الخمر فانه لا يجتمع إيمان وإيمان الخمر في صدر الرجل أبداً إلا ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه « رواه ابن حبان في صحيحه ، أما سمعت قصة برصيصا لعن أى بعد عن رحمة الله تعالى بسبب شرب الخمر . وذلك أن برصيصا عبد الله مائتين وعشرين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وكان له ستون ألفاً من تلاميذه يمشون في الهواء يركب عبادته حتى تعجب الملائكة من عبادته قال الله تعالى : ماتعجبون منه ! إني أعلم ما لا تعلمون إن برصيصا في علمي يكفر ويدخل النار أبداً الآبدن بشرب الخمر فسمع إبليس عليه اللعنة ذلك القول فلم أن هلاكه في يده فجاء إلى صومعته على صورة عابد قد لبس المسوح فناداه فقال له برصيصا من أنت وما تريد ؟ قال أنا عابد جئت إليك لأكون عوناً على عبادتك لله تعالى فقال من أراد عبادة الله تعالى فالله يكفي صاحبها فقام إبليس بعبد الله تعالى ثلاثة أيام لم يمت ولم يأكل ولم يشرب . قال برصيصا أنا أفطر وأنام وآكل وأشرب وأنت لاتأكل ولا تشرب وإني عبدت مائتين وعشرين سنة ولم أقدر على ترك الأكل والشرب قال إبليس أنا أذنبت ذنباً فمضى ذكرته سقط عني النوم والأكل قال برصيصا ما حيلقي حتى أكون مثلك ؟ قال اذهب فاعص الله ثم تب إليه فانه رحيم حتى تجد حلاوة الطاعة قال أى شيء أفعل ؟ قال الزنا قال لا أفعله قال اتسل مؤمناً قال لا أفعله قال اشرب الخمر للسكر فانه أهون وخصمك الله قال أين أجده ؟ . قال اذهب إلى قرية كذا فذهب فرأى امرأة جميلة فاشتري منها الخمر فشرب وسكر وزنى فدخل عليها زوجها فضربه حتى كاد أن يقتله ، ثم إن إبليس تمثل في صورة إنسان وسعى به إلى الحاكم فأخذوه وجلدوه للخمر ثمانين جلدة وللزنا مائة جلدة وأمر له بالصلب لأجل الدم فلما صلب جاء إبليس إلى برصيصا في تلك الصورة قال كيف حالك ؟ قال من أطاع قرين السوء فجزاؤه هكذا ، قال إبليس كنت في بلائك مائتين وعشرين سنة حتى صلبتك فلو أردت النزول لنزلتك قال أريد وأعطيك ما تريد قال اسجد لي سجدة واحدة ، قال لم أقدر أن أسجد لك على الخشب قال اسجد بالإيمان فسجد وكفر بالله وخرج من الدنيا بلا إيمان نعوذ بالله تعالى (حياة القلوب) . روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً وشرباً فدعا قوماً من أصحاب رسول الله حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا أى سكروا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ : قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد بل لا تغزوا (لا تقربوا الصلاة وأنتم

(سكارى) الآية ، ثم كانوا لا يشربون في أوقات الصلاة فإذا صلوا العشاء شربوها فلا يصحون إلا وقد ذهب عنهم السكر وعلما ما يقولون ، ثم نزل في تحريمها (إنما الخمر والميسر) الآية ومعنى لا تقربوا الصلاة لا تغشوها ولا تقوموا إليها واجتنبوها كقوله عليه الصلاة والسلام : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » (كشاف) وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فزلت (إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) الآية . يعنى أن المؤمنين لا جناح عليهم فى أى شىء طعموه من الباحات إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمداً لأحوالهم فى الإيمان والتقوى والإحسان ، ومثاله أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ؟ فتقول ليس على أحد جناح فى المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمناً عسنا تريد أن زيداً اتقى مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ فيما فعل (تفسير كشاف ملخصاً) .

المجلس الثامن عشر : فى ذم الحسد

سورة المائدة - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واتل عليهم نبأ ابني آدم) قاييل وهابيل أوحى الله تعالى إلى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قاييل لأن توأمة كانت أجل فقال لها آدم عليه الصلاة والسلام قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها ، فقبل قربان هابيل بأن نزلت ناراً فاكلته فازداد قاييل سخطاً رفعل مافعل (بالحق) صفة مصدر محذوف أى تلاوة متلبسة بالحق أو حال من ضمير اتل أو من نبأ ابني آدم أى متلبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الأولين (إذ قربا قربانا) ظرف لنبأ أو حال منه أو بدل على حذف المضاف أى اتل عليهم نبأها نبأ ذلك الوقت ، قيل كان قاييل صاحب زرع وقرب أردأ قمح عنده ، وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا ميمناً (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) لأنه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية فى قربانه ، وقصد هابيل إلى أحسن ما عنده (قال لأقتلنك) توعدده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ، ولذلك (قال إنما يتقبل الله من المتقين) فى جوابه ؟ أى إنما أتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبل قلم تقتلى ؟ وفيه إشارة إلى أن الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى إزالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وأن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متق (قاضى يضاوى) .

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لقيت جبرائيل فقال إنى أبشرك أن الله تعالى يقول : من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه »

وقال عليه الصلاة والسلام : « من قال اللهم صل على محمد وأزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي يوم القيامة » (شفاء شريف) قوله (ابن آدم) قيل لم يرد بهما ابن آدم لصلبه وإنما رجلا من بني إسرائيل ولذا قيل في حتمهم (من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل) الآية ، لكن الصحيح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أنهما من صلبه يدل عليه قوله تعالى (فبعث الله غراباً) الآية لأن القاتل لم يدرك ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب (تفسير الخازن) قيل عمد هائل إلى كبش أحسن ما في غنمه فقربه وأضر به نفسه رضا الله تعالى ، وقايل قرب أردأ قبح عنده فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم عليه الصلاة والسلام فزلت من السماء نار فأكلت قربان هائل ولم تأكل قربان قايل فغضب قايل على هائل وأمنر لأخيه الحسد إلى أن أتى آدم عليه الصلاة والسلام إلى مكة لزيارة البيت وغاب عنهما قتصد قايل هائل وهو في غنمه وقال لأنتك قال هائل لم تقتلني ؟ قال إن الله قبل قربانك ورد قرباني وتريد أن تسكع أختي الحساء وأنكع أختك الدميمة فيتحدث الناس أنك خير مني ويفخر ولدك على ولدي (تفسير الخازن) وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم في الكتب الأول : إن آدم عليه الصلاة والسلام كان تغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت بقايل وأخته ولم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبط إلى الأرض تغشاها فحملت بهائل وتوأمته فوجدت الوحم والوصب والطلق والدم وكان الرجل منهم يزوج ابنته لأي إختها شاء غير توأمها الذي ولدت معه ، فلما كبر قايل وهائل وكان بينهما سنتان أمر الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أن يزوج قايل ليوزا وزوج هائل إقليا أخت قايل وكانت إقليا أحسن من ليوزا فبلغ آدم عليه الصلاة والسلام ذلك ورضى هائل وسخط قايل وقال هي أختي وأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض إلى آخر القصة (تفسير الخازن) ذكر في الأخبار أن حواء كانت تلد لآدم عليه الصلاة والسلام في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولده أربعين ولداً في عشرين بطناً أولهم قايل وتوأمته إقليا وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه الصلاة والسلام : وقال ابن عباس لم يمت آدم عليه الصلاة والسلام حتى بلغ ولده وولد ولده أربعين ألفاً . واختلفوا في مولد قايل وهائل فقال بعضهم غشى آدم عليه الصلاة والسلام حواء بعد إهابهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت له قايل وتوأمته إقليا في بطن ثم هائل وتوأمته ليوزا في بطن (تفسير الخازن) قال ابن جريج لما قصد قايل قتل هائل لم يدرك كيف يقتله ؟ فتمثل له إبليس عليه اللعنة وقد أخذ طيراً فوضع رأسه على حجر وأسقط حجراً آخر عليه وقايل ينظره فسلمه القتل ففعل مثله وقيل وهائل نائم . واختلفوا في موضع قتله فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على جبل ثور وقيل عند عقبة جبل حراء

وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم (تفسير الحازن) فلما قتله أصبح من النادمين على قتله لما كان فيه من التحير في أمره وحمله على رقبته سنة أو أكثر على ما قيل ولتعلمه من الغراب أسود لونه وتبرأ أبوه منه ، إذ روى أنه لما قتله أسود جسده فسأله آدم عليه الصلاة والسلام عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلاً ، قال بل قتلته فلذلك أسود جسدي وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من أجله (قاضي) . قيل هرب بعده إلى عدن من أرض اليمن فأدركه إبليس عليه اللعنة فقال إنما أكلت النار قربان هايل لأنه كان يعبد النار فاصنع أنت مثل ذلك ففعل ؛ فهو أول من اتخذ آلات اللهو وانهمك في المعاصي من شرب الخمر وعبادة الأوثان والزنا وغيرها من الفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في أيام نوح عليه الصلاة والسلام ، ومن ارتكبت مثل تلك الأفعال حشر مع قاييل وأولاده يوم القيامة (رونق المجالس) وفي الحديث « لا تاتل نفس ظلمت إلا وطى قاييل كفيل » أي نصيب « من دمها فانه أول من سن القتل » وكذا قيل إن أول من حسد في السموات كان إبليس عليه اللعنة فجرى عليه ما جرى ، وأول من حسد في الأرض كان قاييل حيث حسد أخاه هايل فجرى عليه ما جرى ويكفي في النصيحة للعاقل حالهما ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن لنعم الله تعالى أعداء . قيل من هم يا رسول الله ؟ . قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » قال بعض الحكماء أمهات الخطايا ثلاثة : الحسد والحرص والكبر ، أما الكبر فكان أصله من إبليس حيث تكبر وأبى من السجدة فلعن ، وأما الحرص فكان أصله من آدم عليه الصلاة والسلام حيث قيل له الجنة كلها مباحة لك إلا هذه الشجرة فحمله الحرص فأخرج منها ، وأما الحسد فكان أصله من قاييل حيث قتل أخاه هايل فصار كافراً بسبب حسده ، وكذا قال الفقيه أبو الليث : ثلاثة لا تستجاب دعوتهم : آكل الحرام ومكثار الغيبة ، ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين . وعن عطية بن عوزة السعدي أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « إن الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن فيكم من يكون سريع الغضب سريع النوى وفيكم من يكون سريع الغضب بطيء النوى فخيركم من يكون بطيء الغضب سريع النوى وشركم من كان سريع الغضب بطيء النوى » (زبدة الواعظين) .

اعلم أن للحاسد ثمان آفات : الأولى إفساد الطاعة ، إذ روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والعشب » أو يؤديه إلى الكفر . والثانية الإفضاء إلى فعل المعاصي إذ الحاسد لا يخلو عن الغيبة والكذب والسب والشتمات عادة (طب) عن ضمرة بن ثعلبة أنه قال : « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » . والثالثة حرمان الشفاعة (طب) عن عبد الله

ابن بشر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليس مني ذو حسد ولا ذو نعمة ولا ذو كهانة ولا أنا منه ، ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه الآية (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) « والرابعة دخول النار (ديلسى) . عن ابن عمر وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة . قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الأمراء بالجور والعرب بالعصية واليهود بالكبر والتجارب بالخيانة وأهل الرسايق بالجهل والعلماء بالحسد » . والخامسة الإفضاء إلى إضرار الغير فلذا أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر الحاسد كما أمرنا بالاستعاذة من شر الشيطان الرجيم حيث قال (ومن شر حاسد إذا حسد) وقال عليه الصلاة والسلام : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » . والسادسة التعب والهم من غير فائدة بل مع وزر ومحصية ، قال ابن السكيت : لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد : تعب دائم وعقل هائم وغم لازم . والسابعة غنى القلب حتى يكاد لا يفهم حكماً من أحكام الله تعالى ، قال سفيان : لا تكن حاسداً تكن سريع الفهم . والثامنة الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده وينصر على عدوه ، فلذا قيل : الحسود لا يسود (طريقة محمدية) .

المجلس التاسع عشر

في نزول المائدة من السماء بدعاء عيسى عليه الصلاة والسلام

سورة المائدة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وإذ أوحيت إلى الحواريين) أى أمرتهم على ألسنة رسلهم (أن آمنوا بي وبرسولي) يجوز أن تكون أن مصدرية وأن تكون مفسرة (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) مخلصون (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) منصوب باذكر أو ظرف لقالوا فيكون تنبيهاً على أن ادعاءهم الإخلاص مع قولهم (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) لم يكن بعد عن تحقيق وانتحكام معرفة ، وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة ، وقيل للمعنى هل يستطيع ربك : أى هل يجيبك ، واستطاع بمعنى أطاع كاستجاب وأجاب (قال اتقوا الله) من أمثال هذا السؤال (إن كنتم مؤمنين) بكمال قدرته وحمته نبوتى ، أو صدقتم فى ادعاء الإيمان (قالوا نريد أن نأكل منها) تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال (وتطمئن قلوبنا) بانضمام علم الشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته (ونعلم أن قد صدقتنا) فى ادعاء النبوة وأن الله يجيب دعوتنا (ونكون عليها من الشاهدين) إذا استشهدتنا ، أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر (قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً) أى يكون يوم نزولها عيداً نعظمه ، وقيل العيد السرور العائد ، ولذلك سمى يوم العيد عيداً (لأولنا

وآخرنا) بدل من لنا باعادة العامل ، أى عيداً لتقدمينا ومتأخرينا (وآية) عطف على عيداً (منك) صفة لها ، أى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى (وارزقنا) المائدة والشكر عليها (وأنت خير الرازقين) أى خير من يرزق لأنه خالق الرزق (قال الله إني منزلها عليكم) إجابة إلى سؤالكم (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً) أى تعذيباً (لا أعذبه أحداً) الضمير للمصدر أو للعذاب (من العالمين) أى عالمى زمانهم أو العالمين مطلقاً (قاضى يضاوى) .

روى فى الأخبار : « ثلاثة أشياء لا تزن عند الله جناح بعوضة : أحدها الصلاة بلا خضوع وخشوع . والثانى الذكركر بالنفلة لأن الله تعالى لا يستجيب دعاء قلب غافل . والثالث الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام من غير حرمة ونية » كذا قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات » (زبدة) . روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا لو عملنا لأحد قضينا لأطعمنا ثم سألوا الله تعالى المائدة فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم . وقال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل الطعام إلا اللحم . وقال قتادة كان عليها ثمر من أثمار الجنة . وقال عطية العوفى نزلت من السماء محكمة فيها طعم كل شئ . واختلف فى أن عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه أو سألها لقومه وإن كان أضافها إلى نفسه فى الظاهر ولكن كلاهما يحتمل طلب نزولها (نيسابورى) قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد وهو قوله تعالى (فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه) الآية خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن ؛ والصحيح الذى عليه جماهير الأمة ومشاهير الأئمة أنها قد نزلت ، كما روى أن عيسى عليه السلام اغتسل ولبس صوفاً وصلى ركعتين فطأ رأسه وغض بصره ثم دعا بما دعا وأجيب بما أجيب ، وإذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتهما وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم ، فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ، ثم قال لهم ليقم أحسنكم عملاً يكشف عنها ويدكر اسم الله عليها ويأكل منها ، فقال شمعون رئيس الحواريين أنت أولى بذلك ، فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف النديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دماً وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا السكرات ، وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد ، فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة ؟ قال

ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدره العاليه كلوا ما سألتهم واشكروا بعمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى ، فقال يا سمكة احبي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير ، وقيل كانت تأتيتهم أربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والأغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى إذا فاء النوى طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير إلا غنى مدة عمره ولا مريض إلا برئ ولن يعرض أبداً ، ثم أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الأغنياء والأصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون العذرة في الحشوش ، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا على المسوخين ، فلما أبصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به عليه السلام وجعل يدعوهم بأسمائهم واحداً بعد واحد فيكون ويشيرون براء وسهم ولا يقدررون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا .

(قصة عجيبة) يا أيها الإخوان سألت قوم عيسى من عيسى عليه السلام طعاماً فأسألو أعقب صومكم رحمة الله ومغفرته ، وإنما سمى العيد عيداً لأنه يوم دفى السنة مرتين ، ولهذا روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي إن كل عامل يطلب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم أشهدوا أنى قد غفرت لهم فينادى للنادى يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم فقد بدلت سيئاتكم بالحسنات من فضل الله تعالى » كما قال عليه الصلاة والسلام : « إذا كان يوم الفطر وخرج الناس إلى الصلوة وسجدوا لربهم يقول الله تعالى يا عبادى لى صمتتم ولى أفطرتهم ولى صليتكم قوموا مغفوراً لكم ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « اجتمعوا يوم الفطر فى الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة وأكثروا التسبيح والتهليل فانه اليوم الذى يغفر الله فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة والمغفرة » . قال وهب ابن منبه يحزن إبليس فى كل عيد فيجتمع عنده الأباليس فيقولون يا سيدنا من أغضبك من السماء والأرض حتى تكسره ؟ فيقول لا ولكن الله غفر لهذه الأمة فى هذا اليوم فعليكم أن تشغلهم باللذات المحظورات وشرب الخمر حتى ينفضهم الله فيعذبهم (كذا فى الزبدة) وعليك بالعمدة فتخرج من أداء ما فى العهدة وتدخل فى سرير الجنة .

المجلس العشرون : في فضيلة صيام ستة أيام من شوال

سورة الأنعام — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أى عشر حسنات أمثالها فضلا من الله تعالى ، وقرأ يعقوب عشر بالتثنية وأمثالها بالرفع على الوصف وهذا ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمئة وبغير حساب ، ولذلك قيل للراد بال عشرة الكثرة دون العدد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) قضية للعدل (وهم لا يظلمون) بتقص الثواب وزيادة العقاب . (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على مرة فلا ذنب له ذرة ولا حبة » (زبدة الواعظين) . أخرج (م) عن أبي هريرة وأبي أيوب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » وهو معنى قوله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لأن السنة ثلاثمائة وستون يوما وصوم رمضان ثلاثون يوما وهو يعدل ثلاثمائة يوم فبقى ستون يوما فإن صام ستا من شوال وهى تعدل ستين يوما فقد كملت السنة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » . وحكى عن بعض كراهته حذراً من التشبه بأهل الكتاب في زيادتهم على الفرض . وأجيب عنه بأنه قد زال التشبه بفصل يوم الفطر ولأن الأول فرض والآخر نافلة (درة الواعظين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام من شوال فمن صام تلك الستة كتب الله تعالى له بعدد كل خلق من خلقه حسنة ويمحو عنه سيئاته ويرفع درجاته » ، قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن لبيت ستائة عضو على كل عضو من أعضائه ألف قم إلا على القلب فانه موضع المعرفة فمن صام هذه الستة هون الله عليه سكرات لولت كشرب الماء البارد للعطشان » (درة الواعظين) قيل من غرس شجرة رجاء لثمراتها يسقيها عند زمانها فعلامة إنساكها خضرة أوراقها فإذا اخضرت ومضى مدة ثم أصابها حر الشمس وجفت أوراقها علم أنها لم تمسك وإذا لم تجف أوراقها بل زادت علم أنها تمسك فكذا حال العبد في رمضان يسارع إلى الصوم والصلاة والخيرات رجاء لقبولها بركة رمضان فعلامة قبولها أن يكون العبد بعد رمضان على الطاعات والعبادات . (حياة القلوب) وعن سفيان الثوري رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : كنت بمكة ثلاث سنين فكان رجل من أهل مكة يحىء إلى البيت الحرام كل يوم عند الظهر ويطوف بالبيت ويصلى ثم يسلم على ويرجع حتى ألفت به وألفتى ففرض يوما ودعائى وقال إذا مت فأغسلنى بنفسك وصل على

وإدفعني ولا تتركني في تلك الليلة فريدا في قبري وبنت عند قبري ولقني التوحيد حين سؤال منكروني كبير فضمنت له ، فلما فعلت ما أمرني به وبنت عند قبره فكنت بين النوم واليقظة إذ سمعت مناديا ياسفيان لاحاجة له إلى حفظك وتلقينك فقلت بماذا ؟ قال بصيام رمضان وإتباعه ستامن شوال فاستيقظت فلم أر أحدا فتوضأت وصليت حتى نمت ثم رأيت ذلك ثلاث مرات فعرفت أنه من الرحمن لا من الشيطان الرجيم فانصرفت من عند قبره وأنا أقول اللهم وقني لصيام رمضان وإتباعه ستامن شوال فوقني الله الكبير للتعالي (بدر الدرر) (حق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أنه قال : الصائم بعد رمضان كالكار بعد القرار أي من قرغ من الصوم ثم رجع إليه يكون كمن هرب من القتال ثم عاد إليه ، والمراد أن يصوم ستامن شوال ولهذا كان الشعبي يقول صوم يوم بعد رمضان أحب إليه من صوم الدهر كله (مناوي) عن عبد الوهاب أنه قال السر في مشروعية الصوم في هذه الأيام أن النفس ربما أقبلت بهمتها على الشهوات في يوم العيد وحصل لها فيه شيء من الغفلة والحجاب فكانت هذه الستة كأنها جواب لما نقص من الأداء والخلل في صوم رمضات كالسنة التابعة للقراض أو السجود للسهو ، وكيفيتها أنها متوالية وقد قال بعض العلماء المحققين وزمرة الواصلين الأفضل أن يكون صيام الستة متواليا غير متفرق لأن المتوالي أقرب في جلاء الباطن من التفرق ولذا قال سيدي علي زاده ينبغي في صوم هذه الستة ما ينبغي في صوم رمضان بل هي أشد منه لأنها جوابر والكلام في أفضليته فإن فرقها أو أخرها عن أوائل الشهر حصلت له فضيلة الاتباع (سط) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال قال عليه الصلاة والسلام « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (كذا في الترغيب والترهيب) عن كعب الأجيبار أنه قال : مرضت فاطمة رضي الله تعالى عنها فجاء علي إلى منزلها ، فقال يا فاطمة ما يريد قلبك من حلوات الدنيا ؟ فقالت يا علي أشتي رمانا فتفكر ساعة لأنه ما كان معه شيء ثم قام وذهب إلى السوق واستقرض درهما واشترى به رمانة فرجع إليها فرأى شخصا مريضا مطروحا على قارعة الطريق فوقف على ؛ فقال له ما يريد قلبك يا شيخ : فقال يا علي لي خمسة أيام هنا وأنا مطروح ومر الناس على ولم يلتفت أحد إلى يريد قلبي رمانا فتفكر في نفسه ساعة ، فقال لنفسه اشترت رمانة واحدة لأجل فاطمة فان أعطيتها لهذا السائل بقيت فاطمة محرومة وإن لم أعطه خالفت قوله تعالى (وأما السائل فلا تنهر) والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لا تردوا السائل ولو كان على فرس » فكسر الرمانة فأطعم الشيخ فعوفي في ساعته وعوفيت فاطمة رضي الله تعالى عنها وجاء علي وهو مستحي فلما رأته فاطمة رضي الله تعالى عنها قامت إليه وضمته إلى صدرها

قالت أما إنك مغموم فوعزة الله تعالى وجلاله إنك لما أطعمت ذلك الشيخ الرمان زال
عن قلبي اشتهاؤه الرمان فقرح على بكلامها فأتى رجل فقرع الباب فقال على من أنت فقال أنا سلمان
الفارسي افتح الباب قمام على وفتح الباب ورأى سلمان الفارسي ويده طبق مغطى رأسه بمنديل
فوضعه بين يديه ، فقال على عن هذا يا سلمان ، فقال من الله إلى الرسول ومن الرسول إليك فكشف
النطاء فإذا فيه تسع رمانات ، فقال يا سلمان لو كان هذا إلى لكان عشراً لقوله تعالى (من جاء بالحسنة
فله عشر أمثالها) فضحك سلمان فأخرج رمانة من كمه فوضعها في الطبق فقال يا على والله كانت عشرة
ولكن أردت بذلك أن أجريك (روضة التقين) والحكمة في تضاعف حسنات هذه الأمة ثلاث أشياء :
أحدها أنه كان أعمار الأمم الماضية طويلة وطاعتهم كثيرة وأعمار هذه الأمة قصيرة فكانت
طاعتهم قليلة ففضل الله هذه الأمة على الأمم السالفة بتضعيف الأعمال وتفضيل الأوقات
ولية القدر لتكون طاعتهم أكثر من طاعات الأمم الماضية ، كما روى أن موسى عليه
السلام قال يارب إني وجدت في التوراة أمة تكتب حسناتهم عشرأً وسيئاتهم مثلاً فاجعلهم
أمتي قال الله تعالى يا موسى تلك أمة محمد نجي في آخر الزمان . والثاني درجات الجنة
تستحق بطاعة خالصة من غير تقصير وطاعة هذه الأمة مع التقصير فوضع الله تعالى
أضعافاً من فضله وكرمه ليكون تقصير طاعة هذه الأمة كاملاً بالأضعاف حتى يعلم
أنهم ينالون درجات الجنة بالأضعاف . والثالث وضع الأضعاف فإن الخصال يوم القيامة
يتعلقون بخصومهم فيذهبون بأعمالهم فيبقى لهم الأضعاف فيقول الخصم يارب أعطني من
أضعافه فيقول الله تعالى إنها ليست من فعله بل هي من رحمتي وأنا لا أقبض منه رحمتي بل
أعطيتك فعله (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (روضة العلماء) .

(حكاية) قال عبدالله بن المبارك : حججت سنة من السنين فكنت في حجر إسماعيل
ونمت فيه . فرأيت في المنام رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال إذا رجعت إلى بغداد فادخل في
محلة كذا واطلب بهرام المجوسى واقرا عليه مني السلام وقل له إن الله تعالى عنك راض
فانتبهت وقلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هذه رؤيا من الشيطان فتوضأت فطقت
بالسكبة ماشاء الله فلبى النوم فرأيت كذلك ثلاث مرات فلما تم الحج رجعت إلى بغداد
فدخلت تلك المحلة فطلبت دار بهرام المجوسى فوجدت شيخاً كبيراً قتل أنت بهرام المجوسى ؟
قال نعم أسلفت الناس سلفاً جديداً بين الناس وهذا عندي خير قتل هذا حرام عند
محمد عليه الصلاة والسلام ، قتل هل لك خير غير ذلك ؟ قال نعم كان لى أربع بنات
وأربعة بنين فزوجتهن من أبنائى قتل هذا أيضاً حرام ثم قلت هل عندك خير غير ذلك ؟
قال نعم جعلت وليمة للمجوس وقت تزويج البنات لأبنائى قتل هذا أيضاً حرام قتل

هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم كان عندي بنت من أجمل النساء ما وجدت لها كفواً فزوجتها من نفسي وجعلت وليمة تلك الليلة وكان في تلك الليلة من المجوس أكثر من ألف قتل هذا أيضاً حرام قتل هل عندك غير ذلك ؟ قال نعم ليلة من الليالي وطئت ابنتي على فراشي فجاءت امرأة مسلمة من أهل دينك تسرج من سراجي فأوقدت السراج فخرجت وأطفأت السراج ثم دخلت ثانياً وأوقدت السراج وخرجت ثم أطفأته قتل في نفسي لعل هذه جاسوسة اللصوص فخرجت خلفها فدخلت منزلها فرأيت لها أربع بنات فلما دخلت قلن لها يا أماه هل جئت لنا بشيء فإنه لم يسبق لنا طاقة وصبر على الجوع ، فدمعت عينها وقالت لهن استحييت من ربي أن أسأل شيئاً من أحد دونه وأطلب حاجة من عدو الله تعالى وهو مجوسى . قال بهرام فلما سمعت كلامها رجعت إلى دارى فأخذت طبقاً وجعلته ملائناً من كل شيء فذهبت به بنفسى إلى دارها وأعطيته إياها فخرجت . قال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه قلت هو هذا الخير ولك البشارة وبشرته بالرؤيا التى رأيتها وقصصت عليه الرؤيا . قال بهرام المجوسى : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . فخر من ساعته ومات فلم أبرح حتى غسلته وكفنته وصليت عليه . وكان عبد الله بن المبارك يقول يا عباد الله استعملوا السخاوة مع خاق الله تعالى فإنه ينقل الأعداء إلى درجة الأحياء وله الملك فى الأرض والسماء غفر الله لنا بحق أعظم الأسماء وبحرمة معاشر الأنبياء (زبدة) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بهشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلتقى الله عز وجل » .

المجلس الحادى والعشرون : فى فضيلة دعاء الجهر والخفية

سورة الأعراف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ادعوا ربكم تضرعاً وخفية) أى ذوى تضرع وخفية فإن الإخفاء دليل على الإخلاص (إنه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به فى الدعاء وغيره ، نبه به على أن الداعى ينبغي أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء ، وقيل هو الصباح فى الدعاء والإسهاب فيه . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « سيكون قوم يتحدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل . ثم قرأ — (إنه لا يحب المعتدين) » (قاضى يضاوى) .

عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسد : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستفتح أى يطلب الفتح والظفر على الكفار من الله تعالى « بصعاليك المهاجرين » أى بفقراءهم يعنى

ميركة دعائهم بأن يقول اللهم انصرنا على الأعداء بحرمة عبادك الفقراء المهاجرين ، وهذا يدل على تعظيم الفقراء والرغبة في دعائهم والتبرك بوجودهم (من حسان المصايح) وقع في ترغيبات الأبرار : « قوام الدنيا بأربعة أشياء : بعلم العلماء وبعذل الأمراء وبسخاوة الأغنياء وبدعاء الفقراء ، ولولا العلماء لهلك الجهلاء ولولا عدل الأمراء لأكل الناس بعضهم بعضاً كما يأكل الثوب النعم ، ولولا سخاوة الأغنياء لهلك الفقراء ، ولولا دعاء الفقراء لحربت السماوات والأرض » (موعظة) وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث دعوات مستجابة لا شك فيهن : دعوة الوالد لولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم » حتى روى عن النبي عليه الصلاة والسلام : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » يعنى لأضيق حقتك ولاأرد دعائك ولو مضى زمان طويل لأنى حلیم لأعجل بعقوبة العباد فلعلهم يرجعون عن الظلم والذنوب إلى إرضاء الخصوم والتوبة (مجالس) قيل في فضيلة الدعاء إن منصور بن عمار كان يحظ الناس بقيام سائل فطلب أربعة دراهم ، فقال منصور من يعطيه ما سأله حتى أدعوه له أربع دعوات فكان مملوك أسود في طرف المسجد وكان سيده يهوديا وكان معه أربعة دراهم جمعها قيام وقال : أيها الشيخ أنا أعطيه أربعة دراهم على شرط أن تدعوا لى أربع دعوات كما أقول وأريد ، فقال نعم فأعطاه وقال يا شيخ أنا مملوك فادع لى بالعتق ومولاى يهودى فادع له بالاسلام وأنا أقصير فادع لى بالنفى حتى يغنىنى الله من فضله عن خلقه وادع الله لى أن يغفر ذنوبى ، فدعا له فلما رجع رأى مولاة فأخبره بالقصة فاستطاب اليهودى ذلك وقال قد أعتقتك من مالى وإلى الآن كنت مولاك فأنت اليوم مولاى فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قد شاركتك فى جميع مالى . وأما الحاجة الرابعة أعنى الفقران فهو ليس فى يدي وإلا كنت أغفر الجميع فسمع هاتفا يقول من السماء من زاوية البيت قد أعتقتكما من النار وغفرت لكما ولمنصور معكاً (رونق المجالس) قيل الدعاء من أقوى الأسباب فى رفع المكروه وحصول المرام ولكن قد لا يتحقق أثره إما لضعفه لنفسه بأن يكون دعاء لا يجيبه الله تعالى لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله تعالى وجمعيته عليه وقت الدعاء ، وإما لحصول اللانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم ودين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو والهوى كما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « . . . واعلموا أن الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب غافل » (من المواهب) قيل أربعة أشياء تزيد فى العمر : الأول تزوج الأبيكار ، والثانى النوم على الشمال ، والثالث الاغتسال بالماء الجارى ، والرابع أكل التفاح بالأسحار . (وحكى) أنه كان رجل من

الصالحين قد ضاق حاله من القوت والنفقة وكانت له امرأة فقالت لزوجها ادع الله يوسع علينا الدنيا فدعا الرجل فدخلت المرأة الدار فرأت في الزاوية لبنة من ذهب فأخذتها ، فقال الرجل أنفق كيف شئت فرأى الرجل في النوم أنه دخل الجنة فرأى قصرأ قد تقص بمقدار لبنة قال لمن هذا ؟ فقيل لك فقال أين هذه اللبنة ؟ قيل بعثناها إليك ، فانتبه الرجل فقال للمرأة هات اللبنة فأخذها ووضعها عند رأسه ودعا فقال إلهي قد رددتها إليك فردها الله تعالى إلى موضعها ، وكذا قال عليه الصلاة والسلام « ماأخذ أحد لقمة من الدنيا إلا وقد تقص الله تعالى حصته من الآخرة » كما قال الله تعالى (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤثمه منها وماله في الآخرة من نصيب) قال عمر رضى الله عنه : « رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فإذا هو مضطجع على حصير وقد أثر الحصير في جنبه قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع الدنيا عليك فان ملوك فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله ، فقال قد ادخر هذا لنا يا ابن الخطاب وهؤلاء قوم عجلت لهم طياتهم في الدنيا » وفي رواية : « أما ترى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » وعن عمرو بن شعيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « خصلتان من كاتتا فيه كتبه الله تعالى شاكراً صابراً : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاتقدي به ومن نظر في دنياء إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على ما تفضل به عليه كما قال الله تعالى (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلاوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) . وعن شقيق الزاهد رحمة الله عليه أنه قال : اختار القراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء : اختار القراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (كذا في زينة الواعظين) .

المجلس الثاني والعشرون : في بيان الإيمان

سورة الأنفال — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنما المؤمنون) أى السكاملون في الإيمان (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله ، وقيل هو الرجل يهيم بمعية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفاً من عقابه ، وقرئ وجلت بالفتح وهو لغة أى فزعت وخافت (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الدلائل أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا) لأنهم حققوا إيمانهم

بأن ضموا إليهم مكارم أعمال القلوب من الحشية والإخلاص والنوكل ومحاسن أفعال الجوارح التي هي للعباد عليها كالصلاة والصدقة ، وحقا صفة مصدر محذوف أي إيماناً حقاً أو مصدر بمؤكد كقوله هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً (لهم درجات عند ربهم) كرامات وعلو منزلة . وقيل درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي أبداً . (قاضى يضاوى) .

عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمى في ذلك الكتاب » (مشاء شريف) عن الحسن البصري أنه قال : رأيت أبا عصمة في المنام قلت ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي ، قلت بم ؟ قال ما ذكرت حديثاً إلا صليت على النبي عليه الصلاة والسلام (زبدة) قوله (إنما) تفيد الحصر . والمعنى ليس المؤمنون الذين يخافون الله ورسوله إنما المؤمنون الصادقون في إيمانهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (تفسير الخازن) قوله (وجلت قلوبهم) أي خافت . قال أهل الحق : الخوف على قسمين : خوف العقاب وخوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لأنهم يعلمون عظمتة تعالى فيخافون أشد الخوف ، أما العصاة فيخافون عقابه فالمؤمن إذا ذكر الله وجل قلبه على قدر رتبته في ذكر الله تعالى (تفسير الخازن) قوله (زادهم إيماناً) المعنى أنه كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فيزدادون بذلك إيماناً وتصديقاً لأن زيادة الإيمان بزيادته وذلك على وجهين : الأول هو الذي عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى أنه قال كلما كانت الدلائل أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله أقوى فيزداد إيمانه . والثاني أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكليف متوالية في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزدادون بذلك الإقرار بتصديقاً وإيماناً (تفسير الخازن) قوله (أولئك هم المؤمنون حقاً) فيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحد نفسه بكونه مؤمناً حقاً لأن الله تعالى إنما وصف بذلك أقواماً مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل واحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهذا يتعلق بمسألة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلفوا في أنه هل يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقاً أو أنا مؤمن إن شاء الله أولاً ؟ فقال أصحابنا الحنفية الأولى أن يقول أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله ، واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين : الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله تعالى وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يقول المؤمن أنا مؤمن حقاً ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله . والثاني أن الله تعالى قال

(أولئك هم المؤمنون حقا) قد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله شك فيما قطع الله به وذلك لا يجوز (تفسير الخازن) قوله (وما رزقناهم ينفقون) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلايا أهونها البرص » قوله (لهم درجات) يعني مراتب بعضها أعلى من بعض لأن المؤمنين تتفاوت أحوالهم في الأخذ بتلك الأوصاف المذكورة فهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لأن درجات الجنة على قدر الأعمال . وقال (عبط) : درجات الجنة يرزقون فيها بأعمالهم (ت) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام » ، وعن سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعهم » (خازن) عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إتيانك الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم وتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال هو ذكر الله تعالى » (مصابيح) قيل وإنما كان ذكر الله تعالى أرفع من سائر العبادات كلها لأن سائر العبادات وسيلة إلى ذكر الله فكان ذكر الله هو المطلب الأعلى والمقصود الأقصى إلا أنه ينقسم إلى قسمين : أحدهما ذكر باللسان والآخر ذكر بالجان فهو غير مفلوظ باللسان ولا مسموع بالأذان بل هو فكري وملاحظة قلب وهو أعلى مراتب الذكر لما جاء في الخبر « تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة » وهو لا يحصل إلا بمداومة الذكر باللسان مع حضور القلب حتى يتمكن الذكر في قلبه ويحصل الصرف عن غيره (مجالس رومی) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لو وزن إيمان أبي بكر مع إيمان أمي لرجح إيمان أبي بكر » ، وكذلك روى عن أبي هريرة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري قالوا عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » وهذا يدل على أن الإيمان يزيد وينقص وحجتنا أن الإيمان عبارة عن التصديق لما ذكرنا من الدلائل وهو لا يقبل الزيادة والنقصان . وأما قوله تعالى في سورة الفتح « ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم » قلنا ذلك في حق الصحابة لأن القرآن كان ينزل في كل وقت فيؤمنون فيكون تصديقهم قلبا زيادة على الأول أما في حقنا فلا لأنه انقطع الوحي ، وأما قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قلنا ذلك صفة المؤمنين والمؤمنون في الطاعات متناوتون أما في الإيمان فلا ، وأما قوله تعالى (زادتهم إيمانا) فالمراد منه اليقين لا نفس الإيمان ، وأما حديث أبي بكر قلنا كان ترجحا في الثواب لأنه سابق في الإيمان وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الدال على الخير كفاعله » وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يخرج

من النار من كان في قلبه شعرة من الإيمان « قلنا روى في بعض الروايات « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » فيجب حمله على هذا بما ذكرنا من الدلائل . (كذا في بحر الكلام) وعن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت ؟ قال الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله (إنما المؤمنون) الآية فوالله لا أدري أنا منهم أم لا . وعن الثوري من زعم بأنه مؤمن بالله حقاً لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وبهذا تعلق من يستثنى في الإيمان ، وكان أبو حنيفة ممن لا يستثنى فيه . وحكى عنه أنه قال لتعاذلم تستثنى في إيمانك ؟ قال أتباعاً لإبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله (والذي أطمع أن يغفر لي) فقال له هلا اقتديت به في قوله : « أولم تؤمن قال بلى ؟ » (كشف) وأعلم أنهم اختلفوا في جواز الاستثناء في الإيمان فذهب الشافعي وأصحابه إلى الجواز بأن يقول أنا مؤمن إن شاء الله كما مر هذا الاختلاف فيما سبق وتعلقوا بقول الثوري فانه إذا لم يجز القطع بالإيمان جاز أن يقوله وهذا إنما يتم لو كان المراد بالإيمان في الآية مجرد الإيمان وليس كذلك بل المراد الإيمان الكامل لأن قوله (إنما المؤمنون الذين) يفيد الحصر وكذا قوله (أولئك هم المؤمنون حقاً) كما سبق تفصيلها فلو كان المراد مجرد الإيمان يلزم من انتفاء إحدى الصفات انتفاء الإيمان وليس مراد الحسن من الإيمانين إلا مجرد الإيمان الكامل فقد ظهر أن لا تعلق لمسألة الاستثناء بالآية أصلاً ولم يجوز أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه الاستثناء لأنه يوجب الشك فينا في الإيمان الذي هو اليقين وقد حمل على التبرك كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) والله تعالى منزّه عن الشك ، أو الإيمان في الحال عند الموت . وحاصل هذا النزاع أن الإيمان لو أريد به التصديق والعمل جاز الاستثناء لجواز الشك في الايمان بالعمل الصالح والشك في الجزء مستلزم للشك في الكل ، وإن أريد به مجرد التصديق فإن كان المراد بالاستثناء الشك لم يجز وإن كان المراد غيره جاز فاذن النزاع لفظي ، وقوله أتباعاً لإبراهيم يعني أن إبراهيم رجا للغفرة ولم يجزم بها ، وهو مشعر بجواز الاستثناء وفيه منع لأن عدم القطع بالمغفرة لا يوجب عدم القطع بالإيمان كما مر في كلام الثوري . وأما قوله (بلى) فهو جزم بالإيمان ، كذا في حاشية الكشف عليك بغطالها ليس في قولنا انحراف . عن شقيق البلخي أنه قال : كان إبراهيم بن آدم رحمة الله تعالى يمشي في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا له يا أبا إسحاق قال الله تعالى في كتابه (ادعوني أستجب لكم) ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجاب لنا . قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء كيف يستجاب دعاؤكم : الأول عرقم الله تعالى ولم تؤتوه حقه

والثاني قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه وواقتموه . والرابع تقولون إنكم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تعملوا بسنته . والخامس ادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم . والسابع قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلتم بعبود إخوانكم ولم تنظروا لعبود أنفسكم . والتاسع أكلمتم نعمة ربكم فلم تشكروا له . والعاشر دفنتم أمواتكم ولم تعتبروا بهم (حياة القلوب) .

المجلس الثالث والعشرون : في بيان ترك أوامر الله تعالى

سورة الأنفال — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضرعوا خلاف ما تظهرون أو بالغلول في الغنائم (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم ، وهو مجزوم بالعطف على الأول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لأنهم سبب الوقوع في الإثم أو في العقاب أو في عنة من الله ليلوكم فيها فلا يجعلكم جهم على الحيانة كآبي لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فأنيطوا همكم بما يؤديكم إليه . (قاضى يضاوى) .

روى في سبب نزول هذه الآية « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صلح إخوانهم بنى النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له ما ترى هل تنزل على حكم سعد ؟ فأشار إلى حلقه أنه الذبح ، قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علت أتي خذت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شرباً حتى أموت أو يتوب الله علي ؟ ثمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فخل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله هو الذى يحلنى فجاء عليه الصلاة والسلام فخله بيده فقال إن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أتخلع من مالى فقال عليه الصلاة والسلام « يجزئك الثلث » أى بأن تصدق به . اعلم أن تعطيل السنة الترك لها ، قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لياتى على الناس زمان تخلق سنتى فيه كما يخلق الثوب على الأبدان وتحدث البدعة فمن اتبع سنتى

يومئذ صار غريباً وبقي وحيداً ومن اتبع بدعة الناس وجد خمسين صاحباً أو أكثر فقالوا يا رسول الله هل بعدنا أحد أفضل منا ؟ قال بلى ؛ قالوا فبرونك يا رسول الله ؟ قال لا قالوا هل ينزل عليهم الوحي ؟ قال لا قالوا فكيف يكونون فيه ؟ قال كالملح في الماء تذوب قلوبهم كما يذوب الملح في الماء قالوا كيف يعيشون في ذلك الزمان ؟ قال كالود في الخل قالوا كيف يحفظون دينهم ؟ قال كالجر في اليد إن وضعه طيء وإن أمسكه وعصره أحرق اليد . فاعتبروا يا أولى الأبصار بقول رسول الله الملك الغفار ، قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من تمسك بسنني عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عشرة مما علمن وعمل بهن أبوكم إبراهيم : خمس في الرأس وخمس في الجسد . أما التي في الرأس فالسواك والمضمضة والاستنشاق وقص الشارب وإعفاء اللحية ، وأما التي في الجسد فالختان والاستحداد وتنف الابطوقص الأظفار (٧) ولكل عضو عبادة حتى الختان للذكر قال الله تعالى لآدم عليه الصلاة والسلام : إني عرضت الأمانة عليهن فلم يطقنها فهل أنت آخذها بما فيها ؟ قال يارب وما فيها ؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فحملها آدم عليه الصلاة والسلام فقال الله تعالى إن حملت فأعينك أجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى مالا يحل لك فأغمض حجاب عينيك خوفاً من عقابي وأجعل لسانك باباً بمصرعين فإذا خشيت أن تتكلم الفحش فأغلق باب لسانك خوفاً من عقابي وأجعل لك أذنين فإذا خشيت أن تسمع الكلام الذي لا يحل لك استمعه فاحفظ أذنيك من الاستماع وأجعل لفرجك لباساً فإذا خشيت أن تكشفه فاستتر به خوفاً من عقابي وكف يديك عن الحرام ورجليك عن الشئ إلى مالا يحل لك فاذا ذكر عقابي وهذه الذكورات كلها أمانة الله تعالى (موعظة) قال وهب بن منبه : لما ضرب الدرهم والدينار حملهما إبليس عليه اللعنة وقبلهما ووضعهما على عينيه وقال الويل لمن أحبكما من حلال والويل ثم الويل لمن أحبكما من حرام . قيل « إن رجلاً جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أرض فسأله عن أرضه فأخبره بسعة أرضه وكثرة النعم فيها فقال عليه الصلاة والسلام له : كيف تفعلون ؟ قال إنا نتخذ ألواناً من الطعام ونأكلها ثم قال تصير إلى ماذا ؟ قال إلى ما تعلم يا رسول الله يعني تصير بولا وغائطاً ، فقال عليه الصلاة والسلام كذلك مثل الدنيا » صدق من روى ونطق . وقال الله تعالى في أسرار الوحي : يا أحمد لو صلى العبد صلاة أهل السموات والأرض وصام صيام أهل السموات والأرض ثم أرى في قلبه مقدار ذرة من حب الدنيا من رياستها وزيتها لا يجاورني في داري (موعظة) قال عبد الله بن عمرو بن العاص : أول ما خلق الله تعالى من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعتكها فالفرج أمانة والرجل أمانة واليد أمانة واللسان أمانة والعين أمانة والأذن أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له فعرض الله

هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال لقوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) قال لمن آتعملن هذه بما فيها ؟ قلن وما فيها ؟ قال إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً قلنا ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يضمنه لا مخالفة لأمره (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أحب دنياه أضرب آخرته ومن أحب آخرته أضرب دنياه فأثروا ما يبق على ما بقى » وروى أنه عليه الصلاة والسلام جلس يوماً يحدث أصحابه فبكوا غير أسامة بن زيد فقال أشكو إليك يا رسول الله قسوة قلبي فوضع عليه الصلاة والسلام يده على صدره ثم قال اخرج يا عدو الله ، فبكى ثم قال عليه الصلاة والسلام : « جمود العين من قسوة القلب وقسوة القلب من كثرة الذنوب وكثرة الذنوب من نسيان الموت ونسيان الموت من طول الأمل وطول الأمل من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة » روى عن فضيل بن عياض قال : جعل الشركلة في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد ، عليك بتركها تتل الدرجات العليا .

المجلس الرابع والعشرون

في قوله تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة الآية

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يجوز أن يراد به الكثير من الأتجار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضم إليه ، وأن يراد به المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ (فبشرهم بعذاب أليم) هو الكى بهما (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها (تسكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لأن جمعهم وإمسأهم كان لطلب الوجهة بالنعى والتنعيم بالمطاعم الشهية والملابس البهية (هذا ما كنزتم) على إرادة القول (لأنفسكم) لمنفعتهم وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فتذوقوا ما كنتم تكنزون) أى وبال كنزكم أو ما كنزونه . (قاضى يضاوى) .

عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج من عندى جبرائيل آتياً فأخبرنى عن ربه عز وجل أنه قال : أى مسلم صلى عليك مرة واحدة إلا صليت أنا وملائكتى عليه عشرآ فأكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإننا صليتم فصلوا على تعظيماً » الحديث ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل ماله

يوم القيامة شجاعاً أقرع « وهى الحية التى لاشعر برأسها أى قشر جلد رأسها من كثرة سمها ولها تقطنان سوداوان فوق عينيها » يطوق ذلك الشجاع طوقاً فى عنقه فيعذبه عذاباً شديداً ويقول أنا مالك الذى كنته فى الدنيا ولم تؤد زكاته كما قال الله تعالى (ولا يحسن الدين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما جملوا به يوم القيامة) « (مشكاة) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من آتاه الله مالا ولم يؤد زكاته إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من النار فأحى عليها فى نار جهنم فتحرق بها أى بتلك الأموال وجهته وجنباه وظهره وكلمات بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره ألف سنة كما قال الله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » (زبدة الواعظين) يقال إن الله قرن الصلاة بالزكاة فى كتابه فقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وجه النظم بينهما أن الصلاة حق الله تعالى والزكاة حق العباد ، فالواجب مراعاتهما بأمر الله تعالى ومرجع جميع العبادات إلى هذين فالصلاة عبادة بدنية والزكاة عبادة مالية وجميع العبادات ينقسم إليهما ، ولذا قيل ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لا يقبل واحدة منها بغير الأخرى : أولها قوله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى الصلاة ولم يؤد الزكاة لا يقبل منه الصلاة . والثانية قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لا يقبل منه إطاعة الله تعالى . والثالثة قوله تعالى (أن اشكرلى ولوالديك) فمن شكر الله تعالى ولم يشكر لوالديه لا يقبل منه شكره لله تعالى (تنبيه الغافلين) عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من منع نفسه عن خمس منع الله عنه خمسا : الأول من منع الزكاة من ماله منع الله حفظ ماله من الآفات . والثانى من منع العشر مما يخرج من الأرض منع الله تعالى البركة من كل كسبه . والثالث من منع الصدقة منع الله تعالى عنه العاقبة . والرابع من منع الدعاء لنفسه منع الله تعالى عنه الإجابة . والخامس من منع الحضور مع الجماعة منع الله عنه كمال الإيمان فلا يكون إيمانه كاملاً » (زبدة الواعظين) روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا أمراضكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء والتضرع » صدق رسول الله فيما قال . وروى الحسن عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه كان يحدث هذا الحديث لأصحابه فر عليه نصرانى فسمع هذا الحديث فذهب وأدى زكاته وكان له شريك خرج للتجارة إلى مصر فقال إن كان محمد صادقاً فى قوله يظهر صدقه ويصير مالى مع شريكى محصناً وأسلم وأؤمن به ، وإن ظهر كذبه فأخرج عليه بالسيف فأقتله فاذ قد ورد من القافلة مكتوب أن اللصوص قد قطعوا علينا الطريق وسلبوا أموالنا ولباسنا وكل شئ معنا فسمع النصرانى بذلك فاضطرب حاله وقال فيه ما قال فخرج عليه بالسيف بنية القتل فبعد ذلك ورد مكتوب آخر من شريكه أن لا نحزن ولا تهتم أنا كنت فى خلف القافلة فوقع عليهم اللصوص

وأنا في السلامة ومعى جميع ما لنا فلما قرأ النصراني مكتوبه قال إنه صادق ونبي حق فجاؤا إليه فقال يارسول الله اعرض على الإسلام فأمن وتشرف بشرف الإسلام (روضة العلماء) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان يوم القيامة خرج شيء من جهنم اسمه حريش من ولد القرب طوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المغرب إلى المشرق ، فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام إلى أين تذهب يا حريش ؟ فيقول إلى العرصات فيقول : لمن تطلب ؟ فيقول أطلب خمسة نفر الأول تارك الصلاة والثاني مانع الزكاة والثالث عاق الوالدين والرابع شارب الخمر والخامس التكلم في المسجد كما قال الله تعالى (وأن للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) » (زبدة الواعظين) وعن أبي النرداء رضى الله تعالى عنه أنه قال لأن أدفع من فوق قصر فأنكسر أحب إلى من مجالسة النقي لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى ؟ قال الأغنياء » وكذا قال عليه الصلاة والسلام « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني رأيت الجنة فرأيت الفقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون الجنة سعيًا ولم أر من الأغنياء من يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المبشرة بالجنة » والعشرة المبشرة بالجنة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت عليهم يقول الله تعالى وعزنى وجلالى لأبعدنهم ولأقربنكم وتلا رسول الله (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) » (وحكى) أنه قيل لبعض أهل المعرفة كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم قال أما على العوام فأمر الشرع على كل مائتين خمسة وأما نحن فيجب علينا بذل جميع المال لقوله تعالى (وأنفقوا مما رزقناكم) وسئل الشبلى رحمه الله تعالى قهيل ما القرائض ؟ قال محبة الله تعالى ، قيل وما السنن ؟ قال ترك الدنيا ، قيل وما مقدار الزكاة ؟ قال بذل الجميع قهيل أليس خمسة دراهم من مائتى درهم ؟ قال ذلك على البخلاء قال له السائل من إمامك فى هذا المذهب قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بجميع ماله فجلس فى كساء حتى جاء جبرائيل بكساء مثله فقال له السائل هل لك حجة فى القرآن ؟ قال نعم هى قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية ومن باع ماله فعليه تسليمه والأموال اسم عام . حكى أن قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب

ابن إسحق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان ابن عم موسى وكان يقرأ التوراة عن قلبه ولكن ينافق لموسى عليه السلام كما نافق السامري له وكان عاملاً لفرعون ويؤذى موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداريه لقربته فلما نزلت آية الزكاة صالحه من كل ألف دينار على دينار ومن كل ألف درهم على درهم والحال أن الزكاة عليهم كانت إخراج ربع المال فجمعها فصارت كالتل فرآها كثيرة فتمنعا من البخل ، ولذا قيل كان يعمل مفاتيح خزائنه ستون بخلا لكل خزانة مفتاح لا يزيد المفتاح على أصبع فقال لبني إسرائيل إن موسى يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فأمر بما شئت فقال اتنوني بفلانة الزانية حتى ترميه بنفسها فجاءوا بها فجعل قارون لها ألف دينار وقال لها قولي إن موسى وطئني وأنا حامل منه فجمع قارون الناس وكان اليوم يوم عيد لهم فقال قارون لموسى عليه الصلاة والسلام عظنا وأوجز فوعظ موسى عليه الصلاة والسلام فقال في أثناء كلامه : من سرق قطعنا يده ومن قذف جلدناه ومن زنا وهو محصن رجناه ، فقال قارون وإن كنت أنت ؟ فقال وإن كنت أنا ، ققام وقال إن بني إسرائيل يزعمون أنك زنت بفلانة فقال ادعها فأحضرت وحلفها موسى عليه الصلاة والسلام فقال بالذي خلقتك وخلق البحر وأزل التوراة أن تصدق فتداركها الله تعالى ووقعها فقالت يا موسى أنت برىء مما يقول ، إن قارون جعل لي ألف دينار على أن أقذفك بنفسى وأخاف من الله تعالى أن أقذف رسوله فخر موسى ساجداً يبيكى فقال يارب إن كنت نيك حقاً فأغنى فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني جعلت الأرض مسخرة في أمرك فمرها ماشئت ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام من كان مع قارون فليثبت معه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزل الناس كلهم إلا رجلين فقال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال ثانياً خذهم فأخذتهم إلى أواسطهم وهم يتضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال ثالثاً خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم وهم يتضرعون إليه وموسى عليه السلام لا يلتفت إليهم لشدة غضبه فقال رابعاً خذهم فانطبقت الأرض عليهم ، فأصبح بنو إسرائيل يتناجوت بينهم فقالوا إنما دعا موسى على قارون ليرث داره وكنوزه ، فسمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله كما قال الله تعالى (فخسفنا به وبداره الأرض) فهو يتحرك وينهب كل يوم مقدار قامة رجل حتى إذا بلغ قعر الأرض الأسفل بقى إلى يوم ينفتح في الصور (مشكاة) قيل كان قارون يخرج في زينتته على بغلة يضاء عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية يبض عليهم الحلى والديباج فتكبر على موسى عليه الصلاة والسلام بتكذبه ومخالفة أمره فخسف الله به وبداره الأرض (موعظة) قال عليه الصلاة والسلام : رأيت ليلة المعراج وراء جبل قاف مدينة مملوءة من

بنى آدم فلما رأوني قالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك يا محمد فأمنوا بى وعلمتهم أحكام الشريعة وبعد ذلك سألت منهم من أتم ؟ قالوا يا محمد نحن قوم من بنى إسرائيل فلما مات موسى عليه الصلاة والسلام وقع الاختلاف بين بنى إسرائيل وظهر الفساد قتلوا فى ساعة واحدة ثلاثة وأربعين نبيا وبعد قتل الأنبياء ظهر مائتا رجل عابد زاهد وأمروا الناس بالمعروف ونهوا عن المنكر وفى ذلك اليوم قتلهم بنو إسرائيل كلهم فظهر بينهم فساد قوى ونحن خرجنا من بينهم وجئنا إلى ساحل البحر ودعونا الله أن يخلصنا من فسادهم فبينما نحن ندعوا وتضرع إذ تقبعت الأرض ووقتنا وكنا تحت الأرض ثمانية عشر شهراً وبعد ذلك خرجنا إلى ذلك المكان وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد وصانا إذا رأى أحدكم وجه محمد عليه الصلاة والسلام نبى آخر الزمان فسلموا عليه منى ، فقالوا الحمد لله الذى أرانا وجهك فعلمنا فعلهم النبي عليه الصلاة والسلام القرآن والصلاة والصوم وأداء صلاة الجمعة وسائر الأحكام (حمية من يس شريف) .

المجلس الخامس والعشرون : فى فضيلة رجب

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن عدة الشهور) أى مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لأنها مصدر (اثنا عشر شهراً فى كتاب الله) فى اللوح المحفوظ أو فى حكمه وهو صفة لاثنا عشر ، وقوله (يوم خلق السموات والأرض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدراً . والمعنى إن هذا أمر ثابت فى نفس الأمر منذ خلق الله الأجرام والأزمنة (منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) أى تحريم الأشهر الأربعة . هو الدين القيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثته منهما فكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه وأخيه لم يهجه (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (أنفسكم) أى بهتك حرمتها وارتكاب حرامها ؛ والجمهور على أن حرمة القتالة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه أعظم وزراً كارتكابها فى الحرم وحال الإحرام . وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا فى الحرم والأشهر الحرم الآن يقاتلوا ، ويؤيد الأول ما روى أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزاها وازن بخين فى شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعاً ، وهى مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) شهادة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأيت ليلة العراج نهراً ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك قلت لجبرائيل يا جبرائيل لمن هذا ؟ قال لمن صلى عليك

في رجب. قال عليه الصلاة والسلام أنيوا إلى ربكم واستغفروا من ذنوبكم واجتنبوا المعاصي في الشهر الحرام وهو رجب كما قال الله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير) الآية ، فيه تقديم وتأخير . يعني يسألونك يا محمد عن القتال في الشهر الحرام هل يجوز أو لا . (قل قتال فيه كبير) والغدر فيه أقبح لحرمته عند الله ، كما أن الطاعة مضاعفة فيه ومباها حراماً لتجريم القتال ثم نسخ تحريم القتال فيهن بقول الله تعالى (واقتلوهم حيث تفتقموهم) والحرمة باقية والذنوب مغفورة والطاعة مقبولة وثوابها مضاعف في الشهر الحرام لأن الحسنة الواحدة في سائر الشهور بعشرة أمثالها كما قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) الآية ، وفي رجب بسبعين وفي شعبان بسبعائة وفي رمضان بألف وليس بإضعاف الحسنة إلا لهذه الأمة خاصة (خزينه العلماء) قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن أردتم الراحة وقت ثلوث من العطش والخروج مع الإيعان والتجاة من الشيطان فاحترموا هذه الشهور كلها بكثرة الصيام والندم على ماسلف من الآثام واذكروا خالق الأنام تدخلوا جنة ربكم بسلام » (زهرة الرياض) عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : لقيت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه فقلت له من أين جئت يا معاذ ؟ قال جئت من عند النبي عليه الصلاة والسلام ، فقلت ما سمعت منه ؟ قال سمعت من قال لا إله إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة ، ومن صام يوماً من رجب بيتقى به وجه الله دخل الجنة ثم دخلت على رسول الله فقلت يا رسول الله إن معاذاً أخبرني بكذا وكذا فقال عليه الصلاة والسلام « صدق معاذ » (زهرة الرياض) واعلم أن ما سيتلى من القصص اللطيفة والكلام الشريف عن خاتم النبوة . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبة يوم النحر في حجة الوداع « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة . يعني أن الزمان الذي انقسم إلى الشهور والأعوام عاد إلى ما كان عليه ورجعت السنة إلى أصل الحساب الذي اختاره الله تعالى يوم خلق السموات والأرض وعاد الحج إلى ذي الحجة بعد ما كان أهل الجاهلية أزالوه من محله بالنسبة الذي أحدثوه وهو النسبة الذي ذكره الله تعالى في كتابه وقال (إنما النسبة زيادة في الكفر) ومعناه تأخير تحريم شهر إلى شهر آخر فأنهم في الجاهلية كانوا يعظمون الأشهر الحرم وراثه من إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام فكانوا يحرمون فيها القتال حتى أحدثوا النسبة فغيروا التحريم لأنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيخلونه ويخزيمون مكانه شهراً آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم ، فكانوا يحرمون من شهور

العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أى ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها ، وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين ، ووربما زادوا فى عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر وأربعة عشر شهراً . وروى أنه أحدث ذلك فى كنانة لأنهم كانوا أقراء محاييم إلى الغارات . وكان بجنادة بن عوف الكنانى بطاعى الجاهلية فكان يقوم على جبل فى الموسم فيقول بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم فى القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحلل فحرموه ، جعل النسب زيادة فى الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفرأ (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) كما أن المؤمن إذا أحدث طاعة ازداد إيماناً (فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) (كشف) ليتسع لهم الوقت ولذلك ورد التخصيص على العدد فى القرآن والحديث . أما القرآن لما سبق آتفاؤه وقوله تعالى (إن عدة الشهور) الآية . وأما الحديث فانه عليه الصلاة والسلام بين فيه أن السنة اثنا عشر شهراً وإنما هى أشهر مقدرة بسير الشمس كما يفعل أهل الكتاب ، ومن هذه الأشهر القمرية أربعة حرم ثلاثة منها متواليات وهى : ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو شهر رجب ، وإنما أضيف إلى مضر فيما سبق فى الحديث لأن قبيلته كانت تزيد فى تعظيمه واحترامه ولذلك نسب إليهم . وقد كان فيه لأهل الجاهلية أحكام : منها أنهم كانوا يحرمون فيه القتال على ما سبق فكانت تحريمه جارياً فى ابتداء الاسلام . واختلف العلماء فى بقاءه ، وذهب الجمهور إلى النسخ ، واستدلوا عليه بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي عليه الصلاة والسلام بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد فلم ينقل عن واحد منهم أنه توقف عن القتال فى شئ من الأشهر الحرم وهذا يدل على إجماعهم على نسخه ، ومنها أنهم كانوا فى الجاهلية يذبحون فيه ذبيحة يسمونها عتيرة . واختلف العلماء فى حكمهما بعد الاسلام فالأكثر أنهما على أن الاسلام أبطلهما لما ثبت فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه : « لا فرع ولا عتيرة » والفرع بفتحيتين أول ولد تله الناقة فكان أهل الجاهلية يذبحونه لألهتهم فى الجاهلية ويتبركون به . والعتيرة ذبيحة كانت تذبح فى العشر الأول من رجب وتسمى رجبية وكان يتقرب بها أهل الجاهلية فى الجاهلية وأهل الاسلام فى صدر الاسلام ثم نسخت بحديث « لا فرع ولا عتيرة » . وقد روى عن الحسن رضى الله تعالى عنه أنه قال : ليس فى الاسلام عتيرة وإنما كانت العتيرة فى الجاهلية كانت أحدهم يصوم رجياً ويعتري فيه ويشبه الذبح فيه باتخاذ موسم عيد . وروى عن طاوس رضى الله تعالى عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « لا تتخذوا شهراً عيداً ولا يوماً عيداً » وأصل هذا أن المسلمين لا يجوز لهم أن يتخذوا وقتاً من الأوقات عيداً إلا ما جاءت الشريعة باتخاذ عيداً . وهو فى الأسبوع يوم الجمعة وفى العام يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام

التشريق ، وأما ما عدا ذلك فاتخاذ عيدا وموسماً بدعة لا أصل له في الشريعة المحمدية بل هو من أعياد المشركين وقد كانت لهم أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الاسلام أبطلها الله تعالى وعوض من أعيادهم الزمانية عيد الفطر وعيد النحر وأيام التشريق ، وعن أعيادهم السكانية الكعبة وعرفات ومنى ومزدلفة يسرنا الله لزيارتها ، وليس من غير هذه المواسم موسم ولا من هذه الأماكن مكان إلا وفيه لله تعالى وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه ولطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء من عباده بفضل ورحمة ، فالسعيد من اغتم هذه المواسم والأماكن وتقرب فيها إلى مولاه بما شرع فيها من وظائف الطاعات حتى يصيبه نفحة من تلك النفحات ويأمن بها من عذاب النار وما فيها من الفحاحات . وأما الصوم فيه فقد ورد فيه أحاديث من جملتها ما رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « في الجنة نهر يقال له رجب أشد يابضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله تعالى من ذلك النهر » هذا في صيام بعضه . وأما صيام كله فلم يصح فيه بخصوصه شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه وإنما ورد في صيام الأشهر الحرم كلها ورجب أحدها فيلزم أن لا ينهى عن صومه . وقد روى عن أبي قلابة رضي الله تعالى عنه أنه قال : في الجنة قصر لصوام رجب . قال البيهقي إن أبا قلابة رضي الله تعالى عنه من كبار التابعين ولا يقول مثله إلا عن بلاغ عمن فوقه ممن يسمع عن النبي عليه الصلاة والسلام ، نعم قد روى عن ابن عباس أنه كره أن يصام رجب كله وكرهه الامام أحمد أيضاً وقال يخطر منه يوماً أو يومين وحكاه عن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم لكن تزول كراهة صومه بأن يصوم معه شهراً آخر ، وقد قال للاوردي في الاقتناع : يستحب صوم رجب وشعبان . وأما الصلاة فيه فلم يثبت فيها ما يختص به كما ذكرنا تفصيلها فيما سبق (من مجالس الروي) وقال ابن الهمام رحمة الله تعالى عليه : ما تردد من العبادات بين الواجب والبدعة يؤتى به احتياطاً وما تردد بين السنة والبدعة يترك لأن ترك البدعة لازم وأداء السنة غير لازم فتلك الصلاة مما تردد بين السنة والبدعة فتعين تركها ولا يحل لأحد فعلها لا منفرداً ولا جماعة لأن الجماعة فيها بدعة أيضاً (وهذا من مجالس الروي في موضع آخر) روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : إذا مضى ثلث الليل من رجب في أول جمعة لا يبقى ملائكة في السموات ولا في الأرض إلا ويجمعون في الكعبة فينظر الله تعالى إليهم ويقول يا ملائكتي اسألوا ما شئتم فيقولون ربنا حاجتنا أن تغفر لمن صام رجب فيقول الله تعالى قد غفرت لهم ، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت : قال النبي عليه الصلاة والسلام « كل الناس جياع يوم القيامة إلا الأنبياء وأهل بيته وصائم رجب وشعبان ورمضان فإنه يباع لا جوع لهم ولا عطش »

(زبدة الواعظين) حكى أن امرأة في بيت المقدس كانت عابدة فإذا جاء رجب تقرأ كل يوم (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة تعظيماً له وكانت تنزع اللباس الأطلس وتلبس الثياب البالية فمرضت في رجب وأوصت ابنها بأن يدفنها في ثياب بالية فكفنها بثياب مرتفعة رياء للناس فرآها في النوم فقالت يا بني لم تأخذ وصيتي وأنا عنك غير راضية فانتبه فزعاً ونبش قبرها فلم يجدها في قبرها وتحير وبكى بكاء شديداً فسمع نداء يقول أما علمت أن من عظم شهراً رجب لم يترك في القبر فريداً وحيداً (زبدة الواعظين) .

المجلس السادس والعشرون : في فضيلة السخاء

سورة التوبة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت في ثعلبة ابن حاطب أتى النبي عليه الصلاة والسلام وقال ادع الله لي أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام : يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال : والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فانخذ غنما فمتم كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فزل وأدبا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه النبي عليه الصلاة والسلام فقيل كثرماله حتى لا يسعه واد فقال : يا وبع ثعلبة ، قبضت عليه الصلاة والسلام مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بشعلة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية أو ما هذه إلا أخت الجزية فأرجعا حتى أرى رأيي فزلت . فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي عليه الصلاة والسلام إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد أمرتك فلم تطعني قبض رسول الله عليه الصلاة والسلام فجاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان (فلما آتاهم من فضله بغلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الإعراض عنها . (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة رضى الله عنها : « يا عائشة لا تنامى حتى تعملى أربعة أشياء حتى تحتفى القرآن وحتى تعملى الأنبياء لك شفعاء يوم القيامة وحتى تعملى المسلمين راضين عنك وحتى تعملى حجة وعمره ، فدخل عليه الصلاة والسلام في الصلاة فقبضت على فراشي حتى أتم الصلاة . فلما آتمها قالت يا رسول الله فذاك أبي وأمي أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إذا قرأت (قل هو الله أحد) ثلاثاً فكأنك ختمت القرآن ، وإذا صليت على وطى الأنبياء من قبلى فقد صرنا لك شفعاء يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكلمهم

يرضون عنك ، وإذا قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حجبت واعتمرت »
(تفسير حق) روى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن
حاطب الأنصاري كان ملازماً لمسجد رسول الله ليلاً ونهاراً ، وكانت جبهته كركبة البعير من كثرة
السجود على الأرض والحجارة فيوماً من الأيام خرج من المسجد من غير لبس واشتغال بالدعاء
والصلاة ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام مالك تعمل عمل الناققين بتعجيل الخروج ؟ فقال
يا رسول الله خرجت حيث لي ولا مرآتي ثوب واحد وهو الذي على فأنا أصلي فيه وهي عريانة في
البيت ثم أعود إليها فأزرعه وهي تلبسه فتصلي فيه فادع الله لي أن يرزقني مالا ، فقال عليه الصلاة
والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، ثم أتاه بعد ذلك ثانياً فقال يا رسول
الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟
والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال
يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق نبياً لئن رزقني الله تعالى مالا لأعطين
كل ذي حق حقه فدعا عليه الصلاة والسلام وقال اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنماً فممت
كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فتحنى عنها فزل واديا بمن أوديتها وهي تنمو كما
ينمو الدود وكان يصلي معه عليه الصلاة والسلام الظهر والعصر ويصلي سائر الصلوات
في غنمه ثم كثرت ونمت حتى تباعد بها عن المدينة فصار لا يشهد إلا الجمعة ، ثم
كثرت فتباعد أيضاً حتى كان لا يشهد الجمعة ولا جماعة وإذا كان يوم الجمعة خرج يتلقى
الناس ويسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : ما فعل
ثعلبة ؟ قالوا يا رسول الله اتخذ غنماً ما يسعها واد ، فقال ويح ثعلبة فأمر الله تعالى آية الصدقات
فبعث رسول الله رجلين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم حتى أتيا ثعلبة فطلبوا
منه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله الذي فيه القرائض فلم يعطها وقال ما هذه إلا جزية
أو أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي وأفكر تفكري ، فلما رجعا إلى النبي عليه
الصلاة والسلام قال لهما رسول الله قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين ثم أنزل الله تعالى هذه
الآية في سورة التوبة وعنده عليه الصلاة والسلام رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج
حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى أتى النبي عليه
الصلاة والسلام وجاءه بالصدقة فقال عليه الصلاة والسلام إن الله منعني أن أقبل منك
صدقتك فجعل يحشو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني قبض
رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال أقبل صدقتي
فأني أبو بكر رضي الله تعالى عنه وقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وأنا أقبلها فلم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عمر رضى الله تعالى عنه في خلافته فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها ، ثم جاء بها إلى عثمان رضى الله تعالى عنه فقال اقبل صدقتى فقال لم يقبلوها منك وأنا أقبلها ولم يقبلها وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكل هذه العقوبة من البخل وحب المال وترك الزكاة ومن أجل أن خلف الوعد سبب للنفاق جعل خلف الوعد ثلث النفاق وهذا إشارة إلى أن « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » (ابن كمال باشا وحياة القلوب) . روى « أنهم سألوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقالوا يا رسول الله إذا خرجت من الدنيا فظهر الأرض خير لنا أم بطن الأرض ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نساءكم فبطنها خير لكم من ظهرها » (موعظة) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « السخاء شجرة أصلها في الجنة وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدته إلى الجنة ، والبخل شجرة أصلها في النار وأغصانها متدليات في الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدته إلى النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « تصدقوا عن أنفسكم وعن موتاكم ولو بشرية ماء فإن لم تقدروا على ذلك فبأية من كتاب الله فإن لم تعلموا شيئا من كتاب الله فادعوا بالمغفرة والرحمة فقد وعدكم بالإجابة » (حياة القلوب) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يقبلها يمينه ، ثم يريها لصاحبها كما يري أحدكم فلهو حتى تكون مثل الجبل » والراد بذلك يعظم ذاتها ويبارك فيها ويزيدها من فضله حتى تثقل في الميزان . ومصدق هذا الحديث في سورة البقرة (يحق الله الربا) أى يذهب الله بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه الربا ولا يقبل منه فعل الخير (ويربى الصدقات) أى يزيدها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف الثواب في الآخرة . سؤال : لم جعل ثواب الصدقة أفضل من سائر الأعمال . جواب : لأن إعطاء المال أشد على النفس من سائر الأعمال وكل عمل محبته أكثر ثوابه أكثر لما روى عنه عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال أحمرها » كما قال الله تعالى في آل عمران (لن تنالوا البر) أى لن تبلغوا حقيقة البر (حتى تنفقوا مما تحبون) أى حتى تصدقوا من أموالكم التى تحبونها (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) أى الله تعالى يعلمه ويمجزي عليه . أخرج مع عن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وضلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة

ذكركم له تعالى ، وأكثروا الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » (خادى) .
 عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الصدقة تسبعين باباً من سوء » الصدقة على أربعة أوجه
 الواحدة بعشر والواحدة بسبعين والواحدة بسبعائة والواحدة بسبعة آلاف . أما الواحدة بعشر
 فهو أن يدفعها إلى الفقراء ، وأما الواحدة بسبعين فهو أن يدفعها إلى ذى الرحم ، والواحدة
 بسبعائة فهو أن يدفعها إلى الإخوان ، وأما الواحدة بسبعة آلاف فهو أن يدفعها إلى طالب العلم
 ويؤيد هذا قوله تعالى في سورة البقرة (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت
 سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وعن أنس رضى الله
 تعالى عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من كان له مال فليصدق بماله ومن كان له
 علم فليصدق بعلمه ومن كان له قوة فليصدق بقوته » (جامع الأزهاري) وعن أنس رضى الله
 تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لما خلق الله تعالى الأرض تحركت
 ومادت خلق الجبال فوضعها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يارب هل من
 خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟
 قال نعم النار فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم الماء فقالوا يارب هل
 من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال نعم الريح فقالوا يارب هل من خلقك شيء أشد من
 الريح ؟ قال نعم ابن آدم يتصدق صدقة يمينه يخفيها عن شماله فهو أشد منه » وإنما كانت
 الصدقة الموصوفة أشد من الريح الأشد مما قبله لأن صدقة السر تطفئ غضب الرب الذي
 لا يقابله شيء كما قال الله تعالى (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) وبهذا السبب
 بالغ السلف في إخفاء صدقاتهم عن أعين الناس حتى طلب بعضهم فقيراً أعمى لئلا يعلم
 أحد من التصديق وبعضهم ربطها في ثوب الفقير نائماً وبعضهم ألقاها في طريق الفقير
 ليأخذها (موعظة) حكى أنه وقع القحط في بني إسرائيل فدخل فقير على باب غنى
 فقال تصدقوا بقطعة خبز لوجه الله تعالى فأخرجت إليه ابنة الغنى خبزاً حاراً فدفعته إليه
 وجاء الغنى المشثوم داره فقطع يد بنته فحول الله حاله وأذهب ماله واقتصر ومات في حال
 ذلته وبنته تدور بين الأبواب سائلة وكانت جميلة فجاءت يوماً إلى باب غنى فخرجت
 والدة الغنى فنظرت إليها وإلى جمالها وأدخلتها بيتها فقصدت تزويجها ابنها فلما تزوجها زينتها
 وقدمت إليها مائدة بالليل فأخرجت هذه الابنة يدها اليسرى لتأكل مع زوجها فقال
 لقد سمعت بأن الفقير يكون قليل الأدب أخرجني يدك اليمنى فأخرجت يدها اليسرى
 مرة أخرى فردد عليها مرات فتهتف هاتف من زاوية البيت أخرجني يدك اليمنى يأمق
 لقد أعطيت الخبز لأجلنا ولا جرم نعطيك يدك فأخرجت يدها اليمنى بالاثام بقدره الله

تعالى وأكلت مع زوجها (وحكى) أنه كان في بني إسرائيل قحط شديد سنين متوالية وكان عند امرأة لقمة من خبز فوضعتها في لها لتأكلها فنادى سائل في الباب لله لقمة فأخرجتها من لها فدفعها إلى السائل ثم خرجت إلى الصحراء لتحطب وكان لها ابن صغير معها فيها فجاء الذئب فحمله وذهب فوقعت الصيحة فذهبت الأم في أثر الذئب فبعث الله تعالى جبرائيل فأخرج الصبي من فم الذئب فدفعه إلى أمه وقال لها يا أمة الله أرضيت لقمة بلقمة (كذا في تفسير الحق) .

المجلس السابع والعشرون : في بيان الرزق

سورة هود — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلاً ورحمة وإنا آتى بألفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملها على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) أما كسبها في الحياة والمات والأصلاط والأرحام أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب وأحوالها (في كتاب مبين) مذكور في اللوح المحفوظ ، وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالماً بالمعلومات كلها ، وبما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد . (قاضى يضاوى) .

دفع الله عنا بلاءه الجلى والحقى . وفي الحديث « لا صلاة لمن لم يصل على » قال ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل على مرة في عمره . وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى أهل بيته لم تقبل منه » . قال الدارقطني الصواب أنه من قول أبي جعفر الصادق محمد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم : لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم (شفاء شريف) قال الشيخ الأستاذ الإمام أحمد . إنه عليه الصلاة والسلام تزوج بأمرأة وزفها إلى بيته وعمل وليمة وجمع أصحابه في داره ، وكان الطعام قليلاً ، وكانو يلحسونه لكونه مائماً من قلة الدقيق فيتحدث كل واحد منهم شيئاً والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى ، فلما فرغ قال قيم أتم تتحدثون ؟ قالوا في باب الرزق ، فقال عليه الصلاة والسلام ألا أحدثكم بحديث حدثني به جبرائيل ؟ فقالوا يا رسول الله نعم قال عليه الصلاة والسلام : حدثني جبرائيل أن أخى سليمان كان يصلى على شاطئ البحر فرأى نملة تسير وفي لها ورقة خضراء فصاحت على شاطئ البحر فخرج ضفدع وحملها على ظهره وغاص بها ، ثم بعد ساعة علت النملة فوق الماء وجاءت فقال سليمان أخبريني بالقصة ، فقالت في أسفل هذا البحر صخرة صماء وفي وسطها دودة قد جعل الله رزقها إلى فكل يوم أحمل مارزقها

الله تعالى إليها مرتين وخلق لى في هذا البحر ملكا على صورة ضفدع فيحملنى فيفوص في البحر حتى يضعنى على تلك الصخرة فنشق حتى تخرج تلك الدودة منها فأطعمها مما يكون معى ثم تحملنى الضفدع إلى رأس الماء ، فكلما أكلت الدودة رزقها قالت سبحان الذى خلقنى وفي البحر صيرنى ولم ينسنى بالرزق أفينسى أمة محمد من الرحمة ؟ » (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (رونق المجالس) اعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المخلوقات وما خست به من اللهمات . وفي الآية مسائل : المسئلة الأولى قال الزجاج الدابة اسم لكل حيوان لأن الدابة اسم مأخوذ من الدبيب ، وبنيت هذه اللفظة على هاء التأنيث وأطلقت على كل حيوان ذى روح مذكراً كان أو مؤنثاً إلا أنه بحسب عرف العرب اختص بالفرس والمراد بهذا اللفظ في هذه الآية الموضع الأصلي اللغوى فيدخل فيه جميع الحيوانات وهذا متفق عليه بين المفسرين ، ولا شك أن أقسام الحيوانات وأنواعها كثيرة وهى الأجناس التى تكون في البر والبحر والجبال والله يحصيا دون غيره والله تعالى عالم بكيفية طبائعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها وموئها ومساكنها وما يوافقها وما يخالفها ، وهو المدبر لأطباق السموات والأرض (من التفسير الكبير) وتحرير السؤال أن الرزق تفضل من الله . وكلمة على اللوجوب فيتنافيان . والجواب أنه تفضل في المرتبة الأولى ، ثم لما ضمن وتكفل به صار واجباً . في المرتبة الثانية فلا منافاة كما في نذور العباد . فإن الصوم مثلاً كان تبرعاً فإذا نذرته كان واجباً وقال الإمام : الرزق واجب بحسب الوعد والفضل والإحسان ، ومعناه أن الرزق باق على تفضله لكن لما وعد به وهو لا يخل بما وعد صور بصورة الوجوب لفائدتين : إحداهما التحقق لوصوله . والثانية حمل العباد فيه على التوكل عليه (حاشية الكشف) روى أن الإمام الزاهدى أراد أن يتيقن يقيناً في الرزق فخرج إلى بركة وقصد جبلاً ثم دخل غاراً وقعد في زاوية الغار قال وكنت أنظر كيف يرزقني هنارني فضلت قافلة من طريقها ، فجاء الطر عليهم فطلبوا أكنائاً يدخلونها فدخلوا الغار الذى هو فيه فأروه ، فقالوا يا عبد الله فلم يجبه فقالوا ربما وجد البرد فلم يقدر على الكلام فأوقدوا ناراً بقربه حتى دثوه وكلموه فلم يجبه فقالوا ربما جاع الفقير فقدموا إليه سفرة فأشاروا إليه فلم يتناول منها شيئاً ، قالوا هذا من مدة مديدة لم يجد شيئاً فاطبخوا له لبناً حاراً حتى يأكله فعملوا فالوذجاً من السكر وقدموه إليه ، فلم يلتفت إليه ، فقالوا قد اشتبكت أسنانه ، فقام من جلته رجلاً وأخذنا سكيناً ليفتحاه ففتحاه وطرحا اللقمة في فيه فضحك فقال له أنت مجنون ؟ فقال لا ولكن أردت أن أجرب ربى في رزقى فعلت أنه يرزقني ويرزق عبده حيث كان وأين كان وكيف كان (رونق المجالس) .

(حكاية) حكى أن إبراهيم بن آدم كان سبب توبته أنه كان يوماً من الأيام قد خرج إلى الصيد فنزل منزلاً وبسط السفرة ليأكل الطعام ، فبينما هو كذلك إذ جاء غراب وأخذ منها قطعة خبز بمنقاره وطار فتعجب من ذلك فركب فرسه وذهب خلف الغراب حتى صعد الغراب الجبل وغاب عن عينه فصعد إبراهيم بن آدم الجبل لطلبه فرأى من بعيد ذلك الغراب فلما دنا إبراهيم طار الغراب ورأى رجلاً مشدود اليد والرجل مضطجعا على قفاه ، فلما رأى إبراهيم ذلك الرجل على هذه الحالة نزل عن فرسه وحل عقده فسأله عن حاله وقصته ، فقال الرجل إني كنت تاجراً فأخذني قطاع الطريق وأخذوا ما كان معي من المال وما قتلوني ولكن شدوني وطرحوني في هذا الموضع سبعة أيام فصار كل يوم يجيء الغراب بالجيزة ويجلس على صدري ويكسر الخبز بمنقاره ويضعه في فمي وما تركني الله تعالى جائعاً في تلك الأيام ، فركب إبراهيم وأردفه خلفه وجاء به إلى الموضع الذي نزل فيه ، وتاب إبراهيم بن آدم ونزع ثيابه الفاخرة ولبس الصوف وأعتق عبيده ووقف عقاره وأملأه وأخذ يده عصا وتوجه إلى مكة بلا زاد ولا راحلة وتوكل على الله تعالى ولم يهتم بالزاد فلم يبق جائعاً حتى دخل السكة وشكر الله تعالى (حديث أربعين) . قال حاتم الأصم : التوكل على أربعة أوجه : توكل على الخلق ، وتوكل على المال ، وتوكل على النفس ، وتوكل على الرب ؛ فالتوكل على الخلق يقول مادام فلان فلا هم لي . والتوكل على المال يقول مادام مالي كثيراً فلا يضرني شيء . والتوكل على النفس يقول مادام جسدي صحيحاً فلا ينقص مني شيء ، فهذه الثلاثة توكل الجاهلين . والتوكل على الرب يقول لا أبالي أصبحت غنياً أم فقيراً فإن معي ربي يمسكني كيف شاء (حديث أربعين) قال الله تعالى (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) وحقيقة الشكر أن لا تستعين بنعمة الله على مبعيته وأن تستعمل كل عضو فيما خلق له من الطاعات ، فتصون الجوارح السبع من المحرمات والمكروهات لتغلق عنك أبواب جهنم السبعة ذات الدركات فإذا استخدمتها فيما خلقت له من العبادات والطاعات بحضور الرئيس وهو مضغفة القلب بالإخلاص فتحت لك أبواب الجنة الثمانية (شرح للصايح) . وإذا علمت أن من توكل على الله لا يبقى جائعاً ورزق كل حيوان على الله تعالى كما ورد النص في كتابه العزيز فاعلم ماسيتلى عليك من الأحاديث الواردة عن خاتم النبوة في جواز السؤال وعدمه . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » رواه ابن عمر ؛ والمراد بعدمها يوم القيامة في وجه البائس ما يلحقه في الآخرة من الفضيحة والهوان لأن السؤال حرام في الأصل ولا يساج إلا عند الضرورة وإنما كان الأصل فيه الحرمة لأنه لا ينفك عن عدة أمور : الأول إظهار الشكوى من الله ، فكما أن

العبد المملوك إذا كان سؤاله شنيعاً على مولاه فكذلك سؤال العبد يكون شنيعاً على الله تعالى وهذا يقتضى أن يحرم السؤال ولا يحل إلا عند الضرورة كالأكل ليلته إلا عند الضرورة . والثاني إذلال نفسه لغير الله ، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله تعالى . والثالث إيذاء المسئول منه ظالماً لأنه ربما لا تسمع نفسه بالبدل ويستحي أن يرى بالمنع في صورة البخل في البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وبكل منهما يحصل الأذى وهو حرام لا يحل إلا عند الضرورة ؛ ثم إنه إن بذل لا يذل له إلا حياءً أو رياءً فيحرم على الآخذ أخذه . إذا فهمت هذه المحظورات فهمت قوله عليه الصلاة والسلام « السؤال من الفواحش وما أحل من الفواحش غيره » . فانظر كيف سماه فاحشة ، ولا خفاء أن الفاحشة لا تباح إلا عند الضرورة . واختلف العلماء في أى وقت يحل السؤال ؟ فقال بعضهم من وجد غداء يومه وعشاء ليلته لا يحل له السؤال . وقال بعضهم من قدر على الكسب ليس له أن يسأل إلا إذا استغرق أوقاته لطلب العلم . وقال بعضهم ليس لنا وضع المقادير بل نستدرك ذلك بالتوقيف . وقد ورد في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « استفتوا بغنى الله تعالى ، قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال غداء يوم وعشاء ليلة » . وفي حديث آخر أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلخافاً » . وفي لفظ آخر « أربعون » ، واختلاف الروايات في التقديرات يلزم أن يحمل على أحوال مختلفة ، فما يحتاج إليه السائل في الحال من طعام يومه وليته ولباس يلبسه وماوى بيت فيه فلا شك فيه . وأما سؤاله للمستقبل فلا لأن فيه ثلاث أحوال : إحداها ما يحتاج إليه غداً . والثانية ما يحتاج إليه بعد أربعين يوماً أو خمسين يوماً . والثالثة ما يحتاج إليه بعد السنة فقطع أن من معه ما يكفيه ويكفى عياله سنة فسؤاله حرام لأن ذلك غاية الغنى ، فإن كان يحتاج إليه قبل السنة لكن يقدر على السؤال في ذلك الوقت ولا يفوته فرصة السؤال لا يحل له السؤال لأنه مستغن عن السؤال في الحال ، وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل مالا يحتاج إذا وجد عنده ما يكفيه من غداء يومه وعشاء ليلته وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر السؤال يباح له السؤال ، لأن البقاء إلى السنة غير بعيد وهو بتأخير السؤال يخاف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يغنيه وتراخى اللذة التي يحتاج فيها إلى السؤال لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاده ونظره لنفسه فيستفتى قلبه ويعمل به ولا يصغى إلى تخويف الشيطان لأنه يعد الفقر ويأمر بالفحشاء التي أسيحت للضرورة ، فإن من عجز عن الكسب واشتد جوعه وخاف على نفسه يلزمه السؤال لأن السؤال نوع اكتساب لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : « السؤال آخر الكسب » ، فإن ترك السؤال في تلك الحالة حتى مات يأنم لأنه ألقى نفسه إلى التهلكة إذا كان السؤال يوصله إلى ما يقوم به نفسه فالسؤال في تلك الحالة كالكسب ولا ذل في السؤال في تلك الحالة وإنما الذل إذا

سأل من غير حاجة فإن من ملك قوت يومه لا يحل له السؤال لأنه يذل نفسه من غير ضرورة وهو مخالف للحديث السابق (من مجالس الروى ملخصاً) .

المجلس الثامن والعشرون : فى بيان ذم إعانة الظالم

سورة هود — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ولا تميلوا إليهم بأذى ميل لأن الركون هو الميل اليسير كالترني بزيمهم وتعظيم ذكركم (فتمسك النار) بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منهم ما يسمى ظلماً كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين : أى للوسومين بالظلم ثم بالميل كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ، ولعل الآية أبلغ ما يتصور فى التهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفى الإفراط والتفريط ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم فى نفسه ، وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركبته (وما لكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمتعون بالعذاب عنكم ، والواو للحال (ثم لا تنصرون) أى ثم لا ينصركم الله إذ سبق فى حكمه أن يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره إليهم ، وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلاً منزلة القاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين أن الله تعالى يعذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أتبع ذلك أنهم لا ينصرون أصلاً . (قاضى يضاوى) .

عن أبى طلحة رضى الله عنه « أن رسول الله عليه الصلاة والسلام جاء ذات يوم والسروى يرى فى وجهه فقالوا يا رسول الله إنا لترى السروى فى وجهك فقال إنه أتانى الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول إنه لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً قال قلت بلى » رواه أحمد وابن حبان وغيرهما . وروى أن ظالماً من الظلمة قصد أن يزور طالماً زاهداً فلما قرب الظالم ستر الزاهد وجهه فاستعذر ابنه وقال إن والدى مرض مرضاً شديداً فستر وجهه لذلك ، فقال الشيخ الزاهد له ليس لى مرض ولا وجع ولكن أردت أن لا أنظر وجهك فرجع الظالم تائباً مستغفراً فقفر الله تعالى لها أما الشيخ فلعدم نظره إلى وجه الظالم وأما الظالم فلتوبته من ظلمه هكذا سمعت من أستاذى عليه رحمة الله ، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه » . ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء ؟ فقال لا قليل له يموت فقال دعه يموت (كذا فى الرجبية) وعن ميمون بن مهران أنه قال : فى حجة السلطان خطر إن أطعته خاطرت بدينك ، وإن عصيته خاطرت بنفسك والسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك (تنبيه الغافلين) .

(حكي) أن ظالماً كان يظلم ضعيفاً أعواماً فلما طال ظلمه قال المظلوم للظالم يوماً إن ظالك على قد طاب بأربعة أشياء : هي أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والديان يحكم بيننا (من أخلص الخاصة) وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من سن سنة حسنة » يعني في الإسلام وهو مقتدى به في هذه السنة « فله أجرها وأجر من عمل بها » يعني أن كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » وهو مقتدى به في هذه السنة « فعليه وزرها ووزر من عمل بها » يعني أن كل من أتى بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزرها ووزر من عمل بها (من أحاديث البخاري ومسلم) . عن عمر رضي الله عنه أنه قال : « مثل النبي عليه الصلاة والسلام عن أحب العباد إلى الله تعالى فقال أنفع الناس للناس ، وعن أفضل الأعمال فقال إدخال السرور على قلب المؤمن يطرد عنه جوعاً أو يكشف عنه كرباً أو يقضي له ديناً ، ومن مشى مع مسلم في حاجة له كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام ، ومن كف غضبه ستر الله عورته وإن الخلق السوء يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل » فلم من هذا الحديث أن أحب العباد إلى الله تعالى من ينفع الناس وأن أفضل الأعمال إدخال السرور على قلب المؤمن بأن يدفع عنه الجوع أو يكشف عنه الكرب أو يقضي دينه ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة له كان كصيام شهر مع اعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدميه على الصراط كما مر آنفاً ويؤيده ما روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أعان مظلوماً حزيناً مطروحاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة : واحدة منها إصلاح أمره في الدنيا واثنان وسبعون درجة في العقب » . وعنه أيضاً أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من أصبح لا ينوي الظلم على أحد غفر له ما جنى ، ومن أصبح ينوي نصرة المظلوم وقضاء حاجة المسلم كانت له كأجر حجة مبرورة » . وكذا روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « من فرج عن مسلم كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » وكذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من أعان مظلوماً أعانه الله يوم القيامة في الجواز على الصراط وأدخله الجنة ، ومن رأي مظلوماً فاستغاث به فلم يقم له ضرب في القبر بمائة سوط من النار » (مجالس البصري) وجاء في الآثار : ينادي المنادي يوم القيامة اتوني بفرعون فيؤتى به على رأسه قلنسوة من النار لباساً قميصاً من قطران راكباً على خنزير ثم ينادي أين الجبارون التكبرون ؟ فيؤتى بهم وينطلق بهم إلى النار وإمامهم فرعون ، ثم ينادي أين قايل فيؤتى به كذلك ثم ينادي أين الحاسدوز أضميم إليه ؟ فانه إمامهم إلى

النار ، ثم ينادى أين كعب بن الأشرف رئيس علماء اليهود ؟ كما جاء في الخبر « لو آمن لآمن جميع اليهود » فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الدين كتموا الحق والعلم فيسوقونهم معه إلى النار فهو إمامهم ، ثم ينادى أين أبو جهل فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين الدين كذبوا على الله ورسوله فيكون إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين الوليد بن المغيرة ؟ فيؤتى به كذلك ثم ينادى أين السهزئون بفقراء المسلمين فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين أجدع قوم لوط الذي رسم اللواط فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الدين يلوطنون ؟ فيؤتى بهم فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين امرؤ القيس ؟ فيؤتى به كذلك ثم يجمع الشعراء الذين كذبوا فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين مسيلة البكذاب ؟ فيؤتى به كذلك ، ثم ينادى أين الدين كذبوا الكتاب فهو إمامهم إلى النار ، ثم ينادى أين إبليس عليه اللعنة ؟ فيؤتى به كذلك ثم يقول يا حاكم العدل ادفع لي جندي ومؤذني وقرائي ومصاحفي ووزرائي وقهائي وخزائي وتجاري وطبالي وحواشي ، فيقال يا ملعون يا مدحور من جندك ؟ فيقول هم الذين أصابهم الحرص ومؤذني اللعانون وقرائي المغنون ومصاحفي الواشم والمستوشم وقهائي الذين يستهزئون بأصحاب الصائب ويأكلون الطيبات وخزائي الذين يحضرون خوان السكر ويمنعون الزكاة وتجاري بائعو الربط وطبالي الذين يضربون الطبول والدف وحواشي الذين يفرسون الكروم لأجل السكر . فتخرج حية طول عنقها مسيرة سبعين عاماً فتجمعهم فتطردهم إلى النار ، ثم يدعى الخلق إلى الحساب فيقول الله تعالى يا جبريل أول من يدخل جنتي محمد عليه الصلاة والسلام فيوضع على رأسه تاج من نور ويلبس حريراً أخضر ويحمل بين يديه سبعون ألف علم ، فيحمل لواء الحمد ثم ينادى أين الدين كانوا يختارون الفقر ويرون الفقراء وكانوا على طريق محمد عليه الصلاة والسلام واتبعوا السنة فيقال انطلقوا مع نبيكم إلى الجنة ، ثم يؤتى بآدم عليه السلام وعلى رأسه تاج من نور وبين يديه ثمانية آلاف علم فيقال أين الدين حجوا واعتمروا ؟ فأدم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بإبراهيم عليه السلام كذلك بين يديه عشرون ألف علم ثم يقال أين الدين يحبون الأضياف ويرون الغرباء ؟ فأبراهيم عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى يوسف عليه السلام كذلك بين يديه عشرة آلاف علم ، ثم يقال أين الدين تركوا أهواء أنفسهم حين قدروا فيوسف عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى يعقوب عليه السلام كذلك ، ثم يقال أين الدين يحسنون إلى جيرانهم فيعقوب عليه السلام إمامهم إلى الجنة ثم يؤتى موسى عليه السلام ثم ينادى أين الدين قالوا الحق لوجه الله تعالى فموسى عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بهارون عليه السلام ثم يقال أين الدين عدلوا في خلائقهم فهارون عليه السلام إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بأيوب عليه السلام ثم يقال أين الدين صبروا في أمراضهم وبلائهم فأأيوب عليه السلام إمامهم إلى الجنة ؟

ثم يؤتى بأبي بكر الصديق رضى الله عنه وعلى رأسه تاج من نور لا بساً من سندس وإستبرق فينادى مناد أين الصديقون فأبو بكر إمامهم إلى الجنة ، ثم يؤتى بعمر رضى الله عنه ثم يقال أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فعمر إمامهم إلى الجنة ثم يؤتى بعثمان رضى الله عنه وعليه لباس الحياء ثم يقال أين الذين تركوا للعاصى حياء من الله تعالى فعثمان إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى على رضى الله عنه ثم يقال أين العازون في سبيل الله فعلى إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بالحسن والحسين رضى الله عنهما ثم يقول أين المظلومون والمقتولون في طاعة الله فهما إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بمعاذ بن جبل رضى الله عنه ثم يقال أين الفقهاء فهو إمامهم إلى الجنة ؟ ثم يؤتى بلال الحبشى رضى الله عنه . ثم يقال أين المؤذنون فهو إمامهم إلى الجنة ؟ (تفسير التيسير) وفى الحديث : « من آذى مؤمناً فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله تعالى فليتبوأ مقعده من النار » يعنى يدل مكانه من الجنة إلى النار ، وإذا كان يوم القيامة يتعلق المظلوم بالظالم والحصم بالحصم ويقول بينى وبينك العادل في حكمه يعلم الظالمون ماذا يفعل بهم حين يؤخذ من حسناتهم وتدفع إلى مظلومهم (كذا في زبدة الواعظين) .

(حكى) عن بلال رضى الله عنه أنه قال « كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام في منزل أبي بكر الصديق بمكة فقرع الباب فخرجت فاذا رجل نصرانى يقول هل هنا محمد بن عبد الله ؟ فقال يا محمد تزعم أنك رسول الله ، فان كنت كذلك حقاً فانصرنى على من ظلمنى ، قال عليه الصلاة والسلام من ظلمك ؟ قال أبو جهل بن هشام أخذ مالى فقام عليه الصلاة والسلام وذلك عند الهاجرة ، قال بلال قلنا يا رسول الله إنه الآن فى القيولة فيشق عليه ذلك ونخاف أن يغضب عليك ويؤذيك فلم يسمع كلامنا فذهب إلى أبي جهل وقرع عليه الباب مغضباً فخرج أبو جهل بالغضب فاذا هو رسول الله قائماً فقال ادخل هلا أرسلت إلى فكأتيك فقال عليه الصلاة والسلام أخذت مالى هذا النصرانى رد عليه ماله فقال أبو جهل ألهذا جئت ؟ فلو بشت إلى أحداً لرددته عليه فقال عليه الصلاة والسلام لا تطول ولكن ادفع ماله إليه فقال لعلامة أخرج جميع ما أخذته منه وردّه عليه وقال عليه الصلاة والسلام يا رجل هل وصل إليك مالك ؟ فقال نعم إلا سلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام لأبى جهل أخرجها فطلبها فى بيته فلم يجدها فدفع أبو جهل إليه بدلاً خيراً منها فقالت امرأة أبى جهل والله لقد تواضعت ليتيم أبى طالب كل التواضع والتذلل فقال أبو جهل لو رأيت ما رأيت لم تقولى هكذا قالت ما رأيت ؟ قال لا تفصحينى فى قولى رأيت على منكبيه أسدين كلا هممت أن أقول لا أدفع كاداً يفرسانى فلذلك تواضعت قال بلال فلما رأى النصرانى ما رأى من أبى جهل قال يا محمد إنك رسول الله ودينك حق فأسلم وحسن إسلامه ببركة إعانة المظلوم » (زبدة الواعظين) .

المجلس التاسع والعشرون : في بيان أحوال الناس يوم القيامة

سورة إبراهيم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وأنذر الناس) يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة أو يوم الموت فإنه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لأنذر (فيقول الذين ظلموا) بالترك والتكذيب (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) أخر العذاب عنا ورددنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار ما نؤمن بك ونحب دعوتك (نحب دعوتك وتتبع الرسل) جواب للأمر ونظيره « لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) على إرادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية . والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزولون بالموت (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي كعاد وثمود (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندهم من أخبارهم (وضربنا لكم الأمثال) من أحوالهم : أى بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى العرابة كالأمثال المضروبة . (قاضى يضاوى) .

عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ومن صلى على صلاة صلى الله عليه عشراً ، ومن صلى على عشر آ صلى الله عليه مائة ، ومن صلى على مائة كتب الله بين عينيه برأتين براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله تعالى يوم القيامة منع الشهداء » (حياة القلوب) روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف : صنف مشاة وصنف ركبان وصنف مشاة على وجوههم ، قيل يا رسول الله كيف يحشون على وجوههم ؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يحشيم على وجوههم ، أما إنهم ينسلون على وجوههم من كل حذب وشوك » رواه الترمذى . وأما المشاة فالمذنبون من المؤمنين ؛ وأما الركبان فالمتقون السابقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ وأما المشاة على وجوههم فهم الكفار ، وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف : صنف من المسلمين وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما التكبر المتجر المتمرد الذى لا يقبل للوعظة فهو لاء يحشرون على وجوههم وأتباعهم يحشون الحديث . قوله عليه السلام : « راغبين راغبين » فيما سأتى عوام المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً لهم أصحاب المعصية وهم الصنف الأول ، والصنف الثانى الركبان المسرعون إلى ما أعد لهم فى الجنان وهم الذين اجتنبوا الشبهات لهم السابقون (ابن ملك) اتفقوا على رواية عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراغبين واثنان على هير وثلاثة على بعير

وأربعة على بعير وعشرة على بعير » وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقا . فان قلت ركوب الاثنين وأخواته بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلت بطريق الاعتقاب لكن الأولى أن يحمل على وجه الاجتماع لأن في الاعتقاب لا يكون الاثنان ولا الثلاثة على بعير واحد حقيقة . وإنما اقتصر على ذكر العشرة إشارة إلى أنها غاية عدد الراكبين على بعير وذلك البعير لتحمل العشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناية صالح حيث قويت على ما لا يقوى عليه غيرها من النوق وإنما لم يذكر الخمسة والستة وغيرها إلى العشرة للإيجاز ولم يذكر أيضاً في السابقين من تفرد منهم بركوب بعير لأن المراد من الناس غير الخواص ، ولعل ذلك يكون مرتبة الأنبياء والأولياء وتحشر بقيتهم النار وهم الفرقة الثالثة قليل معهم حيث قالوا من القيولة وهي اليوم في الظهر وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا . يعنى أن النار تلازم هذه الفرقة في جميع أحوالهم وهم الكفار . قال بعض الشراح هذا الحشر يكون قبيل القيامة أحياء إلى الشام بقرينة قيلولتهم وبيتوتهم لأن هذه الأحوال إنما تكون في الدنيا ولأن الناس يبعثون من القبور حفاة غير موصوفين بالركوب والتعاقب . وهذا آخر أشراط الساعة كما جاء في حديث آخر « وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تطرد الناس إلى محشرهم » . وقال بعضهم يكون بعد البعث لأن الحشر إذا ذكر مطلقاً يصرف إلى ما بعد الموت وهو المختار للامام التوربشتي لما روى عن أبي هريرة من الحديث المتقدم « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف » إلى آخر الحديث . وأما الظالم فعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى أنه قال « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وعلى عبادى ألا فلا تظلموا » رواه مسلم والترمذى . فعنى هذا الحديث أنى تقدست وتعاليت عن الظلم ، وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . قال القاضى عياض : وهو على ظاهره فيكون الظلم ظلمات على صاحبه لا يهتدى يوم القيامة سبيلا حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ، ويحتمل أن الظلمات ههنا الشدائد ، وقوله « فان الشح أهلك من كان قبلكم » يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذى أخبر عنه في الدنيا وفى الآخرة . وقال جماعة : الشح البخل ، وقيل الشح الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده ، وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شئ آخر فليستحله اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر المظلمة وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه وحملت

عليه » (رواه البخارى والترمذى) . فان قلت هذا يناقى قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر
أخرى) . قلت الظالم فى الحقيقة مجزى بقدر ظلمه وإنما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له
وتحقيقاً للعدل ، فعنى الآية أن واحداً لو قال لآخر أحمل عنك وزرك لا يؤخذ به فى الآخرة .
قال الفقيه ليس شئ من الذنوب أعظم من الظلم لأن الذنب إذا كان فيما بينك وبين الله تعالى
فان الله تعالى كريم أن يتجاوز عنك وإن كانت الذنوب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى
إرضاء الخصم فينبغى للظالم أن يتوب من الظلم ويستحل من المظلوم فى الدنيا فاذا لم يقدر عليه
ينبغى أن يستغفر له ويدعوه فانه يرجى أن يحمله بذلك . عن ميمون بن مهران أن الرجل
إذا ظلم إنساناً فان أراد أن يستحل منه قفاته ولم يقدر عليه فاستغفر له فى دبر كل صلاة خرج
من مظلته . قال بعض أهل المعرفة : الظلم ثلاثة أوجه : ظلم يفره الله تعالى إن شاء . وظلم لا يفره الله تعالى .
وظلم يقضى الله تعالى فيه . فأما الظلم الذى يفره الله فهو ظلم فيما بينهم وبين ربهم من ترك الصلاة والصوم
والزكاة والحج وفعل المحارم . وأما الظلم الذى لا يفره الله فهو الشرك كما قال الله تعالى فى سورة
النساء (إن الله لا يفر أن يشرك به ويفر ما دون ذلك لمن يشاء) وفى هذه الآية دليل على
أن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة إن شاء عفا عنه وأدخله الله
الجنة بكرمه وإن شاء عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته وإحسانه لأن الله تعالى وعد الغفرة
لما دون الشرك فهو غلد فى النار . وأما الظلم الذى يقضى الله تعالى فيه قضاء فظلم العباد فيما
بينهم كالغيبية والبهتان والنميمة وقتل النفس بغير حق وأكل المال الحرام والضرب والشم وغير
ذلك من حقوق العباد .

موعظة حسنة

(حكى) أنه كان لعماد ابنان أحدهما شداد والآخر شديد فلما قهرأ فمات شديد وملك شداد
وحده الدنيا وكان يقرأ الكتب فسمع ذكر الجنة فقال أصنع فى الدنيا مثل الجنة على وجه الأرض
فشاور الملوك فقال إني أريد أن أبني الجنة التى وصفها الله تعالى فى كتابه فقالوا الأمر إليك والدنيا
كلها فى حكمك فأمر بأن يجمعوا ذهباً وفضة من الشرق والغرب ثم جمعوا بنائين واختاروا منهم
ثلاثمائة رجل تحت يد كل رجل ألف رجل فطافوا عشر سنين ووجدوا أرضاً طيبة فيها
الأشجار والأنهار فبدءوا بناء الجنة فرسخاً فى فرسخ لبنه من ذهب ولبنه من فضة ، فلما تم
بناؤها أحروا فيها أنهاراً وغرسوا فيها أشجاراً جذوعها من فضة وفروعها من ذهب وبنوا فيها
قصوراً من ياقوت أحمر وبلور أبيض وعلقوا الدر والياقوت على أغصان الأشجار وألقوا الجواهر
واللؤلؤ فى الأنهار والسهل والعنبر فيما بين الأنهار والأشجار ، فلما تم بناؤها أرسلوا إلى شداد

وأخبروه بتأم الجنة فسار إليها بأهل مملكته فسكان الملوك والأعوان يأخذون الذهب والفضة ظلماً فلم يبق شيء منهما إلا مقدار درهمين في عنق صبي يقيم فأخذوه منه فرفع الصبي وجهه إلى السماء فقال : إلهي أنت تعلم بما يعمل هذا الظالم بعبادك وإمائتك فأغثنا يا غياث المستغيثين ، فأمن ملائكة السماء على دعاء الصبي فأرسل الله تعالى جبرائيل فلما كان منها مسيرة يوم وليلة صاح جبرائيل من السماء فهلكوا جميعاً قبل الدخول في الجنة فلم يبق منهم غنى ولا فقير ولا ملك بسبب دعاء الصبي المظلوم (زبدة الواعظين) .

اعلم أيها العزيز ما قلنا لك وإياك وللشيء إلى باب السلاطين فإنه من غير ضرورة ظلمة واقرار معصية فإن الشيء تواضع وإكرام لهم وقد أمر الله تعالى بالإعراض عنهم بقوله (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وهو تكثير لسوادهم وإعانتهم على ظلمهم وإن كان ذلك لسبب طلب ما لهم فهو وسعي إلى حرام ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه » هذا في غنى صالح فما ظنك بالغنى الظالم وإنما قال ذلك لأن الرء بقلبه ولسانه ونفسه فاذا تواضع لغنى بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه ، فلو اعتد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك محصورة عليك فلا تحرك شيئاً منها في معصية الله أصلاً واستعملها في طاعة الله . واعلم أنك إن قصرت في المراقبة فعليك يرجع وباله أي عقابه وإن شمربت فإليك تعود ثمرة ونوابه واقنع غنى عنك وعن عملك ، وإنما كل نفس بما كسبت رهينة ، وإياك أن تقول إن الله كريم رحيم ينفرد بذنوب العصاة فإن هذه كلمة حق لا يجوز أن يراد بها باطل وصاحب هذا القول إذا لم يقل هذا من حقيقة حاله ملقب بالخفاقة بتلقيب رسول الله حيث قال « الكيس » أي العاقل الخاذق « من دان نفسه » أي ذل « وعمل لما بعد الموت وأحسق من أتبع نسه هواها » شهواتها « ونمى على الله الأمانى » أي الرجاء بلا عمل . واعلم أن قوله هذا يشبه قول من يريد أن يصير فقيها عالماً في علوم الدين فاشتغل بالباطل ، وكتول من يريد ما لا يترك الحراثة والتجارة والكسب (بداية الهداية للإمام الغزالي) .

المجلس الثلاثون : في بيان مغفرة توبة التائب

سورة الحجر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(نبيء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم : وأن عذابى هو العذاب الأليم) فذلك ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له ، وفي ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتين من يتقى الذنوب بأسرها كبيرها وصغيرها ، وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده . (قاضى يضاوى) .

سبب نزو هذه الآية : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون.

قَالَ: «أَتَضْحَكُونَ وَيُنَازِعُونَ أَيْدِيَكُمْ النَّارَ» جَاءَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: يَقُولُ لِلشَّارِبِكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَقْنَطْ عِبَادِي فَإِنَّ غُفُورَ لَدُنُوبِهِمْ رَحِيمٌ بِهِمْ . (عِيُون) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَجَلِ الْبَخْلَاءِ أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَعْجَازِ النَّاسِ ؟ » أَيْ عَنْ طَلَبِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالصَّلَاةِ عَلَى ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ الشَّرِيفِ بَيْنَ يَدَيْهِ « مِنْ ذَكَرْتِ عَنْدهُ فَلَمْ يَصِلْ عَلَى » اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَحَبِجِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَسَلَّمَ ، فَعَلِمَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتْرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ كَلِمًا ذَكَرَ اسْمَهُ إِلَّا عَاجَزَ مَحْرُومٌ مِنَ الْخَيْرِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ فِي جَنَّتِهِ أَحَدٌ » وَفِيهِ بَيَانُ كَثْرَةِ عِقُوبَتِهِ كَيْ لَا يَفْتَرِ مُؤْمِنٌ بِرَحْمَتِهِ فَيَأْمَنُ عَذَابَهُ « وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ » أَيْ مِنْ غَيْرِ الثَّغَاتِ إِلَى الْعُقُوبَةِ « مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » وَفِيهِ بَيَانُ كَثْرَةِ رَحْمَتِهِ كَيْ لَا يَخَافُ كَافِرٌ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْدَ سِنِينَ كَثِيرَةٍ فِي الْكُفْرِ ، فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ خَائِفًا وَرَاجِيًا مِنَ اللَّهِ لِأَنَّ الْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ كَالْجُنَا حِينَ لِلْمُؤْمِنِ لِأَنَّهُ يَصِلُ بِهِمَا إِلَى مَا يَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَأْمَنُ بِمَنْ يَخَافُهُ . وَقَالَ لِقَمَانُ لَابَنِهِ: يَا بَنِي أَرْجِ اللَّهَ رَجَاءً لَا تَأْمَنَ فِيهِ مِنْ مَكْرِهِ وَخَفِ اللَّهَ خَوْفًا لَا تَيْأَسَ فِيهِ مِنْ رَحْمَتِهِ . قَالَ الْفَقِيهُ أَبُو الْوَلِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : عَلَامَةُ الْخَوْفِ تَبَيُّنُ فِي ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا أَنْ تَبَيَّنَ فِي لِسَانِهِ فَيَمْنَعُ لِسَانَهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالغِيْبَةِ وَكَلَامِ الْفُضُولِ وَيَجْعَلُ لِسَانَهُ مَشْغُولًا بِذِكْرِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَمَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ . وَالثَّانِي أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ بَطْنِهِ فَلَا يَدْخُلُ بَطْنَهُ إِلَّا حَلَالًا قَلِيلًا وَيَأْكُلُ مِنَ الْحَلَالِ مَقْدَارَ حَاجَتِهِ . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ بَصَرِهِ فَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَرَامِ وَلَا إِلَى الدُّنْيَا بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَإِنْعَامًا يَكُونُ نَظَرُهُ عَلَى وَجْهِ الْعِبَرَةِ . وَالرَّابِعُ أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ يَدِهِ فَلَا يَمْدِيدهُ إِلَى الْحَرَامِ وَإِنْعَامًا يَمْدِيدهَا إِلَى مَا فِيهِ الطَّاعَةِ . وَالْخَامِسُ أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ قَدَمَيْهِ فَلَا يَمْشِي فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْعَامًا يَمْشِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ . وَالسَّادِسُ أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ قَلْبِهِ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَحَسَدَ الْإِخْوَانِ وَيَدْخُلُ فِيهِ النَّصِيحَةَ وَشَفَقَةَ الْمُسْلِمِينَ . وَالسَّابِعُ أَنْ يَكُونَ خَائِفًا فِي أَمْرِ طَاعَتِهِ فَيَجْعَلُ طَاعَتَهُ خَالِصَةً لَوْجِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَخَافُ الرِّيَاءَ وَالنَّفَاقَ . وَالثَّامِنُ أَنْ يَخَافَ فِي أَمْرِ سَمْعِهِ فَلَا يَسْمَعُ إِلَّا الْحَقَّ (سَنَانِيَّة) قَالَ الْإِمَامُ الْقَاشِيرِيُّ قَدَسَ سِرُّهُ لَمَّا ذَكَرَ حَدِيثَ الْمُتَّقِينَ فِي آيَةِ التِّي قَبْلَ هَذِهِ آيَةِ يَقُولُهُ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونَ) الْآيَةُ وَمَالَهُمْ مِنْ رَفِيعِ الْمَنْزَلَةِ عِلْمُ انْكِسَارِ قُلُوبِ الْعَاصِينَ ، فَقَالَ لِنَبِيِّهِ أَخْبِرْ عِبَادِي الْعَاصِينَ أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ : أَيْ إِنْ كُنْتَ الشَّكُورُ الْكَرِيمُ لِلْمُطِيعِينَ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ لِلْعَاصِينَ ، وَجَاءَ فِي الْحَبَرِ مُسْتَدًّا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ رَجُلًا يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ فَإِذَا بَلَغَ ثَلَاثَ الطَّرِيقِ التَّفَتَّ وَإِذَا بَلَغَ نِصْفَ الطَّرِيفِ التَّفَتَّ وَإِذَا بَلَغَ ثَلَاثِي الطَّرِيقِ التَّفَتَّ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى رُدُّوهُ ثُمَّ يَسْأَلُهُ وَيَقُولُ

لم التفت ؟ فيقول يارب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك (وربك الغفور ذو الرحمة) فقلت لعلك تغفر لي ، فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك (ومن يغفر الذنوب إلا الله) فقلت لعلك تغفر لي ، ولما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) فازددت طمعاً . فيقول الله تعالى اذهب فقد غفرت لك . فعلى العاقل أن يسأل من الله تعالى المغفرة لذنوبه ويصلي من خشية الله تعالى ، ويعترف بتقصيراته ويتوب إلى الله تعالى إنه تعالى تواب لا يرد التائب خائباً من بابه . حكى أنه رأى بعض الصالحين في النوم فسئل عن حاله ، فقال نجوت بعد كل جهد ، قيل بأي الأعمال وجدت النجاة ؟ قال بالبكاء من خشية الله تعالى وطول الاستغفار (كذا في الخالصة) قال عليه الصلاة والسلام : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شرك نعله والنار مثل ذلك » إشارة إلى المذكور أي النار مثل الجنة في كونها أقرب من شرك النعل وإنما كانت الجنة والنار كذلك لأن سبب دخولهما فعل الشخص وهو العمل الصالح والسوء وهو أقرب إليهما من شرك نعله (شرح المصاييح) والمراد من السبب سبب ظاهري لأنه قال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يخرجه من النار ولأننا أدخل الجنة بعملنا إلا برحمة الله تعالى » أي لكن رحمة الله تدخل الجنة ، وليس المراد توهين أمر العمل بل نفي الاغترار به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خرج من عندي جبرائيل آتياً فقال يا محمد والذى بعثك بالحق نبياً إن عبداً من عباد الله تعالى عبد الله خمسمائة عام على رأس جبل يحيط به بحر فأخرج الله له عينا عذبة في أسفل جبل وشجرة رمان كل يوم تخرج رمانة فإذا أمسى نزل وأصاب من العين الوضوء وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام للصلاة فسأل ربه أن يقبض روحه ساجداً ولا يجعل للأرض ولا لشيء على جسده سبيلاً حتى يبعثه وهو ساجد ففعل وقال جبرائيل نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا وهو على حاله في السجدة ونحن نجده في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له الرب تبارك وتعالى أدخلوا عبيد الجنة برحمتي فيقول بل بعملنا فيقول الله تعالى قيسوا عبادة عبيدي بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة وتبقى عليه النعم الباقية بلا عبادة في مقابلتها فيقول الله تعالى أدخلوا عبيدي النار قال فيجرونه إلى النار فينادي العبد فيقول برحمتك أدخلني الجنة فيقول الله رددوه إلى فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول : يا عبيدي من خلقك ولم تك شيئاً فيقول العبد أنت يارب فيقول أكان ذلك بعملك أم برحمتي ؟ فيقول بل برحمتك فيقول الله تعالى من قواك على عبادة خمسمائة سنة ومن أترك في جبل وسط البحر وأخرج للماء العذب من بين المالح وأخرج تلك الرمانة كل ليلة وإنما شمر في السنة مرة ومن قبض روحك ساجداً ؟ فيقول أنت يارب

فيقول فذلك كله برحمتي وبرحمتي ادخل الجنة » (مشكاة) قال عليه الصلاة والسلام : « إن أمامكم عقبة لا يجوزها الثقلون من الذنوب إلا بعشقة عظيمة . وتلك العقبة ما بعد الموت من الشدائد من القبر والحشر والوقوف بين يدي الله تعالى في الحشر والحساب والصراف والليزان ومن علم يقيناً بوقوع هذه الأشياء يخفف أثقاله بامثال أوامره واجتناب نواهيه وبعدم محبته في الدنيا لأن قلة الدنيا محض فائدة في حق صاحبه وسبب لعل رتبته ومزيد مثوباته ، ألا ترى إلى ما روى عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه قال « بعث الفقراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا فأتى الرسول فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك فقال صلى الله عليه وسلم : مرحبا بك وبعثت من عندهم جئت من قوم أحبهم الله . فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولا تقدر عليه ويتصدقون ولا تقدر عليه ويعتقون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل ما لهم ذكراً فقال صلى الله عليه وسلم : بلغ عنى الفقراء أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شيء : الحصلة الأولى أن في الجنة غرفاً من ياقوت أحمر ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم لا يدخلها إلا نبي أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام ويدخل سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب الملك الذي أعطاه الله تعالى . والثالثة إذا قال الفقير : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لحق شيئاً لم يلحقه الغنى وإن أنفق عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها . فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يا رب » (تنبيه الغافلين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأيتها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة » وفيه حث للأمة على التوبة لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان يتوب في اليوم مائة مرة مع عظم شأنه وكونه معصوماً فكيف لا يشتغل بالتوبة ليلاً ونهاراً من يندس جريدة أعماله بالتدب مرة بعد أخرى ، فعلى هذا لا يكون البصر على المعاصي كاملاً في الإيمان بل يكون ناقصاً فيه وذلك لأن ترك الذنوب لا يتصور إلا بالصبر والصبر لا يتيسر إلا بالخوف والخوف لا يتحقق إلا بالعلم بعظم ضرر الذنوب ، والعلم بعظم ضرر الذنوب لا يحصل إلا بتصديق الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن لم يترك الذنوب وأصر عليها يصير كأنه لم يصدق الله تعالى ورسوله فيخاف عليه أمر عظيم عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً لزوال الإيمان فيختم له بسوء الخاتمة معاذ الله تعالى ويبقى في جهنم أبداً الآباد وإن لم يمت على سوء الخاتمة بل مات على الإيمان يكون في مشيئة الله تعالى إن شاء يدخله جهنم ويعتقه فيها بقدر ذنوبه ثم يخرجها منها ويدخله الجنة ولو بعد حين وإن شاء يعفو عنه ويدخله الجنة بلا عذاب إذ لا يستحيل أن يشملهم عموم العفو

بسبب خفي لا يطلع عليه أحد غير الله تعالى (مجالس روى) ومن كان أقرب إلى الله تعالى فالمصائب له في الدنيا أكثر والبلاء عليه أشد ، أما تسمع قوله عليه الصلاة والسلام : « أشد الناس بلاء : الأنبياء ثم العلماء ثم الأمثل فالأمثل » وقال الله تعالى (ولنبولنكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى وإياك أن تبذل لهم دينك لتنال دنياهم فلا يفعل ذلك أحد إلا صغر في أعينهم (بداية الهداية للإمام الغزالي) .

فالفقراء أموال إلا من أحياء الله تعالى بعز القناعة ، فالقناعة راحة الأبدان وسلامة القلوب فمن قنع بالرزق المقسوم قد فاز بالآخرة وطاب عيشه . فالتوكل على الله هو الاكتفاء بالله وإسقاط الخوف والرجاء ممن سوى الله تعالى . فالحرعبد إذا طمع والعبدحر إذا قنع (من المجموعة) (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم) . قال السدي : أراد به الزكاة المفروضة ، وقال غيره أراد به صدقة التطوع والنفقة في الخير (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) لا تقدررون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تتبايعوا ما تنفقون (كشاف) أى لا فداء فيه مما يبعأ لأن الفداء شراء نفسه (ولاخلة) أى لا صداقة (ولاشفاعة) إلا باذن الله (والكافرون هم الظالمون) أى هم الكاملون في الظلم لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها توقعهم الشفاعة ممن لا يشفع لهم من الأوثان (معالم التنزيل)

المجلس الحادى والثلاثون : فى بيان العدل والإحسان

سورة النحل — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الله يأمر بالعدل) بالتوسط فى الأمور اعتقاداً كالتوحيد للتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب للتوسط بين محض الجبر والقدر وعملاً كالعباد بأداء الواجبات للتوسط بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود للتوسط بين البخل والتبذير (والإحسان) إحسان الطاعات وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (وإيتاء ذى القربى) وإعطاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص بعد تعميم للبالغ (وينهى عن الفحشاء) عن الإفراط فى مشايعة القوة الشهوية كالزنى فانه أقبح أحوال الإنسان وأشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه من إثارة القوة الغضبية (والبغى) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم (يعظكم) بالأمر والنهى والتمييز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تعظون (قاضى يضاوى) .

قال عليه الصلاة والسلام « البخيل » أى الكامل فى البخل كما يفيد تعريف البخل

« من ذكرت عنده » أى من ذكر اسمى بمسمع منه « فلم يصل على » لأنه بخل على نفسه حيث حرماه صلاة الله عليه عشرأ إذا صلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم واحدة (كذا فى الجامع الصغير) قال عليه الصلاة والسلام « أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان » أى ذو حكم وسلطنة « مقسط » أى عادل « متصدق » أى محسن إلى الفقراء « موفق » بفتح الفاء الذى رزق طاعة الله والعدل فى الحكم « ورجل » يعنى والثانى رجل « رحيم رقيق القلب » أى فى قلبه رقة وشفقة ورحمة « لكل ذى رحم ومسلم » أى للأقارب والأجانب « وعفيف » أى والثالث رجل صالح « متعفف » أى مانع نفسه عما لا يحل ولا يليق « ذو عيال » ولا يحمله حب العيال على تحصيل المال الحرام بل يختار حب الله على حب العيال « وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا صبر له » أى لا تماسك له « عند » بجىء « الشهوات » فلا يرتدع عن حرام ، والذى بمعنى الذين ولذا أبدل منه « الذين هم فيكم تبع » قيل هم أهل البطالات لأم لهم فى عمل الآخرة « لا يبنون » أى لا يطلبون « أهلاً » فأعرضوا عن الزوج وارتكبوا الفواحش « ولا مالا » أى لا يطلبون مالا بكسب الحلال إذ لا رغبة لهم فى عمل أيديهم ؛ وقيل هم الذين يدورون حول الأمراء يخدمونهم لا يبالون من أى وجه يأكلون ويلبسون أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم همة إلى أهل ولا إلى مال بل قصروا أنفسهم على المأكل والمشرب « والخائن الذى لا يخفى له طمع » أى لا يخفى له طمعه فى شيء ما « وإن دق » أى قل « إلا خانته » أى إلا سعى فيه حتى يجده فيخونه ، أو معناه لا يطمع فى موضع خيانة إلا خان ما طمع فيه وإن كان للطموع فيه شيئاً يسيراً وهذا هو الثانى من الخمسة « ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك » أى لا يفارق مخادعته إياك عن أهلك ومالك « صباحه ومساءه » أى يخادعك فى أكثر أحواله « وذكر » أى قال الراوى ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخمسة « البخل والكذب » أى البخل والكذاب فأقام المصدر مقام اسم الفاعل ، وهذا هو الرابع « والشنظير » بكسر الشين والظاء المعجمتين يتخللها السكون هو السيء الخلق « الفحاش » نعت له أى هو مع سوء خلقه فحاش فى كلامه وهذا هو الخامس (كذا فى شرح المصايح لابن ملك) قال الإمام القشيرى قدس سره : أمر الله تعالى العبد بالعدل فيما بينه وبين الله تعالى وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الخلق . فالعدل بينه وبين ربه إثبات حق الله تعالى على حفظ نفسه وتقديم رضاه على هواها والتجرد عن جميع الزاجر والتفرد بملازمة جميع الأوامر والعدل فيما بينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها . والعدل الذى بينه وبين خلقه بذل النصيحة وترك الخيانة فيما قل أو كثر والإنصاف لهم بكل وجه وأن لا يسوء إلى أحد لا بالقول ولا بالفعل ولا بالعزم . اعلم أنت الأمر بهذه الأشياء الثلاثة جامع لجميع ما أمر الله تعالى به فى القرآن وكذلك التهى عن الأشياء الثلاثة جامع لجميع (٨ - درة الناصحين)

ما نهى الله تعالى عنه في القرآن ولذلك يقرأ كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة هذه الآية لتكون عظة جامعة للناس كلهم ، وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : أجمع آية في القرآن هذه ، وعن علي رضي الله تعالى عنه قال : جماع التقوى في قول الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل) الآية (من العيون والتيسير) روى عن عثمان بن مظعون أنه قال : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوني إلى الإسلام فأسلمت استحياء مخالفتهم ولم يتقرر الإسلام في قلبي فحضرت عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ذات يوم فبينما هو يحدثني إذ رأيت بصره يشخص إلى السما ثم رأسه عن يمينه رفعه مرة أخرى ثم خفضه عن يساره ثم أقبل على محمرا وجهه يرفض عرفا فسألته عن تلك الحالة النازلة عليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : بينما أنا أحدثك إذ رفعت بصري إلى السماء فرأيت جبرائيل نزل عن يميني فقال يا محمد ققرأ (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) « إلى آخر الآية » قال عثمان فاستقر الإيمان في قلبي يومئذ فكان نزول هذه الآية سببا لاستقرار إيمان عثمان بن مظعون كذا ذكره ابن الشيخ ، فمن كان صاحب لب يتعظ بمواعظ الله تعالى ويتصحب بنصائح رسول الله عليه الصلاة والسلام ويتنبه تنبيهاته قال عليه الصلاة والسلام : « أتدرون من الفليس ؟ قالوا الفليس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال عليه الصلاة والسلام : إن الفليس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيته حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » . ولذا قال عليه الصلاة والسلام : « من كانت له مظلة لأخيه من عرض أو شيء آخر فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر ظله وإن لم يکن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » (مشكاة المصابيح) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وعن سهل بن معاذ عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الجور شاء » (كذا في الباب) روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : من قدر وعفا نظرت إليه كل يوم سبعين نظرة ومن نظرت إليه نظرة واحدة لم أعذب به بناري (روضة المغني) فعلى العاقل أن يعتاد العفو عن الناس والإحسان إليهم ويحترز عن الغيظ والغضب لأنه يؤدي إلى النار جفطنا الله من النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار . حكى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت بمرقة فعثرت فضبت بالمرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاي استعمل قول الله تعالى (والكافرين الغيظ) قال قد فعلت ، فقالت استعمل ما بعده (والعافين عن الناس) قال قد عفوت عنك

فقال الجارية (والله يحب المحسنين) فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه الله تعالى (روضة
التقين) (الذين ينفقون في السراء والضراء) أى فى اليسر والعسر ، فأول ما ذكر من أخلاق المتقين
الموجبة للجنة ذكر السخاء وقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من
النار ، والبخل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، والجاهل السخى أحب
إلى الله من العالم البخل » . (والكاذمين القبيح) أى الجارعين القبيح عند امتلاء قلوبهم منه ،
والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم القبيح أن يمتلىء غيظاً فيرده فى جوفه ولا يظهره ، وعن
النبي صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس
الخلائق حتى يختار من الحور ما شاء » (والعافين عن الناس) أى عمن ظلمهم وأساء لهم (والله يحب
المحسنين) (معالم التنزيل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء » أى الرجل « على دين خليله »
أى صديقه وصاحبه « فليُنظر أحدكم » أى الخليل « إلى من يخال » أى يخالقه « فاطلب
رفيقاً » أى صاحباً يكون شريكك فى التعلم وصاحبك « فى أمر دينك » أى فى فعل دينك
« ودينك » لأن الخليل يحصل منه فوائد دينية كالعلم والعمل والدعاء والشفاعة فى الآخرة
ودنيوية كالجاه والاستئناس والمجاورة وغيرها ، وفهم من هذا الحديث أنه لا يصحب من ساء
خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة فيقع فى العصية (هذا الحديث فى بداية
الهداية للإمام الغزالي) .

المجلس الثانى والثلاثون : فى بيان معراج النبى عليه الصلاة والسلام

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل
علماً له فيقطع عن الإضافة ويمنع الصرف واتصافه بفعل متروك وإظهاره وتصدير الكلام
به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد ، وأسرى وسرى بمعنى السير ، وليلاً نصب على
الظرفية وفائدته الدلالة بتكثيره على تقليل مدة الإسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه
كقوله تعالى « ومن الليل قهجد به » (من المسجد الحرام) بعينه لما روى أنه عليه الصلاة
والسلام قال : بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى
جبرائيل عليه السلام بالبراق « أو من الحرم ، وسماه المسجد الحرام لأنه كله مسجد أو لأنه
محيط به ليطلق البدأ للنهى . لما روى أنه عليه الصلاة والسلام كان نائماً فى بيت أم هانئ
بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها . وقال : مثل لى النبيون
فصليت بهم ثم خرج إلى المسجد وأخبر به قريشاً فتعجبوا منه استحالة وارته ناس ممن آمن

به وسعى رجال إلى أبي بكر رضى الله تعالى عنه ، فقال إن كان قال لقد صدق ، فقالوا أتصدقه على ذلك ؟ قال إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق ، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة . واختلفوا في أنه عليه الصلاة والسلام كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده ، والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ، ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه (إلى للسجد الأقصى) بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار والثمار (لنزيه من آياتنا) كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات . وقرىء ليريه بالياء (إنه هو السميع) لأقوال محمد عليه الصلاة والسلام (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (قاضى يضاوى) .

عن الحسن بن علي عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثروا الصلاة على فان صلاتكم مغفرة لذنوبكم ، واطلبوا إلى الوسيلة والدرجة الرفيعة فان وسيلتي عند ربى شفاعتي لكم » (الجامع الصغير) وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعه مقاماً محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد حلت له شفاعتى يوم القيامة » (شفاء شريف) سبب نزول هذه الآية أن النبي عليه الصلاة والسلام لما ذكر الإسراء وكذبوه أنزلها الله تصديقاً لنيه . وقال البرهان النسفى : لما وصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى الدرجات العاليات والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى إليه يا محمد بماذا أشرفك قال عليه الصلاة والسلام تشرفى بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية فأنزله الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً) (معراجية) وفي تصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب قرينة دالة على أن الوارد بعدها أمر خارق للعادة وآية لا يقدر عليها أحد إلا الله ، فلما قيل ليلاً تبين بتلك القرينة أن المراد منه بعض الليل ، فان التبعض قريب من التقليل ، فكأنه قيل أسرى بعبده في بعض الليل من مكة إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة ، فتعين بهذه القرينة تقليل مدة الإسراء والدلالة على أن الإسراء واقع في بعض الليل (شيخ زاده) . فان قلت لفظ من في قوله (من آياتنا) يقتضى التبعض ، وقال الله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) وظاهر هذا يدل على تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد ولا قائل به فما وجهه ؟ قلت : ملكوت السموات والأرض من بعض آيات الله تعالى ، لأن آيات الله تعالى أفضل من ذلك ، فالتى رآه محمد عليه

الصلاة والسلام من آيات الله ومعجائبه أفضل من ملكوت السموات والأرض ، فظهر بذلك فضل محمد عليه الصلاة والسلام على إبراهيم عليه السلام (من تفسير الباب) .

الحكمة في افتتاح هذه السورة بالتسبيح وجهان : أحدهما أن العرب تسبح عند الأمر العجيب فكان الله عجب من خلقه بما أسندوا إلى رسوله محمد عليه الصلاة والسلام من الاستهزاء والسخرية . والثاني أن يكون خرج مخرج الرد عليهم لأنه عليه الصلاة والسلام لما حدثهم عن الإسراء كذبوه فيكون المعنى تزه الله أن يتخذ رسولا كذاباً (الإمام أبو حارث) . فان قلت ما الحكمة في افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد . قلت إن التسبيح جاء مقدماً على التحميد مثل (فسبح بحمد ربك) و« سبحان الله والحمد لله » ، لأن التسبيح هو التنزيه والتحميد هو الثناء ، والتنزيه هو التخلية والتحميد التحلية ، والتخلية مقدمة على التحلية (معراجية) .

وقال بعضهم المراد بالمسجد الحرام مسجد مكة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « أول مسجد وضع في الأرض للمسجد الحرام » وهو مسجد مكة شرفها الله تعالى وقد قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) وفي الصحيحين عن أبي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « أول مسجد وضع في الأرض للمسجد الحرام وبعده للمسجد الأقصى الذي أسسه يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة » (معراجية) . فان قلت ظاهر الآية يدل على أن الإسراء كان إلى بيت المقدس ، والأحاديث الصحيحة تدل على أنه عرج به إلى السماء فكيف يصح الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الأقصى ققط . قلت : كان الإسراء على ظهر البراق إلى المسجد الأقصى ومنه كانت عروجه إلى السماء على العراج ، وفائدة ذكر المسجد الأقصى ققط أنه عليه الصلاة والسلام لو أخبر بمعوده إلى السماء أولا لاشتد إنكارهم لذلك فلما أخبر أنه أسرى به إلى بيت المقدس وبأن لهم صدقه فيما أخبر عنه من العلامات وصدقوه عليها أخبر بعد ذلك أن الأقصى كالتوطئة لمعرجه إلى السماء ، فجعل الإسراء إلى المسجد الأقصى كالتوطئة لمعرجه إلى السماء (تفسير الخازن) .

وعن الزهري وعروة أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أصبح ليلة أسرى به وأخبر الناس بذلك ارتد ناس ممن صدقوه عليه الصلاة والسلام وقتلوا فتنة عظيمة وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر ، فقالوا إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس ومنه إلى السموات وجاء قبل أن يصبح ، قال لئن قال ذلك لقد صدق ، قالوا أنت تصدقه في هذا ؟ قال نعم أصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، فلذا سمى الصديق وجاء واحد منهم فقال يا محمد قم فقام عليه الصلاة والسلام فقال ارفع إحدى رجليك فرفع ، ثم قال ارفع الأخرى فقال إن رفعتها أسقط ، فقال الكافر إذا لم ترفع عن الأرض شبرا فكيف رفعت إلى السماء وإلى سدره

النتهى ؟ فقال عليه الصلاة والسلام اخرج من المسجد واحك بهذا القول لعلى فانه يجيئك فخرج من المسجد فلحق عليا فحكى له القصة فسل سيفه وضرب عنقه فمات فأنكر الأصحاب على علي وقالوا لم تقتله ؟ وقول النبي عليه الصلاة والسلام معقول وهو أمرك بالجواب لا بالقتل ، فقال على جواب المعاند يكون هكذا فان الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعجز عن جوابه لكن علم أنه لا يقبل الجواب فأرسله إلى لأتله . وجوابه أن الرسول بحوله وقوته عاجز عن العروج مقدار شبر ، لكن أمر للعراج إنما حصل بقوة القادر القوى الذى جميع القدر عند قدرته كذرة من الشمس وقطرة من البحر ، ثم اجتمعوا عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجاسوا حوله يسألون عن أشياء فى بيت المقدس فقالوا : أخبرنا عن غيرنا أى تجارنا الذين مضوا إلى الشام هل لقيت شيئاً منها ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم فى طلبه وفى رحلهم قدح من ماء أخذته فشربته ثم وضعت كما كان ، فأسألوهم هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا ؟ قالوا هذه علامة ثم قالوا أخبرنا عن غيرنا متى تجيئ إلينا قال عليه الصلاة والسلام مررت بها بالتنعيم وهو موضع قبيل الحرم قالوا فما عددها وأحمالها وهيتها ومن فيها ؟ قال هى كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها حمل أورق وهو ما يكون لونه كلون التراب عليه غرارتان تطلع عليكم طلوع الشمس ، قالوا هذه علامة فخرجوا فى آخر الليل ينتظرون العير ليستدلوا بها على صدقه فى خبر السماء إن ظهر صدقه ، فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال آخر منهم هذه الأبل والله قد طلعت يقدمها بعير أورق وفيها فلان وفلان كما أخبر عليه الصلاة والسلام فلم يؤمنوا وقالوا إن هذا إله سحر مبین (موعظة) . عن أبى سعيد الخدرى أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الليلة التى أسرى به فيها فقال « أتيت بدابة وهى أشبه الدواب بالبغل وهو البراق الذى كان يركبه الأنبياء قال فانطلق بى يضع يده عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يمينى يا محمد على رسلك فمضيت ولم أعرج عليه ثم سمعت نداء عن شمالى فمضيت ولم ألتفت إليه ثم استقبلتنى امرأة وعليها من كل زينة فمدت يدها وقالت على رسلك فمضيت ولم ألتفت إليها ثم أتيت بيت المقدس أو قال المسجد الأقصى فزلت وأوثقته بالحلقة التى كانت الأنبياء يؤثقونه بها ثم دخلت المسجد فضليت فقلت يا جبرائيل سمعت نداء عن يمينى فقال ذلك داعى اليهودية ، أما إنك لو وقفت عليه لتهودت أمتك فقلت سمعت نداء عن شمالى فقال ذلك داعى النصرانية أما إنك لو وقفت عليه لتنصرت أمتك ، وأما المرأة فكانت الدنيا تزيت لك أما إنك لو وقفت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة ، ثم أتيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقال لى اشرب أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته وتركزت الخمر فقال جبرائيل أصبت

الفطرة أى أعطيت أمتك الإسلام ، أما إنك لو أخذت الحجر لتوت أمتك » (قصة) . روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لما كانت ليلة أسرى بي وأنا بمكة بين النوم واليقظة جأنى جبرائيل فقال يا محمد قم قممت فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل اثنتى بطست من ماء زمزم لكي أطهر قلبه وأشرح له صدره قال عليه الصلاة والسلام فشق بطنى وغسله ثلاث مرات وقد اختلف إليه ميكائيل بثلاث طسوت من ماء فشرح صدرى وتزع ما كان فيه من غل وملاء حكمة وعلماء وإيماناً وختم بين كتفى بخاتم النبوة ، ثم أخذ جبرائيل ييدى حتى انتهى إلى سقاية زمزم فقال للملك اثنتى بذنوب من ماء زمزم أو من ماء الكوثر وقال لى توضأ فتوضأت ثم قال انطلق يا محمد فقلت إلى أين ؟ فقال إلى ربك ورب كل شيء فأخذ ييدى وأخرجنى من المسجد فإذا أنا براق فوق الحمار ودون البغل خده كخذ الإنسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوائمه كتوائم الإبل وأظلافه كأظلاف البقر وظهوره كأنه درة يضاء عليه رحل من رحال الجنة وله جناحان فى فخذه يمر مثل البرق خطوه عند منتهى طرفه فقال اركب . وهى دابة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التى كان يزور عليها البيت الحرام فركبته ، ثم سار ومعه جبرائيل فقال انزل فصل قال فترلت وصليت فقال جبرائيل أتندى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بطيبة وإليها المهاجرة إن شاء الله ثم سرنا ثم قال انزل فصل فترلت وصليت فقال أتندى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بيت ثم سرنا ثم قال انزل فصل فترلت فصليت قال أتندى أين صليت ؟ قلت لا قال صليت بيت لحم حيث ولد عيسى عليه الصلاة والسلام ثم مضينا حتى أتينا بيت المقدس فلما انتهيت فإذا أنا بملائكة قد نزلوا من السماء وتلقونى بالبشارة والكرامة من عند الله تعالى يقولون : السلام عليك يا أولى يا آخرى يا حاشر . قال قلت يا جبرائيل ما تحيتهم إياى ؟ قال إنك أول من تنشق عنه الأرض وعن أمتك وأول شافع وأول مشفع وإنك آخر الأنبياء وإن الحشر بك وبأمتك ، ثم جاوزنا حتى انتهينا إلى باب المسجد فأنزلى جبرائيل وربط البراق فى الحلقة التى كانت تربطه الأنبياء فيها بخطام من حرير الجنة ، فلما دخلت الباب إذا أنا بالأنبياء والمرسلين » وفى حديث أبى العالية « أرواح الأنبياء الذين بعثهم الله من قبلى من لدن إدريس ونوح عليهما الصلاة والسلام إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قد جمعهم الله عز وجل فسلموا على وحيونى مثل تحية الملائكة ، قلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم أخذ جبرائيل ييدى فانطلق بي إلى الصخرة فصعد بي . قال فإذا معراج إلى السماء لم أر مثله حسناً وجمالاً لم ينظر الناظرون إلى شيء قط أحسن منه ومنه تخرج الملائكة أصله على صخرة بيت المقدس ورأسه ملتصق بالسماء ، إحدى عارضتيه ياقوتة

والأخرى زبرجدة درجة من فضة ودرجة أخرى من زمرد مكلل بالدر والياقوت وهو العراج الذى يهبط منه ملك اللوت لقبض الأرواح ، فاذا رأيتم ميناكم شخص بصره فانه تقطع عنه العرفة إذا عاينه لحسنه ، فاحتملنى جبرائيل عليه الصلاة والسلام حتى وضعنى على جناحه ثم ارتفع إلى سماء الدنيا من ذلك العراج قعرع الباب قليل من ذا ؟ فقال أنا جبرائيل قليل من معك ؟ قال محمد ففتح الباب فدخلنا فيه ، وبينما أنا أسير فى سماء الدنيا إذ رأيت ديكا له ريش أبيض كأشد بياض ، مارأيت مثله قط وله زغب أخضر تحت ريشه كأشد خضرة مارأيت مثلها قط وإذا رجلاه فى تخوم الأرض السفلى ورأسه تحت العرش له جناحان فى منكبيه إذا نشرهما جاوز الشرق والمغرب فاذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله عز وجل يقول : سبحان الملك القدوس الكبير التعال لا إله إلا الله الحى القيوم ، فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ فاذا سكن ذلك الديك فى السماء سكنت ديكة الأرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أزل منذ رأيت ذلك الديك مشتاقاً إلى أن أراه ثانياً ، قال عليه الصلاة والسلام ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء السادسة فاستفتح إلى آخره ، ثم صعدنا إلى السماء السابعة فاستفتح إلى آخره ، ثم دخلنا فاذا أنا برجل أبيض جالساً على كرسى عند باب الجنة وعنده قوم جلوس بيض الوجوه ، فقلت يا جبرائيل من هذا الأئمة ومن هؤلاء وما هذه الأنهار ؟ قال هذا أبوك إبراهيم أول من شمت على الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وإذا إبراهيم مستند إلى بيت فقال جبرائيل هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة فاذا خرجوا لم يعودوا إليه ، قال عليه الصلاة والسلام فأتى بى جبرائيل إلى سدة المنهى فاذا هى شجرة لها أوراق الواحدة منها تغطى الدنيا بما فيها ، وإذا بنبتها مثل قلال هجر يخرج من أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان ، فسألت جبرائيل فقال : أما الباطنان فى الجنة ، وأما الظاهران فالتيل والفرات . قال ثم انتهيت إلى سدة المنهى وأنا أعرف ورقها وثمرها فغشيتها من نور الله ما غشى أى تجلى وغشيتها الملائكة كأنهم جراد من ذهب من خشية الله تعالى ، فلما غشيتها ما غشى تحولت حتى لا يستطيع أحد أن ينعتها . قال عليه الصلاة والسلام : وفيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عز وجل ، ومقام جبرائيل فى وسطها ، فقال لى جبرائيل تقدم فقلت يا جبرائيل تقدم أنت فقال بل تقدم يا محمد إنك أكرم على الله منى فتقدمت وجبرائيل على أثرى حتى انتهى بى إلى حجاب فراش الذهب فحرك

الحجاب قيل من ذا ؟ قال أنا جبرائيل ومعى محمد قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى وتخلّف جبرائيل قفلت إلى أين ؟ فقال يا محمد وما منا إلا له مقام معلوم إن هذا منتهى الخلائق ، وإنما أذن لى فى الدنو من الحجاب لاحترامك وإجلالك ، فانطلقى للملك فى أسرع من طرفة عين إلى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب ، فقال الملك من وراء الحجاب من هذا ؟ قال أنا صاحب فراش الذهب وهذا محمد رسول العرب معى ، قال الملك الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب حتى وضعنى بين يديه ، فلم أزل كذلك من حجاب إلى حجاب كل حجاب مسيرة خمسمائة عام وما بين الحجاب إلى الحجاب خمسمائة عام ثم دلى لى رفرف أخضر ضوءه ككسوة الشمس فالتفت بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملنى ، فلما رأيت العرش وجدته أوسع من كل شيء قهربنى الله عز وجل إلى مسند العرش ونزلت قطرة من العرش فوقعت على لسانى فما ذاق اللذات فحسب أنها ، فأنبأنى الله عز وجل نبأ الأولين والآخرين وأطلق لسانى بعد كلاله من هبة الله ، قفلت : التحيات لله والصلوات والطيبات ، فقال الله عز وجل ثناؤه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، قفلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقال لى ربى عز وجل : يا محمد اتخذتك حبيباً كما اتخذت إبراهيم خليلاً ، وكلمتك كما كلمت موسى تكليماً وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلتهم أمة وسطاً وجعلتهم الأولين والآخرين فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، ثم أقضى إلى أموراً لم يؤذن لى أن أخبركم وفرضت على ولى أمتى فى كل يوم خمسون صلاة ، فلما عهد إلى بهمه وتركنى ما شاء الله ، قال لى ارجع إلى أمتك وبلغهم عنى فحملنى الرفرف الذى كنت عليه ولم يزل يخفضنى ويرفعنى حتى أهوى بى إلى سدره النتهى ، فاذا أنا بجبرائيل أبصره بقلبي كما أبصره بعينى أمامى ، فقال حيّاك الله بما لم يحى أحداً من خلقه لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسل ، وقد بلغك مقاماً لم يصل إليه أحد من أهل السموات والأرض ، فهنيئاً لك بما حيّاك الله من المنزلة الرفيعة والكرامة الفاتحة فخذ بشكره فان الله منعم يحب الشاكرين ، فحمدت الله على ذلك ، ثم قال جبرائيل عليه الصلاة والسلام انطلق يا محمد إلى الجنة حتى أريك مالك فيها حتى تزدد بذلك فى الدنيا زهادة إلى زهادتك وفى الآخرة رغبة إلى رغبتك فجزنا حتى وصلنا بإذن الله تعالى فما ترك فيها مكاناً إلا رأيته وأخبرنى عنه ، فرأيت القصور من الدر والياقوت والزبرجد ، ورأيت الأشجار من الذهب الأحمر ، ورأيت فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وذلك مفروغ منه معد وإنما ينظر به صاحبه من أولياء الله ، فتعاطفنى الذى رأيت وقلت : لمثل هذا فليعمل العاملون ثم عرض على النار حتى نظرت إلى أغلالها وسلاسلها ، ثم أخرجنى من السماء فمررنا بالسموات منحدرين من

سماء إلى سماء حتى أتيت إلى موسى فقال ماذا فرض الله عليك وعلى أمتك ؟ فقلت خمسين صلاة ، فقال موسى إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال له مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إلى موسى فقال له مثله فرجعت فوضع عني عشراً ، فأتيت إليه فقال مثله فرجعت فوضع عني عشراً فأتيت إليه ، فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فأتيت إليه ، فقال إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، قلت سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاوزته نادى مناد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية أخرى وأجزى بالحسنة عشر أمثالها ، قال عليه الصلاة والسلام : ثم انصرفت مع أخي جبرائيل لا يفوتني ولا يفوته حتى انصرفنا إلى مضجعي ، وكان ذلك في ليلة واحدة من لياليكم هذه قال عليه الصلاة والسلام : أنا سيد ولد آدم ولا خفر ويدي لواء الحمد ولا خفر . قال ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « لما كانت ليلة أسرى بي وأصبحت بمكة ، عرفت أن الناس لا يصدقونني فقعده عليه الصلاة والسلام حزناً ، فمر به أبو جهل عدو الله فأتاه فجلس إليه فقال كالمستهزئ هل استغدت من شيء ؟ قال نعم أسرى بي الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم . قال أتحدث قومك بما حدثتني ؟ قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فإنا حتى جلسوا اليهما ، قال حدث قومك بما حدثتني قال : نعم ، أسرى بي الليلة قالوا إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال نعم فسمي رجال من الشركين إلى أبي بكر الصديق ، فقالوا هل لك من صاحبك خبر يزعم أنه أسرى به الليلة قال أو قد قال ؟ قالوا قال ، قال نعم لقد صدق قالوا أتصدقه ؟ قال أصدقه في أبعد من ذلك » هذه القصة بإيجاز . وأما رؤيته عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل ؟ فاختلف السلف في رؤيته سبحانه بعين بصره . فأنكرته عائشة ، عن عامر عن مسروق : أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه يعني ليلة الإسراء في حال اليقظة ؟ فقالت قف شعري مما قلت أي اقشعر شعري جسدي مما طلبت مني « ثلاث من حديثك بهن فقد كذب : من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) » الآية وذكر الحديث ، وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه قال إنما رأى جبرائيل واختلف عنه ، وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين . وعن

ابن عباس أنه رآه بعينه ، وروى عطاء عنه رآه بقلبه . وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين . وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه ؟ فقال نعم ، والأشهر عنه أنه رأى ربه بعينه ، روى ذلك عنه من طرق وقال : إن الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالحلقة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) أقمارونه على ما يرى ؟ . ولقد رآه نزلة أخرى (قال للماردي قيل إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكله موسى مرتين ، وحكى السمرقندي عن محمد ابن كعب القرظي وريبع بن أنس « أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك ؟ قال رأيت به فؤادي ولم أره بعيني » الخ (شفاء شريف) .

وأما سبب المعراج فهو أن الأرض افتخرت على السماء فقالت الأرض أنا خير منك لأن الله تعالى زينني بالبلاد والبحار والأنهار والأشجار والجبال وغيرها ، فقالت السماء أنا خير منك لأن الشمس والقمر والكواكب والأفلاك والبروج والعرش والكرسي والجنة في ، وقالت الأرض في بيت يزوره ويطوف به الأنبياء والمرسلون والأولياء والمؤمنون عامة ، وقالت السماء في البيت المعمور يطوف به ملائكة السموات ، وفي الجنة التي هي مأوى أرواح الأنبياء والمرسلين وأرواح الأولياء والصالحين ، وقالت الأرض إن سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل الوجودات عليه أكل التحيات ووطن في وأجرى شريعته على ، فلما سمعت السماء هذا عجزت وسكتت عن الجواب وتوجهت إلى الله فقالت إلهي أنت تجيب للضطر إذا دعاك وأنا عجزت عن جواب الأرض فأسألك أن تصعد محمداً إلى فأتشرف به كما تشرفت الأرض بجماله وافتخرت به الأرض فأجاب دعوتها وأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه الصلاة والسلام في الليلة السابعة والعشرين من رجب لا تسبح هذه الليلة ويا عزرائيل لا تقبض الأرواح هذه الليلة ، فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام أجاءت القيامة ؟ قال لا يا جبريل ولكن اذهب إلى الجنة وخذ البراق واذهب به إلى محمد فذهب جبرائيل ورأى أربعين ألف براق يرتعون في رياض الجنة وعلى جبهتهم اسم محمد ورأى فيهم براقاً منكساً رأسه بيكى وتسيل من عينيه الدموع ، فقال جبرائيل مالك يا براق ؟ قال يا جبرائيل إني سمعت منذ أربعين ألف سنة اسم محمد فوقع في قلبي عجة صاحب هذا الاسم وعشقتة وبعد ذلك لم أحتج إلى طعام ولا شراب واحترقت بنار العشق فقال جبرائيل أنا أوصلك بمشوقك ثم أسرجه وأجله وجاء به إلى النبي عليه الصلاة والسلام إلى آخر القصة (أعرجية)

المجلس الثالث والثلاثون : في بيان فضيلة الإنسان

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ولقد كرمنا بني آدم) بحسن الصورة والزاج الأعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والإفهام بالنطق والاشارة والخط والهدى إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الأرض والتمكين في الصناعات وانسباق الأسباب والمسببات العلوية والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع ، إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه ، ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفمه إلا الانسان فإنه يرفعه إليه بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن ، من حملته حملاً إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيها حتى لم تخسف بهم الأرض ولم يفرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) للمستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) بالقلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ، ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده (قاضى يضاوى) .

روى عن وهب بن منبه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « من سلم على عشراً فكأنما أعتق رقبة » (شفاء شريف) « روى أن عمرو بن كعب وأبا هريرة رضى الله تعالى عنهما دخلا على النبي عليه الصلاة والسلام فقالا يا رسول الله من أعلم الناس ؟ قال العاقل قالوا من أعبد الناس ؟ قال العاقل ، قالوا من أفضل الناس ؟ قال العاقل ، لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل قوم راع وراعى المؤمن العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل » (حياة القلوب) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : العقل عشرة أجزاء : خمسة منها ظاهرة وخمسة منها باطنة ، أما الظاهرة فأولها الصمت كما قال عليه الصلاة والسلام « من صمت نجا » وقال عليه الصلاة والسلام « من كثر كلامه كثر سقطه » والثاني الحلم والثالث التواضع كما قال عليه الصلاة والسلام « من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله » والرابع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخامس العمل الصالح . وأما الباطنة ، فأولها التفكير ، والثاني العبرة ، والثالث استعظام الذنوب ، والرابع الخوف من الله تعالى ، والخامس تحقير النفس وتذليلها (حياة القلوب) وفي الخبر « خلق الحسن على سبعة أقسام : اللطافة والملاحة والضياء والنور والظلمة والرقة والدقة ؛ ولما خلق الخلق وهذه الأشياء جعل لكل شيء منها قسماً واحداً ، فجعل اللطافة للجنة والملاحة للجنات والعيون والضياء للشمس والنور للقمر والظلمة لليل والرقة والدقة للهواء وزين العالم الأكبر يعنى السماء والأرض بهنئ الأقسام ؛ ولما خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وحواء وهو العالم الأصغر زينه بكل هذه الأشياء ، فجعل اللطافة لروحه والملاحة لسانه والضياء لوجهه والنور لعينه

والظلمة لشعره والرقه لقلبه والدقة لسره ، فكان الإنسان أحسن من كل شيء كما قال الله تعالى في حقه (في أى صورة ماشاء ربك) « (مجالس) لانزاع في أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من الملائكة السفلية إنما النزاع في الملائكة العلوية السماوية ، فقال أكثر الصحابة الأنبياء عليهم السلام أفضل وعليه الشيعة وأهل اللل ، وقالت المعتزلة الملائكة أفضل وعليه الفلاسفة . واحتج أصحابنا بوجوده : الأول قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) فأمروا بالسجود لآدم وأمر الأدنى بالسجود للأفضل هو السابق إلى الفهم . والثاني قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) إلى قوله (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم) فانه يدل على أن آدم عليه السلام علم الأسماء كلها ولم يعلموها والعالم أفضل من غيره ، وقال الله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) والثالث أن للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه وحاجته الشاغلة لأوقاته وليس للملائكة منها شيء ، ولا شك أن العبادة مع هذه العوائق أدخل في الإخلاص وأشق فيكون أفضل ، وتفصيل هذا في شرح العلامة التفتازاني على العقائد فمليك عطلته . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل الأعمال أحمرها » أى أشقها فيكون ثوابها أكثر . والرابع أن الإنسان ركب تركيباً بين الملك الذى له عقل بلا شهوة وبين البهيمة التى حالها شهوة بلا عقل فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ، ثم إن غلبت طبيعته على عقله فهو أشر من البهائم لقوله تعالى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقوله تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم) وذلك يقتضى أن يكون من غلب عقله على طبيعته خيراً من الملائكة (كذا في شرح المواقف) . (هـ) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وذريته قالت للملائكة يارب خلقهم ياء كلون ويشربون وينسكحون ويركبون ويلبسون الثياب وينامون ويسرحون ولم تجعل لنا شيئاً من ذلك فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لأجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن خلقته بكن فيكون » أى كمن خلقته بمجرد الأمر وهو الملك . يعنى لا يستوى البشر والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر أكثر ومنزله أعلى (مصابيح) يقال تركيب الأفلاك والبروج مثل تركيب الإنسان ، فكما أن الأفلاك سبعة كذلك الأعضاء والفلك منقسم إلى اثني عشر برجاً وكذلك في الجسد اثنا عشر تقباً عياناً وأذنان ومنخران وسيلان وثديان وفم وسرة ، ستة من البروج جنوية وستة شمالية وكذلك ستة تقوب من جهته اليمنى وستة من جهته اليسرى ، وفي الفلك سبعة أنجم وفي الجسد سبع قوى سامعة وناظرة وشامة وذاتقة ولامسة وعاقلة وناطقة ، فحركاتك مثل حركات الكواكب وولادتك مثل طلوع الكواكب وموتك مثل غروب الكواكب وهذا الاعتبار في العالم

العلوى . وأما في العالم السفلى فجسدك كالأرض وعظامك كالجبال وعذك كالعادن وعروقك كالجداول ولحمك كالتراب وشعرك كالنباتات ووجهك كالشرق وظهرك كالغرب ويمينك كالجنوب وشمالك كالشمال وتفسك كالريح وكلامك كالرعد وضحكك كالبرق وبكاؤك كالطرر وغضبك كالسحاب ونومك كال موت وسهرك كال حياة . وشبابك كالصيف وشيخوختك كالشتاء (فبارك الله ! حسن الخالقين) وجعل في الكف خمسة وثلاثين عظما وفي الرجل كذلك (زهرة الرياض) روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى (رب العالمين) أن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم أربعة أصناف : الملائكة والشیاطین والجن والإنس ، ثم جعل هؤلاء الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منهم للملائكة وجزء واحد منهم للشیاطین والإنس والجن ، ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منهم للشیاطین وجزء واحد منهم للإنس والجن ، ثم جعلها عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن وجزء واحد منهم الإنس ، ثم جعل الإنس مائة وخمسة وعشرين جزءا ، فجعل مائة جزء منهم في بلاد الهند ومصيرهم كلهم إلى النار وجعل اثني عشر جزءا في بلاد الروم ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في الشرق ومصيرهم جميعهم إلى النار وجعل ستة أجزاء منهم في الغرب كلهم من أهل النار ، وبقي جزء واحد ثلاثة وسبعون جزءا . اثنان وسبعون منها أهل البدعة والضلالة وفرقة منها ناجية وهم أهل السنة والجماعة وحسابهم على الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (تفسير الوسيط) ،

سئل أبو بكر البخاري عن الفقير لو أخذ جائزة السلطان مع علمه أن السلطان أخذها غصبا أيحل ذلك ؟ قال إن كان السلطان خلط الدرهم بعضها ببعض فلا بأس بأخذه ، وإن دفع إليه عين الغصب من غير خلط لا يجوز أخذه . قال الفقيه أبو الليث هذا الجواب يستقيم على قول أبي حنيفة ، إذ عنده من غضب الدرهم من قوم وخلط بعضها ببعض يملكها الغاصب ويكون مديونا لهم . وذكر في بستان العارفين أن الناس اختلفوا في أخذ جائزة السلطان ، فقال بعضهم يجوز ما لم يعلم أنه يعطيه من الحرام ، وقال بعضهم لا يجوز . أما من أجاز له فقد ذهب إلى ما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال : إن السلطان يصيب من الحلال والحرام فما يعطيك فخذ فاعلم يعطيك من الحلال . وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال قال عليه الصلاة والسلام : « من أعطى شيئا من غير مسألة فليأخذه فاعلم هو رزق رزقه الله تعالى » . وروى عن حبيب بن أبي ثابت أنه قال : . رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتيهما هدايا المختار فيقبلانها منع كونه مشهورا بالظلم . وزوى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة رحمة الله عليه عن حماد أن إبراهيم النخعي رحمه الله خرج إلى زهير بن عبد الله الأزدي وكان عاملا على

حلوان يطلب جائزته هو وأبو ذر الحمداني رضي الله تعالى عنه ، قال محمد رحمه الله وبه نأخذ ما لم نعرف شيئاً من إعطائه حراماً بعينه وهذا قول أبي حنيفة (موعظة) أقول في زماننا لا يمكن الأخذ بالقول الأحوط في الفتوى لأن الاستقصاء البالغ في الحلال على قانون الورع الأعلى مما يفضي إلى المخرج سيما في حق الطلبة وهو مدفوع في الدين بل الشرع هو الميزان المستقيم فما لا يذمه الشرع فهو حلال ورحمة من الله تعالى على عباده فإذا تمسك أحد بالشريعة فليس لأحد أن ينكر عليه لأن الإنكار استخفاف بالشريعة فمن استخفها يخاف عليه زوال الإيمان . إذا تحقق هذا فالورع والتقوى في هذا الزمان أن يجعل ما في يد كل إنسان ملكاً له ما لم يتيقن أنه بعينه مغبوب أو مسروق وإن علم يقيناً أن في ماله حراماً إنقال قاضيخان في فتاواه: رجل دخل على سلطان فقدم إليه شيء من المأكولات إن لم يعلم أنه بعينه غصب يحل له أن يأكل لأن الأصل في الأشياء الإباحة والإفلا (من استفادات الحقير) .

قال الله تعالى في سورة يس (وآية) عظيمة من الدالة على كمال قدرتنا ووحدايتنا (لهم) أي يستدلون بها على صدقنا (أنا) أي بشأن عظمتنا (حملنا ذريتهم في الفلك) والمراد بالذرية الآباء والأجداد وإن كان اسم الذرية يقع على الأولاد (الشحون) أي للحماء والمراد بالفلك سفينة نوح عليه السلام ، وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح عليه والسلام وكانوا في أصلاب آبائهم . قال بعضهم : المراد بالفلك الشحون سفينة هذا الزمان وذرياتهم في السفينة التي تجري في البحر وليس لها بد ورجل وتقطع مسيرة عشرين يوماً في يوم واحد هذا كله يدل على كمال قدرتنا (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيئتها ، وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الأنهار كالفلك السكبار في البحر ، وهذا قول قتادة والضحاك وغيرهما . وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المراد من مثله الإبل في البر كالسفن في البحر يعني خلقنا لهم في البحر السفن يركبونها وخلقنا لهم في البر الإبل والفرس والحمار يركبونها ، وهذا كله يدل على قدرتنا وقوتنا (من معالم التنزيل وغيره) .

المجلس الرابع والثلاثون : في بيان صلاة التهجد

سورة الإسراء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن الليل قتهجد به) أي بعض الليل فترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبها بك (عسى أن يعثبك ربك مقاماً محموداً) مقاماً يحمد به القائم فيه وكل من عرفه وهو يطلق في كل مقام يتضمن كرامة . والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام

أنه قال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتي ، وإشعاره بأن الناس يحمّدونه لقيامه فيه وماذا إلا مقام الشفاعة ، واتصافه على الظرف بإضمار فعله أى فيقيمك مقاماً أو بتضمنين يعثك معناه ، أو الحال بمعنى أن يعثك ذامقام (قاضى يضاوى) .

عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على إلا وإنيهما لم ينصرفا حتى يغفر الله ذنوبهما ما تقدم وما تأخر من كرمه » . وروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أنه كان جالساً في المسجد فدخل عليه شاب فعظمه وأجلسه يجتبه فوق أبي بكر ثم اعتذر عليه الصلاة والسلام فقال إنما أجلسته أعلى منك لأنه ليس في الدنيا من يصلى على أكثر منه وهو يقول كل غداة وعشى : اللهم صل على سيدنا محمد بعدد من صلى عليه وصل على سيدنا محمد بعدد من لم يصل عليه وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه وصل على محمد كما أمرت أن يصلى عليه فلذلك أجلسته أعلى منك » (زبدة الواعظين) قوله : ومن الليل متعلق ، تهجد أى تهجد بالقرآن في بعض الليل فأنترك المجهود ، والأظهر أن يكون متعلقاً بمقدر عطف عليه قهجد لأن الفاء لا بد لها من المعلوم عليه ، والتقدير قم من الليل قهجد بالقرآن (شيخ زاده) وقوله : ومن الليل قهجد أى قم بعد نومك قهجد لأن التهجد لا يكون إلا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل والصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الأمة في ابتداء الإسلام لقوله تعالى (يا أيها الزمّل قم الليل) الآية ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) وبقي الوجوب ثابتاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدليل قوله تعالى (نافلة لك) أى زيادة لك يريد فريضة زائدة على سائر الفرائض التي فرضها الله تعالى ، وقيل صار الوجوب منسوخاً في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما في حق الأمة فصار قيام الليل نافلة له عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك (من تفسير الحازن) للراد بالنافلة الفضيلة لفضله على أمة بوجوبها عليه ويزداد ثواباً وهي فضيلة له لا مكفرة لذنوبه لكونه مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (شهاب) . فان قلت : فما معنى التخصيص إذا كان زيادة في حق المسلمين كما في حق النبي عليه الصلاة والسلام . قلت فائدة التخصيص أن النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي عليه الصلاة والسلام قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان نافلة له وزيادة في رفع الدرجات العاليات ، بخلاف الأمة فان لهم ذنوباً محتاجة إلى الكفارة فهم يحتاجون إلى النوافل لتكثير الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة الثواب ، فالإشارة إلى هذا المعنى جعل تطوعات النبي عليه الصلاة والسلام زوائد في مثوبته

بخلاف الأمة (شيخ زاده) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام بقيام الليل وكتب عليه دون أمته ولكن صحح البغوى أنه نسخ عن النبي عليه الصلاة والسلام فرضية التهجّد (شهاب) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « رحم الله تعالى رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته وإن أبث نضح بالماء وجهها ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبي نضحت بالماء وجهه » (موعظة) عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ثلاثة على فرضة وسنة لكم : البتور والسواك وقيام الليل » (شهاب) عن عمر بن الخطاب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من صلى في الليل وأحسن الصلاة أكرمه الله تعالى بتسعة أشياء : خمسة في الدنيا وأربعة في الآخرة ، الخمسة التي في الدنيا يحفظه الله من الآفات ويظهر أثر الطاعة في وجهه ويحبّه قلوب عباده الصالحين والناس أجمعين وينطق لسانه بالحكمة ويجعله حكما أى يرزقه الفقه . والأربعة التي في الآخرة يحشر من القبر أبيض الوجه ويسر عليه الحساب ويمرّطى الصراط كالبرق الخاطف ويسطى كتابه يمينه يوم القيامة (روضة العلماء) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : ليلة أسرى بي إلى السماء أوصانى ربى بخمسة أشياء فقال لا تعلق قلبك بالدنيا فإني لم أخلقها لك ، واجعل محبتك لى فان مصيركم إلى ، واجتهد في طلب الجنة وكن آتيا من الخلق فانه ليس في أيديهم شيء ودم على التهجّد فان النصره مع قيام الليل (شرعة الإسلام) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من استيقظ من النوم فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين وللمؤمنات فقد غفر له ربه » (زبدة الواعظين) قال إبراهيم بن أدهم نزل بي أضياف فعلت أنهم أبدال ، قلت أوصونى بوصية حتى أخاف الله تعالى تخيفكم ، قالوا نوصيك بسبعة أشياء : أولها من كثر كلامه فلا تطمع فيه يقظة القلب ، وثانيها من كثر أكله فلا تطمع فيه الحكمة ، وثالثها من كثر اختلاطه بالناس فلا تطمع فيه خلوة العبادة ، ورابعها من أحب الدنيا فلا تطمع فيه حسن الخاتمة ، وخامسها من كان جاهلا فلا تطمع فيه حياء القلب ، وسادسها من اختار محبة الظالم فلا تطمع فيه استقامة الدين ، وسابعها من طلب رضا الناس فلا تطمع فيه رضا الله تعالى عنه (حديث الأربعين) (ت) عن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم من الأنبياء والأولياء » روى أن آل داود عليه السلام كانوا يقومون ، وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك ، لانكم خير الأمم ، وإيماء إلى أن من لا يقوم في الليل ليس من الصالحين الكاملين

« ومقرب لكم إلى ربكم » أى أقرب إلى عجة مولانا كم بما تقتربون به إليه تعالى ، وفيه إشارة إلى الحديث القدسي وهو قوله : « لا يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » « ومكفرة للسيئات ومحاة » هما مصدران ميميّان كالمحمة بمعنى الفاعل ، أى ساترة للذنوب ومحاة للعيوب قال الله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) « وناهية عن الإثم » قال الله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والنكر) (على القارى عليه رحمة البارى) قال عليه الصلاة والسلام « أشفع لأمتى حين ينادى ربى فيقول أَرْضَيْت يا محمد ؟ فأقول يا رب رَضِيت » (حديث الأربعين) عن عمر بن عبد العزيز أنه كان خليفة وكان من الزاهدين قالت له جاريته يوماً يا أمير المؤمنين إني رأيت رؤيا عجيبية فقال ما رأيت ؟ قالت رأيت القيامة قد قامت وحشر الناس ونصب الميزان ومد الصراط عليها ، وجاءوا أولاً بعبد الملك بن مروان وقالوا له أعبر من هذا فلما وضع قدميه على الصراط وأراد أن يمشى ، فمأشى من خطوة أو خطوتين إلا سقط في النار ، ثم جاءوا بابنه الوليد بن عبد الملك وقالوا أعبرنا وضع قدمه على الصراط إلا وقع في النار ، وكان الخلفاء كلهم مثل ذلك ، ثم جاءوا بك يا أمير المؤمنين ، فلما قالت الجارية ذلك صاح عمر بن عبد العزيز صيحة واضطرب اضطراباً شديداً كالسمك في الشبك وجعل يضرب برأسه أرضاً وجداراً والجارية تصيح وتقول : والله رأيت أنك في الجنة وجاوزت الصراط سالماً ، فلم يسمع كلامها من اضطرابه فلما سكن اضطرابه وجدوه قد مات (موعظة) قال عليه الصلاة والسلام « يعقد الشيطان على ناصية رأس أحدكم إذ هو نائم ثلاث عقد ، فإذا استيقظ فذكر اسم الله تعالى انحلت عقدة واحدة ثم إذا توضأ انحلت عقدة ثانية ، ثم إذا صلى انحلت عقدة ثالثة فأصبح نشيطاً وإلا بال الشيطان في أذنيه » (كذا في الشكاة) قال الإمام الغزالي رحمه الله : إذا كان أول الليل نادى مناد من تحت العرش ألا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله ، ثم ينادى مناد في شطر الليل ألا ليقم الجائفون الذين يطيلون قيامهم في الصلاة إلى السحر ، ثم ينادى مناد ألا ليقم للمستغفرون فيقومون فيستغفرون ، وإذا طلع الفجر ينادى مناد ألا ليقم الغافلون فيقومون من فراشهم كالموتى ينشرون من قبورهم ؛ ولذا أوصى لقمان ابنه ، وقال يا بني لا تكن نائماً والديك ينادى في الأسحار وأنت نائم . وقال الشيخ محي الدين بن العربي قدس سره : عليك من قيام الليل بما يزيل عنك اسم الغفلة وأقل ذلك بشر آيات أى في الصلاة . وكذا عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « من قام بشر آيات في الصلاة لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المكثرين ثواباً وهو كمن تصدق بسبعين ألف دينار » (كذا في زبدة الواعظين) حكى أن موسى عليه السلام مر يوماً

رجل وهو يصلي مع خضوع وخشوع فقال يا رب ما أحسن صلاته ! قال الله تعالى يا موسى لو صلى في كل يوم ليلة ألف ركعة وأعتق ألف رقبة وصلى على ألف جنازة وحج ألف حجة وغزا ألف غزوة لم ينفعه حتى يؤدي زكاة ماله ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ومنع الزكاة ينشأ من حب الدنيا (موعظة) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من حافظ منكم على الصلاة حينما كان وأينما كان جاز على الصراط كالبرق الخاطف مع أول زمرة من السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان له بكل يوم وليلة كأجر ألف شهيد » . وقال عليه الصلاة والسلام « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » فان قلت لم هذا الأجر العظيم للفعل اليسير القليل ؟ قلت أما سمعت حكاية الشافعي رحمه الله حكى عنه أنه سقط سوطه من يده فأسرع إليه شخص فأخذه فأعطاه إياه ، فدفع إليه الإمام صرة فيها مبلغ عظيم ثقيل له لم هذا الأجر العظيم لهذا الفعل اليسير ؟ فقال الإمام : إنه استعمل فينا جميع وسعه ونحن ما استعملنا إلا البعض من وسعنا ، هذه معاملة الشافعي ، فكيف معاملة رب العالمين ؟ فان الشافعي روى حديثاً في ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « يقبل ربي بعذر واحد ألفي كبيرة » لا سيما تكبيرة الافتتاح في الصلاة قال النبي عليه الصلاة والسلام « التكبيرة الأولى خير من الدنيا وما فيها » قيل المراد منه لو كانت لك الدنيا فأنتقتها في سبيل الله تعالى لم يحصل لك ما يحصل بالتكبيرة الأولى (موعظة) .

المجلس الخامس والثلاثون : في بيان فضيلة الأصحاب

سورة الكهف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واصبر نفسك) واحبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار (يريدون وجهه) رضا الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم ، وتعديته بمن تضمنه معنى نبا (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف في الشهورة (ولا تطع من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلاً (عن ذكرنا) كآمية بن خلف في دعائك إلى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش (واتبع هواه) وجوابه ما مر غير مرة (وكان أمره فرطاً) أي تقدما على الحق وبذلاً وراء ظهره يقال فرس فرط أي متقدم الخيل ومنه القوط (قاضى يضاًوى) .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من صلى على صلاة » بأن قال اللهم صل على محمد معناه يا رب أعط ما أعطيت من الشرف والكرامة « صلى الله عليه عشرآ » الصلاة من الله على العبد رحمة له « وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات » . قيل هذه الآية نزلت حين طلب رؤساء الكفار

طرد فقراء المسلمين عن مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام كصهيب وعمار وخباب وسلمان وغيرهم ، فقالوا اطردهم عن مجلسك يا محمد حتى نجلس معك لأنهم قوم أزدلون كأن ربحهم ربح ضأن ونحن رؤساء القوم نستكف الجلوس معهم ، فان طردتهم آمنّا بك فهم عليه الصلاة والسلام أن يفعل ذلك لحرصه على إيمانهم فنزل جبريل عليه السلام بقول الله تعالى — ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه — فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهاني الله عن طرد هؤلاء ، فقالوا فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فقال لا أفعل ، فقالوا فاجعل المجلس واحداً وأقبل علينا بوجهك وول ظهرك إليهم فنزل قوله تعالى (واضرب نفسك) الآية . (معالم) وقال قتادة هذه الآية نزلت في أصحاب الصفه وكانوا سبعائة فقير في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا إلى ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام : « الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم » (معالم التنزيل) عن أنس رضي الله عنه أنه قال : بعث الفقراء إلى رسول الله واحداً فقال يا رسول الله إني رسول الفقراء إليك قال عليه الصلاة والسلام مرحباً بك وبمن أقدمك جث من قوم أحبهم الله ، فقال يا رسول الله يقول الفقراء إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم ينجون ولا تقدر عليه ويتصدقون ولا تقدر عليه ويعتقون ولا تقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً فقال عليه الصلاة والسلام : سلم على الفقراء وبلغهم عني أن من صبر منكم واحتسب فله ثلاث خصال ليست للأغنياء : الأولى أن في الجنة غرفة من يا قوتة حمرات ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى النجوم ولا يصل إليها إلا نبي أو ولي أو شهيد أو مؤمن فقير . والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها حيثما شاءوا ويدخل سليمان بن داود عليهما السلام الجنة بعد دخول الأنبياء بأربعين عاماً بسبب المال والملك الذي أعطاه الله تعالى في الدنيا . وقال عليه الصلاة والسلام « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً » أي سنة . فان قلت ما التوفيق بين الحديثين ؟ قلنا يجوز أن يكون السابق بخمسمائة عام فقيراً صابراً ، والسابق بأربعين خريفاً غير صابر ، ويجوز أن يكون السابق بأربعين خريفاً فقراء المهاجرين على أغنيائهم لا مطلق الفقراء ولا الأغنياء .

(وحكي) أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال ألك امرأة تأوي إليها ؟ فقال نعم . قال ألك مسكن تسكن فيه ؟ قال نعم ، قال أبت من الأغنياء قال فان لي خادماً فقال أنت من الملوك . والثالثة إذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً وقال الغني مثل ذلك مخلصاً لم يبلغ ثواب الغني مثل ثواب

الفقر وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذا الحال في كل أعمال البر فرجع إليهم رسولهم فأخبرهم بذلك فاستبشروا وقالوا رضينا يارب بالفقر انتهى . (من ابن ملك على المشرق) وقال أبو الليث : للفقراء خمس كرامات : إحداها أن ثواب عملهم أكثر من ثواب عمل الأغنياء في الصلاة والصدقة وغيرها . والثانية أن الفقير إذا اشتى شيئاً لا يجد يكتسب له من الأجر . والثالثة أنهم سابقون إلى الجنة . والرابعة أن حسابهم في الآخرة أقل . والخامسة أن ندامتهم أقل لأن الأغنياء يتحنون في الآخرة أن لو كانوا فقراء . وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : « دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير وإذا الحصير قد أثر في جنبه فنظرت في خزينته فرأيت نحو صاع من شعير فبكيت ، فقال ما يبكيك قلت كسرى وقيصر ينامان على فراش حرير وأنت رسول الله أرى فيك من الفقر ما أرى . فقال عليه الصلاة والسلام يا عمر ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » وإنما قال لنا ولم يقل لي مع كون السؤال عن حاله إشارة إلى أن الآخرة لمناسبة أيضاً ، ويروي « يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيبتهم في الحياة الدنيا » يعني أن حظ الكفار ما نالوه من نعيم الدنيا ولا حظ لهم في الآخرة انتهى (من ابن ملك على المشرق) وقال عليه الصلاة والسلام : « يقوم فقراء أمتي يوم القيامة وجوههم كالقمر وتشعورهم منسوجة بالبر والياقوت وبأيديهم أقلام من نور ويجلسون على منابر من نور والناس في الحساب وينظر أهل الجنة إليهم فيقولون أهؤلاء من الملائكة فيقولون لا وتنظر إليهم الملائكة فيقولون أهؤلاء من الأنبياء ؟ فيقولون لا ، بل نحن من أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيقولون بأي الأعمال رزقكم الله تعالى هذه الدرجات ؟ فيقولون لم تكن أعمالنا كثيرة ولم نصم الدهر ولم تقم الليل بل كنا نحافظ على الصلوات الخمس بالجماعة وإذا سمعنا اسم محمد عليه الصلاة والسلام فاضت عيوننا بالدمع وكنا ندعوا من قلب خاشع ونشكر الله على الفقر الذي أصابنا » (زبدة الواعظين) وعن عمرو بن شعيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « خصلتان من كاتبنا فيه كتبه الله تعالى شاكرًا صابرًا : من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله تعالى على فضل الله عليه كما قال الله تعالى (ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) » وعن شقيق الزاهد رحمه الله تعالى أنه قال : اختار الفقراء ثلاثة أشياء والأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (زبدة الواعظين) وقال الجنيد البغدادي الفقر ثلاثة أحرف : الفاء هو الفناء والقاف هو القناعة والراء هو الرياضة وإن لم تكن هذه

الصفات موجودة في الفقير لا يكون فقيراً . قيل للوالى أى الأغنياء يدخلون الجنة بعد مماليكهم بخمسمائة سنة ، وقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لكن ينبغي لك أن تعرف أن السبق لا يستلزم رفع الدرجات على من تأخر بل قد يكون بعض من تأخر كالدين أثقوا ما لهم في وجوه الخيرات أرفع درجة ممن سبقه في الدخول (من ابن ملك) . حكى أن الجنيد البغدادي لما مات أبدل مكانه رجل يقال له محمد الحريري وهو قد جاور مكة سنة ولم يفطر ولم يمس ولم يمسد ظهره إلى جدار ولم يمد رجله ، فلما مضى من عمره ستون سنة جلس في مقام التغطية قيل له أى شيء رأيت من العجائب ؟ قال بينا أنا جالس في زاوية إذ دخل على شاب حاسراً رأسه وحافياً رجله متفرقاً شعره مصفراً وجهه فجعل يتوضأ وصلى ركعتين ثم جعل رأسه في جيبه حتى حضر وقت المغرب فصلى معنا للغرب ثم جعل رأسه في جيبه فانفق في تلك الليلة أن دعا خليفة بغداد الصوفية للنصيحة فأرذنا الخروج للإجابة فقلت له يا فقير أتريد أن تخرج معنا لإجابة دعوة الخليفة قال ليس لي حاجة عند الخليفة ولكن أريد أن تجعل لي عصيدة ثخينة فقلت في نفسي لا يوافقني في الإجابة ويريد مني شيئاً فكرته وأتيت مجلس الخليفة ثم أتيت زاويتي فرأيت الشاب كأنه نائم فمت أنا فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الشيخان الأنوران وخلفه جماعة عظيمة تتلأأ وجوههم نوراً فقلت لي هذا رسول الله وعن يمينه إبراهيم خليل الله وعن يساره موسى كليم الله والذين خلفه مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ، فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه تعالى عليه وسلم لأقبل يده حول وجهه عنى ثم فعلت كذا حول وجهه ثانياً وثالثاً ، فقلت يا رسول الله أى شيء صدر منى أعرضت عنى بوجهك الكريم فنظر إلى عمرأ وجهه كالياقوتة الحمراء لجلاله فقال إن فقيراً من قراءنا أراد منك عصيدة فبخلت بها وتركته جائعاً في هذه الليلة فانتبهت خائفاً ترتعد فرائصى ، وهى اللحوم التى تتعلق بالعصب فغاب الشاب فلم أجده في مكانه فخرجت من الزاوية ورأيت يذهب فقلت يا فتى بالله الذى خلقك اصبر ساعة حتى أجيء بعصيدة فنظر إلى متبهما وقال يا شيخ من أراد لقمة منك فأين يجدها وأربعة وعشرين ألفاً من الأنبياء يأتونك شفعاء للقمة من عصيدة قال هكذا وغاب (مشكاة الأنوار) قال الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) مثل نفقات المنفقة في طاعته (كمثل حبة) لزراع زرعها في أرض عامرة (أنبتت سبع سنابل) فرضاً وتقدير آو . . . هو الله ولكنها سبب الإنبات أى أخرج سبع شج من أصلها لجودة الحبة وحذاقة الك . . . وعمارة الموضع ، وضع جمع الكثرة موضع جمع القلة وهو سنبلات (في كل سنبل . . . حبة) فيكون جعلتها سبعمائة حبة ؛ فكذلك للتصدق الصالح بالمال الصالح إذا أعطاه

من يستحقه باذن الشرع ، يعطيه الله بكل صدقة سبمائة حسنة أو أكثر (والله يضاعف) أى يزيد الثواب (لمن يشاء) من المنفقين لا لكل منفق لتفاوت الأحوال بينهم (والله واسع) أى واسع الفضل لتلك الأضعاف (عليم) بإففاقهم ونياتهم ، ثم بين لهم طريق الإففاق في سبيله لنيل ثوابه فقال (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) أى يصرفونها في مواضعها (ثم لا يقيمون ما أنفقوا) منها (منا) أى لا يمنون عليهم بما تصدقوا بأن يقول التصديق للأن اصطنعتك كذا وأحسنيت إليك كذا (ولا أذى) أى ولا يؤذونهم بأن يقول التصديق المؤذى إني قد أعطيتك ، فما شكرت إلى أو كم تأتيني وتؤذيني أو كم تسأل ألا تستحي (لهم أجرهم) ثوابهم مهيأ (عند ربهم ولا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من أمر الدنيا ، قيل نزلت هذه الآية في شأن عثمان حين اشترى بث رومة وجعلها سبيلا على المسلمين ، ثم قال الله تعالى تأكيد النفي للمن والأذى (قول معروف) الآية (تفسير عيون) قال النبي عليه الصلاة والسلام : « الضيف بركة من الله ونعمة من الله ومن أكرم الضيف فهو معي في الجنة ومن لم يكرم الضيف فليس مني » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « من أراد أن يحبه الله ورسوله فليأكل كل مع ضيفه » . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حق الصدقة وفضائلها : « الصدقة ستر من النار ، فإذا كان يوم القيامة يستظل الناس بظل صدقاتهم » . (زهرة الرياض)

المجلس السادس والثلاثون : في بيان ذم الدنيا وزوالها

سورة الكهف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها العفوية (كفاء) هو كفاء ، ويجوز أن يكون مفعولا ثانياً لاضرب على أنه بمعنى صير (أنزلناه من السماء فاخطلط به نبات الأرض) فالتف بسببه ، وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثره ؟ أو نجيع في النبات حتى روى وورق ، وعلى هذا كان حقه فاخطلط بنبات الأرض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للبالغة في كثرته (فأصبح هشياً) مهشوماً مكسوراً (تذرؤه الرياح) تفرقه وقرى تلهيه من أفرى والشبه به ليس الماء ولا حاله ، بل الكيفية للترعة من الجملة وهي حال النبات للنبت بالماء يكون أخضر وارقا ، ثم هشياً تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن . (وكان الله على كل شيء شئ) من الإنشاء والإفناء (مقتدرا) قادراً (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتزين بها الإنسان في دنياه وتفتى عنه عن قريب (والباقيات الصالحات) وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد ويندرج فيها ما فسرته به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والكلام الطيب (خير عند ربك)

من المال والبنين (ثواباً) جائداً (وخير أملاً) لأن صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا (قاضى يضاوى) .

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكاً وأعطاه سماع الخلائق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم الدين فما من أحد من أمتي يصلي على إلا سمع باسمه واسم أبيه ، وقال يا محمد إن فلان بن فلان يصلي عليك » (أبو السعود) قال عيسى عليه السلام : الدنيا ثلاثة أيام يوم أمس قدمضى ما يبدى منه شيء ، ويوم غد لا تدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه . والدنيا ثلاث ساعات : ساعة مضت ، وساعة لا تدرى أتدركها أم لا ، وساعة أنت فيها فاغتنمها ، فلست تملك بالحقيقة إلا ساعة واحدة ، إذ الموت من ساعة إلى ساعة . الدنيا ثلاثة أنفاس نفس : مضى عملت فيه ما عملت ، ونفس لا تدرى أتدركه أم لا ، ونفس أنت فيه فلست تملك إلا نفساً واحداً لا يوماً ولا ساعة ، فبادر في هذا النفس الواحد إلى الطاعة قبل أن تفوت وإلى التوبة قبل أن تموت ، فلعلك في النفس الثاني تموت وأفضل الأعمال حفظ الأوقات عند الأنفاس فان من ضيع وقته ضيع عمره (تنبيه الغافلين) . وفي الخبر عن النبي عليه والسلام أنه قال لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وصحتك قبل سقمك ، وحياتك قبل موتك » لأن الإنسان يقدر على الأعمال في حال شبابه مالا يقدر في حال هرمه ، فينبغي أن يجتهد في هذه الخمسة ويغتنم أيام الصحة ووقت الفراغ مادام حيا فمن اشتاق إلى الله تعالى سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار نهى نفسه عن الشهوات (تنبيه الغافلين) .

روى أن ابن عمر رضى الله عنهما جاء من الكتاب وهو يبكي فقال عمر رضى الله عنه مايكيك يا ولدي ؟ فقال إن الصبيان في الكتب عدوا رقاع قبصى ، وقالوا انظروا إلى ابن أمير المؤمنين كم رقعة في قبضة وقد كان ثوب عمر مرقعا في أربعة عشر موضعاً وبعض الرقع كان من أديم ، فبعث عمر إلى الخازن وقال أقرضني من بيت المال أربعة دراهم إلى رأس الشهر ، فإذا كان رأس الشهر اجعله من مشاهرتي أي مما آخذ من وظيفتي شهراً فشهر من بيت المال ، فكتب إليه الخازن يا عمر أتا من على حياتك شهراً حتى أتق لك لما تفعل بدراهم بيت المال لومت وبقيت عليك ؟ فلما سمع عمر كلام الخازن بكى وقال : يا بني ارجع إلى الكتاب ، فأني لا آمن على روحى ساعة (مشكاة الأنوار) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « ماشع رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى إلى سبيله » . وفي رواية « من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله تعالى مالا لا يخطر بباله » وفي رواية أخرى « ماشع آل رسول الله من خبز بر حتى لقي الله تعالى » وقالت

عائشة رضى الله تعالى عنها « مترك عليه الصلاة والسلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً » وفى حديث عمرو بن الحارث رضى الله عنه « مترك عليه الصلاة والسلام إلا سلاحه وبغلة وأرضاً جعلها صدقة » قالت رضى الله عنها : ولقد مات عليه الصلاة والسلام وما فى بيتى شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى ردف لى وقال لى عليه الصلاة والسلام « إنه عرض على أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك » ، وفى حديث آخر « أن جبرائيل عليه السلام نزل فقال له يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهباً وتكون معك حينما كنت ، فأطرق ساعة ثم قال : يا جبرائيل إن الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبرائيل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت » . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت « إنا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً ما هو إلا النمر والماء » (شفاء شريف) (طب) عن سعيد عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال لبلال « يا بلال مت قعيماً ولا تمت غنياً » قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلى جوف النبى شعباً قط ولم يبيت شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإنه كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ، ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به وأمسح يدي على بطنه مما به من الجوع وأقول نفسى لك القداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدينا إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حاطم قدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل نوابهم فأجذنى أستحي إن توفرت فى معيشتى أن يقصر بى غداً دونهم وما من شيء هو أحب إلى من اللخوق باخوانى وأخلاقى قالت فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفى صلى الله عليه وسلم (شفاء شريف) وعن جابر بن عبد الله قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل أبيض الوجه حسن الشعر أبيض الثياب فقال : السلام عليك يا رسول الله ، ما الدنيا ؟ قال تكلم النائم قال وما الآخرة ؟ قال فريق فى الجنة وفريق فى السعير ؟ قال فما الجنة ؟ قال بدل الدنيا بتركها فان ثمن الجنة ترك الدنيا ، قال فما جهنم ؟ قال بدل الدنيا بطالبها ، قال فما خير هذه الأمة ؟ قال الذى يعمل بطاعة الله تعالى ، قال فكيف يكون الرجل فيها ؟ قال مشعراً كطالب القافلة قال فكم القرار فيها ؟ قال كقدر المتخلف عن القافلة قال فكم ما بين الدنيا والآخرة ؟ قال غمضة عين قال جابر فذهب الرجل فلم نره فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا جبرائيل أتاكم ليزهدكم فى الدنيا ويرغبكم فى الآخرة » (زبدة الواعظين) قال النبى عليه الصلاة والسلام : « إن الله لم يخلق خلقاً أبغض من الدنيا وإنه لم ينظر إليها منذ خلقها » قال عليه الصلاة والسلام

« إذا طلبتم من الدنيا شيئاً فتعصر عليكم وإذا طلبتم من الآخرة شيئاً فخير لكم فاعلموا أن الله تعالى يحبكم ». قال النبي عليه الصلاة والسلام « من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم قلبه أربع خصال : الأولى هم لا يتقطع عنه أبداً . والثانية شغل لا يتفرغ منه أبداً . والثالثة قهر لا يبلغ غنى أبداً . والرابعة أمل لا يبلغ منه أبداً » (زبدة الواعظين) قال عليه الصلاة والسلام « حب الدنيا رأس كل خطيئة فمليك بالإعراض عنها » وقال ابن السكك : من جرعت الدنيا حلاوتها لميله إليها جرعت الآخرة مرارتها لتجافيه عنها . قيل الدنيا مثالها مثال حية فيها سم وترياق فوائدها تزيقها وغوائلها معها ، فمن علمها ينتفع بتزيقها ويعتزم من معها (من الموعدة الحسنة) روى أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنفق في سبيل الله أربعين ألف دينار في السروار أربعين ألف دينار في العلانية حتى لم يبق له شيء وأنه لم يخرج من داره ثلاثة أيام لما لم يجد ما يستر به عورته ولم يحضر إلى النبي عليه الصلاة والسلام فحضر عليه الصلاة والسلام إلى بيوت نسائه ، وفتش فلم يجد شيئاً زائداً على حوائجهم فجاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى بيت فاطمة فاعتم لأبي بكر وقال : ليس عندنا شيء نعطي له لأبي بكر وكذلك فاطمة اغتمت فخرج عليه الصلاة والسلام من عندها حزناً وبقيت فاطمة حزينة لما لم تجد شيئاً تعطيه ، وحين زوجها النبي عليه الصلاة والسلام من علي دعا أبا بكر وعمر وعثمان وأسامة رضي الله عنهم ليحملوا جهاز فاطمة فحملوا طاحونة وجلداً مدبوغاً ووسادة حشوها ليف ومسبحة من النوى وكوزاً وقصعة ، فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله هذا جهاز فاطمة فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر هذا كثير لمن كان في الدنيا ، فخرجت فاطمة عروساً عليها ثملة من صوف رقعت في اثني عشر مكاناً وكانت تطحن الشعير باليد وتقرأ القرآن باللسان وتفسره بالقلب وتحرك المهد بالرجل وتبكي بالعين ، وامرأة زماننا تضرب الدف باليد وتغتاب باللسان وتحب الدنيا بالقلب وتغمز بالعين ؛ فكيف تدخل الجنة ؟ ثم لما خرج النبي عليه الصلاة والسلام حزناً من بيت فاطمة قصدت إلى وسادة كانت من جهازها وعباءة كانت نسجتها بنفسها وبشت تجارية لها فقالت : قولي لأبي بكر قد علمنا ما فعلت في حق أئبتنا ، ولم يكن عندنا شيء سوى هذه الوسادة التي جهزني بها والدي والعباءة ، فلما وصلت الجارية إلى الباب نادى وقالت : السلام عليك يا صاحب الصدق إن سيدتي فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام تقرأ السلام وتقول لك كذا ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليها السلام وأخذ تلك العباءة فاشتغل بها من غير خياطة استعجالاً ليرى وجه النبي عليه الصلاة والسلام وخللها بخلال من شوك النخل لئلا ينكشف وقت المشي فخرج إلى النبي عليه الصلاة والسلام ماشياً حافياً فجاء جبرائيل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فرآه قد اشتغل بعباءة وخللها بشوك النخل فقال عليه الصلاة

والسلام يا أخى يا جبرائيل إني قبل هذه الحالة ما رأيته قط بهذه الصورة قال جبرائيل : يا رسول الله أنت ترانى ولم يبق فى ملكوت السموات إلا من تزيأ به هذه الصورة حباً فى أبى بكر ومواقفة له وقال يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول لك قل لأبى بكر هل هو راض عنى كما أنا راض عنه ، فأخبره النبي عليه الصلاة والسلام بذلك ، فبكى أبوبكر وقال : إلهى أنا عنك راض وأنت راض عنى ثلاث مرات (تنبيه الغافلين) وقال عليه الصلاة والسلام « أربع خصال من الشقاوة : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، وحب الدنيا » وقال عليه الصلاة والسلام « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لوجناح طير ماسق كافرأ منها شربة ماء » (زبدة الواعظين) .

المجلس السابع والثلاثون : فى بيان شدة الموت

سورة مريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واذا ذكر فى الكتاب إدرىس) وهو سبط شيث وجد أبى نوح واسمه أخنوخ ، واشتقاق إدرىس من الدرس فلقب به لكثرة درسه إذ روى أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة وأنه أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب (إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً) يعنى شرف النبوة والزلزنى عند الله ، وقيل الجنة ، وقيل السماء السادسة أو الرابعة (قاضى يضاوى) .

وقد روى عبد الرزاق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « صلوا على أنبياء الله تعالى ورسله فإنه بعثهم كما بعثنى » . وروى أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أريد أن أكون أقرب إليك من كلامك إلى لسانك ومن روحك إلى بدنك ومن نور بصرك إلى عينيك ومن ممك إلى أذنك ، فأكثر الصلاة على محمد . فالمسئلة الشرعية مختلفة بين العلماء . قال صاحب الشفاء : أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : لا تجوز الصلاة على غير النبي . وقال لا ينبغي الصلاة على أحد إلا على النبيين والاختلافات كثيرة ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم ، واحتج بحديث ابن عمر رضى الله عنهما وبما جاء فى حديث تعليم النبي عليه الصلاة والسلام الصلاة عليه ، وفيه وعلى أزواجه وعلى آله ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم صلى على آل أبى أوفى . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقهم قال اللهم صل على آل فلان . وفى حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذرياته (من شفاء قاضى) والمراد بالآل قيل أتباعه ، وقيل أمته وقيل آل بيته ، وقيل آل الرجل ولده ، وقيل قومه ، وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة . وفى رواية أنس سئل النبي عليه الصلاة والسلام : من آل محمد ؟ قال كل تقى ويحى . على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد نفسه فإنه عليه الصلاة والسلام كان يقول

في صلاته اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد نفسه الشريفة (شفاء شريف) وفي الخبر «إذا أراد الله تعالى قبض روح المؤمن يحى ملك الموت من قبل الفم ليقبض روحه فيخرج الله كره يقول لا سبيل لك من هذه الجهة إنما أجرى فيه ذكر ربي فيرجع ملك الموت إلى ربه فيقول قال كذا وكذا فيقول الله تعالى اقبض من جهة أخرى فيحى ملك الموت من قبل اليد فتخرج منها الصدقة ومسح رأس اليتيم وكتب العلم وضرب السيف فتقول كالأول ، ثم يحى إلى الرجل فتقول كالأول فانه قدمشى بي إلى الجماعة والأعياد ومجالس العلم ، ثم يحى إلى أذنيه فتقول كالأول فانه سمع في القرآن والذكر ويحى إلى العين فتقول كالأول فانه نظر بي إلى الصالح والكاتب ثم ينصرف ملك الموت إلى الله تعالى فيقول يا رب غلبتني أعضاء العبد بالحجة كيف أقبض روحه ؟ فيقول الله تعالى اكتب اسمي على كفك وأره روح للمؤمن قراه روح المؤمن فتجبه فتخرج من الفم « فمن بركة اسمه تنصرف عنه مرارة التزع فكيف لا ينصرف عنه العذاب والقطيعة والفضيحة ، وكذلك على صدوركم اسم الله أولئك كتب في قلوبهم الإيمان — أئمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه » أفلا ينصرف عنكم العذاب وأهوال يوم القيامة (موعظة حسنة) .

روى أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوى قوله صلى الله عليه وسلم « ويخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من الجبين » فخم القرآن بالتدبر فما وجدته فرأى النبي عليه الصلاة والسلام في منامه فقال يا رسول الله قال الله تعالى (ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) فما وجدت معنى هذا الحديث فيه ؟ فقال اطلبه في سورة يوسف فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله تعالى (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطنن أيديهن) الآية لما رأين جمال يوسف اشتغلن به وما وجدن ألم القطع ، وكذلك المؤمن إذا رأى الملائكة ورأى مقامه في الجنة وما فيها من النعيم والحدود والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت إن شاء الله تعالى كما في قوله تعالى (تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) (سورة الإسراء) وفي الخبر « إذا وقع العبد في التزع ينادى للنادى دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الروح الركبتين والسرة وإذا بلغت الصدر قال دعه حتى يستريح ، وكذلك إذا بلغت الحلقوم يحى النداء دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضا فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة وكذلك الأذنان واليدان والرجلان وتودع الروح النفس « فتعوذ بالله من وداع الإيمان اللسان ووداع القلب المعرفة فتبقى اليد بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعيان لا نظر لهما والأذنان لا سمع لهما والبدن لا روح له ، ولو بقي اللسان بلا إقرار والقلب بلا معرفة وتصديق فكيف حال العبد في اللحد لا يرى أحداً ولا أباً ولا أما ولا ولداً ولا إخواناً ولا أصحاباً ولا فراشاً

ولا حجاباً ، فان لم يربح كريعاً فقد خسر خسراناً عظيماً (دقائق الأخبار) قيل في سبب رفع إدريس عليه الصلاة والسلام إلى الجنة أنه كان يرفع له كل يوم وليلة من العمل مثل عمل أهل الأرض فاشتاق إليه ملك الموت وسأل الله تعالى أن يأذن له في زيارته فأذن له فأتى إليه على صورة آدمي وسلم عليه وجلس عنده ، وكان إدريس عليه الصلاة والسلام صائم الدهر ، فإذا ذناوقت إفطاره أتاه ملك بطعام الجنة فأكل إدريس عليه الصلاة والسلام فقال لملك الموت كل أنت أيضاً فلم يأكل ؛ فقام إدريس عليه الصلاة والسلام واشتغل بالعبادة وهو جالس عنده حتى طلع الفجر وطلعت الشمس والرجل جالس عنده فتعجب إدريس عليه الصلاة والسلام فقال يا هذا أنسير معنى إذا سرت حتى تفرج فقال ملك الموت نعم فقاما وسارا حتى أتيا مزرعة ، فقال ملك الموت أتأذن لي أن آخذ من هذا الزرع سنابل لناكل فقال إدريس سبحانه الله لم تأكل الطعام الحلال أمس وتريد أن تأكل اليوم من الحرام فمضيا حتى مضى عليهما أربعة أيام وكان إدريس عليه الصلاة والسلام يرى منه ما يخالف طبع الآدميين فقال له من أنت ؟ قال أنا ملك الموت قال أنت الذي تقبض الأرواح ؟ قال نعم قال أنت عندي منذ أربعة أيام فهل قبضت روح أحد ، قال نعم قبضت أرواحاً كثيرة وأرواح الخلق عندي كالمائدة أتناولها كما تناول اللقمة قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت أجت زائراً أم قابضاً ؟ قال جئت زائراً بأذن الله تعالى ، ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لي حاجة إليك فقال ما حاجتك ؟ قال حاجتي منك أن تقبض روحي ثم يحيني الله تعالى حتى أعبد الله بعد ما ذقت مرارة الموت ، فقال إني لا أقبض روح أحد إلا أن يأذنني الله تعالى به ، فأوحى الله إليه أن اقبض روح إدريس قبض من ساعته فمات إدريس عليه الصلاة والسلام ، فبكى ملك الموت وتضرع إلى الله تعالى وسأل منه أن يحيي صاحبه إدريس فأجابه الله تعالى فأحياه فقال يا أخي كيف وجدت مرارة الموت ؟ فقال إن الحيوان إذا انسلخ جلده خال حياته وهو حي فمرارته أشد منه ألف مرة فقال بملك الموت الرفق الذي فعلت بك في قبض روحك ما فعلته بأحد قط ثم قال إدريس عليه الصلاة والسلام يا ملك الموت لي إليك حاجة أخرى إني أريد أن أرى نار جهنم وأعبد الله بعد ما أبصرت الأنكال والأغلال وما فيها ، قال ملك الموت كيف أذهب بك إلى نار جهنم بغير إذن ، فأوحى الله تعالى إليه أن اذهب بإدريس إليها ، فذهب به إليها فرأى فيها جميع ما خلق الله لأعدائه من السلاسل والأغلال والأنكال من الحيات والعقارب والثيران والقطران والزقوم والحميم ثم رجعا فقال إدريس عليه الصلاة والسلام لي حاجة أخرى أريد أن تذهب بي إلى الجنة حتى أرى ما فيها مما خلق الله تعالى للعباد وأزيد في طاعتي ، فقال ملك الموت كيف تذهب بك إلى الجنة بغير إذن الله تعالى ، فأوحى الله إليه أن اذهب به إلى الجنة فنهبا ووقفا

على باب الجنة ، فرأى إدريس ما فيها من النعيم والملك العظيم والعطاء الجسيم والأشجار والفواكه والأثمار ، فقال يا أخى ذقت مرارة الموت ورأيت أهوال الجحيم وأفزاعها فهل لك أن تسأل الله أن يأذن لي في الدخول إلى الجنة وأشرب من مائها لتزول عني مرارة الموت وأفزاع الجحيم ، فاستأذن ملك الموت من الله فأذن له على أن يدخل ثم يخرج فدخل الجنة ووضع عليه تحت شجرة من أشجارها فخرج منها ثم قال يا ملك الموت تركت نعلي في الجنة فأرجعني فيها فرجع ودخل الجنة ولم يخرج منها ، فصاح ملك الموت يا إدريس اخرج . فقال لا أخرج لأن الله تعالى قال : (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته ، وقال الله تعالى : (وإن منكم إلا واردها) وقد وردت النار ، وقال : (وما هم منها بمخرجين) فمن يخرجني منها ، فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت دعه فاني قضيت في الأزل أنه من أهل الجنة ، وأخبر رسوله عن قصته فقال : (واذكر في الكتاب إدريس) الآية . فانتبه من نوم الغفلة أيها الأخ وأخلص عملك لوجه الله لأن كل عمل لم يكن خالصاً لله فهو رياء والرياء شرك خفي ، فالله تعالى لا يقبل عمل المرأى . قال شداد بن أوس « رأيت النبي عليه الصلاة والسلام يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال تخوفت على أمتي الشرك أما إنهم لا يعبدون صنما ولكنهم يراءون بأعمالهم » قال عليه الصلاة والسلام « وتصعد الحفظة بعمل العيد من صوم وصلاة وثقفة وغير ذلك لها صوت كصوت النحل وضوء كضوء الشمس ومعها ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به السماء السابعة ، فيقول الملك للموكل بالسماء للحفظة قوموا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وجوارحه واقفلوا على قلبه ، إني أحجب أي أمتنع عن ربي ارتفاع كل عمل لم يرد به ربي إنما أراد به غير الله لأنه أراد به رفعة ورياء عند الفقهاء وذكرنا عند العلماء وصيتا في الدائن وفي الناس ، أمرني ربي أن لا أدع ولا أترك عمله يجاوزني إلى غيري . وتصعد بعمله الصالح وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطع الحجب كلها إلى الله فيقفون بين يديه يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله فيقول الله تعالى أتم الحفظة على عمل عبيدي وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنة ولعنة الملائكة عليه والسموات وما فيهن ، قال معاذ : قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال اقتد يا معاذ وإن كان في عملك نقص يا معاذ احفظ لسانك من الوقوع في الغيبة في إخوانك المسلمين بتلاوة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ، ولا ترك نفسك بدمهم ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحقر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تعظم على الناس ولا تمزق الناس بلسانك فيمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار ، قال الله تعالى (والناسطون ناشطون) هل تدري ما هي يا معاذ ؟ قلت ما هي بأني أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال هي كلاب في النار تمزق لحوم من يمزق لحوم

الناس بلسانه وتنشط اللحم والعظم وقال بأبى وأبى أنت يا رسول الله من يطيق هذه الحصال ومن ينجونها؟ قال يامعاذ إنه يسير على من يسره الله عليه « قال رجل اسمه خالد بن مقداد : فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث (بداية الهداية) .

المجلس الثامن والثلاثون : في بيان تارك الصلاة

سورة مريم - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(فخلف من بعدهم خلف) ففقههم وجاء بعدهم عقب سوء (أضاعوا الصلاة) أى تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والاهتمامك فى المعاصى . وعن طى : واتبعوا الشهوات من بناء الشيد وركوب المنطور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) أى شراً أو جزاء غى كقوله (يلقى أثاماً) أو غيا عن طريق الجنة . وقيل هوواد فى جهنم تستعيد منه أوديتها (إلا) استثناء (من تاب وآمن وعمل صالحاً) يدل على أن الآية فى الكفرة (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) ولا ينقصون من جزاء أعمالهم ، ويجوز أن ينتصب شيئاً على الصدر ، وفيه تنبيه على أن كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص أجورهم (قاضى يضاوى) .

نزلت هذه الآية فى تارك الصلاة من هذه الأمة وتابع الأهواء ولهذا وصفهم بقوله عز وجل (أضاعوا الصلاة) عن الحسن بن طى أنه قال : إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لاتخذوا بيق عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ، وصلوا على حيث كنتم فان صلاتكم تبلغنى » وفى حديث أوس رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على » وعن سلمان بن سعيد رحمه الله قال : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام فى النوم فقلت : يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أفنقه سلامهم ؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم (شفاء شريف) قوله « أضاعوا الصلاة » أى لم يعتدوا وجوبها ، وقيل تركوها ولم يحافظوا عليها ، وقيل خربوا معابدهم ومساجدهم بترك السعى إليها وعدم اعتبارهم ، وقيل ضيعوها بعد الأداء بالغية والرياء ، وقيل ضيعوها بترك شروطها وأركانها وقت الأداء ، وقيل تركوها بالغلظة ولم يقضوها بعدها (تفسير كبير) واختلصوا فى معنى الغى . قال وهب بن منبه : الغى نهر فى جهنم بعيد قعره شديد حره خبيث طعمه لو قطرت قطرة منه إلى الدنيا لهلك أهل الدنيا كلهم . وقال ابن عباس : الغى واد فى جهنم وأودية جهنم تستعيد منه كل يوم ألف مرة إلى الله تعالى من شدة حرارته ، أعد ذلك

الوادي لتارك الصلاة والجماعة ، وقال عطاء : النقي واد في جهنم يسيل منه دم وقيح . وقال كعب : النقي واد في جهنم ما أبعد قعره وأشد حره ، وفيه بئر يقال لها المهيب كلما سكنت جهنم فتح الله تلك البئر فتوقد وتلهب . وقال الضحاك : هو خسران وهلاك (كذا في لباب التفسير) حكى أن رجلاً كان يمشي في البادية فراققه الشيطان يوماً ولم يصل الرجل الفجر والظهر والعصر والغرب والعشاء ، فلما صار وقت المنام أراد الرجل أن ينام فهرب الشيطان منه ، فقال الرجل لم تهرب مني ؟ فقال الشيطان إني غصيت الله تعالى في مدة عمري مرة واحدة فكنت ملعوناً وأنت غصيت في اليوم خمس مرات فأخاف من الله أن يغضب عليك ويقهرك ويقهرني معك بسبب عصيانك (تفسير القامحة) وعن النبي عليه الصلاة والسلام « أنه ذكر الصلاة يوماً فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف » (من شرح النية للحلي) وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من تهاون بالصلاة مع الجماعة عاقبه الله تعالى بأثني عشرة بلية : ثلاث في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث يوم القيامة . أما الثلاث التي في الدنيا : فالأولى يرفع الله البركة من كسبه ورزقه . والثانية ينزع منه نور الصالحين . والثالثة يكون مغفوضاً في قلوب المؤمنين . وأما التي عند الموت : فالأولى يقبض روحه عطشان ولوشرب ماء الأنهار . والثانية يشتد عليه نزع روحه . والثالثة يخاف عليه من زوال الإيمان فعوذ بالله تعالى . وأما التي في القبر : فالأولى يضيق عليه سؤال منكرو تكبير . والثانية تشتد عليه ظلمة القبر . والثالثة يضيق قبره حتى تنضم أضلاعه . وأما التي في يوم القيامة : فالأولى يشتد عليه حسابه والثانية يغضب عليه ربه . والثالثة يعاقبه الله بالنار فعوذ بالله تعالى » (كنز الأخبار) ولذا يقال ولا يرخس لمن سمع الأذان في أن يترك الجماعة فإنها سنة مؤكدة غاية التأكيد بحيث لو تركها أهل ناحية وجب قتالهم بالسلاح ، لأنها من شعائر الإسلام ، ولو تركها واحد منهم بغير عذر يجب التعزير ولا تقبل شهادته ويأثم الجيران والإمام والوُذن بالسكوت عنه وأقل التعزير ثلاثة أسواط . وقال صاحب خلاصة الفتاوى : سمعت من ثقة التعزير بأخذ المال إذا رآه القاضى أو الوالى جاز ومن جملة ذلك رجل لا يحضر الجماعة تجوز تعزيره بأخذ المال فإنه أكثر تأثيراً فيه من الضرب (كذا في الجواهر وشرعة الإسلام) وقيل مطالعة كتب الفقه عذر إذا لم يكن عن تكاسل ولم يواظب على تركها بل يقع الترك أحياناً لاشتغاله بالفقه له وللمسلمين والمرض والمطر والبرد والظلمة الشديدة والخوف والحس ، كلها أعذار والسفر ليس بعذر كما صرح به في التبيين بأنه هو الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام « إن تارك الصلاة مع الجماعة ملعون في التوراة والإنجيل والزيور والفرقان ، وتارك الجماعة يمشي على الأرض وتلعنه وتارك الجماعة يغضه الله وتبغضه الملائكة وكل شيء جعل الله

فيه الروح ويلعنه كل ملك بين السماء والأرض والحيتان في البحر » وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « من منع من نفسه خمسة منع الله منه خمسة : الأول من منع الدعاء منع منه الإجابة ، والثاني من منع الصدقة تمنع الله منه العافية ، والثالث من منع الزكاة تمنع منه حفظ لئال ، والرابع من منع العشر تمنع الله البركة من كسبه ، والخامس من منع حضور الجماعة تمنع الله منه الشهادة وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله » قال عليه الصلاة والسلام : « أنا في جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك تارك الجماعة من أمتك لا يجد ربح الجنة وإن كان عمله أكثر من عمل أهل الأرض ، وتارك الجماعة ملعون في الدنيا والآخرة » فإذا كان هذا حال تارك الجماعة ، فما حال تارك الصلاة ؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فاشهدوا له بالإيمان » كما قال الله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وكما قال الله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) كما روى عن مجاهد رضي الله تعالى عنه أن رجلا جاء إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : ماتقول في رجل يقوم الليل ويصوم النهار ولا يشهد الجمعة ولا يصلي بالجماعة هل على هذه الحال فلا شيء هو ؟ قال هو للنار قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « سلوا على اليهود والنصارى ولا تسلموا على يهود أمي ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال الذين يسمعون الأذان والإقامة ولا يحضرون الجماعة » قال أبو هريرة رضي الله عنه « أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقيل إنه عبد الله بن أم مكتوم فقال يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأله أن يرخص له فيصل في بيته فرخص له ، فلما رجع دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال نعم قال فأت الجماعة » كما قال عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وكما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « بشر المشائين في ظلم الليالي إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة » (كذا في زبدة الواعظين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال « الصلاة عماد الدين فمن أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين » عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن شر تارك الصلاة يتعدى إلى سبعين رجلا من أهله وجيرانه ، بل يصل من يومنا هذا إلى زمان آدم عليه الصلاة والسلام وذلك أن الصلي إذا قصد في التشهد يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيصل ثوبها إلى أرواح المؤمنين من يومنا إلى عهد آدم عليه الصلاة والسلام . وتارك الصلاة يكون مانعاً ذلك الخير فيكون كمن أصاب شره جميع المسلمين فيكتوله تعالى (منع للخير معتد أثم) » (أنيس المجالس) روى عن عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال « سافرت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرأيت منه ثلاثة أشياء فاستقر الإسلام في قلبي (١٠ — درة الناصحين)

بسببها : فأولها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أراد أن يقضى حاجته وكان بحذاءه أشجار فقال لي امض إليها وقل لها إن رسول الله يقول تعالىن وكوني لي سترأ فاني أريد أن أتوصأ فخرجت ، فما استتممت الرسالة إلا والأشجار قد انقطعت من أصولها ونحوت حوله حتى فرغ النبي عليه الصلاة والسلام فرجعت إلى مكانها . والثاني غلبني العطش فطلبت الماء فلم أجده فقال عليه الصلاة والسلام اصعد إلى هذا الجبل وأقرئه مني السلام وقل له إن كان فيك ماء طاسقني ، قال فصعدت الجبل وقلت له ما قال النبي عليه الصلاة والسلام فما استتممت الكلام حتى قال الجبل بكلام فصيح قل لرسول الله أنا منذ يوم أنزل الله هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) أبكى من الفزع أن أكون ذلك الحجر فلم يبق في ماء . والثالث كنا نعيشي فإذا نحن بجمل يعدو حتى بلغ رسول الله فقال يا رسول الله الأمان الأمان ، فلم يلبث حتى جاء خلفه أعرابي ومعه سيف مسلول فقال النبي عليه الصلاة والسلام ما تريد من هذا المسكين ؟ قال يا رسول الله اشتريته بثمان كثير وليس هو يطيعني فأريد أن أذبحه فأنتفع بلحمه فقال النبي عليه الصلاة والسلام للجمل لم تعصيه ؟ فقال يا رسول الله لست أعصيه من العمل ولكني أعصيه من ذلك العمل القبيح عنده لأن القبيلة التي هو فيها ينامون عن صلاة العشاء الأخيرة فلو عاهدك أن يصليها عاهدتك أن لأعصيه فاني أخاف أن ينزل عليهم عذاب من الله فأكون فيهم فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام العهد على الأعرابي أن لا يترك الصلاة ، وسلم الجمل إليه ورجع إلى أهله » (روثق المجالس) حتى أن عيسى عليه الصلاة والسلام سافر يوماً فرأى قوماً يعبدون الله تعالى بالجد والسعي وهم يجتمعون في مكان عال فسلم عليهم وجلس فيما بينهم فرأى عندهم كثيراً من الطعام والشراب الخالص والفواكه المتنوعة والأولاد والزوجات الحسان فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام فرأى قريتهم مزينة بتمام الزينة التي لا تقبل الوصف ثم ذهب عيسى عليه الصلاة والسلام عنهم ثم رجع بعد زمان إلى ذلك المكان فرآهم كلهم قد هلكوا مع أولادهم وزوجاتهم وقريتهم قد انهدمت فتعجب عيسى عليه الصلاة والسلام من حالهم فنأدى وقال يارب بأي شيء هلكوا أتركوا الصلاة والطاعة ؟ فقال الله تعالى لا ولكن قد مر عليهم تارك الصلاة وغسل بجمأهم وجهه فوقت غمائله على أراضيتهم وديارهم ، فلذلك هلكوا (أنيس المجالس) روى « أن النبي عليه الصلاة والسلام جلس يوماً مع أصحابه فجاء شاب من العرب إلى باب المسجد وهو يبكي ، فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا شاب ؟ فقال يا رسول الله مات أبي وليس له كفن ولا غسل ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فذهبا إلى البيت فرأياه مثل الخنزير الأسود فرجعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقالا ما رأينا إلا مثل الخنزير الأسود يا رسول الله ، فقام عليه الصلاة والسلام

إلى الجنائز قدما فصارت على صورته الأولى ، وصلى عليه عليه الصلاة والسلام وأرادوا الدفن فأروه كالحزير الأسود ، فقال عليه الصلاة والسلام يا شباب أى عمل كان يعمل أبوك في الدنيا ؟ فقال كان تارك الصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام يا أصحابي انظروا حال من ترك الصلاة يبعثه الله يوم القيامة مثل الحزير الأسود نعوذ بالله تعالى « (بهجة الأنوار) مات في زمن أبي بكر الصديق رَجُلٌ ، قاموا إلى الصلاة عليه فاذا الكفن يتحرك فنظروا فوجدوا حية مطوقة في عنقه تأكل لحمه وتعصمه فأرادوا قتلها ، فقالت الحية لا إله إلا الله محمد رسول الله لم تقتلونني وليس لي ذنب ولا خطأ ؟ فان الله تعالى أمرني أن أعذبه إلى يوم القيامة ، فقالوا ما خطايه ؟ قالت ثلاث خطايا : الأولى كان إذا سمع الأذان لا يجيء الجماعة . والثانية لا يخرج الزكاة من ماله . والثالثة لا يسمع قول العلماء وهذا جزاؤه (من الرسوم) .

المجلس التاسع والثلاثون : في بيان ذم المعرض عن القرآن

سورة طه — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن أعرض عن ذكرى) عن الهدى الداكر والداعى إلى عبادتي (فان له معيشة ضنكا) ضيقاً مصدراً وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث . وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهاكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع أنه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع بركة الإيمان كما قال الله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة — ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل — ولو أن أهل القري آمنوا) الآيات (ونحشره يوم القيامة أعمى) أعمى البصر أو القلب ، ويؤيد الأول (قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك) أى مثل ذلك فعلت ، ثم فسره فقال (أتلك آياتنا) واضحة نيرة (ففسيتها) بالانهماك فعميت عنها وتركها غير منظور إليها (وكذلك) ومثل تركك إياها في الدنيا (اليوم تنسى) ترك في العمى والعذاب (وكذلك نجزي من أسرف) بالانهماك في الشهوات والإعراض عن الآيات (ولم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها وخالفها (وللعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أى والنار بعد ذلك (أشد وأبقى) من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى ، ولعله إذا دخل النار زال عماه ليرى له محله وحاله أو بماضيه من ترك الآيات والكفر بها (قاضى يضادى) .

عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أكثرُوا الصلاة على نبيكم كل يوم جمعة فاني أشهدكم منكم في كل جمعة » وفي رواية « فان أحداً لا يعلى على إلا عرضت على صلواته حين يفرغ منها » (شفاء شريف) عن علي بن أبي طالب عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم

حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار» وزوى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «من قرأ القرآن وهو في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأ القرآن في غير الصلاة على وضوء فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة ، ومن قرأ القرآن على غير وضوء فله عشر حسنات » (مجالس الأنوار) قيل المراد من الله ذكر القرآن كقوله تعالى (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) وقيل عن قراءته حتى نسيه ، وقيل عن توحيدى كما قال الله تعالى (حتى نسوا الله كرا) وقيل عن طاعته وتوحيدى كما قال الله تعالى (طيعوا الله وأطيعوا الرسول) وقيل عن العلم كما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الله كرا إن كنتم لا تعلمون) وقيل عن الذكر باللسان كما قال الله تعالى (اذكروا الله كرا كثيرا) وقيل عن الصلاة كما قال الله تعالى (فاسعوا إلى ذكر الله) وقوله تعالى (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) (تفسير جنفى) . عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الضنك هو الشقاء ، وعنه أنه قال : إذا أعطى العبد قليلا أو كثيرا ولم يقنع فلا خير فيه فهو الضنك في المعيشة وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة الدنيا فكانت حالهم ضنكا ، ولذلك انهم يرون أن الله تعالى ليس بخالق لهم فاشتد عليهم معاشهم مع سعتهم من سوء ظنهم بالله (بحر العلوم) . قيل المعرض عن ذكر الله تعالى من سلط عليه الشيطان الذى هو عدوه المريد به كل هلاك وضلال فلا يكون أحد أشد عيشا وأعظم ضلالا منه وأشق (بحر العلوم) قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكر الله كالصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبودية ، والمراد منهم عن الله بها وتوجيه النهى إليها للبالغة ، ولذا قال الله تعالى (ومن يفعل ذلك) أى الله والشغل (فأولئك هم الخاسرون) لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقيق الفانى (قاضى يضاوى) عن معاذ بن جبل أنه قال « كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام في سفر فقلت يا رسول الله حدثنا بحديث ننتفع به ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحر والهدى من الضلالة فأدعوا قراءة القرآن فإنه كلام الرحمن وحسن من الشيطان ورجحان في الميزان » وكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « أفضل عبادات أمتى قراءة القرآن » فعلى المكلف أن يشتغل بتعلمه وقراءته (بدر الرشيد) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال « مات رجل في زمن النبي عليه الصلاة والسلام فقام عليه الصلاة والسلام على جنازته ليصلى عليه فتحرك الكفن ونظره النبي عليه الصلاة والسلام فوجد فيه حية تمتص دمه وتأكل لحمه فقصد أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن يشربها فنظمت الحية باذن الله تعالى فقالت بلسان فصيح أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وقالت

يا أبا بكر لم تضربني وليس لي ذنب وأنا مأمورة بذلك ؟ أمرني الله أن أعذبه إلى يوم القيامة فقال أبو بكر ما خطايا ؟ قالت الحيلة ثلاث خطيئات الأولى تارك الصلاة والثانية مانع الزكاة والثالثة لا يسمع قول العلماء » (حياة القلوب) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبيد خوفين ولا أمنين إذا أخفته في الدنيا آمنت به يوم القيامة وإذا آمنت به في الدنيا أخفته يوم القيامة » (حكي) عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أن دحية الكلبي كان ملكاً كافراً من العرب ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب إسلامه لأنه كان تحت يده سبعمائة من أهل بيته ، وكان عليه الصلاة والسلام يدعوه ويقول اللهم ارزق الإسلام دحية الكلبي ، فلما أراد الإسلام أوحى الله تعالى إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد صلاة الفجر : يا محمد قذفت نور الإيمان في قلب دحية الكلبي فهو يدخل عليك الآن ، فلما دخل دحية الكلبي المسجد رفع النبي عليه الصلاة والسلام رداءه عن ظهره وبسطه على الأرض وأشار إلى رداءه ، فلما رأى دحية إكرام النبي عليه الصلاة والسلام بكى ورفع رداءه وقبله ووضع على رأسه وعينه وقال يا نبي الله ما شرائط الإسلام اعرضها علي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بكى فقال له عليه الصلاة والسلام ما هذا البكاء يا دحية ألمجيئك إلى الإسلام أم لأمر آخر ؟ قال : يا رسول الله إني ارتكبت ذنباً كبيراً ، قتل لربك ما كفاراتها ، إن أمرني أن أقتل نفسي أقتلها وإن أمرني أن أخرج عن مالي صدقة أخرج عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام وما تلك الذنوب يا دحية ؟ قال كنت رجلاً من ملوك العرب استنكفت أن تكون لي بنات لمن أزواج لثلاث يقال فلان بن فلان صهر دحية الكلبي ، فقتلت سبعين من بناتي يدي فتحير النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك ، قتل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله قل لدحية الكلبي وعزتي وجلالي إنك لما قلت لا إله إلا الله محمد رسول الله غفرت لك كفرك ستين سنة وسبك إياي ستين سنة ، فكيف لا أغفر قتل بناتك وهن لك ؟ قال فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فقال النبي عليه الصلاة والسلام إلهي قد غفرت لدحية قتل بناته بشهادة مرة واحدة فكيف لا تغفر للمؤمنين صفارهم بشهادات كثيرة » دحية بفتح الدال وكسرهما لقتان . واختلف في الراجحة منهما . وهو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي وكان من أجل الناس وجهاً ، كان إذا قدم المدينة لم يبق عنجرة إلا خرجت تنظر إليه ، وكان جبرائيل يأتي النبي عليه الصلاة والسلام على صورة دحية لجماله . أسلم قديماً وشهد المشاهد التي بعد بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبقى إلى خلافة معاوية وشهد المعركة وسكن للزة بكسر الهم والزاي قرية بقرب دمشق . وكان مراسلاً يكتباب النبي عليه الصلاة والسلام إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى هرقل وذلك في آخر سنة ست من الهجرة (كرماني) روى عن

أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال قال النبي عليه الصلاة والسلام « من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله خرج من فمه ملك مثل الطير الأخضر له جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب أبيضان مكللان بالدر والياقوت فيرفع حتى إذا انتهى إلى العرش وله دوى كدوى النحل تقول له حملة العرش أسكن بعزة الله تعالى فيقول لا أسكن حتى يغفر الله لقائلها فيقول الله تعالى قد غفرت لقائلها ثم يجعل الله تعالى لذلك الملك الطائر سبعين لساناً كل لسان يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة ويحصى ذلك الطائر يوم القيامة فيأخذ بيد صاحبها ويكون له قائد أو دليل إلى الجنة » (رونق المجالس) عن علي كرم الله وجهه أنه قال : سمعت سيد الخلائق محمداً عليه الصلاة والسلام يقول « سمعت سيد الملائكة جبرائيل عليه الصلاة والسلام يقول ما نزلت بكلمة أجل من كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله على الأرض وبها قامت السموات والأرض والجبال والشجر والبر والبحر ألا وهي كلمة الإخلاص ألا وهي كلمة الإسلام ألا وهي كلمة القرب ألا وهي كلمة التقوى ألا وهي كلمة النجاة ألا وهي الكلمة العليا ولو وضعت في كفة الميزان ووضع السبع سموات والسبع أرضين في كفة أخرى لرجحت عليهن » (زبدة الواعظين) .

(حكى) أن رجلاً كان واقفاً بعرفات وفي يده سبعة أحجار فقال أيتها الأحجار أشهدوا أبى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فوضع الأحجار تحت رأسه فنام ، فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت وأنه حوسب فوجبت له النار فذهبوا به إلى باب النار فإذا حجر من تلك الأحجار ألقى نفسه على باب النار فاجتمعت ملائكة العذاب على رقبته فلم يطقوه ثم ذهبوا به إلى باب آخر فإذا عليه حجر من الأحجار السبعة فاجتمعت للملائكة فلم يقدروا على رفعه حتى ذهبوا به إلى سبعة أبواب النار ، وكان على كل باب حجر من تلك الأحجار ثم ذهبوا به إلى العرش ، فقال الله تعالى يا عبيدى أشهدت الأحجار فلم تضع حقك فكيف أضع حقك وأنا شاهد على شهادتك ؟ أدخلوه الجنة فلما قرب إلى الجنان إذا أبوابها مفتوحة بالمفتاح الذى هو لا إله إلا الله محمد رسول الله (كذا في زبدة الواعظين) . قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « دخلت الجنة فرأيت مكتوباً على باب الجنة ثلاثة أسطر : الأول لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ والثانى وجدنا ما قدمنا وربنا ما أكلنا وخسرنا ما خلقنا كما قال الله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) والثالث أمة مذبذبة ورب غفور » (زبدة الواعظين) .

المجلس الأربعون : فى بيان ألم الموت

سورة الأنبياء — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفأنت مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا (تربص)

به ريب النون) والفاء لتعليق الشرط بما قبله والهمزة لإنكاره بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها ، وهو برهان على ما أنكروه (ونبلوكم) ونعابلكم معاملة المختبر (بالشر والخير) بالبلايا والنعم (فتنة) ابتلاء ، مصدر من غير لفظه (وإلينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر ، وفيه إيماء بأن المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريراً لما سبق (قاضى يضاًوى) .

عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أنه قال : الصلاة على النبي أحق للذنوب من الماء البارد للنار ، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب (شفاء شريف) يقال مع ملك الموت سبعون ملكاً من ملائكة الرحمة وسبعون من ملائكة العذاب ، فإذا قبض روح المؤمن دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونه بالجنة والثواب ويصعدون إلى السماء إلى أعلى عليين ، وإذا قبض روح الكافر دفعها إلى ملائكة العذاب ثم يردون إلى سجين إلى أسفل سافلين (مطالع الأنوار) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن ألم شجرة من ألم الليت وضع على السموات والأرض لمات أهلها باذن الله تعالى ، لأن في كل شجرة موتاً ولا يقع الموت في شيء إلا مات مع كل أعضائه » يقال إن لملك الموت أربعة أوجه : أولها على رأسه والثاني قدامه والثالث خلف ظهره والرابع تحت رجله ، فيأخذ أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة من وجه رأسه ، وأرواح المؤمنين من وجه قدامه ، وأرواح الكافرين من وجه ظهره ، وأرواح الجن من وجه قدميه ، وإحدى رجله على جسر جهنم والأخرى على سرير الجنة ؛ ومن عظمت أنه لو صب جميع ماء البحار والأنهار على رأسه ما وقعت قطرة على الأرض (مطالع الأنوار) روى أن عيسى عليه السلام كان يحى الموتى باذن الله ، فقال بعض الكفرة إنك تحيى الموتى إذا كان حديثاً ولعله لم يكن ميتاً فأسمى لنا من مات في الزمن الأول فقال عيسى عليه السلام اختاروا ماشتم ، فقالوا أحى لنا سام بن نوح ، فجاء إلى قبره فصلى ركعتين ودعا الله فحيى سام فاذا رأسه ولحيته قد ابيضاً ، فقال ياسام ما هذا الشيب ولم يكن في زمانك ؟ فقال سمعت نداءك فظننت أن القيامة قد قامت فشاب رأسى ولحيتى من الهول فقال منذ كم سنة أنت ميت ؟ فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهب عني ألم سكرات الموت ومرارته (درة الواعظين) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة ، ولا يخرج روح الكافر حتى يرى مكانه في النار ؟ فقالوا يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والكافر مكانه في النار ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى خلق جبرائيل على أحسن صورة وله ستائة جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاوس إذا نشر الجناح علا ما بين السماء والأرض وعلى جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور العين والقصور والدرجات والخدام والغلمان والولدان

وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة جهنم وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والزبانية .
 فإذا جاء أجل عبد يدخل فوج من الملائكة عروقه ويعصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه
 ويخرج ذلك الفوج الأول ويدخل الفوج الثانى ويعصرون روحه من ركبتيه إلى سترته ويخرج
 ذلك الفوج الثانى ويدخل الفوج الثالث ويعصرون روحه من البطن إلى الصدر ويخرج ذلك
 الفوج الثالث ويدخل الفوج الرابع فيعصرون روحه من الصدر إلى الحلقوم كما قال الله تعالى
 (قلوا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) وعند ذلك الوقت إذا كان مؤمناً ينشر
 جبرائيل عليه السلام جناحه الأيمن فيرى مكانه فيها ويعشقه وينظره ولم ينظر إلى غيره من أيه
 وأمه وأولاده من عشق ذلك السكان ، وإذا كان منافقاً ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه فيها
 وينظره ولم ينظر إلى غيره من أيه وأمه وأولاده من فزع ذلك للسكان ، طوى لمن كان قبره
 روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران » (كنز الأخبار) والروح
 ثلاثة أضرب : أولها سلطانية ، والثانى روحانية ، والثالث جسمانية فموضع السلطانية الفؤاد :
 يعنى القلب ، وموضع الروحانية الكبد : يعنى الصدر . وموضع الجسمانية بين اللحم والدم وبين
 العظم والعروق ؟ فان قيل إذا نام العبد خرج روحه أم لا ؟ فان قال قائل خرج فقد أخطأ وإن
 قال لم يخرج فقد أخطأ . والجواب إذا نام العبد خرج روحه الجسماني مع العقل ومشى بين السماء
 والأرض فان كان العقل معه رأى ما رأى فى المنام وإن لم يكن العقل معه رأى ما رأى ولكن
 لا يفهم (تفسير) فان قيل ما الفرق بين الروح والروان ؟ قلنا الروح لا يذهب ولا يجىء
 والروان يذهب ويجىء وإذا زال الروان نام العبد وإذا زال الروح مات العبد ومثل الإيمان
 بين الروح والجسد كمثل الشمس بين السماء والأرض إذا مات العبد ذهب لا إله إلا الله مع
 روحه ويبقى محمد رسول الله مع جسده وإذا اجتمعا صار إيماناً (حكى) أن إلياس عليه
 السلام كان يوماً من الأيام جالساً فجاء ملك الموت ليقبض روحه فجزع وبكى بكاء شديداً
 فقال له ملك الموت ما هذا الجزع والبكاء يا نبي الله ؟ أجزعت على الدنيا أم على الموت ؟ فقال لا ،
 بل إنما أجزع على فوت ذكر الله حيث يجتمع قوم بعدى يذكرون الله تعالى ولا أذكروه ،
 فأوحى الله تعالى إلى ملك الموت أن لا يقبض روحه فانه يسأل الحياة لذكرى لا لنفسه ، دعه
 يملك الموت حتى يعيش فى ذكرى . ويرتفع فى رياض مناجاتى إلى آخر الدنيا . عن عثمان
 رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا مر على قبر وقف يبكى حتى تبطل لحيته ، قيل له يا أمير
 المؤمنين تذكر الجنة والنار وأحوال القيامة فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ، فقال : قال النبي
 عليه الصلاة والسلام . « القبر أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا
 فمن نجما منه فما بعده أيسر وإن لم ينبج منه فما بعده أشد » وقال إن كنت فى النار كنت مع
 الناس وإن كنت فى القيامة كنت مع الناس وإن كنت فى القبر لم يكن معى أحد فلذلك

أبكي (مشكاة الأنوار) روى عن وهب بن منبه عن جده إدريس قال : وجدت في بعض الكتب أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال لأمه إن هذه الدار دار فناء ودار زوال والآخرة دار بقاء فتعالى يا أماه فانطلقا إلى جبل لبنان فكنّا فيه يصومان النهار ويقومان الليل يا كلان من ورق الأشجار وبشر بان من ماء الأمطار فكنّا على ذلك زمانا طويلا ثم إن عيسى عليه السلام هبط ذات يوم من الجبل إلى بطن الوادى ليلتقط الحشيش لإفطارهما فلما هبط جاء ملك اللوت فقال : السلام عليك يا مريم الصائمة القائمة قالت من أنت فان جلدى قد اقشع من صوتك وطار عقلى من هيتك ؟ فقال : أنا الذى لأرحم الصغير لصغره ولأكرم الكبير لكبره وأنا قابض الأرواح ، قالت يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا قال استعدى للموت قالت أفلا تأذنلى حتى يرجع حبيبي وقرّة عيني وثمرّة فؤادى وريحانة قلبي قال لها لم أؤمر بذلك وإنما أنا عبد مأمور والله لا أستطيع أن أقبض روح بعوضة فقد أمرنى ربى أن لا أزيل قدماً عن قدم حتى أقبض روحك فى موضعك هذا قالت له يا ملك الموت استسكنت لأمر الله تعالى فأمض أمر الله فدنا منها وقبض روحها وأبطأ عيسى عليه السلام فى ذلك الوقت حتى دخل وقت العشاء الأخيرة ، فلما صعد الجبل ومعه الحشيش والبقل نظر إليها وهى نائمة فى محرابها فظن أنها أدت الفرائض ، فوضع الحشيش واستقبل المحراب ولم يزل قائماً إلى الليل ، ثم نظر إلى أمه فنادى بصوت حزين من قلب خاشع : السلام عليك يا أماه قد هجم الليل وأفطر الصائمون ووقف العابدون وما بالك لا تقومين إلى عبادة الرحمن ؟ فرجع فقال إن لبعض النوم حلاوة ، ثم استقبل المحراب ولم يأكل شيئاً حتى مضى الثلث الثانى يريد بذلك بر أمه بالإفطار معها ، فلم يزل قائماً فنادى بصوت حزين وقلب مغموم السلام عليك يا أماه ، فرجع واستقبل المحراب حتى طلع الفجر ثم وضع خده على خدها ولفه على فمها وهو يناديها با كيأ بكاء شديداً : السلام عليك يا أماه قد مضى الليل وأقبل النهار هذا وقت فريضة الرحمن فبكت ملائكة السموات وبكت الجن من حوله وارتعد الجبل من تحته فأوحى الله تعالى إلى للملائكة ما يبيكنكم ؟ قالوا إلهنا أنت أعلم فأوحى الله تعالى إني أعلم وأنا أرحم الراحمين فاذا مناد ينادى يا عيسى ارفع رأسك فقد ماتت أمك فأعظم الله أجرك فرفع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه با كيأ يقول : من لوحشتى ومن لوحدتى ومن آنس به فى غربتى ومن يعينى فى عبادتى ؟ فأوحى الله تعالى إلى الجبل أن كلم روحى بالموعظة فقال الجبل يا روح الله ماهذا الجزع أو تريد مع الله أنيساً ؟ ثم هبط من ذلك الجبل إلى قرية من قرى بنى إسرائيل فنادى السلام عليكم يا بنى إسرائيل ، فقالوا من أنت يا عبد الله فقد أضاع حسن وجهك دورنا ؟ فقال أنا روح الله إن أمى قد ماتت غريبة فأعينونى على غسلها وكفنها ودفنها قالوا يا روح الله إن هذا الجبل كثير الأفاعى والحيات لم يسلكه آباؤنا وأجدادنا منذ

ثلاثمائة عام فرجع عيسى عليه السلام إلى الجبل فإذا هو قد وجد شابين جميلين فسلم عليهما فردا عليه ثم قال لهما إن أمي قد ماتت غريبة في هذا الجبل فأعيناني على تجهيزها فقال أحدهما له: هذا ميكائيل وأنا جبرائيل وهذا الخنوط والأكفان من عند ربك فان الحور العين قد هبطن الآن من الجنة لغسلها وتكفينها وشق جبريل عليه السلام قبرها من رأس الجبل ودفنوها فيه بعد أن صلوا عليها وشيعوا جنازتها ثم قال عيسى عليه السلام اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي ولا يخفى عليك شيء من أمري فان أمي ماتت ولم أشهد لها عند وفاتها فأذن لها تكلمني فأوحى الله تعالى إليّ إني قد أذنت لها فجاء عيسى عليه السلام ووقف على قبرها فناداها بصوت حزين السلام عليك يا أماء فأجابته من القبر يا حبيبي يا قرة عيني قال لها يا أماء كيف وجدت مقيلك ومصيرك وكيف رأيت القدوم على ربك ؟ قالت مقيلي خير مقيل ومصيري خير مصير قدمت على ربي فوجدته راضيا غير غضبان قال يا أماء كيف وجدت ألم الموت ؟ قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ذهبت مرارة الموت من حلقى وهية ملك الموت بين عيني فعليك السلام يا حبيبي إلى يوم القيامة . (وحكي) أن فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما ماتت حمل جنازتها أربعة نفر : زوجها على وابناها الحسن والحسين وأبوذر الغفاري رضي الله تعالى عنهم أجمعين فلما وضعوها على شفير القبر قام أبوذر فقال يا قبر أتدري من التي جثا بها إليك ؟ هي فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجة على المرتضى وأم الحسن والحسين فسمعوا نداء من القبر يقول : ما أنا موضع حسب ونسب ، وإنما أنا موضع العمل الصالح ، فلا ينجو مني إلا من كثر خيره وسلم قلبه وخلص عمله (كذا في مشكاة الأنوار) قال الفقيه أبو الليث السمرقندي : من أراد أن ينجو من عذاب القبر فعليه أن يلازم أربعة أشياء ويحتنب أربعة أشياء . فأما التي يلازم أن يلازمها فالمحافظة على الصلاة والصدقة وقراءة القرآن وكثرة التسبيح فانها تضيء القبر وتوسعه . وأما التي يلازم الاجتناب عنها فالكذب والحيانة والنعيمة والبول قائما . قال عليه الصلاة والسلام « استترهوا عن البول فان عامة عذاب القبر منه » (مشكاة الأنوار) قال بعض العلماء : إن العذاب على الروح دون البدن . وقال بعض آخر إنه على البدن دون الروح . وقال بعض آخر إنه على الروح والبدن إلى غير ذلك من الأقوال . فان قيل لا يجوز أن يعذب البدن لأنه خال عن الروح فيمتنع عذابه . قلت إن الله قادر على أن يخلق فيه نوع حياة قدوما يمكن الألم والنعم من غير إعادة الروح إليه لئلا يحتاج إلى نزع جديد . وقال بعض العلماء : يجعل الروح في جسده كما كان في الدنيا ويجلس ويسأل . وقال بعضهم : يكون السؤال للروح دون الجسد . وقال بعضهم يدخل الروح في جسده إلى صدره . وقال الآخرون يكون بين جسده وكفنه ، وفي كل ذلك قد جاءت الآثار ، والصحيح عند أهل العلم أن يقرأ العبد بجناب القبر ونعيمه ولا يشتغل

بكيفيته (من شرح العقائد ملخصاً) سئل أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن الأرواح حين تخرج من الأجساد أين تذهب ؟ قال في سبعة مواضع : أما أرواح الأنبياء والمرسلين فمقرها جنات عدن ، وأما أرواح العلماء فمقرها جنات الفردوس ، وأما أرواح السعداء فمقرها جنات عليين ، وأما أرواح الشهداء فتطير مثل الطيور في الجنة حيث شاءت ، وأما أرواح المؤمنين المذنبين فتكون معلقة في الهواء لافي الأرض ولا في السماء إلى يوم القيامة ، وأما أرواح أولاد المؤمنين فتكون في جبل من اللسك ، وأما أرواح الكافرين فتكون في سجين يعذبون مع أجسادهم إلى يوم القيامة قال الله تعالى في كتابه الكريم (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) والله أعلم بحقيقة الحال وله الحمد في كل مقال سوى الكفر والضلال . فعليك بامثال الأولم وهو منزّه عن الكفء والمثال لا تؤاخذنا بجرمنا إذا الا كرام والجلال ، وقد قيل : الخلائق إذا نشروا من القبور يقفون وقوفاً على المواضع التي نشروا منها يوم القيامة أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يجلسون ولا يتكلمون قيل يا رسول الله بم تعرف أمتك يوم الدين ؟ قال « إن أمتي يوم القيامة غر محجلون من آثار الوضوء » وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة بعث الله الخلائق من قبورهم فتأتي ملائكة إلى رأس قبور المؤمنين فيمسحون رؤوسهم من التراب وينثرون التراب عنهم إلاموضع سجودهم فتمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب منها ، فينادى للنادى ياملائكتي ايس ذلك تراب قبورهم إنما هو تراب محاريبهم ، دعوا ما عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة حتى إن كل من ينظر إليهم يعلم أنهم خدامي وعبادي » وروى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة وبعث من في القبور أوحى الله إلى رضوان : إني قد أخرجت الصائمين من قبورهم جائعين عطشى ، فاستقبلهم بشهواتهم في الجنان ، فيصيح رضوان أيها الغلمان ويا أيها الولدان الذين لم يبلغوا الحلم تعالوا فيأتون بطباق من نور ويجتمعون عند رضوان أكثر من عدد التراب وأقطار الأمطار وكواكب السماء وأوراق الأشجار بالفاكهة الكثيرة والأطعمة النفيسة والأشربة اللذيذة ، فيتلقونهم ويعظمونهم من ذلك ، ويقال لهم (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) » الآية وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة نفر تصافحهم الملائكة يوم يخرجون من قبورهم : الشهداء ، والقائمون شهر رمضان والصائمون يوم عرفة » عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن في الجنة قصورا من در وياقوت وزبرجد وذهب وفضة ، قلت يا رسول الله لمن هذا ؟ قال لمن صام يوم عرفة ، يا عائشة إن أحب الأيام إلى الله يوم الجمعة ويوم عرفة لما فيهما من الرحمة ، وإن أحب الأيام إلى إبليس يوم الجمعة ويوم عرفة ، يا عائشة من أصبح صائماً يوم عرفة فتح الله له

ثلاثين باباً من الخير ، وأغلق عنه ثلاثين باباً من الشر ، فإذا أفطر وشرب الماء يستغفر له كل عرق في جسده ، ويقول اللهم ارحمه إلى طلوع الفجر » وفي خبر آخر « يخرج الصائمون من قبورهم ، ويعرفون بريح صياهم ، ويلتقون بالموائد والأباريق ، يقال لهم كلوا فقد جعتم حين شبع الناس ، واشربوا فقد عطشتم حين روى الناس ، واستريحوا ، فإيا كلون ويشربون ويستريحون والناس في الحساب » وقد جاء في الخبر « لايلي عشرة نفر : النبي والغزى والعالم والشهيد وحافظ القرآن واللؤذن والمرأة إذا ماتت في نفاسها ومن قتل مظلوماً ومن مات يوم الجمعة وليتها » وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام « يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم ، حفاة عراة ، قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : الرجال والنساء ؟ قال نعم ، قالت واسوأنا ، ينظر بعضهم بعضاً ؟ ف ضرب النبي عليه الصلاة والسلام يده على منكبيه وقال : يا ابنه ابن أبي قحافة اشتغل الناس يومئذ عن النظر ، وشخصت أبصارهم إلى السماء ، يقفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون فثم من يبلغ العرق إلى قدميه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ، ومنهم من يبلغ إلى بطنه ، ومنهم من يبلغ إلى صدره ، والعرق يكون من طول الوقوف ، قالت قلت : يا رسول الله هل يحشر أحد كاسياً يوم القيامة ؟ قال الأنبياء وأهلهم ، وصائمورجب وشعبان ورمضان طى الولاء ، وكل الناس جياع يومئذ إلا الأنبياء وأهل بيته ، وصائمورجب وشعبان فاتهم شباع الناس لاجوع لهم ولاعطش ، يساقون بأجمعهم إلى المحشر عند بيت المقدس بأرض يقال لها الساهرة ، قال الله تعالى (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) الآية . ويقال إن الخلائق في عرصات القيامة ، يكونون مائة وعشرين صفاً ، طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة ، وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة ، ويقال إن المؤمنين منهم ثلاثة صفوف والباقي كفرة . وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن أمتي مائة وعشرون صفاً » وهذا هو الأصح . وصفة المؤمنين أنهم بيض الوجوه غر محجلون ، وصفة الكافرين أنهم سود الوجوه مقرنون مع الشياطين (دقائق الأخبار) .

المجلس الحادى والأربعون : فى بيان الساعة

سورة الحج — (بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة) تحريكها للأشياء على الإسناد المجازى ، وزلزلة هي زلزلة تكون قبل طلوع الشمس من مغربها ، وإضافتها إلى الساعة لأنها من أمثالها (نوى عظيم) هائل ، سلك أمرهم بالتقوى بغفاعة الساعة ليتصوروها بقولهم ، ويعلموا أنهم لا يؤمنون منها سوى التدرع بلباس التقوى ، فيقفوا على أنفسهم ، ويقربوها ، بمنزلة التفري (يوم ترونها فذهال كل مرضعة عما أرضعت) تصوير لها ، والخبر

للزلزلة ، ويوم منصوب بتذهل (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى)
كأنهم سكارى (وما هم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهمهم هولاء ، بحيث
طير عقولهم ، وأذهب تمييزهم (قاضى نيساوى) .

عن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة
على إلا تفرقوا على أثنى من ربيع الجيفة » وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال صلى
الله تعالى عليه وسلم « من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة » (شفاء شريف) عن علي بن أبي طالب
عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من
الدين إلا رسمه ، ولا من القرآن إلا درسه ، يعمرن مساجدكم وهى خراب عن ذكر الله ، أشرف
أهل ذلك الزمان علماؤهم ، منهم تخرج الفتنة وإليه يعود ، وهؤلاء علامات القيامة » (زبدة
الواعظين) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال « اطلع علينا النبي عليه الصلاة والسلام ونحن نتذاكر
قَالَ عليه الصلاة والسلام ما تذاكرون ؟ قلنا نذكر الساعة قال إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر
آيات ، فذكر عليه الصلاة والسلام : الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها
ونزول عيسى عليه السلام ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم » (زبدة)
الدجال هو بلاء عظيم لا بلاء مثله من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامة ، ويفعل بالاندراج
من خوارق العادة مالا يحصى عدده ، ويدعى الألوهية ، وإحدى عينيه عمياء ، وبين
عينيه مكتوب هذا كافر (شرح بر كوى للقنوى) يملأ الدخان بين الشرق والمغرب
ويبقى مقدار أربعين يوما يكون المؤمن مثل مموس الزكام ، والكافر كالسكران ، يخرج
من أنوفهم وأذانهم وأبصارهم . (شرح بر كوى للقنوى) تخرج دابة الأرض في مكة عند
الصفاء تتكلم بلسان فصيح ، وتملأ وجه الأرض بالعدل ، ومعها عصا موسى عليه السلام
وخاتم سليمان عليه السلام ، إذا ضربت بالعصا على جبهة المؤمن يكتب هذا مؤمن ، وإذا
ختمت بالخاتم على جبهة الكافر يكتب هذا كافر . (شرح بر كوى للقنوى) نزول عيسى
عليه السلام في الشام في النارة البيضاء ، ويقتل الدجال بحيث لو لم يقتله لذاب كالملح
في الماء ، ثم يعمل بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام (شرح بر كوى) خروج يأجوج
ومأجوج هما صنفان ، صنف صغير جدا وصنف كبير جدا ، الآن موجودان وراء السد
الذى بناء إسكندر ذو القرنين ، إذا جاء الوقت يخرجان ، عددهما لا يعد ولا يحصى بحيث
لا تبقى قطرة في بحيرة طبرية من شرهما . (شرح بر كوى) وقال عليه الصلاة والسلام
« للساعة أشراط : يظهر عدم نفاق الأسواق : يعنى الكساد ، ويقل المطر والنبات ، وتفشو

التقية ، ويؤكل الربا ، وتظهر أولاد الزنا ، ويعظم رب المال ، وتعلو أصوات الفسقة في المساجد ، ويظهر أهل للنكر على أهل الحق » (تنبيه الغافلين) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا اتخذ النعم دولا والأمانة مغنا والزكاة مغرما والتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وقرب صديقه وبعد أباه وظهرت الأصوات في المساجد وكان رئيس القبيلة فاسقهم وأكرم الرجل مخافة شره ولا يكرم بما عند الله أى مخافة عذاب الله ، فذلك علامات القيامة » (موعظة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما خلق الله السموات والأرض خلق الصور ، وللصور إحدى عشرة دائرة ، وأعطاه الله تعالى إسمرا فيل عليه السلام ، وهو واضع على فيه ناظر يصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » وقال أبو هريرة « ما الصور يارسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هو قرن عظيم من النور ، والذي بعثني بالحق نبيا ، عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والأرض ، وينفخ فيه ثلاث نفخات : نفخة للفرع ونفخة للمعق ونفخة للبث يأمر الله تعالى إسمرا فيل عليه السلام بالنفخة الأولى فينفخ فيه ، فيفرع من في السموات ومن في الأرض ، وهو قوله تعالى (ويوم ينفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض) أى يستغيث كل من فيها خوفا حتى (تنهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها) الآية . وتصير الولدان شيئا ، فيمكثون ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى إسمرا فيل عليه السلام أن ينفخ نفخة الصعق ، فينفخ فيموت من فيها كما قال الله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) يعنى جبرائيل وميكائيل وإسمرا فيل وملك الموت وحمة العرش ، فيأمر الله تعالى ملك الموت أن يقبض أرواحهم ، فيقبض أرواحهم ثم يقول الله تعالى : ياملك الموت من بقى من خلقى ؟ فيقول يارب بقى العبد الضعيف ملك الموت ، فيقول الله تعالى : ياملك الموت ألم تسمع قولى (كل نفس ذائقة الموت) اقبض روح نفسك . فيجىء ملك الموت إلى موضع بين الجنة والنار ، وينزع روحه ، فيصيح صيحة لو كان الخلق كلهم أحياء لماتوا من صيخته ، فيقول : لو علمت بالموت من الشدة والألم ما قبضت أرواح المؤمنين إلا بالرفق ، ثم يموت ، فلا يبقى أحد من الخلق ، فبقى الأرض خرابا أربعين سنة ، فيقول الله تعالى : أيتها الدنيا الدنيا ، أين الملوك ، وأين أبناء الملوك ، وأين الجبابرة ، وأين الذين كانوا يأكلون رزقى ويعبدون غيرى (لمن الملك اليوم) ؟ فلم يوجد أحد يحجبه فيجيب نفسه بنفسه ويقول (لله الواحد القهار) ثم يرسل الله تعالى الرمح العقيم الذى أرسلها على قوم عاد مقدار ما يخرج من ثقب الإبرة ، فلا تترك على وجه الأرض جبلا ولا تالا إلا هدمته وجعلته مثل الأديم ، كما قال الله تعالى (لا ترى فيها عوجا ولا أمثا) ثم يأمر

الله تعالى السماء أن تمطر ، فتمطر السماء كمنى الرجال أربعين يوماً حتى يكون الماء فوق كل شيء .
اثني عشر ذراعاً ، فنبئت الخلق بذلك كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم وتكون كما كانت ، ثم يحيي
الله تعالى حملة العرش ، ثم يحيي الله إسرئيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل فيحيون باذن الله ،
ثم يأمر الله رضوان أن يدفع إليهم البراق والتاج وحلة الكرامة ورداء الكبرياء وإزار العزة
واللواء ، فيقفون بين السماء والأرض فيقول جبرائيل عليه السلام : أيتها الأرض أين قبر محمد ؟
فتقول الأرض : والذي بعثك بالحق أرسل الله على الرمح العقيم فجعلتني ذكاً ذكاً لا أدري قبره ، ثم
يرفع من قبر النبي عليه الصلاة والسلام عمود من النور إلى عنان السماء فيعلم جبرائيل أنه قبر محمد ،
فينطلقون إليه فيقفون ، فيبكي جبرائيل عليه السلام ويقولون ما بكاؤك ؟ فيقول لم لا أبكي ، يقوم
محمد ويسألني عن أمته ولا أدري أين أمته ؟ فيتهز قبره وتنشق الأرض ، ويقوم محمد عليه
الصلاة والسلام ، فينفخ التراب عن رأسه ، وينظر عن يمينه وعن شماله ، فلا يرى من
السموات شيئاً ، ويرى جبرائيل وميكائيل وإسرئيل وعزرائيل ، فيقول يا جبرائيل : أي
يوم هذا ؟ فيقول : هذا يوم الحسرة ويوم الندامة ، وهذا يوم القيامة ويوم شفاعتك ،
ويقول يا جبرائيل : أين أمي لعلك تركتهم على شفير جهنم وجئت لأنت تخبرني بهم ،
فيقول جبرائيل : معاذ الله ، والذي بعثك بالحق نبياً ما انشقت الأرض عن أحد قبلك ،
ويضع التاج على رأسه ويلبس الحلل ويركب البراق ويقول : يا أخى يا جبرائيل . أين
أصحابي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؟ فإذا هم يقومون بإذن الله تعالى ، ويأتى ملك ومعه حلل
وبراقات يلبسون ويركبون ويقومون عند النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم يغر النبي عليه
الصلاة والسلام ساجداً باكياً يقول : أمي أمي ، ثم يأتى من قبل الله صوت إلى
إسرئيل : أن انفخ في الصور ، فينفخ فتخرج الأرواح كأنها النحل ، قدملات ما بين السماء
والأرض ، فتدخل إلى الأجساد كما قال الله تعالى (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)
الآية ، فتبعث الخلائق إلى المحشر من الجن والإنس غير اللائكة) (زبدة الواعظين)
عن معاذ بن جبل أنه قال « قلت للنبي عليه الصلاة والسلام : يا رسول الله أخبرني عن قوله
تعالى (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) فبكي عليه الصلاة والسلام حتى ابتلت ثيابه
من دموع عينيه ، فقال : يا معاذ سألتني عن أمر عظيم تحشر أمي على اثني عشر صفاً .
الأول يحشرون من قبورهم ليس لهم يداً ولا رجلاً ، فينادى للنادى من قبل الرحمن :
هؤلاء الذين يؤذون الجيران ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (والجار
ذو القربى والجار الجنب) الآية . والثاني يحشرون من قبورهم على صورة الخنازير ،
فينادى للنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يتهاونون بالصلوات ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم

إلى النار لقوله تعالى (فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) الثالث يحشرون من قبورهم وبطونهم مثل الجبال ، مملوءة من الحيات والعقارب كمثل البغال ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمنعون الزكاة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (والذين يكتزون الذهب والنفضة) الآية . والرابع يحشرون من قبورهم يجرى من أفواههم الدم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كذبوا في البيع والشراء ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) والخامس يحشرون من قبورهم قد اتنفخوا ، وهم أتن رائحة من الجيفة بين الناس ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يكتمون المعاصي خوفا من الناس ولا يخافون من الله ، ثم ماتوا فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) والسادس يحشرون من قبورهم مقطوعى الخلائق والأقضية ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يشهدون الزور ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) الآية . والسابع يحشرون من قبورهم ليس لهم السنة ، يجرى من أفواههم القيح والدم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين يمنعون الشهادة ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) . والثامن يحشرون من قبورهم ناكسى رؤوسهم وأرجلهم فوق رؤوسهم ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يزنون ثم ماتوا ولم يتوبوا ، فهذا جزاؤهم ومصيرهم إلى النار ، لقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) والتاسع يحشرون من قبورهم سود الوجوه زرق العيون وبطونهم مملوءة من النار ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلما لقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) والعاشر يحشرون من قبورهم وقد ملثوا جنادما وبرصا ، فينادى المنادى من قبل الرحمن : هؤلاء الذين عقوا الوالدين ، لقوله تعالى (وبالوالدين إحسانا) والحادى عشر يحشرون من قبورهم عريان القلب والعين ، وأسنانهم كقرن الثور ، وشفاهم مطروحة على صدورهم وألسنتهم مطروحة على بطونهم وعلى خنجرهم يخرج من بطونهم القدر ، فينادى المنادى : هؤلاء الذين كانوا يشربون الخمر لقوله تعالى (إنما الخمر واليسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) والثاني عشر يحشرون من قبورهم ووجوههم كالتمر ليلة البدر ، فيحرون على الصراط كالبرق الخاطف ، فينادى المنادى : هؤلاء الذين يعملون الصالحات والحسنات ، ويجتنبون المعاصي ، ويحافظون على الصلوات الخمس ، وماتوا على التوبة ، فجزاؤهم الجنة والمغفرة والرحمة والرضوان ، لقوله تعالى (ألا تخافوا ولا تحزنوا) « الآية (تنبيه العاقلين) .

المجلس الثاني والأربعون : في بيان التواضع

سورة الفرقان — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وعباد الرحمن) مبتدأ خبره — أولئك يجزون العرفة — (الذين يمشون على الأرض) وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل ولأنهم الراسخون في عبادته ، على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هوناً) هينين أو مشياً هيناً مصدر وصف به ؛ وللعنى أنهم يمشون بسكينته وتواضع (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) تسلمانكم ومتاركه لكم ، لا خير بيننا ولا بينكم ولا شر ، أو سداداً من القول يسمعون فيه من الإيذاء والإثم ، ولا تنافيه آية القتال لنسخه ؛ فإن المراد هو الإعراض عن السفهاء ، وترك مقابلتهم في الكلام (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من ذكرت بين يديه فلم يصل على دخل النار » لأن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند ذكره واجبة عند الإمام الطحاوى في كل مرة . وقال بعض العلماء : يكفي في المجلس مرة واحدة وإن كرر ذكره كسجدة التلاوة وتشميت العاطس ، وبه يفتى ؛ والأفضل أن يصل على كل ما ذكر انتهى . وروى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من أحد إلا وفي رأسه سلسلتان : إحداهما إلى السماء السابعة ، والأخرى إلى الأرض السابعة ، فإذا تواضع يرفعه الله تعالى بالسلسلة التي في السماء السابعة ، وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة » وأما ذم الكبر ، فروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « قال الله تعالى : الكبرياء ردائي ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فيهما ألقيته في النار ولا أبالي » رواه ابن ماجه . قوله الكبرياء ردائي ، والعظمة إزارى : يعنى أنهما صفتان من صفات الله تعالى ، فلا ينبغي للعبد الضعيف أن يتكبر . وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الزجال ، يفتشهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، ويسقون من طينة الحبال ، وهى عصارة أهل النار » رواه القضاعى . قوله الذر : الذرة هى التلمة الصغيرة : أى يكون للمتكبرون يوم القيامة على غاية الذل والحقارة ، فيطوهم أهل الحشر بأرجلهم . قوله : يفتشهم الذل : أى يأتهمم الذل من كل مكان . قوله نار الأنيار : أى أشد حرارة من جميع أنواع النار . قوله بولس : بضم الباء للوحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة ، والحبال : بفتح الحاء المعجمة والباء للوحدة موضع في جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار . وروى عن أبي هريرة أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم

القيامة ولا يزكهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب عظيم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل متكبر »
 رواه مسلم . قوله عائل : أى فقير ، وقيل ذو العيال الذى لا يقدر على تحصيل حوائجهم ويستكبر
 أن يسأل : يعنى لا يطلب الزكاة والصدقة ، ولا يسأل من بيت المال من التكبر ، وهذا آثم لا يصل
 الضرر إلى عياله ، انتهى كلامه . روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من تواضع رفعه
 الله ، ومن تكبر وضعه الله » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
 من كبر ، وإنما صار حجابا عن الجنة لأنه يحول بين العبد وأخلاق المؤمنين كلها ، وتلك الأخلاق هي
 أبواب الجنة » الحديث . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ، وما شرب رجل من سؤر أخيه إلا كتب
 له سبعون حسنة ، ومحييت عنه سبعون سيئة ، ورفعت درجته في أعلى عليين » الحديث رواه
 صاحب الفردوس . وروى عن جابر رضى الله عنه أنه قال : قال نوح عليه السلام لابنه
 سائبك بخصال من كن فيه ليس بمتكبر : اعتقال الشاة وركوب الحمار ولبس الصوف والمجالسة
 مع قراء المؤمنين وأكل أحدكم مع عياله . رواه صاحب الفردوس . وروى عن عمر أنه قال :
 رأس التواضع أن تبتدىء بالسلام على من لقيته من المسلمين ، وأن ترضى بالدون من المجلس
 وأن تكره أن تذكر بالبر والتقوى . وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من
 خصف نعله ووقع ثوبه وغبر وجهه لله في السجود قد برئ من الكبر » وروى عن قيس بن حازم
 أنه قال : لما توجه عمر بن الخطاب إلى الشام ، جعل بينه وبين غلامه تائباً في الركوب
 فكان عمر يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير فرسخاً ، ثم ينزل ويركب
 الغلام ويأخذ عمر رضى الله عنه بزمام الناقة ويسير مقدار فرسخ ثم ينزل ؛ فلما قرب
 إلى الشام كانت نوبة الركوب للغلام فركب الغلام وأخذ عمر بزمام الناقة ، فاستقبله الماء
 في الطريق ، فجعل عمر يغوض في الماء وهو أخذ بزمام الناقة ونعلاه تحت إبطه اليسرى ،
 فخرج إليه أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام ، وكان من العشرة المبشرة بالجنة
 فقال : يا أمير المؤمنين إن عظام الشام يخرجون إليك ، فلا يحسن أن يروك على هذه
 الحالة ، فقال عمر إنما أعزنا الله بالإسلام ، فلا أبالي من مقامة الناس انتهى . روى أن
 مطرف بن عبد الله رأى المهلب يتبختر في جبهته ، فقال : يا عبد الله هذه مشية يغضبها
 الله ورسوله ، فقال المهلب : أما تعرفني ؟ قال بلى أعرفك ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك
 جيفة قدرة ، وأنت بينهما حامل العذرة ، فغضى المهلب وترك المشية وتاب . وروى عن
 أبي هريرة أنه قال : بعث عمر بن الخطاب أميراً على البحرين وهو راكب على حمار ،
 فجعل يقول طرقتوا ؟ فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كان خلقهم

التواضع ، وكانوا أعز الناس عند الخلق وعند الملائكة وعند الله تعالى . وفي الخبر « لما خرج رسول الله من مكة مهاجرا إلى المدينة ، ودخل باب المدينة ، كان الأغنياء يتعلقون بزمام الناقة ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتركوها فانها مأمورة ، فتركوا زمامها عليها ، وكانت الناقة تتقدم أمام العسكر ، فكلما جاوزت دار رجل حزن صاحبها ويقول : لو كان لي دولة لكان محمد عليه الصلاة والسلام ضيفي ، فلما انتهى إلى باب دار أبي أيوب الأنصاري بركت الناقة ، فجلسوا ينخسونها فلم تهم ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال : أنزل هنا فإنه تواضع لله حين نزلت على باب المدينة ، واعتنى الناس وزينوا ديارهم ، وقالوا ينزل رسول الله في دارنا ، وإن أبا أيوب الأنصاري قال في نفسه إني رجل فقير من أين يكون لي قدر عند الله حتى ينزل محمد في داري ، فأنزل الله نبيه في داره لتواضعه » روى عن وهب بن منبه أنه قال : كان رجل في بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة ، لا يفطر إلا من السنة إلى السنة ، ثم سأل الله تعالى حاجة ، فلم يقض حاجته ، فقال : لو كانت لك منزلة عند الله تعالى لقضى الله حاجتك ، فأنزل الله تعالى ملكا قال له : يا ابن آدم تواضعك الآن أفضل عند الله تعالى من عبادتك سبعين سنة ، فقضى الله حاجتك لتواضعك إليه . فاعتبروا يا أولى الألباب ، وكونوا من للتواضعين . وروى عن كعب الأجار أنه قال : أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام فقال : يا موسى أتدري لما اتخذتك كلبي بلا واسطة ؟ قال أنت أعلم بذلك يارب ، قال الله تعالى إني نظرت في قلوب عبادي ، فلم أر قلبا أشد تواضعا من قلبك ، فلهذا كللتك ؛ وقيل إن ستة أشياء تواضعت لله تعالى فرفعهما بين أمثالها : أولها أن الله أوحى إلى الجبال كلها ، فقال : إني أجلس سفينة نوح ومن معه من المؤمنين على جبل منكن ، فشمخت : أي تكبرت الجبال كلها وتناولت ، وتواضع الجودي وقال : من أين يكون لي قدر حتى يجلس الله تعالى سفينة نوح عليه السلام على ، فرفعه الله فوق الجبال كلها ، وقرر السفينة عليه بتواضعه ، كما قال الله تعالى في سورة هود (واستوت) أي استقرت (على الجودي) وهو جبل بأرض الجزيرة بقرب الموصل ، فقالت الجبال : ياربنا لم فضلت الجودي علينا وهو أصغرنا ؟ فقال الله إنه تواضع لي وأتم تكبرتم ، وحق على أن من تواضع لي رفعت ، ومن تكبر على وضعته . والثاني أوحى الله تعالى إلى الجبال كلها فقال : إني مكلم عليكم عبدا من عبيدي ، فشمخت : أي تكبرت الجبال كلها لإطوار سيناء : فإنه تواضع لله تعالى فقال : من أنا حتى يكلم الله على عبدا من عباده ، فذلك كان الكلام بينه وبين موسى عليه السلام على الطور . والثالث أوحى الله إلى السمك كله فقال إني مدخل يونس في بطن واحد منكن ، فتكبرت كلها إلا ممكة واحدة ، وقالت : من أنا حتى يجعل الله

تعالى بطنى وعاء نبيه ، فرفعها الله وأكرمها بتواضعها . والرابع أوحى الله تعالى إلى الطيور كلها فقال : إني واضع شرابا في إحداكن فيه شفاء للناس ، فتكبرت الطيور كلها إلا النحل ، فاتها قالت : من أنا حتى يضعه في ، فرفعها الله ووضعه فيها بتواضعها . والخامس أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال من أنت ؟ قال أنا الخليل ، وقال لموسى عليه السلام : من أنت قال أنا الكليم ، وقال لعيسى عليه السلام : من أنت قال أنا الروح ، وقال لمحمد عليه الصلاة والسلام من أنت ؟ قال أنا اليتيم ، فرفع الله درجته على سائر الأنبياء ، كما قال الله تعالى (ولسوف يعطيك ربك قرضى) والسادس للؤمن الذي تواضع لله بالسجود والتوحيد فأكرمه الله بأن شرح صدره للإسلام ، فهو على نور من ربه انتهى (من للوعظة الحسنة المرغوبة) .

(دخول إبراهيم عليه السلام على ملك مصر) وقصته أن إبراهيم عليه السلام لما جعل الله له النار بردا وسلاما ، قصد نحو مصر (فقال إني ذاهب إلى ربى سيهدين) وذهب مع زوجته سارة عليها السلام ، فقيل له : إن في مصر ملكا ظالما يأخذ أزواج الناس ظلما ، وله في كل طريق عشار ، وكان إبراهيم عليه السلام غيورا وكانت سارة من أجهل النساء حتى لم يكن لها في زمانها نظير فأخذ إبراهيم عليه السلام صندوقا أدخل فيه سارة عليها السلام ووضع إبراهيم عليه السلام القفل على الصندوق وحملها على البعير وقصد نحو مصر ، فلما وصل إلى العشار سأل منه للكث وأراد فتح الصندوق فأبى ، فلم يتركه حتى جاء مع أعوانه ، وفتح الصندوق فرأى سارة ذات جمال وكال ، فقال لإبراهيم عليه السلام : هذه زوجتك قال هي أختي ، قال أظنها تصلح للملك ، فذهبوا بسارة رضي الله عنها إلى الملك ، ورفع الله عن إبراهيم عليه السلام الحجاب حتى رأى سارة من خارج البيت ، فقصد الملك نحو سارة ، ومد يده إليها فيست يده ورجله ، فقال للملك إنك امرأة ساحرة أيست يدي ورجلي ، قالت ما أنا بساحرة ولكني زوج خليل الله ، فدعا عليك ، فأبى الله يدي ورجلك ، فقب إلى الله حتى يصحح الله يدي ورجلك ، فتاب الملك فصحح الله يده ورجله من ساعته ، ثم نظر إلى سارة فلم يصبر عنها فجمد إليها ثانيا فأعمى الله عينه ثم تاب فرد الله تعالى له بصره ، ثم عمد إليها ثالثا فأبى الله جميع أعضائه ثم تاب توبة حقيقية ، وأعادها إلى إبراهيم عليه السلام واعتذر له كثيرا وقال له احكم على بما شئت ، فقال إبراهيم عليه السلام : هذا من أمر ربى ، فلا أحكم إلا بما يأمرنى ربى فنزل عليه جبرائيل عليه السلام ، وقال يا إبراهيم : يقول لك الله قل للملك يخرج من جميع ملكه وخزائنه ، ورسلمها إليك ، ثم ادع له ، فأخبره إبراهيم عليه السلام بحكم الله ، فرضى للملك بحكم الرب ، فدعا له إبراهيم عليه السلام ، فصحح الله تعالى جميع أعضائه . (نكتة) إن سارة كانت امرأة جميلة وكان يحبها الخليل عليه السلام ، لحفظها الله

تعالى من غيره حتى لم يجد أحد إليها سبيلا ، وكلمة التوحيد التي في قلب المؤمن يحبها الجليل ، فإذا لم يكن للعدو سبيل إلى من أحبه الخليل فكيف يكون للشيطان سبيل إلى من يحبه الجليل . رجعنا إلى القصة ، فلما صبح الملك أتى بهاجرووها لسارة رضى الله عنها فقالت سارة : إني أهبا لإبراهيم عليه السلام ، لأنه اغتم لأجلي ، فوهبتها له ، واعتذرت سارة لإبراهيم عليه السلام ، وقالت لا تغتم فإن الله تعالى رفع الحجاب بيني وبينك (نقل من السبعيات) وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من أكرم عالما فقد أكرم سبعين نبيا ، ومن أكرم متعلما فقد أكرم سبعين شهيدا ، ومن أحب العالم لا تكتب عليه خطيئته أيام حياته » وعن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء ، فيقول يا معشر العلماء : إني لم أضع فيكم علمي إلا لعلمي بكم ، فلم أضع علمي فيكم لأعذبكم ، انطلقوا فقد غفرت لكم » (تاتارخانية) .

المجلس الثالث والأربعون : في ذم المعصية والظلم

سورة الروم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ظهر الفساد في البر والبحر) كالجذب والوتان ، وكثرة الحرق والفرق ، وإخفاق الغاصة ، ومحق البركات ، وكثرة المضار ، والضلالة ، والظلم (بما كسبت أيدي الناس) بشؤم معاصيهم ، أو بكسبهم إياها (ليذيقهم بعض الذي عملوا) بعض جزائه ، فإن تمامه في الآخرة واللام لليلة والعاقبة (قاضى يضاوى) .

قال فضالة بن عبيد « سمع النبي عليه الصلاة والسلام رجلا يدعو في صلاته ، فلم يصل عليه ، عليه الصلاة والسلام ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : عجبل هذا ، ثم دعاه ، فقال له وغيره : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله ، والثناء عليه ، ثم ليصل على النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم ليدع بعد ما شاء » وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال « الدعاء والصلاة معلقان بين السماء والأرض ، لا يصعد إلى الله تعالى منها شيء حتى يصل على النبي عليه الصلاة والسلام » (شفاه شريف) وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام في زمرة من الصحابة « إن من أمتي أقواما يقول الله تعالى لهم يوم القيامة : يا عبادي ادخلوا الجنة ، فيتجرون في عرصات القيامة إلى أن يهديهم الله إلى الجنة ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟ فقال الذين ذكرت بين أيديهم ولم يصلوا على من السهو والغفلة » (رونق المجالس) وفي الأصل كانت الأرض خضرة موتقة ، لا يأتي ابن آدم إلى شجرة إلا وجد عليها ثمرة ، وكان ماء البحر عذبا ،

وكان الأسد لا يقصد البقر ولا الذئب الغنم ، فلما قتل قاييل هايل انقضت الأرض ، وشاكت الأشجار ، وصارت الأرض سوداء ، والبحار ملحا زعاقا ، حتى قيل : ظهر الفساد في البر قتل قاييل أخاه هايل ، وفي البحر مجلندي ، وهو ملك كافر كان يأخذ كل سفينة غصبا . قوله بشؤم معاصيهم : أى بشؤم معاصي تارك الصلاة ظهر الفساد فيها ؛ ورد في السنة أن كل محلة يكون فيها تارك الصلاة ينزل عليها كل يوم سبعون لعنة فإن قلت ما الحكمة في نزول اللعنة على أهل المحلة طامة ، ولم تنزل خاصة ؟ قلت : إنهم يرون تاركها ولم ينهوه عنها ، فلذلك يسمهم الله تعالى بعذاب من عنده ، كما وقع في الحديث « الساكت عن الحق شيطان أخرس » (موعظة) قوله ليزيقهم الح اللام للتعليل إن كان المعنى أفسد الله أسباب معاش الناس ، أو للعاقبة إن كان المعنى أفسد الناس أفعالهم وأخلاقهم ، إذ ليس غرضهم من إفسادها أن يذيقهم الله تعالى عقوبة ما كسبوه لكن لما ترتب الغرض من الفعل عليه شبهت العاقبة المرتبة عليه بالعلة الغائية ، فدخلت عليها لام العاقبة كما في قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) (شيخ زاده) قال عليه الصلاة والسلام « يا أيها الناس اتقوا ربكم ولا يظلم أحد منكم مؤمنا ، وما ظلم أحد مؤمنا إلا انتقم الله منه يوم القيامة » (حياة القلوب) قيل أى ذنب أخوف لسلب الإيمان ؟ قال ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الحاتمة والظلم على العباد . وقال رحمه الله تعالى عليه : من كان على هذه الحصال الثلاث ، فالأغلب أنه يخرج من الدنيا كافرا ، نعوذ بالله إلا من أدركته السعادة (دقائق الأخبار والموعظة الحسنة) ورد في الحديث القدسي « يا ابن آدم اللوت يكشف أسراركم ، والقيامة تلو أخباركم ، والكتاب يهتك أسراركم فإذا أذنبت ذنبا فلا تنظر إلى صفرك ، ولكن انظر إلى من عصيته ، وإذا رزقت رزقا قليلا فلا تنظر إلى قلته ولكن انظر إلى من رزقك ، ولا تحقر الذنب الصغير ، فانك لا تدري بأى ذنب أغضب عليك ، ولا تأمن مكري ، فهو أخفى من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء ، يا ابن آدم هل عصيتني فذكرت غضبي فاتميت عنه ، وهل أديت الأمانة لمن اتمنتك ، وهل أحسنت لمن أساء إليك ، وهل عفوت عمن ظلمك ، وهل كلمت من هجرك ، وهل وصلت من قطعك ، وهل أنصفت من خانك ، وهل سألت العلماء عن أمر دينك ودنياك ؟ وإنى لا أنظر إلى صوركم ، ولكن أنظر إلى قلوبكم ونياتكم وأرضى بهذه الحصال عنكم » (موعظه حسنة) هذه حال الظالم . ثم اعلم حال العادل وقتنا الله وإياكم . روى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يسرى بالليل فبصر على باب دار ، فسمع بكاء فوقف ، فسمع امرأة تقول لأولادها : الله بيني وبين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فأراد عمر أن يطيب قلبها من الحزن فدق

الباب ، فقال : ما فعل بك عمر ؟ ولم يعلموا أنه عمر ، فقالت المرأة : قد بعث زوجي إلى غزوة كذا وقد ترك لي أولادا صفارا ، وليس معي شيء أتفقهم عليهم ، فيكون ، ويقولون : قد غفل أمير المؤمنين عنا ، فخرج عمر وأخذ عدلا من الدقيق ولحما كثيرا وحمله على ظهره ، فقال له من كان معه : ضعه حتى أحمله ، فقال : هب أنك تعمل في الدنيا هذا ، فمن يحمل أوزاري يوم القيامة ؟ وكان يسكي حتى دخل الدار ، فعبث في الساعة من الدقيق بيده ، وأوقد التنور ، وطبخ الحبز واللحم ، ونبه الصبيان فكان يلقيهم بيده حتى شبعوا ، فقال لهم : اجعلوني في حل على أن لا تخاصموني يوم القيامة ، فقالوا نعم ، فخرج هو ومعه عدله . ورؤي في المنام بعد موته بخمس عشرة سنة قيل له ما فعل الله بك يا عمر ؟ قال الآن فرغت من حساب قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية (من رونق المجالس) . حكاية : مكتوب على جناح الجراد : نحن جند من الأجناد سلطنا الله على العباد لتخريب النواحي والبلاد عند ظهور الجور والفساد (نقل من المشكاة) ورد عن السلف : الجور والعلم في المدينة ، والجهل والبركات في القرى ، فيجذب العلم للبركات إلى المدينة بسبب المناسبة بينهما ، ويجذب الجهل الظلم إلى القرى لمناسبتها . والآن هكذا أهل المدينة يشكون من أهل المدينة ولا يشكون من أهل القرى ، وأهل القرى يشكون من أهل القرى ولا يشكون من أهل السفر ، وأهل السفر يشكون من دين الإسلام ولا يشكون من سائر الملل . قيل كانت سنة من السنين ، فحطت الناس بركة ، فخرج الناس يستسقون ثلاثة أيام فلم يعطروا . قال عبد الله بن المبارك قفلت لنفسي أخرج من بين هؤلاء القوم ، وأدعوا الله تعالى فسي أن يرحمني ويستجيب دعائي ، فاعتزلت عنهم ، ودخلت بعض الكهوف ، فلم ألبث حتى دخل غلام أسود ، وصلى ركعتين ، ووضع رأسه على الأرض ودعا الله ، وكنت أسمعه يقول : إلهي إن هؤلاء عبادك قد استسقوك ثلاثة أيام فلم تسقهم ، فبعزت لك لأرفع رأسي حتى تسقينا قال فلم يرفع رأسه حتى أمطرت السماء وقام ومضى ، فاتبعته حتى دخل في البلد فدخل دارا ، فوقفت على الباب ، فعدت هناك حتى خرج واحد ، فقلت لمن هذه الدار ؟ فقال لفلان ، فدخلت ، فقلت أريد أن أشتري مملوكا ، فعرض على المالك غلاما ، فقلت أريد غيره أهل عندك غيره ؟ فقال : إن معي غلاما لكنه لا يصلح لك ، فقلت لم ؟ قال لأنه كسلان ، فقلت اعرضه علي ، فدعاه فأبصرته ، فقلت قد رضيت ، فبكم تباعه ؟ قال أنا اشتريته بعشرين دينارا لكنه لا يساوي عشرة دنانير وقد بعته منك بعشرة دنانير ، فقلت اشتريته منك بعشرين دينارا ، ودفعت الثمن إليه وتسلمت منه المملوك ، فقال لي الغلام يا ابن المبارك لم اشتريتنى فاني لأأخدمك ؟ فقلت : ما اسمك ؟ قال الأحية تعرف

الأحبة ، قال فبحث به إلى يتي فأراد التوضأ ، فقامت قدمدت الإناء إليه ووضعت النعل بين يديه ، فقام وتوضأ وصلى وسجد قال : فدنوت لأن أجمع مايقول ، فإذا سمعته يقول :

يا صاحب السر إن السر قد ظهرأ ولاأريد حياتي بعد ماأشهرأ

ثم سكنت ساعة ، فحركته فإذا هو ميت ، فأخذت في تجهيزه ، فدقته ، فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام من ليلتي في المنام وشيخ نوراني محبوب عن يمينه والفلان الأسود عن يساره ، فقال لي : جزاك الله عنا خيرا ولا أراك ضيرا لما أحسنت إلى حبيينا ، ققلت هل هو حبيك يارسول الله ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم : نعم هو حبيبي وحبيب لحليل الرحمن (رونق المجالس) وعن جابر رضى الله تعالى عنه أنه قال « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » (مصابيح) وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى عليه وسلم أنه قال : ستة يدخلون النار ستة : الأمراء بالجور ، والأعراب بالتعصب . وأهل الرستاق بالجهل ، واليهاقين بالكبر ، والتجار بالحيانة ، والعلماء بالحسد » وذكر أن آدم عليه السلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كرامات ما أعطانيها : إحداهما أن قبول توبتي كان عسكة ، وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون في كل مكان فيقبل الله توبتهم . والثانية أني كنت لا بسا فلما عصيت جلفي عريانا وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون عرايا فيلبسهم . والثالثة لما عصيت فرق بيني وبين امرأتي وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أني عصيت في الجنة فأخرجني منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يصون الله تعالى خارج الجنة فيدخلهم فيها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) .

المجلس الرابع والأربعون : في الذكر والتوحيد

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) يغلب الأوقات ويم أنواع ما هو أهله من التقديس والتحميد والتهلل والتمجيد (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلها على سائر الأوقات لكونهما مشهورين كأفراد التسييح من جملة الأذكار ، لأنه العمدة فيها ، وقيل القعلان متوجهان إليهما ، وقيل المراد بالتسييح الصلاة (هو الذي يصلى عليكم) بالرحمة (وملائكته) بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد القدر المشترك ، وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلاة (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح أمرهم وإنفاة قدرهم ، واستعمل في ذلك الملائكة المقربين (قاضي يضاوي) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبدا » أى لم يحتاج إلى أحد أبدا قال الله تعالى (فاذا كرونى) أى بالطاعة (اذ كركم) أى بالمغفرة والثواب ، أوفاذ كرونى بالتوبة اذ كركم بقبولى ومغفرتى ، أواذ كرونى بالدعاء اذ كركم بالإجابة كما قال الله تعالى (ادعونى أستجب لكم) أوفاذ كرونى فى مهدكم اذ كركم فى لحدكم ، وهو التثبيت بالقول حين يسأله الملكان فى قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه ، أوفاذ كرونى بالتوكل اذ كركم بالكفاية بدليل قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أوفاذ كرونى بالإحسان اذ كركم بالرحمة لقوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) (بحرالحقائق) قوله : هو الذى يصلى إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين ، فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها ، وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم البداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسيحه . وقوله تعالى : وملائكته عطف على المستكن فى صلى لمكان الفصل المغنى عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا ، فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متباينين مما لا مساغ له بل على أن يراد بها معنى مجازى عام يكون كلا العنيين فردا حقيقيا له ، وهو الاعتناء بماغه خیرهم وصلاح أمرهم ، فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقى له (أبو السعود) قوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته إلى آخره : صلاته مغفرة ورحمة لخلقهم ، وصلاة الملائكة الدعاء ، والاستغفار للمؤمنين ، جعلوا لكونهم مستجابى الدعوات كأنهم فاعلو الرحمة ، ولذا جاز عطف الملائكة عليه ، وإلا لاعموم للمشارك فى مفهوميه الحقيقة والحجاز (شيخ زاده) قال عليه الصلاة والسلام « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله ، فان كثرة الكلام بغير ذكر الله تورث قسوة القلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » (مصابيح شريف) حكى أنه مات رجل من أهل الله تعالى ، فرآه البعض فى النوم ، فسأله عن حاله فقال : جاءنى ملكان وجههما أحسن شئ وريحهما أطيب شئ ، فقالا من ربك ؟ فقلت إن سألتما امتحانا فحرام وإن سألتما استفهما فربى الله تعالى ، فذهبنا ، فقلت لا تذهبا ما لم تأتيا بالخبر عن سيدى فجاء النداء فى الحال : هو عبدى ، فذهبنا انتهى . عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ليلة العراج بحرا لا يعلم مقداره إلا الله تعالى ، وطى شاطئه ملك على صورة الطير ، وله سبعون ألف جناح ، إذا قال العبد سبحان الله تحرك من مكانه ، وإذا قال والحمد لله بسط أجنحته ، وإذا قال ولا إله إلا الله طار ، وإذا قال والله أكبر أوقع نفسه فى البحر ، وإذا قال ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم يخرج فينفذ أجنحته ، فيقطر من كل جناح سبعون ألف قطرة ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيسبحون ويهللون ويستغفرون لقائلها إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين)

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن الله تعالى خلق عمودا بين يدي العرش ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله اهتز العمود ، فيقول الله تعالى : أسكن ياعمود ، فيقول العمود : كيف أسكن ولم تغفر لقاتلها ؟ فيقول الله تعالى قد غفرت له فيسكن عند ذلك » (زبدة الواعظين) حتى أن موسى عليه الصلاة والسلام كان مارا في بعض الطرق ، فرأى شيخا قد انحنى ظهره من الكبر ، وقد شد زنارا على وسطه ، وبين يديه نار يعبدها ، فقال موسى عليه الصلاة والسلام : يا شيخ منذ كم سنة تعبد هذه النار ؟ فقال منذ أربعمئة وتسعين سنة ، فقال ألم يأن لك أن تتوب من عبادة النار ، وتعود إلى الملك الجبار ؟ فقال ياموسى : أترى أن الله تعالى لو رجعت إليه يقبلني ؟ قال موسى عليه الصلاة والسلام : فكيف لا يقبلك وهو أرحم الراحمين ؟ فقال ياموسى : إن علمت أن الله تعالى يقبل الهاربين بكرمه ولطفه اعرض على الإسلام ، فعرض عليه موسى عليه الصلاة والسلام الإسلام فأسلم ، فقال لا إله إلا الله موسى رسول الله ، فأخذته الصيحة والصراخ حتى خشى عليه الموت بفرح الإسلام ، فحركه موسى عليه الصلاة والسلام برجله فاذا هو فارق الدنيا ، فأخذ موسى عليه الصلاة والسلام في تجهيزه ودفنه ، ثم وقف على قبره فقال إلهي أريد أن تعلمني بماذا عاملت هذا العبد بتوحيد واحد ، فنزل جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، وقال ياموسى إن ربك يقرئك السلام ويقول : أما علمت أن من صالحنا بكلمة لا إله إلا الله موسى رسول الله تقربه إلى جنابنا وتلبسه من حلل الجنة ، فرجع موسى عليه الصلاة والسلام إلى قومه ، فأخبرهم القصة ، فعدوا حروف لا إله إلا الله موسى رسول الله أربعة وعشرين حرفا ، فقد غفر الله بكل حرف ذنوب سبع وعشرين سنة (رونق المجالس) . وفي الخبر « يؤتى بالعبد يوم القيامة ، ويوقف بين يدي الله تعالى ويحاسبه ، فيستحق النار بكثرة ذنوبه وقلة حسناته ، فيقرب إلى الهلاك وهو يرتعد ، فيقول الله تعالى : ياملأكنكى انظروا دقته ، هل تجدون في دبوانه حسنة ؟ فينظرون فيقولون : ياربنا لم نجد شيئا ، فيقول الله تعالى : عندي له شيء إنه كان نائما في الليل فاستيقظ من منامه وأراد أن يذكرني ، فغلب عليه النوم فلم يقدر أن يذكرني إني قد غفرت له بذلك » (تنبيه العافلين) عن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الشيطان عليه اللعنة ، قال لربه بعزتك وجلالك يارب لا أزال أبدا أغوى عبادك وآمرهم بالكفر والمعصية مادامت أرواحهم في أجسادهم ، قال الله تعالى ياملعون : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ماداموا ذا كرين لي ومستغفرين مني » (مجالس الأنوار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « يؤتى برجل يوم القيامة إلى الميزان ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلا ، وكل سجل منها مد البصر وفيها خطايا وذنوبه ، فتوضع في كفة الميزان ،

ثم يخرج قرطاس مثل النملة ، فيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فيوضع في الكفة الأخرى ، فيرجع على خطاياهم ، فينجيه الله تعالى بتوحيده من النار ويدخله الجنة » (تنبيه الغافلين) . قال الفقيه أبو الليث : من حفظ سبع كلمات ، فهو شريف عند الله تعالى والملائكة ، ويغفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، ويجد حلاوة الطاعة ، وتكون حياته ومماته خيرا . الأولى : أن يقول عند ابتداء كل شيء بسم الله . والثانية : أن يقول بعد فراغ كل شيء الحمد لله . والثالثة إذا جرى على لسانه مالا يعنيه أن يقول أستغفر الله . والرابعة إذا أراد فعلا غدا أن يقول إن شاء الله . والخامسة إذا استقبل إليه فعل مكروه أن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . والسادسة : إذا أصابته مصيبة أن يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . والسابعة : لا يزال يجري على لسانه في الليل والنهار كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله (من تفسير حنفي) . فاعمل بما قررنا لك يا صوفي . قيل سبعة أشياء تنور القبر ، وكل واحد ثابت بكتاب الله تعالى : أولها الإخلاص في العبادة لقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) والثاني : بر الوالدين لقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) والثالث : صلة الرحم لقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) والرابع : أن لا يضيع عمره في المعصية ؛ لقوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) والخامس : أن لا يتبع هواه ، لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) والسادس : أن يجتهد في الطاعة لقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) والسابع أن يذكر الله تعالى لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) (تنبيه الغافلين) . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » وهذا الحديث من حسان المصاييح ، رواه جابر رضي الله تعالى عنه ، وإنما جعل فيه الحمد لله تعالى أفضل الدعاء ، لأن الدعاء عبارة عن ذكر العبد ربه وسؤاله منه فضله ، ففي الحمد لله هذا المعنى موجود ، إذ فيه ذكر الرب وطلب المزيد لأنه رأس الشكر ، والعمدة فيه قوله عليه الصلاة والسلام « الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده » والشكر يستأنم المزيد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) فمن قال الحمد لله يصير كأنه سأل منه زيادة فضله بعد الثناء عليه ، وأما كون لا إله إلا الله من أفضل الأذكار ، فلأن فيه معنى لا يوجد في ذكر غيره ، وبمعرفة ذلك المعنى يحصل للمكلف جميع ما يجب عليه معرفته في حقه تعالى ، وذلك معنى إثبات الألوهية له تعالى وتقيها عما عداه ، ويندرج في معنى الألوهية جميع ما يجب على المكلف معرفته ، مما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له ، لأن الألوهية

تشتمل على معنيين : أحدهما استغناؤه تعالى عن جميع ماسواه . والثاني افتقار جميع ما عداه إليه تعالى ، فعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد ، لامستغنى عن جميع ماسواه إلا الله ، فيجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء ، إذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا إلى محدث ، لأن انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث ، وكل حادث مفتقر إلى محدث . وكذا يجب له تعالى التنزه عن النقائص ، ويدخل في التنزه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام (مجالس الرومي ملخصا) .

المجلس الخامس والأربعون : في فضيلة الذكر

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الله وملائكته يصلون على النبي) يعتنون بظهور شرفه وتعظيم شأنه (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أتم أيضا ، فإنكم أولى بذلك ، وقولوا : اللهم صل على محمد (وسلموا تسليما) وقولوا السلام عليك أيها النبي ، وقيل : واتقادوا لأوامره ، والآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة . وقيل تجب الصلاة كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل على ، فدخل النار ، فأبعده الله » وتجوز على غيره تبعاً له ، وتكره استقلالاً ، لأنه في العرف صار شعاراً لله كرسول ولذا يكره أن يقال محمد عز وجل ، وإن كان عزيزاً جليلاً (قاضى يضاوى) .

عن أبي هريرة وعمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكاً أعطاه سمع الخلاق كلها وهو قائم على قبري إلى يوم القيامة فامن أحد من أمتي يصلى على صلاة إلا سمع باسمه واسم أبيه ، وقال : يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك ، فقالوا يا رسول الله أرايت قول الله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فقال عليه الصلاة والسلام : هذا من العلم المكنون ، ولولا أنكم سألتهموني ما أخبرتكم به ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى وكل لي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على ، إلا قال ذاك للمكان غفر الله لك ، وتقول الملائكة جواباً لهما آمين ، ولا أذكر عند مسلم فلم يصل على ، إلا قال ذاك للمكان لا يغفر الله لك ، وتقول الملائكة جواباً لهما آمين » (أبو السعود رحمه الله تعالى) عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « مامن دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب ، حتى يصلى على النبي عليه الصلاة والسلام ، فإذا صلى عليه يخرق ذلك الحجاب ، ويدخل الدعاء ، وإن لم يصل رجع دعاؤه » (حكي) أن واحداً من الصالحاء جلس للتشهد ، ونسى الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فرأى رسول الله في نومه ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام لم نسيت الصلاة على ؟ فقال يا رسول الله : اشتغلت بثناء الله تعالى وعبادته فنسيت ، فقال

عليه الصلاة والسلام : أما سمعت قولي : الأعمال موقوفة والدعوات مجبوسة حتى يصلى على ، وقال لو جاء عبد يوم القيامة بحسنات أهل الدنيا ، ولم تكن فيها صلاة على ردت ولم تقبل » (زبدة الواعظين) (ت) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » (حكي) أن زاهدا رأى النبي عليه الصلاة والسلام في نومه ، فاستقبل الزاهد إليه ، فلم ينظر إليه ، فقال الزاهديا رسول الله : أنت على غضبان ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا ، فقال أما تعرفني وأنا فلان الزاهد ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لم أعرفك ، فقال يا رسول أنا سمعت العلماء يقولون : إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف أمته كما يعرف الأبوان ولدهما ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : صدق العلماء ، إن النبي أعرف منهما بأمته « أي بالذي يصلى على نبيه بقدر صلاته (زهرة الرياض) حكي أن امرأة جاءت إلى الحسن البصري ، فقالت يا أستاذ إن لي بنتا ماتت أريد أن أراها في المنام ، فطني شيئا من الخواص حتى أراها فسلمها الصلاة ، فرأت بنتها في المنام وعليها لباس من قطران ، وفي عنقها غل ، وفي رجلها قيد من نار ، فاستيقظت وجاءت إلى الحسن البصري باكية ، ووصفت ما رآته فبكى الحسن وأصحابه ، ثم مضى مدة ، فرأى الحسن البصري في المنام أنها في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج يضيء ما بين الشرق والغرب ، فقالت يا أستاذ أتعرفني ؟ فقال الحسن رحمه الله تعالى لا ، فقالت أنا بنت تلك المرأة التي علمتها الصلاة ، فقال الحسن رحمه الله تعالى : بأي سبب نلت هذا النزل ؟ فقالت يا شيخ مر بمقبرتنا رجل ، فصلى على النبي عليه الصلاة والسلام مرة ، وجعل ثوابها لنا ، وكان في مقبرتنا خمسمائة وخمسون إنسانا معذبين ، فنودى ارفعوا عنهم العذاب ببركة صلاة هذا الرجل على النبي عليه الصلاة والسلام (زبدة الواعظين) عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « جاءني جبرائيل عليه السلام وقال : يا محمد لا يصلى عليك أحد إلا صلى عليه سبعون ألف ملك ، ومن صلت عليه اللائكة كان من أهل الجنة » وروى عن الحسن البصري أنه قال : رأيت أبا عصمة في المنام ، فقلت له يا أبا عصمة : ما فعل الله بك ، فقال غفر لي ، فقلت بأي سبب ؟ قال ما ذكرت حديثا إلا صليت على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أنا في جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل عليهم السلام فقال جبرائيل يا رسول الله من صلى عليك في كل يوم عشر مرات أنا آخذ بيده وأمره على الصراط كالبرق الخاطف ، وقال ميكائيل عليه السلام : أنا أسقيه من حوضك ، وقال إسرافيل عليه السلام : أنا أسجد لله تعالى ما أرفع رأسي حتى يففر الله تعالى له ، وقال عزرائيل أنا أقبض روحه كما أقبض

أرواح الأنبياء عليهم السلام » (حكى) عن عبد الله أنه قال : كان لنا خادم يخدم السلطان ، وهو موصوف بالنسق ، فرأيت ليلة في منامى ويده في يد النبي عليه الصلاة والسلام قفلت له يا نبي الله هذا العبد من الفاسقين ، فكيف وضع يده في يدك ؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام : قد غفر له وأنا أشفع له إلى الله تعالى ، قفلت يا نبي الله بأي سبب نال تلك المنزلة ؟ فقال بكثرة الصلاة على ، إنه كان في كل ليلة حين يجي إلى فراشه يصلى على ألف مرة (تحفة الملوك) وعن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال : إذا كان يوم القيامة يرى آدم عليه السلام واحدا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام يساق إلى النار ، فينادى يا محمد ، فيقول لييك يا أبا البشر ، فيقول إن واحدا من أمتك يساق إلى النار ، فيعدو خلفه النبي عليه الصلاة والسلام حتى يدركه ، ويقول يا ملائكة ربى قفوا فيقولون يا محمد ألم تقرأ قوله تعالى في حقنا (لا يصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فيسمعون نداء أطيعوا محمدا ، فيقول ردوه إلى الميزان ، فيوزن عمله ، فترجع سيئاته على حسناته فيخرج النبي عليه الصلاة والسلام رقعة من كفه فيها الصلاة التي صلاها عليه في الدنيا ، فيضعها النبي على حسناته فتثقل ، فيفرح الرجل ويقول : بأبى وأمى من أنت ؟ فيقول أنا محمد ، فيقبل ذلك الرجل قدم النبي عليه الصلاة والسلام ويقول يا رسول الله ماتلك الرقعة ؟ فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : هي صلاتك التي صليت على في الدنيا وأنا حفظتها لك . فيقول العبد يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » (كنز الأخبار) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملائكة بأيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة لا يكتبون شيئا إلا الصلاة على وعلى أهل بيتي » (حكى) « أن يهوديا كان يدعى بسرقة جمل على رجل مسلم ، فشهد عليه أربعة شهود من المناقين زورا ، فحكم النبي عليه الصلاة والسلام بالجلل لليهودى وبقطع يد المسلم ، فتحير المسلم ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : إلهى ومولاى أنت تعلم بأتى لم أسرق هذا الجمل ثم قال يا رسول الله إن حكمتك حق ، ولكن استخبر عني هذا الجمل ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يا جمل لمن أنت ؟ فقال الجمل بلسان فصيح : يا رسول الله أنا لهذا المسلم ، وإن هؤلاء الشهود بكاذبون ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : يا مسلم أخبرنى ما ذا تفعل حتى أنطق الله تعالى الجمل في حقك ؟ فقال المسلم يا رسول الله أنا لا أنام الليل حتى أصلى عليك عشر صلوات ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام نجوت من القطع في الدنيا ، وتنجو من عذاب الآخرة في العقبى بركة صلاتك على » (درة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على عشرا إذا أصبح وعشرا إذا أمسى آمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة ، وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » (حكى) عن فضيل بن عياض

عن سفيان الثوري أنه قال : خرجت حاجا ، فرأيت رجلا في الحرم يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان في الحرم ، وعند طواف البيت وعرفات ومنى ، قلت أيها الرجل لكل مقام مقال ، فما بالك لا تشغل بالدعاء ولا بالصلاة سوى أنك تصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن لي فيه قصة ، قلت أخبرني بها ، فقال : خرجت من خراسان حاجا إلى هذا البيت ، ومعى والدى فبلغت الكوفة ، مرض والدى فتوفى ، فغطيت وجهه بإزار ، فلما كشفت عن وجهه رأيت صورته كصورة الحمار ، فحزنت حزنا شديدا ، وقلت كيف أظهر للناس هذه الحالة ، وأن والدى قد صار بهذه الصورة ، ثم نعت ساعة ، فرأيت في المنام كأنه دخل علينا رجل صبيح وعليه نقاب وكشف عن وجهه وقال لي ما هذا الغم العظيم ؟ قلت وكيف لا أغم مع هذه المحنة ؟ فانطلق إلى أبي فمسح وجهه فبرئ مما ابتلى به ، قربت منه وكشفت عن وجهه فنظرت إليه فإذا وجهه كالقمر الطالع يلوح ليلة البدر ، قلت له من أنت ؟ فقال أنا الصطفى فأمسكت طرف ردايته قلت بحق الله تعالى أخبرني بالقصة . فقال كانت والدك آكل الربا ، وأن من حكم الله تعالى أن من أكل الربا يجعل صورته كصورة الحمار ، إما في الدنيا وإما في الآخرة وقد جعلها الله تعالى لوالدك في الدنيا ، وكان والدك في الدنيا يصلي على كل ليلة قبل أن يضطجع مائة مرة ، فلما عرضت له هذه الحالة ، جاء الملك الذى يعرض على أعمال أمتي فأخبرني بحاله ، فسألت الله تعالى فشفعني فيه (تمت القصة) . وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصل على » (مشارق) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى على مرة لم يبق من ذنوبه ذرة » والتقصص والأحاديث فيه كثيرة ، وقد اختصرناها كيلا تؤدي إلى أقوال طويلة . روى أحمد وابن أبي شيبة والنسائي وابن حبان في صحيحه على ما نقله مجد اللغوى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على صلاة صلى الله تعالى عليه عشر صلوات ، وحطت عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات » (كذا في المصايح) قال الشيخ المظهر : وإن عادة الملوك والكرماء إعزاز من يعز أحبابهم ، وتشريف من يشرف أخلاؤهم ، فانه تعالى ملك الملوك وأكرم الكرماء ، فهو أحق بهذا الكرم ، فإن من يشرف حبيبه وبنيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأن يصلي عليه ، يمجد من الله الكريم الرحمة وحط الذنوب ورفع الدرجات انتهى كلامه . قال بعض الكبار : في هذا الحديث إيماء إلى أن الفيض من الحضرة الأحدية إنما يحصل بواسطة الروح الحمدي ، لأنه قطب الأقطاب أزلا وأبدا ، فالواجب على الطالب تحصيل المناسبة إلى جنبه الأعز ، بدوام الصلاة عليه والتزام سنته ، فمن تقرب إليه بصلاة وصل إليه من الحضرة بواسطة متابعتة عشر صلوات

ورفع بينهما وبين الحق عشرة من الحجب ، ورفعت له عشر درجات من درجات القرب قال الله تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) انتهى . ثم معنى قولنا صلى الله على محمد : أى عظمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار شريعته ، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته . وقال الحليمي : للقصود بالصلاة التقرب إلى الله تعالى بامتثال أمره ، وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا ، وقال عبد السلام : ليست صلاتنا على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعة منا له فإن مثلنا لا يشفع لمثله ، ولكن الله أمرنا بالمكافأة لمن أحسن إلينا ، وأنعم علينا ، فإن عجزنا عنها كافأناه بالدعاء ، فأرشدنا الله سبحانه لما علم عجزنا عن مكافأة نبيينا إلى الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، لتكون صلاتنا عليه مكافأة لإحسانه إلينا ، وإفضاله علينا انتهى . قال ابن الشيخ رحمه الله تعالى : والأحوط فى الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن نعمل بما اختاره الجمهور ، وهو وجوبها كلما جرى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإن ذكر فى مجلس واحد ألف مرة انتهى لما ورد من الأحاديث ، فمنها قوله عليه الصلاة والسلام « من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله فلا يلوم من إلا نفسه » رواه ابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كذا فى الترغيب ، وفى هذا الباب أحاديث كثيرة ، فمن كان ذا عقل سليم يكفيه ما ذكره ، فعلى العاقل أن يكثر الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الليل والنهار ، سيما فى يوم الجمعة وليتها انتهى .

المجلس السادس والأربعون : فى بيان خيانة أمانة الله

سورة الأحزاب — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان) تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة ، وصحائها أمانة من حيث إنها واجبة الاداء . وللعنى أنها لعظم شأنها بحيث لو عرضت على هذه الأجرام العظام ، وكانت ذات شعور وإدراك لأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته ، لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين (إنه كان ظلوما) حيث لم يف بها ولم يراع حقها (جهولا) بكنه عاقبتها ، وهذا وصف للجنس باعتبار الأغلب ؛ وقيل المراد بالأمانة : الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية ، وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار ، وإرادة صدوره من غيره ، وبحملها الخيانة فيها ، والامتناع عن أدائها ؛ وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها : إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى ونارا لمن عصانى ، فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا ، لا نحمل فريضة ولا نبتغى ثواباً ولا عقاباً ؛ ولما خلق آدم عليه السلام عرض

عليه مثل ذلك فحملها ، وكان ظلوما لنفسه بتحملة ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ، ولعل المراد بالأمانة العقل أو التكليف ، وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد ، وبجعل الإنسان قابليته ، واستعداده لها ، وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة النضوية والشهوية . (قاضى يضاوى) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام ، فاذا صلى أحد على من أمتي في اليوم مائة مرة ، قضى الله تعالى له مائة حاجة ، سبعين منها في الآخرة ، وثلاثين في الدنيا » قال بعضهم للراد من الأمانة التوحيد ، وهي كلمة الشهادة وكلمة الإيمان وكلمة النور وكلمة التقوى ، وعبر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله في الكافرين ، واتممهم عليها ، وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراجعتها والمحافظة عليها ، وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها (أبو السعود) وعن عبد الله بن عمر أنه قال : كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا ، والليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، فاذا قال العبد هذه الكلمات بالإخلاص في ساعة خفيفة يقول الله تعالى : قد غفرت ذنوبك صغيرها وكبيرها خفيها وجهرها وعمدها وسهوها بحرمة هذه الكلمات (حياة القلوب) . قيل لما عرضت الأمانة على آدم عليه السلام قال يارب : إن السموات والأرض والجبال مع عظمها وسعتها لم يطقن حملها وأبين ، فكيف أحمل مع ضعفي ؟ فقال الله تعالى : الحمل منك والقدرة مني ، فحملها (تفسير حنفي) . قال الله تعالى لموسى عليه السلام (خذها ولا تخف) الآية ، أرى عصاه في عين فرعون ثعبانا عظيما حتى خافوا ، وأراها في عين موسى عليه السلام خشبا فلم يخف ، وكذا الأمانة أراها للسموات والأرض ثقيلة ، فأبين أن يحملها وأشفقن منها ، وأراها في عين الإنسان خفيفة فحملها (زهرة الرياض) . فإن قيل : ما الحكمة في أنها لم تقبل الأمانة مع عظم شأنها وجرمها ، وحملها الإنسان مع ضعفه ؟ قلنا لأنها لم تكن ذاق لذة الجنة ، والإنسان كان قد ذاق لذتها ، فحملها ليلغ إلها (تفسير حنفي) . قال بعضهم المراد من الأمانة الصلوات الخمس ، قال الله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) قال عليه الصلاة والسلام « الصلاة عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين » روى أن عليا كرم الله وجهه كان كلما دخل وقت الصلاة تغير لونه ، فقيل له في ذلك فقال قد جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، فحملتها مع ضعفي ، فلا أدري أؤديها أم لا ؟ (بهجة الأنوار) وقال بعضهم للراد من الأمانة

الأعضاء ؟ فالعين أمانة يلزم كفها عن الحرام ، كما قال الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) والبطن أمانة يلزم كفها عن إدخال الحرام . كما قال الله تعالى (ولا تأكلوا الربا) وقال (إن الدين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) واللسان أمانة يلزم كفه عن الغيبة والفحش ، كما قال الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) والأذن أمانة يلزم كفها عن استماع المنكرات والنهائى ، كقوله تعالى (ولا تنطق ما ليس لك به علم) وكذا اليد والرجل والفرج أمانات يلزم كفها عن الحرام (بهجة الأنوار) . وقال بعضهم : المراد من الأمانة القرآن ، يلزم عليك أن تلازم لقراءة وتعلمه وتعليمه ، وفي الخبر « إن الله تعالى يقول يوم القيامة للوح المحفوظ يا لوح أين الأمانة التى أودعت عندك : يعنى القرآن ما صنعت بها ؟ فيقول اللوح يارب وكلت بها إسرائيل وسلمتها إليه ، فيقول الله تعالى : يا إسرائيل ما صنعت بأمانتى ؟ فيقول يارب سلمتها إلى ميكائيل وميكائيل إلى جبرائيل ، ثم يسأل جبرائيل فيقول : ما صنعت بأمانتى ؟ فيقول جبرائيل عليه الصلاة والسلام : يارب سلمتها إلى حبيبك محمد ، فيقول الله تعالى هاتوا حبيبى محمدا بالرفق ، فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد تدارك ، فيقول الله تعالى : يا حبيبى هل بلغك جبرائيل أمانتى ؟ فيقول نعم ، فيقول الله تعالى ما صنعت بها ؟ فيقول رب بلغت أمتى ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتى هاتوا أمة حبيبى محمد حتى أسألهم عن أمانتى ، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : يارب أمتى ضعفاء لا يقدر أن يجيئوا حضرتك ، ثم يقول : يارب ائذن لى حتى أذهب إلى آدم عليه الصلاة والسلام ، فيأذن الله تعالى ، فيذهب ويقول عليه الصلاة والسلام : يا آدم أنت أبو البشر وأنا نبيهم ، إن أصابهم العلة يكون الحزن علينا ، فخذ نصف ذنوب أمتى وأنا نصفها حتى ينجوا من السؤال والحساب ، فيقول آدم عليه الصلاة والسلام : يا محمد أنا مشغول بنفسى فلا أقدر ، ثم يرجع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويحىء تحت العرش ، ويضع رأسه ساجدا ، ويكى بكاء شديدا ، ويتضرع إلى الله تعالى ويقول : يارب لا أسألك نفسى ولا فاطمة بنتى ولا الحسن والحسين بل أريد أمتى فيقول الله تعالى بلطفه وكرمه : يا محمدا رفع رأسك وسل تعط ، واشفع تشفع ، أعطيت أمتك ماترضى وفوق ماترضى قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) (تفسير حنفى) .

أنا المطلوب فاطلبنى تجدى وإن تطلب سوى فلم تجدى

قال بعضهم المراد من الأمانة الصوم فهو ركن الإسلام فمن أقامه فقد أقام الدين ، ومن تركه فقد هدم الدين ، وقال الله تعالى (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال عليه الصلاة والسلام « فرض عليكم صوم

رمضان » عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » (مطالع الأنوار) وقال بعضهم المراد من الأمانة الزكاة ، وهي تطهير البدن واللسان قال الله تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) الآية ، وقال الله تعالى (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام مر يوماً على رجل يصلى مع خشوع وخضوع ، فقال يارب ما أحسن صلاة هذا ! قال الله تعالى : يا موسى لو صلى كل يوم ليلة ألف ركعة ، وأعتق ألف رقبة ، وحج ألف حجة ، وشيع ألف جنازة ، لاینفعه حتى يؤدي زكاة ماله » (تفسير قرطبي) . وقال بعضهم المراد من الأمانة الحج ، وهو من أركان الإسلام ، قال الله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه - يلاً) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة ولم يحج ، فليمت على أى حال شاء يهودياً أو نصرانياً » (مجمع اللطائف) . وقال بعضهم : المراد من الأمانة سائر الأمانات ، قال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وقال عليه الصلاة والسلام « لا إيمان لمن لا أمانة له » وروى عن مالك بن صفوان أنه قال : مات أخى فرأيت به في المنام ، فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ربي ، فرأيت به نقطة سوداء في وجهه ، فسألته عنها فقال : عندي يهودى كذا وكذا دراهم بالأمانة ولم أؤدها إليه ، فهذه النقطة لأجلها ، فأسألك يا أخى أن تأخذ الأمانة من الموضع الغلاني وتردها إلى اليهودى ، فلما أصبحت فعلت ما قاله ، فرأيت به ثانياً قد زالت عنه تلك النقطة ، فقال رحمك الله يا أخى كما خلصتني من العذاب (تفسير عيون) وقال بعضهم المراد من الأمانة الأهل والأولاد ، فيلزم عليك أن تأمرهم بالصلاة كما قال الله تعالى (وأمر أهلك بالصلاة) وقال عليه الصلاة والسلام « مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرة » فيلزم عليك أن تحفظهم من المحارم واللعب لأنك مسئول عنهم كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (تفسير عيون) . حكى أن عابدا عبد الله تعالى مدة ، فيوماً من الأيام تواضاً وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده نحو السماء فقال : إلهي تقبل منى ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لا تنطق يا ملعون فان طاعتك مردودة ، فقال العابد : لم ذلك يارب ؟ قال المنادى : إن امرأتك فعلت فعلاً مخالفاً لأمرى وأنت راض عنها ، فجاء العابد وسألها عن حالها فقالت : ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة ، فقال الزاهد أنت طالق منى ، فإني لا أقبلك أبداً فطلق امرأته وتواضاً وصلى ركعتين ، ثم رفع رأسه ويده ، وقال اللهم تقبل منى ، فتودى الآن قد قبلت طاعتك (عيون) . روى البخارى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « آية المنافق » أى علامته

« ثلاث » أى ثلاث خصال « إذا حدث كذب » فعلى المؤمن الصادق فى إيمانه أن يحتترز عن الكذب ، لأنه سبب لسواد الوجه يوم القيامة ، كما ورد فى حديث رواه البيهقى عن أبى بردة رضى الله تعالى عنه أنه كما فى الجامع الصغير قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الكذب يسود الوجه » الحديث : أى يوم القيامة ، لأن الإنسان إذا قال شيئا لم يكن كذبه الله تعالى ، وكذبه إيمانه من قلبه ، فيظهر أثره على وجهه (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) روى الترمذى وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنها قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا كذب العبد كذبة تباعد الملك عنه ميلا من تنين ما جاء به » كذا فى الجامع الصغير « وإذا وعد أخلف » أى لم يوف بوعده « وإذا أؤتمن » أى إذا جعل أمينا ووضع عنده أمانة « خان » قيل هذا على سبيل إنذار للسلم وتحذيره أن يستاد هتما لحصول التسمية ، فقفى به إلى النفاق ، وهذه الخصال كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى لما خاطب الأرواح فى عالم الأرواح بقوله (ألسن بربكم قالوا بلى) أقروا بربوبيته ، فأخذ الله سبحانه عليهم العهد واليثاق ووعدوا الاستقامة على العهد ، فإذا أحل العبد بالإقرار فى هذا العالم يكون كاذبا وغفلا لوعده ، وكذا الأمانة كما تكون بين العباد تكون بين العبد والرب تعالى ، لأن الله تعالى أعطى الإنسان أمانة ، وهى الأمر بالطاعات والعبادات ، فمن أداها ، فقد أدى الأمانة ، ومن تركها ، فقد خان الأمانة انتهى .

المجلس السابع والأربعون : فى فضيلة قراءة القرآن

سورة فاطر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الذين يتلون كتاب الله) يداومون قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمعة لهم وعنوانا ، وللرأد بكتاب الله القرآن أو جنس كتب الله ، فيكون ثناء على للصدقين من الأمم بعد اختصاص حال الكذابين (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيف اتفق من غير قصد إليهما (يرجون نجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خير إن (لن تبور) لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة ، وقوله (ليوفيه أجورهم) علة للمدلوله أى ينتقى عنها الكساد ، وتتفق عند الله ليوفيهم بنفاقها أجور أعمالهم ، أو لمدلول ماعد من امتثالهم ، نحو فعلا ذلك ليوفيهم أو عاقبة ليرجون (ويزيدهم من فضله) على ما يقابل أعمالهم (إنه غفور) لفرطاتهم (شكور) لطاعتهم أى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة أوهو خبر إن ويرجون حال من واو وأنفقوا (قاضى يضاوى) .

« جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ قال ماشئت ، قال الربيع ؟ قال ماشئت ، وإن زدت فهو

خير لك ، قال النصف ؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير لك ، قال الثلثين ؟ قال ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال يارسول الله فأجعل صلاتي كلها لك ؟ قال إذن تكفي همك ويفخر ذنبك » (شفاء شريف) كان في زمن خلافة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه رجل موسر من حيث الدنيا ، وكان له سيرة سيئة ، وكان له شوق في الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، لا يففل عنها ولا يفتر ساعة واحدة ، فلما حضرته الوفاة تضايق واسود وجهه ، وصار من يراه يحصل له الرعب ، فلما دخل في غمرات اللوت نادى : يا أبا القاسم إني أحبك ومكثر من الصلاة عليك ، فما تم كلامه حتى نزل طائر من السماء فمسح بجناحه وجه ذلك الرجل ، فابيض وجهه وفاح له ريح كريخ المسك الأذفر ، ومات على الشهادة ، فلما قدموه إلى القبر ووضعوه في اللحد سمعوا صوتا من جو السماء ، إن هذا العبد لم يوضع في قبره إلا أكفانه ، وإن الصلاة التي كان يصلها على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذته من قبره ووضعت في الجنة ، فتعجب الحاضرون من ذلك وانصرفوا ، فلما كان الليل رأى الرجل في المنام وهو يمشى بين السماء والأرض يقرأ قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (موعظة) عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « من كان يرجو لقاء الله فيكرم أهل الله ، قيل يا رسول الله هل لله عز وجل أهل ؟ قال نعم ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال أهل الله في الدنيا الذين يقرءون القرآن ، ألا من أكرمهم فقد أكرمهم الله وأعطاه الجنة ، ومن أهانهم فقد أهان الله وأدخله النار ، يا أبا هريرة ما عند الله أحد أكرم من حامل القرآن ، ألا وإن حامل القرآن عند الله أكرم من كل أحد إلا الأنبياء » وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال ذات يوم « ألا أعلمكم بأفضل أمتي يوم القيامة ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الذين يقرءون القرآن إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل : يا جبرائيل ناد في المحشر ألا من كان يقرأ القرآن فليقم فينادى ثانيا وثالثا فيقفون صفوفًا بين يدي الرحمن لا يتكلم أحد منهم حتى يقوم نبي الله داود عليه الصلاة والسلام فيقول الله اقرءوا وارفعوا أصواتكم فيقرأ كل واحد منهم ما ألهمه الله تعالى من كلامه فكل من قرأ رفعت له الدرجات كل واحد على حسن صوته ونعمته وخشوعه وتدبره وتأمله ، ثم يقول الله تعالى : يا أهلى أتعرفون من أحسن إليكم في دار الدنيا ؟ فيقولون نعم يا ربنا فيقول الله تعالى اذهبوا إلى المحشر فكل من عرفتموه يدخل معكم الجنة » وعن علي كرم الله وجهه أنه قال « كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام في جماعة من الصحابة رضى الله عنهم إذ أتى رجل من البادية فقال عليك السلام يا رسول الله وغليكم يا جميع الجالوس ثم قال اعملوا أن الله تعالى قد فرض علينا خمس صلوات وقد ابتلينا بالدنيا ،

وأهولها فوحقك يا رسول الله ما نصلى ركعة واحدة إلا وأشغالها داخلة فيها فكيف يتقبلها الله وهي مختلطة بأشغال الدنيا ؟ قال على كرم الله وجهه هذه صلاة لا يقبلها الله تعالى ولا ينظر إليها فقال عليه الصلاة والسلام وهل تقدر يا على أن تصلى ركعتين خالصا لله تعالى من كل هم وشغل ووسوسة وأنا أعطيك بردتي الشامية فقال على أنا أقبر على ذلك ققام على من بين الصحابة وأسبغ الوضوء وقام للصلاة ونوى لله تعالى خالصا بقلبه وركع الركعة الأولى ثم دخل في الثانية ، فلما ركع قام منتصبا على قدميه وقال سمع الله لمن حمده وذكر في قلبه لو كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعطيني البردة ألقطوانية لكنت خيرا لى من تلك الشامية ثم سجد وتشهد وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال وحقك يا رسول الله إني صليت الركعة الأولى خاليا من كل هم ووسوسة ، ثم صليت الركعة الثانية ، فذكرت في نفسي وقلت : لو كنت تعطيني بردتك القلطوانية لكنت خيرا لى من تلك الشامية ، وحقك يا رسول الله لا يقدر أحد أن يصلى ركعتين خالصا لله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام : صلوا فرضكم ولا تتكلموا في صلاتكم ، فإن الله تعالى لا يقبل صلاة مشوبة بأشغال الدنيا ، ولكن صلوا واستغفروا ربكم بعد صلاتكم ، وأبشركم بأن الله تعالى خلق مائة رحمة ينشرها على أمتي يوم القيامة ، مامن عبد ولا أمة صلى الصلاة للفروضة إلا كان تحت ظل تلك الصلاة يوم القيامة » (موعظة) وقال عليه الصلاة والسلام « سمعت ليلة أُسرى بي الحق يقول : يا محمد مر أمتك أن يكرموا ثلاثة : الوالد والعالم وحامل القرآن ، يا محمد حذرهم من أن يغضبوه أو يهينوه ، فإن غضبي يشتد على من يغضبهم ، يا محمد أهل القرآن هم أهلي جعلتهم عندكم في الدنيا إكراما لأهلها ، ولولا كون القرآن محفوظا في صدورهم لهلكت الدنيا ومن عليها ، يا محمد حملة القرآن لا يعذبون ولا يحاسبون يوم القيامة ، يا محمد حامل القرآن إذا مات تبكى عليه سماواتي وأرضي وملائكتي ، يا محمد إن الجنة تشاق إلى ثلاثة : أنت وصاحبك : أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وحامل القرآن » (من الموعظة الحسنة) قال النبي عليه الصلاة والسلام « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » صدق من نطق رواء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف » رواء الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح . وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويضع به آخرين » رواء مسلم وابن ماجه وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يقول الله تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومستلقى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على

سأثر الكلام كفضل الله على خلقه » رواه الترمذى . وقال حديث حسن غريب . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة ليس لها ريح وطعمها مر » وفي رواية « مثل الفاجر » بدل المنافق رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . وعن أنس رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح وطعمها طيب ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الخنزيرة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل المجلس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك ريحه ، ومثل المجلس السوء كمثل صاحب الكبر إن لم يصبك شيء من شره أصابك من دخانه » رواه أبو داود . وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبی عليه الصلاة والسلام يقول « اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه » الحديث رواه مسلم . وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه كفى مشكاة المصابيح أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ القرآن مؤمنا كربة » أى أذهب عنه الحزن ، إذا الكربة بالضم الحزن وتنوينها للتخفيف « من كرب الدنيا » بماله أو بمساعدته أو رأيه أو إشارته ، قيد بالمؤمن لأنه مظنة الكرب فى الدنيا « نفس الله عنه كربة » تنوينها للتعظيم « من كرب الآخرة » ومن يسر « أى سهل » على معسر « أى فقير وهو يشمل المؤمن والكافر أى من كان له على فقير دين فسهل عليه بامباله أو ترك بعضه » يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما « متلبسا بفعل قبيح بأن لا يفضحه أو ستره بانابا أن ألبسه ثوبا » ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد « أى فى نصرته » ما كان « أى مادام » العبد « مشغولا » فى عون أخيه المسلم « وقضاء حاجته » ومن سلك « أى ذهب » طريقا يلتمس « أى يطلب حال أو صفة » فيه علما « نكره ليشمل كل نوع من أنواع علوم الدين قليلة وكثيرة ، وفيه استحباب الرحلة فى طلب العلم ، وقد ذهب موسى الحكيم إلى الخضر عليهما السلام وقال (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنهما فى حديث واحد « سهل الله به » أى بسبب ذلك « طريقا إلى الجنة » يعنى جعل الله ذهابه فى طلب العلم سببا لوصوله إلى الجنة من غير تعب ، ويجازى عليه بتسهيل قطع العقبات الشاقة كالوقوف والجواز على الصراط وغير ذلك « وما اجتمع جماعة فى مسجد من مساجد الله »

احترز به عن مساجد اليهود والنصارى ، فانه يكره الدخول فيها « يتلون كتاب الله » أى يقرءون القرآن « ويتدارسونه بينهم » وهو قراءة بعض مع بعض تصحيحا لألفاظه أو كشفا لمعانيه « إلا نزلت عليهم السكينة » وفي مظهر الصايح : السكينة الشىء الذى يحصل سكون الرجل إليه وللراد ههنا بها حصول الذوق والشوق للرجل من قراءة القرآن وصفاء قلبه بنوره ، وذهاب الظلمة النفسانية من القلب ، ونزول الضياء الرحمانى فيه ، وقيل اسم ملك ينزل قلب المؤمن ويأمره بالخير ، ويحرضه على الطاعة ويوقع في قلبه الطمأنينة والسكون على الطاعة انتهى . « ونحشيتهم الرحمة » أى أحاطت بهم : يعنى تنزل عليهم الرحمة والبركة من الله تعالى « وحفت بهم لللائكة » أى طافوا بهم وداروا حولهم يستمعون القرآن ودراسته ، ويحفظونهم من الآفات ، ويصافحونهم ويزورونهم « وذكرهم الله فيمن عنده » المراد من العندية الرتبة يعنى فى اللائكة للتقربين ، ويقول انظروا إلى عبادى يذكروننى ويقرءون كتابى ، وأى شرف أعظم من ذكر الله تعالى عباده بين ملائكته « ومن بطأ به » بتشديد الطاء من التبطئة ضد التعجيل ، والباء للتعدي : أى أخره فى الآخرة « عمله » السوء أو فطرطه فى العمل الصالح « لم يسرع به نسبه » أى لم ينفعه شرف نسبه ولم تتجبر بقيصته به ، فان التقريب إلى الله تعالى لا يحصل بالنسب . وكثرة العائثر والأقارب ، بل بالعمل الصالح (كذا فى شرح الصايح) .

المجلس الثامن والأربعون : فى بيان عذاب الكفار فى الجحيم

سورة يس - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وانفردوا عن المؤمنين ، وذلك حين يسار بهم إلى الجنة كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينفرقون - ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال لهم تقرعها وإلزاما للحجة ، وعهده إليهم مانصب من الحجج العقلية والسعوية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان ، لأنه الأمربها والمزين لها (إنه لكم عدومبين) تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه (وأن اعبدوني) عطف على أن لا تعبدوا (هذا صراط مستقيم) إشارة إلى ما عهد إليهم أو إلى عبادته ، والجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه أو بشق الآخر ، والتذكير للمبالغة أو للتعظيم أو للتبويض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون) رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأى . والجبل : الخلق (هذه جهنم التى كنتم توعدون . اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) ذوقوا حرها اليوم بكفركم فى الدنيا (قاضى يضاوى) .

وعن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما : إذا دخلت للمسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « لا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا على حيث كنتم ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » وفي حديث أوس رضى الله تعالى عنه « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، فان صلاتكم معروضة على » (شفاء شريف) . قوله (وامتازوا) يعنى اعتزلوا أيها الكفار عن المؤمنين ، فاتهم قد تأذوا منكم في الدنيا فاعتزلوهم حتى ينجوا منكم ، ويقال إن النادى ينادى : أيها المجرمون امتازوا فان المؤمنين قد فازوا ، أيها للناقون امتازوا فان المخلصين قد فازوا ، أيها الفاسقون امتازوا فان الصادقين قد فازوا ، أيها العاصون امتازوا فان للطيعين قد فازوا ، كما قال الله تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة سعيدا (قاضى يضاوى) . كما قال الله تعالى في آية أخرى (إن الشيطان لكم عدو) عداوة عامة قديمة (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم (إنما يدعر حزبه لىكونوا من أصحاب السعير) (قاضى يضاوى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « خرج النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم من المسجد فإذا هو بإبليس ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما الذى جاء بك إلى باب مسجدى ؟ فقال يا محمد جاء بى الله ، قال فلم ذا ؟ قال لتسألنى عما شئت ، فقال ابن عباس أول شيء سأله عنه الصلاة قال له يا إبليس : لم تمنع أمتى عن الصلاة بالجماعة ؟ قال يا محمد : إذا خرجت أمتك إلى الصلاة تأخذنى الحمى الحارة ، فلا يرتفع ذلك حتى يتفرقوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمتى عن قراءة القرآن ؟ قال عند قراءتهم أذوب كالرصاص ، وقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس لم تمنع أمتى عن الجهاد ؟ قال إذا خرجوا إلى الجهاد قيدت بقيد على قدمى حتى يرجعوا ، وقال عليه الصلاة والسلام : لم تمنع أمتى عن الحج ؟ قال إذا خرجوا إلى الحج أسلسل وأغل ، وإذا هموا بالصدقة يوضع على رأسى المنشار ، فينشرنى كما ينشر الخشب » (زهرة الرياض) وفي الخبر « لما وقع أهل النار فى النار وضع لإبليس منبر من النار وألبس لباسا من النار وتوج بتاج من النار وقيد بقيد من النار ثم يقال لإبليس : يا إبليس اصعد المنبر اخطب لأهل النار ، فيصعد ويقول لأهل النار يا أهل النار ، فيسمع صوته جميع من فى النار ، فيتوجهون جميعا إليه ، فينظرون فيقول : يا معشر الكفار والناقين (إن الله وعدهم وعد الحق) بأنكم تموتون ثم تعشرون ثم تحاسبون ثم تفرقون فريقين (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) إنكم ظننتم أن لا تزولوا من الدنيا وتبقوا فيها (وما كان لى عليكم من سلطان) إلا أنى أوبسوس لكم ، فاستجبت لى واتبعتونى فالجرم عليكم (فلا تلومونى ولوموا أنفسكم) فانكم أحق باللامة بى ، كيف لا تعبدون الله تعالى وهو خالق كل شيء ؟ يقول ما أقدر على أن أجيكم من عذاب الله

ولا أتم تقدرون على أن تنجوني ، إني تيرأت اليوم مما قلت لكم ، فإني مطرود ومردود من حضور رب العالمين ، فاذا سمع أهل النار هذا القول من إبليس لعنوه جميعا ثم تضربه الزبانية برمح من النار فتلقيه من فوق منبره في النار إلى أسفل سافلين مؤبدا فيها مع من تبعه من أهل النار ، وتقول لهم الزبانية : لا موت لكم ولا راحة لكم خالدين فيها . (زهرة الرياض) وحكى أن أبا زكريا الزاهد لما حضرته الوفاة أتاه صديق له في سكرات الموت ولقنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فأعرض الزاهد بوجهه ولم يقلها ، فقال له ثانيا فأعرض عنه ، فقال له ثالثا فقال لا أقول ، فخشي عليه صديقه ، فلما كان بعد ساعة وجد أبو زكريا خفة ففتح عينيه فقال هل قلم لي شيئا ؟ قالوا نعم عرضنا عليك الشهادة ثلاثا فأعرضت مرتين وقلت في الثالثة لا أقول ، فقال أتاني إبليس ومعه قدح من ماء ، فوقف عن يميني وحرك القدح وقال أحتاج إلى الماء ؟ فقلت لا ، قال قل عيسى ابن الله ، فأعرضت عنه ، وأتاني من قبل رجلا وقال لي كذلك ، وفي الثالثة قال قل لا إله ، قلت لا أقول ، فألقى القدح إلى الأرض وولى هاربا وأنا أرد على إبليس لا عليكم فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله (زهرة الرياض) حكى أن إبليس عليه اللعنة : كان يرى في الزمن الأول ، فقال له رجل يا أبا مرة : كيف أصنع حتى أكون مثلك ، قال ويحك لم يطلب أحد مني هذا ، فكيف تطلبه أنت ؟ فقال الرجل إني أحب ذلك ، فقال إبليس إن أردت أن تكون مثلي ، قهاون بالصلاة ، ولا تبال من الحلف صادقا أو كاذبا ، فقال الرجل : لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاة ولا أحلف يمينا قط ، فقال إبليس : ما تعلم أحد نصحا مني بالاحتياط غيرك ، وقد عاهدت أن لا أنصح لأدبي (كنز الأخبار) قال الحكماء : من أراد أن يكون من العارفين وينجو من الشيطان ، فليرفع بينه وبين المعرفة أربعة أشياء : إبليس وما شاء إبليس ، والنفس وما شاءت النفس ، والهوى وما شاء الهوى ، والدنيا وما شاءت الدنيا . شاء إبليس زوال دينك لتكوت معه في النار مخلدا ، كما قال الله تعالى (يكثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) الآية ، وقال تعالى (الشيطان يهدكم الفقر) الآية ، والنفس شاءت للعصية وترك الطاعة وهي معيوبة ، وقد بين الله تعالى عيها على لسان يوسف عليه السلام بقوله (إن النفس لأمارة بالسوء) وأما الهوى فانه شاء الشهوات وترك الجسد بالخدمة ، قال الله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) الآية ، والدنيا شاءت أن تختار عمالها على عمل الآخرة ، وقد قال الله تعالى (فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي السأوى) فاذا رفعت هذه الأشياء الأربعة قصد وصل العارف إلى المعروف وهو الله تعالى ؛ ومن أطاع إبليس فيما شاء فهو ساع في زوال دينه ، فيكون عذابه بالتأيد

كعذاب إبليس ؛ ومن أطاع النفس فيما شئت وهى المعصية يكون عذابه على الانقطاع ؛ ومن أطاع الهوى فيما شاء وهو الشهوات يكون عليه أشد الحساب ؛ ومن أطاع الدنيا فيما شئت وهو اختيارها على الآخرة تذهب عنه الدنيا والآخرة ، كقَالَ اللهُ تَعَالَى (خسر الدنيا والآخرة) ومن أجاب إبليس ذهب عنه المولى لقوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) ومن أجاب النفس ذهب عنه الورع ، ومن أجاب الهوى ذهب عنه العقل ، ومن أجاب الدنيا ذهبت عنه الآخرة ، لقوله تعالى (بشئ للظالمين بدلا) (زهرة الرياض) روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا خلاص المؤمنون من النار وأمنوا منها ، فما مجادلة أحدكم لصاحبه فى حق يكون له فى الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين دخلوا النار ، يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا فأدخلتهم النار ، قال فيقول الله تعالى اذهبوا وأخرجوا من عرقم منهم ، قال فيأتون ، فيعرفونهم بصورتهم ولا تأكل النار صورتهم ، فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من أخذته النار إلى كتفيه فيخرجونهم ، فيقولون ربنا أمرتنا أن نخرج من عرفاء ، فيقول الله تعالى أخرجوا من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان » يريد به الإيمان كله ، لأن الشيء قد يسمى باسم بعضه ، والدليل على ذلك قوله تعالى (ولحم الخنزير) وإنما أراد به الخنزير كله ، وقوله تعالى (فتحرير رقبة مؤمنة) أراد به الكل . قال أبو سعيد : فمن لم يصدق به فليقرأ هذه الآية (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) قال ويقولون ربنا أخرجنا من النار ، فلم يبق فى النار أحد فيه خير ، ثم يقول الله تعالى شفعت الملائكة والأنبياء والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين ، قال فيقبض قبضة من النار أو قبضتين ناسا لم يعلم الله فيهم خيرا قد احترقوا ، فيؤتى بهم إلى عين يقال لها عين الحياة فيغتسلون فيها ، قال فيخرجون منها أجسادهم مثل اللؤلؤ ، وفى أعناقهم خاتم مكتوب فيه : هؤلاء عتقاء الرحمن ، فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطينا ما لم تعط أحدا من العالمين ، قال فيقول الله تعالى : إن لكم عندى أفضل منه ، قال فيقولون ربنا ما أفضل من ذلك ؟ فيقول رضائى فلا أسخط عليكم أبدا (زهرة الرياض) قال تعالى فى إهانة المجرمين جزاء جرمهم وعظم قبائحهم (ونسوق المجرمين) كما تساق البهائم (إلى جهنم وردا) جمع وارد ، فيساقون إليها رجالا عطاشا قد تقطعت أكبادهم من العطش ، وأصل الورد من الورد إلى الماء والوارد على الماء يكون عطشان كذا فى العيون (لا يملكون الشفاعة) أى المؤمنون والمجرمون كلهم ، نصب على الحال (إلا من اتخذ) فى الدنيا ، محله رفع بدل من واو يملكون ، كذا فى العيون (عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله : أى لا يشفع إلا مؤمن .

وقيل معناه لا يشفع الشافعون (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى إلا المؤمن كذا فى العالم ، أو إلا من اتخذ إذنا فيها ، لقوله تعالى (لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن) من قولهم عهد الأمير إلى فلان بكذا : أى أمره به (قاضى يضاوى) أى لا يشفع إلا للأمور بالشفاعة من أهل الإيمان (كذا فى العيون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من جاء بالصلاة الخمس يوم القيامة قد حافظ على وضوئها ومواقيتها وزكوعها وسجودها لم ينقص منها شيئا ، فله عند الله تعالى عهد أن لا يعذبه ، ومن جاء وقد انتقص منها شيئا فليس له عهد ، إن شاء رحمه وإن شاء عذبه » (كذا فى الدر من التفسير) .

المجلس التاسع والأربعون : فى بيان ذبح إبراهيم ابنه عليهما السلام

سورة الصافات — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وقال إني ذاهب إلى ربى) إلى حيث أمرنى ربى وهو الشام (سيدين) إلى ما فيه صلاح دينى (رب هب لى من الصالحين) بعض الصالحين يعنى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة : يعنى الولد (فبشرناه بغلام حليم) بشرناه بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم (فلما بلغ معه السعى) أى فلما وجد وبلغ أن يسعى معه فى أعماله ، ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به ، لأت صلة المصدر لا تتقدمه ، ولا يبلغ ، فان بلوغه لم يكن معه كأنه قال : فلما بلغ السعى ، قليل مع من ؟ قليل معه (قال يا بنى إني أرى فى المنام آتى أذبحك) يحتمل أنه رأى ذلك ، وأنه رأى ما هو تعبيره (فأنظر ماذا ترى) من رأى ، وإنما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله ، فثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم ، وليوطن نفسه عليه فيهن ، ويكتب له للثوبة بالانقياد له قبل نزوله (قال يا أبت أفصل ما تؤمر) أى تؤمر به (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله (فلما أسلما) استسما لأمر الله ، أو سلم الذيئح نفسه ، وإبراهيم عليه السلام ابنه (وتله للجبن) صرعه على شقه ، فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة (وناديتاه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم وإتيان المقدمات (إنا كذلك نجزي المحسنين) لتعليل لإفراج تلك الشدة عنهما باحسانهما (قاضى يضاوى) .

تأمل سبب ذبح إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاة وثلاثمائة بقرة وسائة بدنة فى سبيل الله ، فتعجب الناس ولللائكة من ذلك ، فقال إبراهيم عليه السلام : كل ما تقرب به ليس بشئ عندى ، والله لو كان لى ابن لأذبحته فى سبيل الله ، وأتقرب به إلى الله تعالى ، فلما قال إبراهيم عليه السلام هذا القول ، مضى عليه زمان ففسى هذا القول ، فلما جاء إلى الأرض المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره

بالولد وولده أمه (فلما بلغ معه السعى) أى لما صلح أن يمضى معه وهو ابن سبع سنين وقيل ابن ثلاث عشرة سنة ، ولفظ معه للبيان : يعنى لما بلغ الحد الذى يقدر فيه على السعى قيل له فى نومه : أوف بنذكرك ، قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لما كانت ليلة التروية ونام ، رأى فى المنام من يقول : يا إبراهيم أوف بنذكرك ، فلما أصبح أخذ يتروى : أى يتفكر أهو من الله أم من الشيطان ؟ فلذا سمى يوم التروية ، فلما أمسى رأى ثانياً فى المنام ، فلما أصبح عرف أنه من الله ، ولذا سمى ذلك اليوم يوم عرفة ، واسم ذلك المكان عرفات ، ثم رأى فى الليلة الثالثة مثله ، فهم بنحره ، ولذا سمى يوم النحر ، فلما أراد أن يذهب بإسماعيل عليه السلام إلى النحر ، قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهى أم إسماعيل عليه السلام : ألبسى ولك إسماعيل أحسن ثيابه ، فأتى ذاهب به إلى ضيافة فألبسته أمه ودهنته ورجلت شعر رأسه ، ففعل إبراهيم عليه السلام حبلاً وسكينا وذهب معه إلى جانب منى ، ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر تردداً منه فى ذلك اليوم ، فكان إسماعيل عليه السلام يعدو أمام أبيه ، فجاء إبليس يقول لأبيه ألا ترى اعتدال قامته وحسن صورته ولطافة سيرته ؟ فقال إبراهيم نعم ولكن أمرت بذلك ، فلما أيس منه جاء إلى هاجر وقال : كيف تقعين ذهب إبراهيم بابنك ليذبحه ، قالت لا تكذب على هل رأيت أباً يذبح ابنه ؟ فقال : لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين ، قالت لأى شئ يذبحه ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، فقالت النبي لا يؤمر بالباطل وأنا أفدى لأمره روحى ، فكيف بولدى ، فلما أيس من جانبها جاء إلى إسماعيل عليه السلام فقال : إنك تفرح وتلعب ومع أهلك جبل وسكين يريد ذبحك ، فقال لا تكذب على لم يذبحنى أبى ؟ قال يزعم أنه أمره ربه بذلك ، قال سمعنا وأطعنا لأمر ربى ، فلما أراد إبليس أن يلقى كلاماً آخر أخذ إسماعيل عليه السلام حجراً من الأرض فرماه به فحقاً عينه اليسرى ، فذهب إبليس خائفاً وخاسراً ، فأوجب الله علينا رضى الحجارة فى ذلك للوضع طرداً للشيطان واقتداءً بإسماعيل بن خليل الرحمن ، فلما بلغ منى قال إبراهيم عليه السلام لولده (يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) أى بين لى ما الذى ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل العفو قبل الفعل ، وهذا امتحان من إبراهيم لولده هل يحبى بالسمع والطاعة أم لا (قال يا أبت أفعلى ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على ما أمرت به من الذبح ، فلما سمع إبراهيم كلام ولده عرف أنه استجاب الله دعاءه حين دعا الله بقوله (رب هب لى من الصالحين) فحمد الله كثيراً ، ثم قال إسماعيل عليه السلام لأبيه يا أبت أوصيك بأشياء أن تربط يدى كيلا أضطرب فأؤذيك ، وأن تجعل وجهى على الأرض كيلا تنظر إلى وجهى فترحمنى ، واكفف عني ثيابك كيلا يتلطف عليهما شئ من دنى فينقص أجرى

وتراه أمى فحزن ، وأشجذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلق ليكون أهون فان الموت شديد ، وأن تذهب بقميصى إلى أمى تذكرة لها منى ، وسلم عليها وقل لها اصبرى على أمر الله ، ولا تخبرها كيف ذبحتى وكيف ربطت يدى ، ولا تدخل الصبيان على أمى كيلا يتجدد حزنهما على ، وإذا رأيت غلاما مثلى فلا تنظر إليه حتى لا تجزع ولا تحزن ، فقال إبراهيم عليه السلام : نعم العون أنت يا ولدى على أمر الله تعالى (فلما أسلم) أى استسلما واقادا لأمر الله تعالى (وتله للجين) أى صرعه على شقه كالشاة للذبح ، وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله ، وكان ذلك عند الصخرة من منى ، وقيل فى الموضع المشرف عليه ، ووضع السكين على حلق ولده ، فعالجه بشدة وقوة فلم يقدر على قطعه ، وقد كشف الله الغطاء عن أعين ملائكة السماوات والأرض ، فلما رأوا أن إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل خروا له سجدا ، فقال الله تعالى : انظروا إلى عبدى كيف يمر السكين على حلق ولده لأجل رضائى وأتم قلتم حين قلت (إني جاعل فى الأرض خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) ثم قال إسماعيل عليه السلام : يا أبت حل يدي ورجلي حتى لا يرانى الله مكرها : أى فى طاعة أمره مكرها بل ضع السكين على عنق ليعلم الملائكة أن ابن الخليل مطيع لله ولأمره بالاختيار فقد يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض ، فأمر السكين بجميع قوته فاقطب السكين ولم يقطع باذن الله تعالى ، فقال إسماعيل عليه السلام : يا أبت ضعفت قوتك بسبب محبتك لى فلا تقدر على ذبحى ، فضرب بالسكين الحجر فصار الحجر نصفين ، فقال إبراهيم عليه السلام تقطع الحجر ولم تقطع اللحم ، فتكلم السكين بقدرة الله تعالى فقال يا إبراهيم : أنت تقول اقطع ، وإله العالمين يقول لا تقطع ، فكيف أمتثل أمرك حاصيا لربك ، ثم قال الله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فيما رأيت من الرؤيا ، فظهر لعبادى أنك اخترت رضائى على حب ولدك ، وكنت فى ذلك من المحسنين (إنا كذلك نجزي المحسنين) أى اللطيفين لأمرى (إن هذا هو البلاء المبين) أى الذبح هو الاختبار الظاهر أو الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شئ أصعب منها (وفديناه) أى خلصنا الأمور بذبحه (بذبح عظيم) من الجنة وهو الكبش الذى قربه هايل وقبل منه وكان فى الجنة حيا حتى فدى به إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وكان عظيم الجسم ، وقد أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الكبش حتى رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعالج بالسكين حلق إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، فقال جبرائيل تعظيما لله تعالى وتعجبا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام : الله أكبر الله أكبر ، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام : لا إله إلا الله والله أكبر ، فقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام : الله أكبر والله الحمد ،

فحسن الله هذه الكلمات فأوجيها علينا في أيام النحر اقتداء بإبراهيم عليه الصلاة والسلام . عن ابن عباس رضى الله عنهما لو تمت تلك الذبيحة لصار ذبح الناس أبناءهم سنة ، وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية ، فيمن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة . روى أن إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال لأبيه أنت سخي أم أنا ؟ فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنا ، وقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام بل أنا لأن لك ابنا آخر وليس لى إلا روح واحدة ، قال الله أنا أسخي منك حيث أعطيت الفداء لكما وأنجيتكما من عذاب الذبح (مشكاة الأنوار) . روى أن الملائكة تعجبوا من كرامة إسماعيل عليه الصلاة والسلام عند رب العالمين ، حيث بعث كبشاً من الجنة على عنق جبرائيل عليه الصلاة والسلام فداء له ، قال الله تعالى : فوعزنى وجلالى لو أن جميع الملائكة حملوا على أعناقهم فداء له لما كان مكافأة لقوله (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) قيل لما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام الرؤيا أولاً اختار مائة من الغنم من أسمنها فذبحها ، فجاءت النار فأكلتها ، فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثانياً عرف أنه من الله واختار مائة من الإبل من أسمنها فذبحها فجاءت النار فأكلتها فظن أنه قد وفى ، فلما رأى ثالثاً كان قائلاً يقول : إن الله تعالى يأمرك أن تذبح ولدك إسماعيل ، فانتبه وضم ابنه إلى نفسه وبكى حتى أصبح (مجالس الأبرار) قيل لما اتخذ الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلاً ، قالت الملائكة يارب إن له مالا وولدا وامرأة ، فكيف يكون خليلاً لك مع هذه الشواغل ؟ فقال الله تعالى لا تنظروا إلى صورة عبدي ولا إلى ماله بل إلى قلبه وأعماله ، وليس فى قلب خليلي محبة إلى غيرى ولو شتم اذهبوا إليه وجربوه ، فجاء جبرائيل عليه الصلاة والسلام فى صورة بنى آدم وكان لإبراهيم عليه الصلاة والسلام اثنا عشر ألف كلب للصيد وحفظ الغنم ، وقس عليها عدد أغنامه ، ولكل كلب طوق من ذهب وليعلم أن الدنيا نجسة والنجس لا يصلح إلا للنجس ، وكان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على تل مرتفع ينظر إلى الأغنام ، فسلم عليه جبرائيل عليه الصلاة والسلام ، فقال له : لمن هذا ؟ قال إبراهيم لله ولكن الآن فى يدي ثم قال تبرع بواحد منها ، فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام اذكر الله وخذ ثلثها ، فقال جبرائيل : سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ثم قال : اذكر ثانياً وخذ نصفها فقال : سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ، ثم قال اذكر ثالثاً وخذها كلها برعاتها وكلابها فذكر ، ثم قال اذكر رابعاً ، وأقر لك بالرق فذكره فقال الله تعالى يا جبرائيل كيف وجدت خليلي ؟ فقال نعم الخليل يا رب ، فنادى إبراهيم عليه الصلاة والسلام : يا رعاة الغنم سوقوا النعم خلف صاحبها هذا إلى أين يريد ، فانكم صرتم له فأظهر نفسه جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا إبراهيم لا حاجة لى فى ذلك وأنا جئت لأجربك ، فقال أنا

خليل الله لا أسترد هبتي منك ، فأوحى الله تعالى إليه أن يبيعها ويشتري بها الضياع والعقار ويجعلها وقفاً لكل منه الفقير والغنى إلى يوم القيامة (مشكاة الأنوار) قيل من ملك عشرين مثقالاً من الذهب أو مائتي درهم من الفضة بعد الحوائج الأصلية فهو غنى ، فإن ملك غير الدراهم والدنانير ، فإنه ينظر إن ساوى مائتي درهم فهو غنى ، فعليه الأضحية وإلا فلا . وقيل صاحب الضياع جمع ضيعة وهى الأرض غنى لو ساوت مائتي درهم وصاحب الكرم إذا ساوى مائتي درهم فهو غنى بالاتفاق ، لأن الكرم للترهة وللحاجة ، لأن الإنسان قد يعيش بغيرها كمة (كذا في زبدة الواعظين) .

المجلس الخمسون : فى بيان صبر أيوب عليه السلام

سورة ص - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(واذا ذكر عبدنا أيوب) هو ابن عيسى بن إسحق عليه الصلاة والسلام (إذ نادى ربه) بدل من عبدنا ، وأيوب عطف بيان له (أتى مسنى) وقرأ حمزة بإسكان الياء . وإسقاطها فى الوصل (الشيطان بنصب) يتعب (وعذاب) ألم ، وهو حكاية لكلامه الذى ناداه له ، ولولا هى لقال إنه مسه ، والإسناد إلى الشيطان ، إما لأن الله تعالى مسه بذلك لما فعل يوسوسه ، كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله ، أو استغاثة مظلوم فلم يفته ، أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه ، أو لسؤاله امتحاناً لصبره ، فيكون اعترافاً بالذنب أو مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس به إليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة وضره على الجزع (قاضى يضاوى) .

قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على مرة صار لاذنب له ذرة وجبة » وفى الخبر « إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة : أقبضتم عمرة قلبه ؟ فيقولون نعم ، فيقول الله تعالى : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك وشكرك واسترجعك ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعمري بيتاً فى الجنة ، وسموه بيت الحمد » (زبدة الواعظين) وعن وهب بن منبه قال : وجدت فى التوراة أربعة أسطر متواليات : أحدها : من قرأ كتاب الله تعالى فظن أن لن يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله . والثانى : من تواضع لغنى لغناه ، فقد ذهب ثلثا دينه . والثالث : من حزن على ما فاتته سخط قضاء ربه . والرابع : من شكأ مصيته إنما يشكوره . قال عليه الصلاة والسلام « إن أعظم الجزاء مع أعظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه ، وإذا صبر اجتبه ، وإذا رضى اصطفاه » كما حكى أن موسى

عليه الصلاة والسلام خرج ومعه يوشع بن نون ، فاذا بطير أبيض قد وقع على منكب موسى عليه الصلاة والسلام وقال : يا نبي الله احفظني اليوم من القتل ، قال ممن ؟ قال من الصقر يريد أن يأكلني ، ودخل في كه فإذا الصقر قد أقبل ، فقال يا نبي الله لا تمنع صيدى عنى ، فقال أذبح لك شاة من غنمى قال لحم الغنم لا يصلح لى ، قال فكل من لحم فخذى ، قال لا آكل إلا من حديثك ، فاستلقى موسى عليه الصلاة والسلام على ظهره ، فجاء الصقر ووقع على صدره وأراد أن يضرب بمنقاره عينيه ، فقال يوشع يا نبي الله أتستخف بعينيك فى شأن هذا الطير ، فطار الطير من كه ، فطار الصقر فى أثره ، ثم أقبل ، فقال أحدهما أنا جبرائيل والآخر أنانياهو ، أمرنا ربنا لنجربك فى قضاء ربك هل تصبر أولا (زبدة الواعظين) قال ابن المبارك : للصية واحدة ، فإذا جزع صاحبها تكون ثنتين : إحداها الصية والثانية ذهاب أجر للصية ، وهى أعظم من الصية . وكذا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الصبر ثلاثة : صبر على الصية ، وصبر على الطاعة ، وصبر عن العصية » فمن صبر على الصية كتب له ثلثمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع ، ومن صبر عن العصية كتب له تسعمائة درجة ما بين كل درجتين كما بين العرش إلى الثرى » (زبدة الواعظين) حكى أن أيوب بن عيسى بن إسحق عليه الصلاة والسلام كان روميا ، وأمه بنت لوط عليه الصلاة والسلام ، وكان رجلا عاقلا نظيفا حلما حكيما ، وكان أبوه رجلا كثير المال ، يملك الماشية من الإبل والبقر والغنم والحمل والبغال والحمير ، ولم يكن فى أرض الشام أحد مثله فى الغنى ، فلما مات استقل جميع ذلك إلى أيوب عليه الصلاة والسلام ، فتزوج برحمة بنت أفرام بن يوسف عليه الصلاة والسلام ورزقه الله منها اثني عشر بطلا ، فى كل بطن ذكر وأنثى ، ثم بعته الله تعالى إلى قومه ، وهم أهل حوران واليه ، وأعطاه الله تعالى من حسن الخلق والرفق جالما يخالفه أحد بالكذيب والإنكار لشرفه وشرف آبائه وأمهاته ، فشرع لهم الشرائع وبنى لهم المساجد ، وكانت له موائد يضعها للفقراء والمساكين والأضياف ، وكان لليتيم كالأب الرحيم ، وللأرامل كالزوج الشفيق ، وللضعفاء كالأخ الودود ، وكان يأمر وكلاءه وأمناءه أن لا يمنعوا من زرعهم وثمارهم ، وكانت مواشيه فى كل سنة تتم ، ولم يكن يفرح بشيء من ذلك ، ويقول : إلهى هذه عطايك لمبادك فى سجن الدنيا ، فكيف عطايك فى الجنة لأهل كرامتك فى دار ضيافتك ؟ ومع هذا كله لا يغفل قلبه عن شكر نعمائه ولا لسانه عن ذكر مولاه ، فحسده إبليس وقال : إن أيوب قد ذهب بالدنيا والآخرة ، وأراد أن يفسد عليه إحدى الدارين أو كليتهما ، وكان إبليس عليه اللعنة فى ذلك الزمان يصعد إلى السماء السابعة ،

(١٣ - درة الناصحين)

ويقف في أى مكان شاء ، فصعد يوما كما كان يصعد ، فقال له رب العزة : يا لعين كيف رأيت عبدى أيوب ، وهل نلت منه شيئا ؟ فقال : إلهى إن أيوب يعبدك لأنك أعطيته السعة في الدنيا والعافية ، ولولا ذلك لم يعبدك ، فهو عبد العافية ، فقال له الله تعالى : كذبت فأنى أعلم أنه يعبدنى ويشكرلى ، وإن لم يكن له سعة في الدنيا ، قال يارب سلطنى عليه ، فأنظر كيف أنسيه ذكرى وأشغله عن عبادتك فسلطه على كل شيء منه إلا روحه ولسانه فرجع إبليس فانطلق إلى شط البحر ، فصرخ صرخة حتى لم يبق جنى ولا جنية إلا اجتمعوا عنده ، وقالوا ما أصابك ياسيدنا قال فأنى قد وجدت فرصة ما وجدت مثلها منذ أخرجت آدم من الجنة فأعينونى على أيوب ، فانتشروا مسرعين ، وأحرقوا وأهلكوا كل مال لأيوب عليه الصلاة والسلام ، فانصرف إبليس إلى أيوب عليه الصلاة والسلام وهو قائم يصلى فى المسجد ، فقال أتعبد ربك فى ضرك ، وقد أرسل نارا من السماء على جميع أموالك حتى صارت رمادا ، فلم يكلمه حتى فرغ من الصلاة ، ثم قال : الحمد لله الذى أعطانى ثم أخذ منى ، ثم قام وشرع فى صلاته ، فانصرف إبليس خائبا ذليلا نادما لفعله ، وكان لأيوب عليه الصلاة والسلام أربعة عشر ولدا : ثمانية بنين وست بنات ، وكانوا يتغدون كل يوم فى منزل أخ لهم ، وكانوا يومئذ فى منزل أخيهما الأكبر واسمه هرمل ، فاجتمعت الشياطين وأحاطوا بالبيت وطرحوه على أولاد أيوب عليه الصلاة والسلام ، فماتوا كلهم على خوان واحد ، منهم من اللقمة فى فيه ، ومنهم من الكأس فى يده ، ثم انطلق إلى أيوب وهو قائم يصلى ، فقال أتعبد ربك وقد طرح على أولادك البيت ، فماتوا جميعا فلم يكلمه بشيء حتى فرغ من صلاته ثم قال : يا لعين ، الحمد لله الذى أعطانى ثم أخذ منى ، فالأموال والأولاد فتنة للرجال والنساء ، فأخذها منى لأفرغ لبادق ربى ، فانصرف إبليس خائبا خاسرا بغيضا ؛ ثم جاء وكان أيوب عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ، فلما سجد تنفخ فى أنفه ولثمه ، فانتفخ بدن أيوب عليه الصلاة والسلام ، ففرق عرقا شديدا ، ووجد فى نفسه ثقلا عظيما . فمالت زوجته رحمة : هذا من حزن المال ومصيبة الأولاد ، وأنت بالليل قائم وبالنهار صائم لا تستريح ساعة ولا تجدراحة ، ثم ظهر على بدن أيوب عليه الصلاة والسلام جدى وأحاط به من رأسه إلى قدميه ، وسال منه الصديد ووقع فيه الدود ، وتفرق أقرباؤه وأصدقاءؤه عنه ، وكان له ثلاث نسوة ، فطلبت ثلثان منهن طلاقا فطلقهما ، فبقت رحمة تخدمه ، وتقوم عليه ليلا ونهارا ، حتى جاءت نسوة من جيرانه وقلن : يا رحمة نحن نخشى أن يسرى بلاء أيوب إلى أولادنا أخرجيه من جوارنا وإلا أخرجناك كرها فخرجت رحمة وشدت عليها ثيابها ، ثم صاحت بأعلى صوتها : واغربتاه وافرقتاه أخرجونا من بلادنا وطرودنا عن ديارنا ، فحملته على ظهرها ودموعها تسيل على وجهها ، فانطلقت بكية إلى خرابة يطرح فيها السارقين ، ووضعت أيوب على السارقين ، فخرج أهل

القرية فنظروا إلى حال أيوب ، فقالوا : احملى عنا زوجك وإلا أرسلنا عليه كلابنا حتى يأكلوه ، فحملته وهي باكية ، حتى أتت مفرق الطريق فوضعت ، وجاءت بفأس وحبل فالتحذت بيتا من خشب ، ثم جاءت برماد قعرشته تحته ، وجاءت بحجارة فوسدت بها أيوب ، ثم جاءت بقصعة كان يسقى الزعاة بها مواشهم ، ثم انطلقت إلى القرية ، فنادى أيوب : ارجى يا رحمة حتى أوصيك إن كنت تريدن أن تذهبي عنى وتدعنى هنا ، فقالت رحمة لا تخف يا سيدى ، فانى لا أدعك ما دامت روحى فى جسدى ، فانطلقت إلى القرية وكانت تعمل كل يوم بكسرة خبز وتطعم أيوب ، حتى علم مافى تلك القرية أنها امرأة أيوب فلم يطعموها ، فقالوا تنحى عنا فاما نستقدر منك ، فبكى رحمة وقالت : يارب ترى حالى قد ضاقت بى الأرض ، والناس قد قدرونا فى الدنيا ولا تقدرنا أنت يا رب فى الآخرة وطرودونا من دارنا ولا تطردنا من دارك يوم القيامة ، ثم انطلقت إلى امرأة خباز وقالت : إن جيبى أيوب جائع فأقرضنى خبزا ، قالت للمرأة تنحى عنى لئلا يراك زوجى ، ولكن أعطى ذؤابة من شعرك وهى الضفيرة ، وكانت لها اثنتا عشرة ذؤابة واقعة بالأرض ، ولها شبه فى الحسن بمجدها يوسف عليه الصلاة والسلام ، وكان أيوب يحب تلك الذؤابة حبا شديدا ، فجاءت بالمقراض وقطعتها وأعطتها إياها بأربعة أرغفة ، فقالت رحمة : يارب إن هذا فى طاعة زوجى وفى طعام نبيك أيوب يفت ذؤابى ؟ فلما رأى أيوب الخبر الصحيح اشتد عليه الأمر ، فظن أنها باعت نفسها ، خلف إن شفاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وهى التى قال الله تعالى فى كفارتها (وخذ يدك ضغثا) أى قبضة حشيش (فاضرب به ولا تحنب) فلما قصت عليه القصة بكى أيوب وقال : يارب ذهبت جيلتى حتى بلغ من أمرى أن زوجة نبيك باعت شعرها وأنفقت على نفسى ، وقالت رحمة : ياسيدى لا تجزع اليوم فإن الشعر ينبت أحسن مما كان ، ققطعت الخبر وأطعمته أيوب وقعدت عنده ، وكان أيوب كلما سقطت دودة من بدنه وضعها على جسده ويقول : كلوا مما رزقكم الله تعالى ، فلم يبق لحم على بدنه حتى بقيت عظامه وعروقه وأعصابه ، فإذا طلعت عليه الشمس نفذ شعاعها من قدمه إلى خلقه ، فلبق من جسده الشريف إلا قلبه ولسانه ، وكان لا يخلو قلبه من شكر الله ولسانه من ذكر الله ، وبقي فى مرضه فى رواية ثمان عشرة سنة ، فقالت له رحمة يوما : أنت نبي كريم على ربك ، لو دعوت الله تعالى أن يشفيك ، فقال لها أيوب عليه السلام كم كانت مدة الرخاء ، قالت ثمانون سنة ، فقال إني أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مئة بلأى مدة رخائى ، فلما لم يبق على بدنه لحم جعل الدود يأكل بعضه بعضا ، فبقيت دودتان ، فطافتا جميع بدنه يطلبان لحما ، فلم يجدا غير قلبه ولسانه ، فجاءت إحداهما إلى قلبه فضضته ، والأخرى إلى لسانه فضضته ،

فحينئذ نادى أيوب عليه السلام ربه فقال: (أني مسني الضر) أي شدة البلاء (وأنت أرحم الراحمين) وهذا ليس بشكاية منه ، فلم يخرج به عن زمرة الصابرين ، ولذا قال الله تعالى في حقّه (إنا وجدناه صابراً) لأنه لم يجزع لماله وأولاده بل إنما جزع خوفاً من القطيعة كأنه يقول : يا رب أصبر على كل بلاء منك مادام قلبي مشغولاً بحبك ولساني بذكرك ، وإذا ذهب هذان العضوان تحصل القطيعة ، وأنا لا أصبر على قطيعتك وأنت أرحم الراحمين ، فأوحى الله تعالى إليه : يا أيوب اللسان لي والقلب والدود لي والألم مني ، فالجزع لماذا ؟ وقيل أوحى الله تعالى إليه أن سبعين من الأنبياء طلبوا هذا مني وأنا اخترته لك زيادة في كرامتك ، فهذا لك بلاء صورة وولاء حقيقة ، وإنما جزع أيوب من أن يؤكل قلبه ولسانه لأنه مشغول بذكره تعالى وذكره ، فإذا أكل لا يشتغل بذكر الله تعالى ولا بذكره ، ثم أسقط الله اليهوديتين منه فوقعت واحدة في الماء فصارت غلقا تستشفى به الأمراض ، والأخرى وقعت في البر فصارت غلجلاً يخرج منه العسل فيه شفاء للناس ، ثم جاءه جبريل عليه السلام ومعه رمانتان من الجنة . فقال أيوب عليه السلام : يا جبرائيل هل ذكرتني ربّي ؟ قال نعم سلم عليك وأمرتك أن تأكلهما فقبراً حتى لحمك وعظمك ، قلنا أكلهما قال له جبرائيل عليه السلام : قم باذن الله قسام (وقال اركض برجلك) فضرب برجله اليمنى فخرج ماء حار فاغتسل منه ثم ركض برجله اليسرى فخرجت عين باردة فشرب منها ، فزال عنه كل ألم بظاهرة وباطنه ، فإذا بدنه أحسن من الأول ، ووجهه أنور من القمر كما قال الله تعالى (فاستجبنا له) أي قبلنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال مقاتل : أحيام ورزقه مثلهم . وقال الضحاك : أوحى الله تعالى إليه أتريد أن أبشهم ؟ قال يارب دعهم في الجنة ، فعلى هذا آتاه أهله في الآخرة وأعطاه مثلهم في الدنيا بأن ولده له أولاد كذلك (رحمة) أي نعمة (من عندنا) لأيوب (وذكرى) أي عظة (للعابدين) ليعلموا بذلك أن أشد بلائاً على الأنبياء ثم على الأولياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيصنعوا كما صنعوا ويصبروا كما صبروا ، فعلم من هذا أن الطريق إلى الله تعالى إلى جادة المحنة أقرب من جادة النعمة أي العطاء . وروى أن الشبلي رحمه الله حبس في دار الشفاء ، فدخل عليه جماعة وقالوا : نحن أحباؤك جئنا زائرين لك ، فأخذ الشبلي برميه بالحجارة فيهربون ، فقال لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائى . قال عليه الصلاة والسلام «خير ساعة على المصيبة خير من عبادة سنة» ولذا قيل الصابر أفضل من الشاكر ، لأن الشاكر مع الزيد كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) والصابر مع الله تعالى كما قال الله تعالى (إن الله مع الصابرين) وكذا روى عن محمد بن مسلمة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «لا خير لعبد لا يذهب ماله

ولا يسقم جسمه ، إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه ، وإذا ابتلاه صبر » (كذا في زبدة الناصحين) وروى ابن أبي الدنيا في الصبر وأبو الشيخ في الثواب ، كما في الجامع الصغير عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الصبر ثلاثة » أي أنواعه باعتبار متعلقه ثلاثة « فصبر على المصيبة » حتى لا يسخطها « وصبر على الطاعة » حتى يؤديها « وصبر عن المعصية » حتى لا يقع فيها « فمن صبر على المصيبة » أي على المهالك حتى يردّها بحسن عزائمها « كتب الله له » أي قدر أو أمر بالكتابة في اللوح والصحف « ثلاثمائة درجة » أي منزلة عالية في الجنة « مقدار ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض » ومن صبر على الطاعة « أي على فعلها وتحمل مشاق التكليف » كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض العليا إلى منتهى الأرضين السبع « والتخوم جمع تخم كفلوس جمع فلس وهو حد الأرض « ومن صبر عن المعصية » أي على تركها « كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش » وهو أعلى المخلوقات مرتين ؛ فالصبر عن المحرمات أعلى للمراتب لصعوبة مخالفة النفس وحملها على غير طبعها ، ودونه الصبر على الأوامر لأن أكثرها محبوب النفوس الفاضلة ، ودونه الصبر على للكروه لأنه يأتي البر والفاجر اختيارا واضطرارا (كذا في التيسير شرح الجامع الصغير) قيل الصبر أفضل من الشكر لأن الشاكرين مع الزيادة كما قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) والصابرين معهم الله تعالى كما قال تعالى (إن الله مع الصابرين) عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور : يارب أي منزل من منازل الجنة أحب إليك ؟ قال الله تعالى يا موسى حظيرة القدس ، قال يارب من يسكنها ؟ قال أمحباب للصابين ، قال يارب صفهم لي ، قال الله تعالى : يا موسى هم قوم إذا أصابهم بلية صبروا ، وإذا أنعمت عليهم شكروا ، وإذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، هؤلاء سكان حظيرة القدس (كذا في الروضة) روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده فكتمها ولم يشكرها إلى الناس كان على الله أن يغفر له » (كذا في الجامع الصغير) فعلى العاقل أن يصبر على المصائب والبلايا والحق والفقر كي ينال للفقرة من الله تعالى وعفو السيئات ورفع الدرجات . روى الإمام أبو الليث رحمه الله تعالى في التنبية عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : شكى نبي من الأنبياء إلى ربه وقال : يارب العبد المؤمن يطيعك ويحتجب بمعاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلايا ، والعبد الكافر لا يطيعك ، وتجترى على معاصيك تزوي عنه البلايا وتبسط له الدنيا ، فأوحى الله تعالى إليه : إن العبادي و

والبلاء لى وكل يسبح بحمدى ، فيكون للؤمن عليه الذنوب ، فأزوى عنه الدنيا ، وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقانى فأجزيه بحسناته ، ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له فى الرزق فأزوى عنه البلاء ، وأجزيه بحسناته فى الدنيا حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته . وفى الخبر « إن مؤمنا وكافرا فى الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك ، فأخذ الكافر يذكر آلهته فيطرح شبكته حتى أخذ ممكا كثيرا ، وجعل المؤمن يذكر الله تعالى ويطرح شبكته ولا يجيئ شيء ، ثم أصاب ممكة عند الثروب فاضطربت فوقعت فى الماء من يده فرجع للؤمن وليس معه شيء ، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته من السمك ، فأسف ملك للؤمن عليه ، فلما صعد إلى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن فى الجنة ، فقال والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى ههنا ، وأراه مسكن الكافر فى النار ، فقال والله ما يضره ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إليه » انتهى .

المجلس الحادى والخمسون : فى بيان النار

سورة الزمر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) أفواجا متفرقة بعضها فى إثر بعض على تفاوت أقدامهم فى الضلالة والشرارة ، وهى الجمع القليل جمع زمرة ، واشتقاقها من الزمر وهو الصوت ، إذ الجماعة لا تخلوا عنه ، أو من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ، ورجل زمر قليل الروءة (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة ، وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء (وقال لهم خزنتها) تقرىها وتويعها (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) وقتكم وهو وقت دخولهم النار ؛ وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا تويعهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) كلمة الله بالعذاب علينا ، وهو الحكم عليهم بالشقاوة وأنهم من أهل النار ، ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة ؛ وقيل هو قوله « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أبهم القائل لهويل ما يقال لهم (فبئس مثوى المتكبرين) اللام فيه للجنس والخصوص بالدم محذوف سبق ذكره ، ولا ينافى إشعاره بأن مثوam فى النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم فيها ، لأن كلمة العذاب حقت عليهم ، فإن تكبرهم وسأر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه الصلاة والسلام « إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار » (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « من صلى على تعظيما جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكا له جناحان جناح بالشرق وجناح بالمغرب ، ورجلاه تحت الأرض وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله تعالى له : صل على عبدى كما صلى على نبي فيصلى عليه إلى يوم القيامة » .

روى أنه يساق أعداء الله تعالى إلى النار تسود وجوههم وتزرق أعينهم ويختم على أفواههم ، فاذا اتسوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالسلاسل والأغلال توضع في فمهم وتخرج من دبرهم وتغل يدهم اليمنى إلى عنقهم وتدخل يدهم اليسرى في صدورهم وتنزع من بين كتفيهم ويشد بالسلاسل ، ويقرن كل كافر مع قرينه الشيطان في سلسلة ويسحب على وجهه وتضربه الملائكة بمقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كما قال الله تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون) (دقائق الأخبار) . وحكى أن أبا يزيد كان لا تنقطع دموع عينيه ولا يزال باكيا فسل عن ذلك ، فقال إن الله تعالى لو أوعدنى إن أذنبت حبسنى فى الحمام أبدا لكان حقا على أن لا تنقطع دموع عيني ، فكيف وقد أوعدنى أن يحبسنى فى النار التى قد أوقد عليها ثلاثة آلاف سنة (مشكاة) .

وفى الخبر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال « أنانى جبرائيل عليه السلام ، ققلت يا جبرائيل صف لى جهنم . قال : إن الله خلق النار فأوقدها ألف عام حتى احمرت ثم أوقدها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أوقدها ألف عام حتى اسودت ، فهى سوداء كالليل اللظلم لا يسكن لها ولا يطفأ جمرها » روى أن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى مالك بأن يأخذ جزءا من النار ، فأتى آدم عليه الصلاة والسلام حتى يطبخ به طعاما ، فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار ؟ فقال جبرائيل عليه السلام : أريد منها مقدار تمرة ، فقال مالك : لو أعطيتك مقدار تمرة لدابت السموات السبع والأرضون من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام . أعطنى نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ماتريد لم تنزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام إلهى كم آخذ من النار ؟ قال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها . فأخذ جبرائيل عليه السلام مقدار ذرة وغسلها سبعين مرة فى سبعين نهرا ، ثم جاء إلى آدم عليه الصلاة والسلام فوضعا على جبل شاهق ، فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها ، وبقي دخانها فى الأحجار والحديد إلى يومنا هذا . فهذه النار من دخان تلك الذرة ، فاعتبروا يا أولى الأبواب . وقال محمد بن كعب : إن لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله فى أربع ، فاذا كانت الخامسة لم يتكلم بعدها أبدا يقولون (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل) فيقول الله تعالى مجيبا لهم (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشررك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) ثم يقولون (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعلنا نحيا) فيجيبهم الله تعالى

بقوله (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) ثم يقولون (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) فيجيبهم الله تعالى بقوله (أولم نعوذكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟ فذوقوا فما من الظالمين من نصير) ثم يقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فيجيبهم الله تعالى بقوله (اخشوا فيها ولا تكلمون) فلا يتكلمون بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميا وغساقا) قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو أن دلوا بن ذلك الفساق ألقى على الدنيا لأحرق أهل الدنيا كلها » وقال (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال النبي عليه الصلاة والسلام « تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة وكلما أكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا ولا يعودون فيها كما قال الله تعالى (ويأتية اللوت من كل مكان وما هو بميت) » (مشكاة الأنوار) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « يؤتى بهم يوم القيامة من تحت الأرض السابعة ، وحولها سبعون ألف صف من الملائكة ، وكل صف أكثر من الثقلين سبعين ألف مرة يجرونها بأزمعتها ، ولجهم أربع قوائم ما بين كل قائمتين مسيرة ألف ألف عام ، ولها ثلاثون ألف رأس وفي كل رأس ثلاثون ألف فم ، وفي كل فم ثلاثون ألف ضرس كل ضرس مثل أحد ثلاثين ألف مرة ، وفي كل فم شفتان كل شفة مثل طباق الدنيا ، وفي كل شفة سلسلة من حديد ، وفي كل سلسلة سبعون ألف حلقة ، ويمسك كل حلقة ملائكة كثيرة ، فيؤتى بها عن يسار العرش » (دقائق الأخبار) وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يقول الكفار (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) » وقال مقاتل : يوضع لإبليس منبر في النار فيرقاه ، فيجتمع عليه الكفار ومن اتبعه فيقولون : ياملعون أنت أضللتنا عن طريق الحق (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) . وإني لم آتكم بيهان وكنتم لا ترونني (فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) (درة الواعظين) . ويقال إن أهل النار يجزعون ألف سنة ، ثم يقولون : كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج فيصبرون ألف سنة فلا يخفف عنهم العذاب فيقولون (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) فيدعون مالكا ويتضرعون ويصيحون يامالك قد حرق بنا الوعيد قد أثقلنا العذاب قد نضجت منا الجلود إن أخرجتنا منها فإنا لا نعود ، فيقول لهم مالك والحزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى) فيقال لهم (فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون) فلا يجيبهم مقدار ما كان في الدنيا مرتين ثم يرد عليهم بقوله (قال اخشوا فيها ولا تكلمون) فإذا استأسوا من الخروج منها يطلبون الغيث من الله تعالى

ألف سنة يقولون ربنا أرسل علينا غيثا فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنون أنهم يمتطرون ، فتظهر عليهم العقارب كالبالغال ، إذا لبغ واحد منهم لا يذهب عنه الوجد ألف سنة ، ثم يسألون الله ألف سنة ، أن يرزقهم القيث فتظهر لهم سحابة سوداء فيقولون هذا سحاب المطر ، فتزل عليهم الحيات كأعناق البخت كل من أخذته بفمها لا يذهب عنه الوجد ألف سنة ، هذا معنى قوله تعالى (زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) (مشكاة الأنوار) . (حكى) عن بعض أهل العلم أنه قال : دركات جهنم سبع : أولها السعير ، قال الله تعالى (فسحقا لأصحاب السعير) ينزلها المكذبون نعوذ بالله منها ومن سائرها . والثانية دركة لظى لتأرك الزكاة قال الله تعالى (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . والثالثة سقر ، قال الله تعالى (عن المجرمين ما سلكم في سقر قالوا لم نك من الصلین ولم نك نظم المسکین) وأفضل الأمور في الشريعة الصلاة . والرابعة الجحيم ، قال الله تعالى (فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى) وهي خلقت لتابع الهوى . والخامسة جهنم ، قال الله تعالى (وإن جهنم لم وعدهم أجمعين) والسادسة الهاوية ، قال الله تعالى (فأمة هاوية . وما أدراك ما هي . نار حامية) والسابعة الحطمة خلقت للنيامين ، قال الله تعالى (كلا لينبذن في الحطمة) (أعرجية) قال أبوهريرة رضى الله تعالى عنه « كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فسمعنا صوتا مع الهية والشدة ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » وعن أبي ثرداء أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « يلتقى على أهل النار الجوع فيعدل ألم الجوع ما فيها من العذاب فيستغيثون بالطعام فيطعمون الزقوم » كما قال الله تعالى (إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم) الآية ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما (كذا في زبدة الواعظين) . وفي الخبر « يدفع كل واحد من الزبانية بالدفة الواحدة أربعين ألفا من أهل النار إلى جهنم » وهم أى الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة والرافة خلصنا الله تعالى من أيديهم آمين . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في تجدد عذاب الكفار في تفسير قوله تعالى (بدلناهم جلودا غيرها) يدلون جلودا يضاء كأمثال القراطيس . وقال ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قرىء عند عمر رضى الله تعالى عنه (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) فقال معاذ عندي تفسيرها : تبدل في الساعة مائة مرة . فقال عمر رضى الله عنه : هكذا سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وغيره عن الحسن : قال بلغنى أنه يحرق أحدهم في اليوم سبعين ألف مرة كلما نضجت وأكلت لحومهم ، قيل لهم عودوا فعادوا (كذا في الدر المنثور) روى مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ضرر الكافر كجبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام » (كذا في الباب) انتهى .

المجلس الثانى والخمسون : فى بيان الجنة

سورة الزمر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) إسراعاً بهم إلى دار الكرامة ، وقيل سيق مرأبهم إذ لا يذهب بهم إلا رابكين (زمرا) على تفاوت مراتبهم فى الشرف وعلو الطبقة (حتى إذا جاءوها) وفتحت أبوابها (حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وأن أبواب الجنة مفتوحة لهم قبل مجيئهم منتظرين) وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يصتركم بعدمكروه (طبت) طهرتم من دنس المعاصي (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود ، والقاء للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم ، وهو لا يتمتع بدخول المعاصي بعفوه لأنه تعالى يظهره (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة ، وإرثها تملكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (تنبأ من الجنة حيث نشاء) أى يتبأ كل منا فى أى مقام أراه من الجنة الواسع أن فى الجنة مقامات معنوية لا يتماثلها وادوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (قاضى يضاوى) .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من نسي الصلاة على نسي طريق الجنة » (شفاء شريف) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : للجنة ثمانية أبواب من الذهب للرصع بالجواهر مكتوب على الباب الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو باب الأنبياء والمرسلين والشهداء والأسخياء . والثانى باب المصلين الذين يكملون الصلاة والوضوء . والثالث باب الزكّين أموالهم . والرابع باب الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر . والخامس باب من قطع نفسه عن الشهوات . والسادس باب الحجاج وللمعمرين والسابع باب المجاهدين . والثامن باب الذين يفضون أبصارهم عن المحارم ويعملون الخيرات والحسنات من بر الوالدين وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة (دقائق الأخبار) وأما الجنان فثان : دار الجلال ، وهى من اللؤلؤ الأبيض . ودار السلام ، وهى من الياقوت الأحمر . وجنة للأوى ، وهى من الزبرجد الأخضر . وجنة الخلد ، وهى من الرجان الأصفر . وجنة النعيم ، وهى من الفضة البيضاء . ودار القرار ، وهى من الذهب الأحمر . وجنة الفردوس ، وهى لبنة من فضة ولبنة من ذهب ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد وملاطها المسك . وجنة عدن ، وهى من درة يضاء ومشرفة على الجنان كلها ولها بابان من ذهب وما بينهما كما بين السماء والأرض ، وبنائها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، وتراها النعم . ولاطها المسك ، وفيها أنهار تجري فى جميع الجنان ، وحصى الأنهار من اللؤلؤ وماؤها أبرد

من الثلج وأحلى من العسل ، وفيها نهر الكوثر ، وهو نهر محمد عليه الصلاة والسلام ، وفيها نهر الكافور ونهر التبنيم ونهر الرحيق المختوم ونهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل (دقائق الأخبار) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليلة أسري بي إلى السماء عرض على جميع الجنان فرأيت أربعة أنهار : نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل مصفى كما في قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لشاربين وأنهار من عسل مصفى) فقلت لجبرائيل عليه السلام من أين تجيء هذه الأنهار وإلى أين تذهب ؟ قال تذهب إلى حوض الكوثر ، ولكن لا أدري بجيئها ، فاسأل من الله حتى يملك ويريك ، فدنا عليه الصلاة والسلام ربه ، فجاء ملك فقال يا محمد غمض عينيك فغمضت عيني ، فقال اتضح ففتحت فإذا أنا عند شجرة ، ورأيت عندها قبة من درة بيضاء ، ولها باب من ياقوت أخضر وقفل من ذهب أحمر لو جمعت الدنيا وما فيها ووضعت على تلك القبة لكانت مثل طائر جالس على جبل أو يضة ألقيت عليه ، فرأيت تلك الأنهار الأربعة تجري من تحت تلك القبة ، فأردت أن أرنج ، فقال الملك لم لا تدخل فيها ؟ فقلت كيف أدخل وعلى بابها قفل ؟ قال لي مفتاحه في يدك ، فقلت أين هو ؟ فقال : هو بسم الله الرحمن الرحيم ، فقلت بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح القفل ، فرأيت تلك الأنهار تجري من أربعة أركان القبة ، فلما أردت الخروج قال لي الملك : يا محمد هل رأيت فقلت رأيت ، فقال انظر ثانيا ، فنظرت فإذا على أركان القبة مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم ، فرأيت نهر الماء يخرج من ميم بسم الله ، ونهر اللبن من هاء الله ، ونهر الخمر من ميم الرحمن ، ونهر العسل من ميم الرحيم ، ففكرت أن مأخذ هذه الأنهار من البسملة ، فقال الله تعالى : يا محمد من ذكرني بهذه الأسماء من أمتك ، فإني أسقيه من هذه الأنهار » (مشكاة الأنوار) وفي الخبر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله لما خلق جنة عدن دعا جبرائيل عليه السلام فقال له انطلق وانظر إلى ما خلقت لعبادي وأوليائي ، فذهب جبرائيل عليه السلام وطاف في تلك الجنة ، فأشرفت عليه جارية من الحور العين من بعض القصور ، فتبسمت إلى جبرائيل عليه السلام فأضاءت جنة عدن من ضوء ثنائها ، فخر جبرائيل عليه السلام ساجدا يظن أنه من نور رب العزة ، فنادته الجارية يا أمين الله ارفع رأسك ، فرفع رأسه فنظر إليها ، فقال سبحان الذي خلقك ، فقالت الجارية يا أمين الله أتدري لمن خلقت ؟ فقال جبرائيل عليه السلام لمن خلقت ؟ فقالت خلقتني الله تعالى لمن آثر رضا الله تعالى على هوى نفسه » . (مكاشفة القلوب) روى عن كعب أنه قال « سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن أشجار الجنة فقال عليه الصلاة والسلام : لا تيبس أغصانها ولا تتساقط أوراقها ولا تنفئ أرضها ، وإن

أكبر أشجار الجنة شجرة طوبى أصلها من درة ، ووسطها من ياقوت أخضر ، وأعلىها من الذهب ، وأغصانها من زبرجد ، وأوراقها من سندس ، وعليها سبعون ألف غصن ، وأقصى أغصانها ملحق بساق العرش ، وأدنى أغصانها في سماء الدنيا ، ليس في الجنة غرفة ولا قبة إلا وفيها غصن مظلل عليها ، وفيها من الثمار ما تشبه الأتس ، لا نظير لها في الدنيا إلا الشمس ، أصلها في السماء وضوؤها في كل مكان » (دقائق الأخبار) وفي الخبر « إن وراء الصراط مهادى فيها أشجار طيبة تحت كل شجرة عينان من ماء يتفجر من الجنة ، إحداها عن اليمين والأخرى عن اليسار ، وللمؤمنون حين يجاوزون الصراط يشربون من إحدى العينين ، فيزول عنهم الغل والحيانة والقدر والسم والبول ، فيظهر ظاهريهم وباطنيهم ثم يجيئون إلى حوض آخر فيغتسلون فيه ، فتصير وجوههم كالقمر ليلة البدر ، وتلين نفوسهم كالحرير ، وتطيب أجسادهم كالمسك ، فينتهون إلى باب الجنة ، فتخرج الحور فتعاق كل واحدة زوجها وتدخل بيته ، وفي البيت سبعون سريرا ، وعلى كل سرير سبعون فراشا ، وعلى كل فراش زوجة عليها سبعون حلة يرى منخ ساقها من لطافة الحلال » ينرنا الله تعالى لذلك (دقائق الأخبار) روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى خلق وجوه الحور العين من أربعة ألوان : أبيض وأخضر وأصفر وأحمر ، وخلق أبدانها من الزعفران واللسك والكافور ، وشعرها من القرنفل ، ومن أصابع رجلها إلى ركبتيها من الزعفران للطيب ، ومن ركبتيها إلى ثديها من العنبر ، ومن عنقها إلى رأسها من الكافور ، ولو برقت واحدة منهن في الدنيا لصارت مسكا ، ومكتوب على صدرها اسم زوجها واسم من أسماء الله تعالى ، وفي يد كل منهن أسورة ، وفي أصابعها عشرة خواتم من الجواهر واللؤلؤ » (دقائق الأخبار) قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رأيت ملائكة يبنون قصورا لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، فكفوا عن البناء ، فقلت لهم : لم كفتم عن البناء ؟ قالوا قد تمت نفقتنا ، فقلت ما نفقتكم ؟ قالوا ذكر الله ، فان صاحب هذا القصر كان يذكر الله فلا كف عن ذكر الله تعالى كففتنا عن البناء كما قال الله تعالى (من كان يزيد حرث الآخرة نزده في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وممنه في الآخرة من نصيب) » (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على في كل جمعة مائة مرة ، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (زبدة الواعظين) (وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) حال كونهم (زمرا) جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة ، وذلك قبل الحساب أو بعده يسيرا أو شديدا ، وهو للواقع لما قبل الآية من قوله (ووضع الكتاب) والساتنون هم الملائكة بأمر الله تعالى يسوقونهم مساق إعزاز وتكريم بلا تعب ولا نصب بل بروح وطرب للاسراع بهم إلى دار

الكرامة والبراد بهم التقون عن الشرك ، فهؤلاء عوام أهل الجنة ، وفوق هؤلاء من قال الله تعالى في حقهم (وأزلفت الجنة للمتقين) وفوقهم من قال الله تعالى فيهم (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وفرق بين من يباقي إلى الجنة وبين من قربت إليه الجنة ، وفي الحقيقة أهل السوق هم الظالمون لأنفسهم ، وأهل الزلفة المقصدون ، وأهل الوفد السابقون . واعلم أنه إذا فتح في الصور نقحة لإعادة ، واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتي كلا منهم عمله فيقول له : قم وانفض إلى المحشر ، فمن كان له عمل جيد يشخص له عمله بفلا ، ومنهم من يشخص له عمله حمارا ، ومنهم من يشخص له كبشا تارة يحمله وتارة يلقيه ، وبين يدي كل واحد منهم نور شعشعاني كالصباح والنجم والقمرو كالشمس بقدر قوة عملهم وصلاح حالهم ، وعن يمينه مثل ذلك النور ، وليس عن شمالهم نور بل ظلمة شديدة يقع فيها الكفار والرتابون ، والؤمن بحمد الله تعالى على ما أعطاهم من النور ويهتدي به في تلك الظلمة ، ومن الناس من يسمى على قدميه ، ومنهم من يسمى على طرف بئانه . قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « كيف يحشر الناس يا رسول الله ؟ » قال اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير » وذلك إذا اشتركوا في عمل يخلق الله سبحانه لهم من أعمالهم بعيرا يركبون عليه كما يتباع جماعة مطية يتعاقبون عليها في الطريق ، فاعمل هداك الله عملا يكون لك بعيرا خالصا من الشرك ، ومنه يعلم حال التشريك في ثواب العمل ، فالأولى أن يهدي من الولي ، لكل واحد ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه . روى « أن رجلا من بني إسرائيل ورث من أبيه مالا كثيرا فابتاع بستانا ، فحبه على الساكنين وقال : هذا بستانى عند الله ، وفرق دراهم عديدة في الضعفاء ، وقال : أشتري بها جوارى وعبيدا ، وأعتق رقابا كثيرة وقال هؤلاء خدعي عند الله ، والتفت يوما إلى أعمى يمشي تارة ويكبو أخرى ، فابتاع له مطية يسير عليها وقال : هذه مطيتي عند الله أركبها قال عليه الصلاة والسلام في حقه والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إليها وقد جرى بها إليه سرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى الوقت » انتهى (من روح البيان) .

المجلس الثالث والخمسون : في بيان استغفار الملائكة للمؤمنين

سورة غافر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا ، وحملهم إياه وخفيهم حوله مجاز عن حفظهم وتديرهم له ، وكناية عن قربهم من ذي العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره (يسبحون بحمد ربهم) يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام ، وجعل التسييح أصلا والحمد حالا ، لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسييح (ويؤمنون به) أخبر عنهم بالإيمان إظهارا لفضله ،

وتعظيماً لأهله ، ومساق الآية لذلك كما صرح به بقوله (ويستغفرون للذين آمنوا) وإشعاراً بأن حملة العرش وسكان العرش في معرفته سواء رداً على المجئمة ، واستغفارهم : شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم بما يوجب الغفرة ، وفيه تنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصيح والشفقة ، وإن تخالفت الأجناس لأنها أقوى للناسبات كما قال الله تعالى — إنما المؤمنون إخوة — (ربنا) أى يقولون ربنا وهو يان ليستغفرون أو حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أى وسعت رحمته وعلمه ، فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم والبالغة في عموماً ، وتقديم الرحمة لأنها المقصود بالذات ههنا (فاعفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم منه ، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب (قاضى يضاوى) .

قال الإمام محمد بن محمود السمرقندى في قوله تعالى (الذين يحملون العرش) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنها : إن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش ، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : إن الله تعالى نظر إلى جوهرة فصارت حمراء ، ثم نظر إليها ثانية فذاابت وارتعدت من هيبة ربها ، ثم نظر إليها ثالثة فصارت ماء ، ثم نظر إليها رابعة فجمد نصفها ، خلق من النصف العرش ومن النصف الماء ثم تركه على حاله ، فمن ثمة يرتعد إلى يوم القيامة . انتهى ما نقله السمرقندى . قال الإمام القرطبي : وأقويل أهل التفاسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم مجسم خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتبديدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بنى آدم بالطواف به والاستقبال إليه . وعن على رضى الله عنه : أن الذين يحملون العرش أربعة أملاك لكل ملك أربعة وجوه أقدامهم فى الصخرة التى تحت الأرض السابعة مسيرة خمسمائة عام ، انتهى من كلام القشيري . قال الإمام أبو الليث السمرقندى فى سورة الأعراف فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) قال بعضهم هذه من التشابهات التى لا يعلم تأويلها إلا الله . وذكر عن يزيد بن مروان أنه سئل عن تأويله فقال : تأويله الإيمان به ، وذكر أن رجلاً دخل على مالك بن أنس فسأله عن قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) فقال الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا ضالاً فأخرجوه ، وذكر عن محمد بن جعفر نحو هذا . وعن أبي بن كعب أنه قال « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ذهب ربيع الليل قام فقال : أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء اللوت بما فيه ، فقال أبى بن كعب : يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت ، قال الربيع ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ما شئت . وإن زدت فهو خير لك ،

قال الثالث ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال النصف ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك ، قال يارسول الله الثلثين ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ماشئت ، وإن زدت فهو خير لك . قال يارسول الله فأجعل صلاتي كلها لك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : إذن تكفى همك ويغفر ذنبك » (شفاء شريف) قوله (ويؤمنون به) أى يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا نظير له . فان قلت : الذين يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ولا يكون التسييح إلا بعد الإيمان فما فائدة قوله ويؤمنون به ؟ قلت : فائدته التثنية على شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه ، ولما كان الله تعالى عز وجل محتجبا عنهم بحجب جلاله وجماله وكمال صفاته وصفهم بالإيمان (تفسير الخازن) فان قلت : ما الفائدة في استغفارهم للمؤمنين وأتهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد ؟ قلت : هذه بمنزلة الشفاعة ، وفائدته زيادة الكرامة والثواب (كشف) قيل هذا الاستغفار لهم من اللاتكة مقابل لقولهم (آتجمل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فلما صدر منهم ما صدر أولئذ اذكروا بالاستغفار لهم ثانيا وهو كالتثنية لغيرهم ، فيجب على كل من تكلم في حق واحد أن يستغفر له اعتذارا لقوله السابق (تفسير الخازن) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش أمر حملة العرش بحمله فثقل عليهم ، فقال الله تعالى : قولوا سبحان الله ، فقالت اللاتكة سبحان الله فسهل الحمل عليهم ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله إلى أن خلق الله تعالى آدم عليه السلام ، فلما خلق آدم عليه السلام وعطس وألمحه الله تعالى قول الحمد لله ، فقال الحمد لله ، وقال الله تعالى : يرحمك الله لهذا خلقتك يا آدم ، فقالت اللاتكة : هذه كلمة جدد لا ينبغي لنا أن نغفل عنها فضموها لهذا ، فقالوا طول الدهر : سبحان الله والحمد لله وسهل عليهم حمل العرش فوق الأول وداموا عليه إلى أن بعث الله تعالى نوحا عليه السلام ، وكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح عليه السلام ، فأوحى الله تعالى إلى نوح ليأمر قومه أن يقولوا : لا إله إلا الله ويرضى نوح عليه السلام عنهم ، فقالت اللاتكة : هذه كلمة ثالثة جليلة فضموها إلى هاتين ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله إلى أن بعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام ، فلما بعثه أمره بالقربان ، ثم فدى ابنه بالكبش ، فلما رأى الكبش قال : الله أكبر ، فرحا بذلك ، فقالت اللاتكة : هذه كلمة رابعة شريفة فضموها إلى هذه الكلمات الثلاث ، فجعلوا يقولون طول الدهر : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فلما حدث جبرائيل عليه السلام هذا الحديث لعزول الله عليه السلام قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فقال جبرائيل عليه

السلام نضم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات الأربع . (تنبيه الغافلين) قال الإمام الشيرازي :
 جاء في بعض الأخبار أن ملكاً من الملائكة قال : يارب إني أريد أن أرى العرش ، فخلق
 الله له ثلاثين ألف جناح وطار بها ثلاثين ألف سنة ، فقال الله هل بلغت العرش ؟ فقال لم
 أقطع بعد عشر قامة العرش ، فاستأذن من الله تعالى أن يعود إلى مكانه (هيئة الإسلام) قال
 الامام القرطبي : وأقارب أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم خلقه
 الله تعالى وأمر ملائكته بعمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق الله تعالى بيتاً في الأرض
 وأمر بني آدم بالطواف به تعظيماً وتوقيراً (هيئة الإسلام) وقال شهر بن حوشب : إن حملة
 العرش ثمانية ، فأربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على حلمك وعلمك ،
 وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ولك الحمد على عفوك بعد قدرتك ؛ قال وكأنهم
 يرون ذنوب بني آدم فيستغفرون للذين آمنوا ويسألون الله تعالى لهم المغفرة (تفسير الخازن)
 عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : لما خلق الله تعالى العرش العظيم فعرف
 أنه أعظم الخلق قال : لم يخلق الله خلقاً أعظم مني ، فاهتز فخلق الله تعالى حية طوقت
 العرش ، ولنجية سبعون ألف جناح ، وفي كل جناح سبعون ألف ريشة ، وفي كل ريشة
 سبعون ألف وجه ، وفي كل وجه سبعون ألف فم ، وفي كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج
 من أفواهها في كل يوم من التسييح عدد قطر للطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى وعدد
 أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين ، فالتوت الحية بالعرش فالعرش نصف الحية (هيئة الإسلام) .
 حكى عن بعض أهل العلم أنه كان قبل أن يخلق الله تعالى الأرض مكان العرش ماء ، والعرش
 مستقر على الماء ، فأمر الله تعالى العرش أن يصعد فوق الماء فارتفع ، فجعل يعلو فصار
 للماء الذي في موضعه كعبة وشيع العرش وصعد معه إلى ما شاء الله ، فأمر بالرجوع إلى
 موضعه فقال : لولا أن الله أمرني أن أرجع إلى مقرى لشيعتك إلى مكانك ، فأوحى الله
 تعالى إلى ذلك للماء إنك لما أكرمت العرش وشيعته لأجلى جعلت مكانك أفضل البقاع ،
 وجعلته قبلة للخلائق ومظنة لطلب الحوائج ؛ ولهذا قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 « من شيع ضيفا سبع خطوات أغلق الله عنه سبعة أبواب جهنم ، وإذا شيعه ثمانى خطوات
 فتح الله عليه ثمانيه أبواب الجنة حتى يدخلها من أى باب شاء » (حقائق) وذكر أن أول
 شيء خلقه الله تعالى القلم ثم اللوح ، فأمر القلم بأن يكتب في اللوح ما هو كائن إلى يوم القيامة ،
 ثم خلق ما شاء على حسب اللشئة الأزلية ، ثم خلق العرش ، ثم خلق حملة العرش ، ثم
 السموات والأرض ، وإنما خلق العرش لأجل عباده ليعلموا إلى أين يتوجهون في دعائهم لكيلا
 يتعبدوا في اندعاء ، كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون في العبادة ، انتهى ما نقله السمرقندى .

قال الثعلبي في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك) عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إن الله تعالى خلق العرش ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء ، الهواء والقلم والنون ، ثم خلق العرش من أنوار مختلفة ، من ذلك نور أخضر اخضرت منه الحضرة ، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة ، ونور أحمر احمرت منه الحمرة ، ونور أبيض فنه نور الأنوار ومنه ضوء النهار ، ثم جعله سبعين ألف ألف طبق ، ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويحمده ويقدسه بأصوات مختلفة لو أذن الله تعالى للأشياء أن تسمع ذلك لهدمت الجبال والقصور وانخفضت البحار ، وقال في قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : في العرش تمثال ما خلق الله تعالى في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) وفي الخبر « إن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يندبوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائر الملائكة » اهـ ما نقله الثعلبي قاله الامام البغوي في تفسير قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : الكرسي موضوع أمام العرش ، ومعنى وسع : أي سعه مثل السموات والأرض . وقال على ومقاتل : كل قاعة من الكرسي طولها مثل السموات السبع والأرضين وهو بين يدي العرش انتهى كلامه . قال العلامة السيوطي : أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة » وأخرج أبو الشيخ عن حماد قال « خلق الله العرش من زمردة خضراء ، وخلق له أربع قوائم من ياقوته حمراء وخلق له ألف لسان ، وخلق في الأرض ألف أمة ، تسبح كل أمة بلسان من ألسن العرش » وأخرج أبو الشيخ عن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال « خلق الله تعالى أربعة أشياء يده آدم عليه السلام والعرش والقلم وجنة عدن ، وقال لسائر الخلق كن فكان » وأخرج أبو الشيخ عن عثمان بن سعد العامري في الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سيد السموات العرش اهـ .

ولقد فصلنا الكلام في هذا اللقاع كيلا نخفي أوصاف العرش على الأنام .

المجلس الرابع والخمسون : في فضيلة الاستقامة

سورة فصلت — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إن الذين قالوا ربنا الله) اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته (ثم استقاموا) في العمل واثم لثراخيه عن الإقرار في الرتبة من حيث إنه مبدأ الاستقامة أولاً لأنها عسيرة قلما تتبع الاقرار . وما روى عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الإيمان وإخلاص

العمل وأداء الفرائض ، فجزئياتها (تنزل عليهم للملائكة) فيما يمن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن أو عند الموت أو الخروج من القبر (ألا تخافوا) ماتقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم ، وأن مصدرية أو مخففة مقدره بالبلاء أو مفسرة (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) في الدنيا على لسان الرسل (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة (وفي الآخرة) بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادي الكفرة وقرناؤهم (ولكم فيها) في الآخرة (ماتشهى أنفسكم) من اللذائذ (ولكم فيها) ماتدعون (ماتمنون من الدعاء بمعنى الطلب ، وهو أعم من الأول (نزل من غفور رحيم) حال ماتدعون للاشعار بأن ما يتعنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (قاضى يضاوى) .

عن أبي طلحة رضى الله تعالى عنه أنه قال : « دخلت على النبي عليه الصلاة والسلام قرأيت من بشره وطلاقة ما لم أره قط ، فسألته فقال : وما يعنى وقد خرج جبرائيل عليه السلام آتيا ، فأثنى بيشارة من ربي فقال : إن الله تعالى بعثنى إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلى عليك إلا صلى الله تعالى عليه والملائكة بها عشرا » (شفاء شريف) قالوا في سبب النزول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : إنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، فإن المشركين قالوا : ربنا الله والملائكة بنات الله ، واليهود قالوا ربنا الله وعزير ابن الله ومحمد ليس بنبي وأبو بكر قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام ، ومعنى الآية : إن الذين أقروا بوحداية الله وتوفا عنه الأنداد والصاحبة والأولاد ثم أقاموا على طاعته وأداء فرائضه مخلصين له الدين إلى حين موتهم (تفسير) قال بعضهم : المراد من الاستقامة أخذ الليثاق في عالم الأرواح ويقال الاستقامة في الظاهر والباطن . فاستقامة العوام في الظاهر الامتثال بالأوامر والاجتناب عن للنهائى ، وفي الباطن الإيمان والتصديق . واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زيتها وشهواتها . وفي الباطن بالتفريد عن نعيم الجنان شوقا إلى لقاء الرحمن (شهاب الدين) سئل أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال : أن لا تشرك بالله شيئا . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ روغان الثعالب . وقال عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه : الاستقامة الإخلاص . وقال على رضى الله تعالى عنه : الاستقامة أداء الفرائض (معالم التنزيل) وقال بعض أهل الحق : الاستقامة على ثلاثة أضرب استقامة باللسان واستقامة بالجنان واستقامة بالنفس . فالاستقامة باللسان للدأومة على كلمة الشهادة . والاستقامة بالجنان المدأومة على صدق الإرادة . والاستقامة بالنفس للدأومة على العبادات والطاعات . قال بعضهم : الاستقامة بأربعة أشياء الطاعة فى مقابلة

الأمر ، والتقوى في مقابلة النهي ، والشكر في مقابلة النعمة ، والصبر في مقابلة الجنة ، وتتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى : قيام الطاعة بالإخلاص ، وتتمام التقوى بالتوبة ، وتتمام الشكر بمعرفة العجز ، وتتمام الصبر بالانقطاع (إمام نسفي) قال الفقيه أبو الليث : علامة الاستقامة أن يراعى عشرة أشياء فريضة على نفسه : الأول حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى (ولا يفتب بعضكم بعضا) والثاني الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) ولقوله عليه الصلاة والسلام « إياكم وسوء الظن فإنه أكذب الحديث » والثالث الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) والرابع غض البصر عن المحارم لقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) والخامس صدق اللسان لقوله تعالى (وإذا قلتم فاعدلوا) والسادس الإتيان في سبيل الله لقوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) والسابع أن لا يسرف لقوله تعالى (ولا تبذر تبذيرا) والثامن أن لا يطلب العلو والكبر لنفسه لقوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) والتاسع المحافظة على الصلوات الخمس لقوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) والعاشر الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (تنبيه الغافلين) عن أبي بكر الرازي أنه قال : الإيمان في قلب المؤمن كشجرة لها سبعة أغصان : غصن ينتهي إلى قلبه - وثمرته صحة الإرادة ، وغصن ينتهي إلى لسانه وثمرته صدق المقالة ، وغصن ينتهي إلى رجله وثمرته الشئ إلى الجماعة ، وغصن ينتهي إلى يديه وثمرته إعطاء الصدقة ، وغصن ينتهي إلى عينيه وثمرته النظر إلى العبرات ، وغصن ينتهي إلى جوفه وثمرته أكل الحلال وترك الشهوات ، وغصن ينتهي إلى نفسه وثمرته ترك الشهوات (رجيية) وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يبعث الله تعالى الخلائق من قبورهم ، فتأتي الملائكة إلى رؤوس المؤمنين ويمسحون رؤوسهم من التراب ، فينثر التراب منهم إلا من جباههم مواضع سجودهم فتمسح الملائكة تلك المواضع فلا يذهب التراب منها ، فينادى لهم : يا ملائكتي ليس ذلك التراب من قبورهم إنما هو تراب محاريبهم ، دعوه عليهم حتى يعبروا الصراط ويدخلوا الجنة ، حتى إن من نظر إليهم يعرف أنهم خواص عبادي » (زهرة الرياض) للبشرون ثلاثة : محمد عليه الصلاة والسلام في الدنيا بقوله تعالى (وبشر الصابرين) وغير ذلك ، وللملائكة في وقت التزج بقوله تعالى (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) والله تعالى بقوله تعالى (يبشركم ربهم برحمة منه ورضوان) الآية (روضة العلماء) يقال البشارة عند الموت على خمسة أوجه : الأول لعامة المؤمنين يقال لهم : لا تخافوا بتأييد العذاب : يعني لا يتقون في العذاب أبدا ، وتشفع

الأنبياء والصالحون ، ولا تحزنوا على فوت الثواب وأبشروا بالجنة : يعنى مرجعكم الجنة . والثاني للمخلصين يقال لهم : لا تخافوا على رد أعمالكم ، فإن أعمالكم مقبولة ، ولا تحزنوا على فوت الثواب فإن الثواب مضاعف لكم . والثالث للتائبين يقال لهم لا تخافوا على ذنوبكم فإن ذنوبكم مغفورة ولا تحزنوا على فوت الثواب على ما فعلتم بعد التوبة يدل الله سيئاتكم إلى الحسنات . والرابع للزهاد يقال لهم لا تخافوا الجشع والحساب ولا تحزنوا على نقصان الأضعاف . وأبشروا بالجنة بلا حساب ولا عذاب . والخامس للعلماء الذين يعلمون الناس الخير وعملوا بالعلم يقال لهم : لا تخافوا من أهوال القيامة فإنه يحزبكم بما عملتم ، وأبشروا بالجنة لكم ولن اقتدى بكم ، وطوبى لمن كان ختم عمره بالبشارة ، وإنما تكون البشارة لمن كان مؤمنا محسنا في عمله ، فنزل عليهم اللائكة فيقولون من أنتم ، فما رأينا أحسن وجوها ولا أطيب ريحاً منكم ؟ فيقولون نحن أولياؤكم : يعنى حفظناكم ، وكنا نكتب أعمالكم في الدنيا . فينبغى للعاقل أن ينتبه من الغفلة ، وعلامة الانتباه أربعة أشياء : الأول أن يدبر أمور الدنيا بالقناعة والتسوف : والثاني أن يدبر أمور الآخرة بالحرص والتعجيل . والثالث أن يدبر أمور الدين بالعلم والاجتهاد . والرابع أن يدبر أمور الخلق بالنصيحة واللودة واللدارة . ويقال أفضل الناس من فيه خمس خصال : الأولى أن يكون مقيماً على عبادة ربه . والثانية أن يكون مخلصاً ظاهراً وباطناً . والثالثة أن يكون الناس من شره آمنين . والرابعة أن يكون مما في أيدي الناس آسأ . والخامسة أن يكون مستعداً للموت (تنبيه الغافلين) . وأما استعداد الموت وفائدته فما روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أ كثروا ذكر هادم اللذات » وهو الموت ، وهذا الحديث من حسان المصايح ، ومغناه أن الموت يكسر كل لذة فأ كثروا ذكره حتى تستعدوا له ، فإن قوله عليه الصلاة والسلام « أ كثروا ذكر هادم اللذات » كلام موجز مختصر لكن جمع فيه جميع المواعظ ، فإن من ذكر الموت حقيقة ينقص عليه لذته الحاضرة وينمعه من تمنيه المستقبل ، ويترده فيما يؤمله منها ، لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تكرير اللفظ وتطويل الوعظ ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام « أ كثروا ذكر هادم اللذات » مع قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) ما يكفي السامع له والناظر فيه ، لأن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار القانية والتوجه في كل لحظة إلى الدار الباقية ، إذ قد قال العلماء : الموت ليس بعدم محض ولا خفاء صرف ، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ، ومفارقتها عنه وتبدل من حال إلى حال وانتقال من دار إلى دار ، كما قال عليه الصلاة والسلام « المؤمنون لا يموتون بل ينقلبون » وهو من أعظم المصائب ، وقد سماه الله مصيبة حيث قال (فأصابكم مصيبة الموت) فالموت هو للمصيبة العظمى وأعظم منه الغفلة عنه وعدم ذكره وقلة التفكير فيه مع أن فيه وحده عبرة

لمن اعتبر . وقد قال القرطبي في تذكرته : إن الأمة قد اجتمعت على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم ، وإنما كان كذلك ليكون الماء على أهبة منه مستعد الله ، لكن من غلب عليه حب الدنيا والانهماك في لذائذها محالة يغفل عن ذكره ولا يذكره بل إن ذكره عنده يكرهه وينفر منه طبعه لأن غلبة حب الدنيا في قلبه وورسوخ علاقته فيه عنقه عن التفكير في الموت الذي هو سبب مفارقتها ولا يحب ذكره ، وإن ذكره ، يذكره للتأسف على الدنيا ويشغل بزمه ويزيده ذكره بعداً من الله . ولقد أطلنا الكلام في حق الموت (مجالس الروي) قال يحيى بن معاذ قدس سره : للمستقيم علامات : السعي في طاعة الله تعالى من غير علاقة ، والنصح للعامة من غير طمع ، والتعبد للحق مع قلب وجل ، والاعتبار بما يرى في الدنيا من غير شهوة ، والتفكير في العاد من غير غفلة (كذا في الخالصة) فمن كان حاله هكذا بشر عند الموت بالكرامة والسعادة والرفي . روى أنه لما حضرت وفاة الشيخ أبي علي الروذباري رحمه الله تعالى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول : يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تسألها وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم ترجها . (حكى) أنه لما مات سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى أكب الناس على جنازته ، وكان في البلد شيخ يهودي عمره قد أناف عن السبعين سنة فسمع الصيحة فخرج لينظر ما هو ، فلما نظر إلى الجنازة قال أترون ما أرى قالوا وما ترى ؟ قال : أرى قوما ينزلون من السماء ويتبركون بهذه الجنازة ثم أسلم وحسن إسلامه (كذا في روض الرياحين) .

المجلس الخامس والخمسون : في فضيلة التوبة

سورة الشورى — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه ، والقبول يتعدى إلى مفعوله ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ والإنابة ، وقد عرفت حقيقة التوبة . وعن طي رضى الله عنه : هي اسم يقع على ستة معان : على الماضي من الذنوب بالندامة ، ولتضييع الفرائض بالإعادة ، ورد المظالم ، وإذابة النفس في الطاعة كما زيتها في العصية ، وإذاقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلالة للعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعنوا عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم ما يفعلون) فيجازي ويتجاوز عن إتيانها وحكمة . وقرأ حمزة والكسائي وحفص « ويعلم ما تفعلون » بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يستجيب الله لهم ، فحذف اللام كما حذف في « وإذا كالوهم » والمراد إجابة الدعاء والإنابة على الطاعة ، فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « أفضل الدعاء الحمد لله » أو يستجيبون لله بالطاعة إذا دعاهم إليها

(ويزيدهم من فضله) على ما سألوهم واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل (قاضي يضاوي) .

روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا يرى وجهي ثلاثة : عاق الوالدين ، وتارك سنتي ، ومن ذكرت عنده فلم يصل على » صدق من نطق . لما نزلت هذه الآية (ورحمتي وسعت كل شيء) تناول إبليس عليه اللعنة فقال : أنا شيء من الأشياء يكون لي نصيب من رحمة الله وتناول اليهود والنصارى ، فلما نزل قوله تعالى (فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) يعني سأجعلها للذين يتقون الشرك ويؤتون الزكاة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) يعني يصدقون بآياتنا يؤمنون إبليس من رحمة الله تعالى ، وقالت اليهود والنصارى : نحن نتقى الشرك ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله تعالى حتى نزل قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجذونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) يعني يصدقون بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيؤمن اليهود والنصارى وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصة . وهذه الآية في سورة الأعراف (تنبيه الغافلين) قيل العجلة من الشيطان ، لكن العجلة سنة في خمسة مواضع : في دفن الميت ، وفي تزويج البنات ، وفي أداء الديون ، وفي التوبة بعد العصية ، وفي إحضار الطعام للمسافر (تفسير كبير) عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن لكل داء دواء ودواء الذنوب الاستغفار » وقال عليه الصلاة والسلام « أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة » وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يستغفر الله في كل يوم مرتين فقد ظلم نفسه » وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » الحديث . (حكاية) كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ، ثم نظر يوماً في مرآة ، فرأى في لحية شعراً أبيض ، فحزن لذلك فقال : إلهى أظعنك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة ، فإن رجعت إليك أتقبلنى ؟ فسمع قائلاً يقول : أحبيتنا فأحبيناك وتركنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك ، فإن رجعت إلينا قبلناك (حياة القلوب) . حكى عن الشيخ الإمام أبي نصر السمرقندى أنه قال : كان الحسن البصرى في أول حاله شاباً مليحاً يلبس أحسن الثياب ويطوف في دور البصرة ويتفرج فيها ، فبينما هو يمشى يوماً من الأيام إذ رأى امرأة ذات جمال وحسن قامة ، فتشى خلفها فالتفتت إليه وقالت : أما تستحي ؟ فقال الحسن ممن ؟ فقالت ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، قال فوقع في قلبه شيء ولكن لم يصبر ولم يتألك نفسه ولم يرجع

من خلفها ، فقالت لماذا تجيء ؟ فقال لها إني قننت بعينيك ، فقالت له اقم حتى أبعث لك بمرادك ، فحسب الحسن أنه قد شغفها كما شغفته ، فبعد ما جارية معها طبق من مغطى بمنديل ، فكشف عن الطبق فاذا عيناها على الطبق ، فقالت الجارية له : إن سيدتى تقول : لا أريد عينا يفتن بسببها أحد ، فلما رأى وسمع ذلك منها اقتصر جلده ، وأمسك لحيته يده وقال لنفسه : أف لك من لحية تكون أقل من امرأة ، وتدم وتاب في تلك الساعة ورجع إلى بيته وبات باكيا ، فلما أصبح جاء إلى دار تلك المرأة لأن يستحل منها ، فاذا هو قد رأى باب دارها قد سد والناحيات ينحن ، فسأل عن ذلك ؟ فقيل قد توفيت صاحبة هذه الدار ، فانصرف وبكى إلى آخر ثلاثة أيام ، فراها في الليلة الثالثة وهي في الجنة جالسة ، فقال لها اجعلينى فى حل ، قالت جعلتك فيه لأننى قد نلت من الله خيرا كثيرا بسببك ، فقال لها عطينى ، قالت : إذا خلوت فاذكر الله تعالى ، وإذا أصبحت وأمسيت فاستغفر الله وتب إلى الله ، فقبل قولها وكان مشهورا بين الناس بالزهد والطاعة ، وأصاب من الدرجة ما أصاب عند الله ، وكان من أولياء الله تعالى (جواهر البخارى) وذكر أن آدم عليه الصلاة والسلام قال : إن الله تعالى أعطى أمة محمد عليه الصلاة والسلام أربع كرامات ما أعطانها : الأولى أن قبول توبتى كان بمكة وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يتوبون فى كل مكان فيقبل الله تعالى توبتهم . والثانية أنى كنت لابسا فلما عصيت جعلنى عريانا وأمة محمد يعصون عرايا فيلبسهم الله تعالى . والثالثة أنى لما عصيت فرق بينى وبين امرأتى وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم . والرابعة أنى عصيت فى الجنة فأخرجنى منها وأمة محمد عليه الصلاة والسلام يعصون الله خارج الجنة فيدخلونها إذا تابوا (تنبيه الغافلين) . وحكى أنه كان فى بنى إسرائيل امرأة بغى وكانت فاتنة للناس بمجالها ، وكان باب دارها مفتوحا وهى قاعدة فى دارها على السرير حذاء الباب فكل من نظر إليها افتتن بها ، فطلب رجل أن يأتى إليها بعشرة دنانير أو أكثر حتى يؤذن له فى الدخول عليها ، فمر على بابها ذات يوم عابد من العباد ، فوقع بصره عليها فى الدار فافتتن بها وجعل يجاهد نفسه ويدعو الله أن يزول ذلك عن قلبه ، فلم يزَل ولم يملك نفسه حتى باع أمشته وما كان له ، وجمع من الدنانير ما يحتاج إليه ، فجاء إلى دارها فأمرته بأن يسلم ذلك إلى جار لها وكيل عنها ووعدته وقتا لمجيئه ، فجاء إليها فى ذلك الوقت وقد تزينت بنفسها وجلست على السرير فى بيتها ، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير ، فلما مد يده إليها تداركه الله برحمته وبيركة عبادته وتوبته للتقدمة ، فوقع فى قلبه أن الله يراه فى هذه الحالة وقد حبط عمله كله ، فوقعت الهية فى قلبه وارتعدت فرائصه وتغير لونه ، فنظرت للمرأة إليه فرأته متغير اللون ، فقالت له :

ما الذى أصابك ؟ قال إني أخاف الله فأذن لي في الخروج ، فقالت ويحك إن كثيرا ليعتصرون الذى وجدته ، فأبى شئ هذا الذى أنت فيه ؟ فقال لها إني أخاف الله ، وإن المال الذى دفعته هو لك حلال فأذن لي في الخروج ، فقالت له : ألم تعمل هذا العمل قط ؟ قال لا ، فقالت له من أين أنت وما اسمك ؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا فأذنت له في الخروج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويكي على نفسه ، فوقعت الهية في قلب المرأة يركة ذلك العابد ، فقالت في نفسها إن هذا أول ذنب شرع فيه هذا الرجل وقد دخل عليه من الخوف ما دخل ، وإني قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة ، وإن ربه الذى هو يخاف منه هو ربي ، وخوفى منه ينبغي أن يكون أشد ، فأتت إلى الله وأغلقت بابها عن الناس ، ولبست ثيابا خلقة وأقبلت على الله ، فكانت في عبادتها ما شاء الله ، فقالت في نفسها إني لو اتيت إلى ذلك الرجل قلعه ليرزوجني ، فأكون عنده وأتعلم منه أمر ديني ويكون عونا لي على عبادة الله ، فتجهزت وسمحت من الأموال والخدام ما شاءت ، فأتته إلى تلك القرية وسألت عنه ، وأخبر العابد أن امرأة قدمت تسأل عنه فخرج العابد إليها ، فلما رآته للمرأة كشفت عن وجهها لكي يعرفها ، فلما رآها عرفها العابد وتذكر الذى كان بينه وبينها ، فصاح صيحة فخرجت روحه فبقيت للمرأة حزينة وقالت : إني خرجت لأجله وقد مات ، فهل له أهل من أقربائه يحتاج إلى امرأة ؟ فقالوا إن له أخا صالحا ولكنه معسر ليس له مال ، فقالت لا بأس فإن لي من المال ما فيه فناء ، فجاء أخوه ، فزوجه بها فولد بينهما سبعة من البنين كلهم صاروا أنبياء في بني إسرائيل (١) يركة التوبة والحمد لله (كذا نقل عن البخارى عليه رحمة الباري) قال الإمام الزندوسقى رحمه الله تعالى سمعت الإمام أبا محمد عبيد الله بن الفضل يقول : قالت الحكماء من رزق أربعا لم يحرم أربعا : من رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى (ادعوني أستجب لكم) ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى (إنه كان غفارا) ومن رزق الشكر لم يحرم للزبد لقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) (كذا في روضة العلماء) عن أبي هاشم الصوفى رحمه الله تعالى قال : أردت البصرة فجئت إلى سفينة أركبها ، وفيها رجل معه جارية ، فقال لي الرجل ليس ههنا موضع ، فسأله الجارية أن يحملني ففعل ، فلما سرنا دعا الرجل بالعداء فوضع ، فقالت ادع ذلك المسكين ليتغدى معنا ، فجلست على أنفي

(١) هذه الحكاية وأمثالها فيها من البشاعة وتشويه الدين ما لا يمكن تصويره لما هو معلوم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أصلا بهم طاهرة من السفاح كما تشهد بذلك الأحاديث الصحيحة اهـ .

مكبن ، فلما تغدينا قال يا جارية هاتى شرابك فشرب وأمرها أن تسقى ، فقالت
يرحمك الله إن للضيف حقاً تركى ، فلما دب فيه الشراب قال يا جارية هاتى عودك
وهاتى ما عندك ، فأخذت العود وغنت ، ثم التفت الرجل إلى فقال أحسن مثل هذا ؟
قلت عندى ما هو أحسن وخير منه ، فقال قل ، قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ،
ثم قرأت (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت) فجعل الرجل
يسكى ، فلما انتهت إلى قوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال يا جارية اذهبي فأنت
حرة لوجه الله تعالى ، وألقى ما معه من الشراب وكسر العود ، ثم دعانى فاعتقتنى وقال :
يا أخى أرى أن الله يقبل توبتى ؟ قلت : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)
وواخيتنا بعد ذلك أربعين سنة حتى مات فرأيت في المنام قلت له إلام صرت ؟
فقال إلى الجنة ، قلت بماذا ؟ قال بقراءتك على (وإذا الصحف نشرت) انتهى (من الموعظة) .

المجلس السادس والخمسون : في فضيلة شهر شعبان المعظم

سورة الشورى — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الله لطيف بعباده) يريهم بصنوف من البر لا تبلغها الأفهام (يرزق من يشاء) أى يرزقه
كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر طى ما اقتضته حكمته (وهو القوى) الباهر القدرة
(العزيز) النيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) ثوابها شبهه بالزرع من حيث
إنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل : الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الأهل إلقاء البذر
فى الأرض ويقال للزرع الحاصل منه (زردله فى حرثه) فمطيه بالواحدة عشرا إلى سبعمائة
فما فوقها (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) شيئا منها على ما قسمناه له (وما له فى
الآخرة من نصيب) إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى (قاضى يضاوى) .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى خلق محراماً من نور
تحت العرش ثم خلق ملكاً له جناحان أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب ورأسه تحت العرش
ورجلاه تحت الأرض السابعة ، فإذا صلى العبد على فى شهر شعبان أمر الله تعالى ذلك الملك
أن يغمس فى ماء الحياة ، فيغمس ذلك الملك ثم يخرج منه فينفض جناحه فيقطر من كل
ريشة قطرات ، فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة » (زبدة
الواعظين) قيل الله لطيف بهم بالأرزاق ، من الطيات ولم تدفع إليهم جملة . وقيل الله
لطيف بعباده : يعنى يرحم من لا يرحم نفسه بالعناية والرحمة ، وبالشوق إلى طاعته
وطاعة رسوله بعد الرجوع عن صفة الناقين ، وقيل الله لطيف بعباده : يعنى يرحم التائبين
وللستغفرين . قال عليه الصلاة والسلام : « ما من صوت أحب إلى الله تعالى من صوت عبد

مذنب تاب إلى الله تعالى فيقول ليك يا عبيد سل ما تريد » وقيل الله لطيف أى رفيق ، وقيل الله لطيف بالبر والاحسان بحيث لم يهلكهم بمعاصيهم ويرزق من يعصيه . وقيل الله لطيف : أى الذى يستقل الكثير من عطائه ويستكثر القليل من الطاعة من عباده ، حيث قال فى كلامه القديم (قل متاع الدنيا قليل) (زهرة الرياض) وقال بعضهم : الله لطيف بعباده فى العرض والحاسبة كما جاء فى الخبر « يؤتى بعد يوم القيامة وتعرض سيئاته فيقول الله تعالى : أما استحييت منى إذ عصيتنى ؟ فيرفع العبد صوته يكاء شديدا ، فيقول الله احفظ صوتك حتى لا يسمع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعرف أنى سترتها فى الدنيا وأنا أغفرها اليوم ، فيبكي أشد منه من فرسه ، فيسمع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول إلهى أنت أرحم الراحمين هبه لى ، فيقول الله تعالى : وهبته لك ولا تحزن يا حبيبى » (زهرة الرياض) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « فضل شعبان على سائر الشهور كفضل على سائر الأنبياء ، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على عباده » كما قال الله تعالى (ويختار ما كان لهم الحيرة) لأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يصوم شعبان كله ويقول : « يرفع الله أعمال العباد كلها فى هذا الشهر » وقال صلى الله تعالى عليه وسلم « أتدرون لم سمى شعبان ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ؟ قال لأنه يتشعب فيه خير كثير » (روضة العلماء) أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسكه عنده تسعة وتسعين وأزل فى الأرض جزءا واحدا ، فمن ذلك تراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن يصيبه الضرر » وفى رواية لمسلم « وأخر تسعة وتسعين يرحم الله تعالى بها عباده يوم القيامة » (طريقة محمدية) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أتانى جبريل ليلة النصف من شعبان وقال : يا محمد هذه ليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة ، قم وصل وارفع رأسك ويديك إلى السماء ، فقلت يا جبرائيل : ما هذه الليلة ؟ فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة باب من الرحمة ، فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك بالله شيئا إلا من كان ساحرا أو كاهنا أو مشاحنا أو مدمن خمر أو مصرا على الزنا أو آكل الربا أو طاق الوالدين أو النمام أو قاطع الرحم ، فان هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا ويتركوا ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام فصلى وبكى فى سجوده وهو يقول : اللهم إني أعوذ بك من عقابك وسخطك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى » (زبدة الواعظين) وعن يحيى بن معاذ أنه قال : إن فى شعبان خمسة أحرف يعطى بكل حرف عطية للمؤمنين : بالشين الشرف والشفاعاة ، وبالعين العزة والكرامة ، وبالباء البر ، وبالألف الألفة ، وبالنون النور ، ولذا قيل : رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح ،

فان من يطهر البدن في رجب يطهر القلب في شعبان ، ومن يطهر القلب في شعبان يطهر الروح في رمضان ، فان لم يطهر البدن في رجب والقلب في شعبان ، فمضى يطهر الروح في رمضان ؟ ولذا قال بعض الحكماء ، إن رجب للاستغفار من الذنوب ، وشعبان لإصلاح القلب من العيوب ، ورمضان لتنوير القلوب ، وليلة القدر للتقرب إلى الله تعالى (زبدة الواعظين) روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من صام ثلاثة أيام من أول شعبان وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره كتب الله له ثواب سبعين نبيا ، وكان كمن عبد الله تعالى سبعين عاما ، وإن مات في تلك السنة مات شهيدا » وقال عليه الصلاة والسلام « من عظم شعبان واتقى الله تعالى وعمل بطاعته وأمسك نفسه عن المصيبة غفر الله تعالى ذنوبه ، وآمنه من كل ما يكون في تلك السنة من البلاء والأمراض كلها » (زبدة الواعظين) .

حكى عن محمد بن عبد الله الزاهد أنه قال : مات صديق أبو حفص الكبير فضليت على جنازته ولم أزر قبره ثمانية أشهر ، ثم قصدت زيارته ، ونمت الليل فرائته متغير اللون مصفر الوجه ، فسلمت عليه فلم يرد السلام على ، فقلت سبحان الله لم لم ترد على السلام ؟ فقال رد السلام عبادة ونحن مقطوعون عن العبادة ، فقلت مالي أراك متغير الوجه وقد كنت حسن الوجه ؟ قال لما وضعت في قبري جاء ملك فقام على رأسي وقال يا شيخ السوء ، وعد ذنوبي وسوء أفعالي وضربني بعمود فاشتعل جسدي نارا ، ثم تكلم معي قبري فقال : أما استحييت من ربى ، ثم صغفنى صغفنة حتى اختلفت أضلاعى وانقطعت مفاصلى وبقيت في العذاب إلى الليلة التي أهل فيها أهلال شعبان ، فإذا أنا بناد ينادى من فوق أيها الملك ارفع عنه ، فانه أحيا ليلة من شعبان في عمره وصام يوما من أيامه ، فرفع الله تعالى العذاب عني بحرمة قيامي ليلة من شعبان وصيام يوم منه ، ثم بشرني بالجنة والرحمة . ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « من أحيا ليلة العيدين وليلة النصف من شعبان لم يميت قلبه حين تموت القلوب » (زهرة الرياض) روى عن عطاء بن يسار رضى الله عنه أنه قال : ما من ليلة بمديلة القدر أفضل من ليلة نصف شعبان . وقد ورد في فضلها أحاديث أخر متعددة . وكان التابعون من أهل الشام نكالة بن معدان ومكحول ولقمان بن طاهر وغيرهم رحمهم الله يعظمونها ويحجثون بالعبادة فيها . فلما اشتهر ذلك عنهم في البلدان اختلف الناس في ذلك ، فغضب من قبله منهم وواقهم على تعظيمها لكن أكثر العلماء من أهل الحجاز أنكروا ذلك ، وقالوا ذلك كله بدعة ، والحق أن المؤمن إذا اشتغل في تلك الليلة الخاصة بأنواع العبادات من الصلاة والتلاوة والذكر والدعاء يجوز ولا يكره . وأما الاجتماع فيها في الساجد والجوامع للصلاة النافلة بالجماعة الكثيرة كما هو المعتاد في زماننا فيكره ، وهذا قول الأوزاعي إمام أهل الشام وعالمهم وقهيمهم ، وهكذا إسراج السرج الكثيرة في الساجد وإيقاد القناديل الكثيرة

في الجوامع في تلك الليلة لا يجوز ، لما ذكر في الفنية أن إسراج السرج الكثيرة ليلة البراءة في السكك والأسواق بدعة وكذا في المساجد ، وضمن القيم بل لو ذكره الواقف وشرطه لا يعتبر ذلك شرعا ، وإن لم يكن من مال الوقف بل تبرع به يكون ذلك تبذيرا ، وإضاعة للمال والتبذير حرام بنص القرآن ، وقد نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن إضاعة المال ، واعتقاد أن ذلك قرينة من أعظم البدع وأببح السيئات وكذا التفل في تلك الليلة بالجماعة الكثيرة بدعة قبيحة يجب الاجتناب عنها ، لأن الفقهاء قد اتفقوا على كراهة الجماعة في النوافل ، ماعدا التراويح والاستسقاء والكسوف إذا كان سوى الإمام أربعة ، والصلاة التي تصلى في تلك الليلة بالجماعة الكثيرة وتسمى صلاة البراءة بدعة أيضا لعدم وقوعها في عصر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والتابعين رحمهم الله تعالى ، بل إنما ظهرت بعد المائة الرابعة من الهجرة فأنها حدثت في المسجد الأقصى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة . وأصلها على ما ذكره الإمام الطرطوسي : أن رجلا قدم بيت المقدس فقام يصلي ليلة النصف من شعبان في المسجد الأقصى فأحرم خلفه واحد ثم ثان ثم ثالث ثم رابع فما أتمها إلا وهم جمع كثير ثم جاء في العام الآتي فصلى معه خلق كثير ثم شاعت في للمساجد وانتشرت في البلاد واستقرت سنة بين العباد ، وقد ذمها العلماء من أعيان التأخرين وصرحوا بأنها بدعة قبيحة مشتملة على منكرات ؛ فعلى هذا ينبغي للعاجز عن تغيير تلك المنكرات أن لا يحضر الجماعة في تلك الليلة بل يصلي في بيته إن لم يجد مسجدا سالما من هذه البدعة ، لأن الصلاة في المسجد بالجماعة سنة ، وتكثير سواد أهل البدع منهى عنه ، وترك النهي عنه واجب ، وفعل الواجب متعين ، لاسيما لما كان مشهورا بين الناس بالعلم والزهد ، فإن الواجب عليه أن لا يحضر في مسجد شاهد فيه هذه المنكرات ، لأن حضوره مع عدم الإنكار يوم العامة أن هذه الأفعال مباحة أو مندوب إليها ، فيكون حضوره شبهة عظيمة في ظن العوام أن تلك الأفعال مستحسنة شرعا ، فإذا ترك عادة ولم يجزئ المسجد في تلك الليلة وأنكر بقلبه لعجزه عن تغييره يده ولسانه يسلم من الإثم ولا يقتدى به غيره ، بل يستشعر بعض الناس من عدم حضوره أن هذه الأفعال غير مرضية عند الله ، بل هي بدعة لا يسوغها الشرع ولا يرضاها أهل الدين ، فربما يمنع بعض الناس عن ذلك ، فيحصل له الثواب بفعل ما يقدر عليه من الإنكار بالقلب والامتناع عن الحضور . والحاصل أن تلك الليلة وإن ورد في فضلها أحاديث متعددة ، لمكن ليس لأحد أن يعظمها فبأذنه الشارع ونهى عنه ، مع أن بعض العلماء قالوا : لم يثبت في قيامها شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام ولا عن أصحابه ، فعلى هذا يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يحذر من الاعتراض والليل إلى شيء من البدع والمحدثات ، ويصون دينه

من البدع التي استأنس بها وتربى عليها ، فانها سم قاتل قل من سلم من آفاتنا وظهر له الحق معها ، لأن البدعة لها جلاوة في قلوب أهلها تستحسنها طباعهم فلا يتركونها (هذان مجالس الرومي)

المجلس السابع والخمسون : في بيان الحب في الله والبغض في الله

سورة الزخرف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الأخلاء) الأجباء (يومئذ بعضهم لبعض عدو) أى يتعادون يومئذ لانهطاع الملق بظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب (إلا المتقين) فان خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الأبدية (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به للمتقون للتحابون في الله يومئذ (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للنادى (وكانوا مسلمين) حال من الواو : أى الذين آمنوا مخلصين ، غير أن هذه العبارة أكد (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم اللؤمات (تجبرون) تسرون سرورا يظهر جواره أى أثره على وجوهكم ، أو زينون من الجبر وهو حسن الوجه والهيئة ، أو تكرمون إكراما يبالغ فيه ، والخبرة : البالغة فيما وصف بالجليل (قاضى يضاوى) .

روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « زينوا مجالكم بالصلاة على فان صلاتكم على نور يوم القيامة » (رواه صاحب الفردوس) وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن لله تعالى عبادا يوضع لهم يوم القيامة المنابر يقعدون عليها ، هم قوم لباسهم نور ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ؛ يقبضهم الأنبياء والشهداء ، فقالوا من هم يا رسول الله ؟ قال للتحابون في الله والمتجاوزون في الله والتجالسون في الله » (رواه الطبراني في الأوسط) وروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام قال : يا موسى هل عملت لى عملا قط ؟ قال إلهى صليت لك وصمت لك وتصدقت لك وذكرتك لك ، فقال الله : يا موسى إن الصلاة لك برهان والصوم لك جنة والصدقة لك ظل والله كرك لك نور ؛ فأى عمل عملت لى ؟ فقال دلتى على عمل هو لك ، قال : يا موسى هل واليت لى وليا قط وهل عادت لى عدوا ؟ » فلم أن أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله . عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « إن الله يقول يوم القيامة : أين التحابون فى ، فوعزتى وجلالى اليوم أظلم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه الطبراني ، وفى الخبر « أنه يؤتى برجل مؤمن فى القيامة فتوزن أعماله فترجح - يثاته على حسناته فيؤمر به إلى النار ، فيقول يارب أمهلنى ساعة أستوهب من أسمى حسنة ، فيمهلها فيأتى إليها فيقول يا أماء بالذى رببتى فى الدنيا وبلغتنى إلى كل

إحسان هي لي حسنة من حسناتك كي أنجو من النار ، فتقول يا بني إني عاجزة في شأني ، ومتحيرة في أمري فتكيف يمكنني أن أخلصك اليوم ؟ فيأس منها ، وهكذا يأتي إلى جميع أقربائه فيأس منهم جميعا ، فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيراه خليله يساق إلى النار ، فيقول له الخليل وهبت لك جميع حسناتي لينجو أحدنا من النار ، وذلك أهون من أن يكون كلانا في النار فيؤمر به إلى الجنة ، فيسرع إليها فينادي في الطريق ليس من الفتوة أن تنسى خليلك في النار فتدخل الجنة ، فيخز ساجدا ويشفع له ، فيأمر الله تعالى بهما إلى الجنة » (موعظة) وروى عن أبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من زار أخاه المسلم قلبه بكل خطوة حتى يرجع عتق رقبة ويحط عنه بها ألف سيئة ، ويكتب له ألف حسنة ويرفع له نور كنور العرش ، عند ربه » رواه الحارث بن أبي أسامة . روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام ، « ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة قلنا بلى يا رسول الله ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : النبي في الجنة والصديق في الجنة والشهيد في الجنة ، والرجل يزور أخاه المسلم في ناحية للصر لا يزوره إلا لله في الجنة » رواه أبو نعيم الحافظ ، وروى عن بريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن في الجنة غرقا يرى ظاهرها من باطنها وبالعكس أعدها الله للمتحيين والزائرين والتبازلين فيه » رواه الطبراني . وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام : « المتحابون وللزائرون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، في رأس العمود سبعون ألف غرفة تضيء على أهل الجنة كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى المتحيين في الله ، فإذا أشرفوا عليهم أضاءت وجوههم كما تضيء الشمس على أهل الدنيا ، عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله وللزائرون » وروى عن طي بن الحسين أنه قال « إذا اجتمع الأولون والآخرون نادى مناد : أين جيران الله في أرضه » أي في الدنيا « فتقوم طائفة من الناس يريدون الجنة ، فتقول لهم الملائكة أين تريدون ؟ فيقولون الجنة ، فتقول الملائكة أقبل الحساب ؟ فيقولون نعم ، فتقول للملائكة من أنتم ؟ فيقولون نحن جيران الله ، فتقول لهم وما جيرانكم ؟ فيقولون كنا متحيين في الله ، فتقول الملائكة ادخلوا الجنة فتم أجر العاملين » وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يأمر الله تعالى أن يحضر بين يديه رجلا من مؤمنان أحدهما عاص والآخر مطيع وقد ماتا على الإيمان ، فيأمر رضوان أن يذهب بالرجل الذي كان مطيعا إلى الجنة ويكرمه ، فيقول أنا كنت عنه راضيا ، ويأمر الزبانية أن يذهبوا بالذي كان عاصيا إلى النار ، ويعذبونه عذابا شديدا فيقول إنه كان شارب الخمر ، فيذهب المطيع ضاحكا مسرورا نحو الجنة ، فإذا قرب من الجنة يسمع نداء من وراءه يقول :

بالله يا صاحبي ويا حبيبي ارحمني واشفع في ، فاذا سمع الطبع ذلك النداء يقف في موضعه ولا يدخل الجنة . فيقول لأرضوان ادخل الجنة واشكر الله تعالى على ما نجوت من النار ، فيقول لا أدخل الجنة اذهب بي إلى النار ، فيقول أرضوان كيف أذهب بك إلى النار وقد أمرني الله أن أدخلك الجنة وأخدمك ؟ فيقول الرجل أنا لا أريد خدمتك ولا الجنة ، فينادى مناد يا أرضوان أنا أعلم بما في سر عبيد ولكن سله أنت تعلم ما في ضميره ، فيقول له أرضوان لم لا تدخل الجنة وترضى بالنار ؟ فيقول لأن العاصي الذي ذهب إلى النار كان يعرفني في الدنيا فنادى واعتذر إلى وطلب مني الشفاعة وأنا لا أقدر أن أخرجه من النار وأدخله الجنة ، فلم يبق لي إلا أن أذهب إلى النار فأكون معه في العذاب ، فينادى منادى من قبل الرحمن : يا عبيد أنت بضغفك لم ترض أن يذهب ذلك إلى النار لأنه رآك في الدنيا رؤية قليلة وكان يعرفك وصاحبك أياما قليلة ، فكيف أرضى أنا بدخول عبيد النار وقد كان يعرفني في جميع عمره واتخذني إلهاسبعين سنة ؟ فذهب إلى الجنة فقد عفوت عنه ووهبته لك » (موعظة) . وروى أن أخوين في الله التقيا ، فقال أحدهما للآخر من أين أقبلت ؟ قال : حججت بيت الله الحرام ووزرت قبر النبي عليه الصلاة والسلام فأنت من أين أقبلت ؟ قال من زيارة أخ أحبه في الله ، فقال فهل تهب لي فضل زيارتك حتى أهب لك فضل حجتي ؟ فأطرق الآخر رأسه مليا فاذا بهاتف يقول : زيارة أخ في الله أفضل عند الله من مائة حجة نافلة . (موعظة) وحكى عن بعض العلماء في قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) أى كذبا ومعهم ذنب أخذوه قهرا ، فقالوا لأبيهم هذا الذنب أكل ابنك يوسف ، فخلا يعقوب عليه السلام بالذنب فصلى ركعتين ثم قال : أيها الذنب أأكلت ولدي وقرّة عيني ؟ فأطلق الله تعالى الذنب ، فقال معاذ الله يابني الله فان لحوم الأنبياء لا تأكلها الأرض ولا النار ولا السباع ، ولكن أخذوني قهرا فبجاءوا بي إليك ، فقال له يعقوب عليه السلام : أيها الذنب كيف وقعت في أيديهم ؟ من أين أقبلت وأين قصدت ؟ قال أقبلت من أرض جرجان وقصدت كنعان لأزور أخا لي في الله ، فقال يعقوب عليه السلام : لم تزوره ؟ فقال الذنب : لأن أبي حدث عن جدّي وجدي عن جدك إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال : من زار أخا في الله كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة وأنجاه من عذاب يوم القيامة بزيارة أخيه ، وجمع بينه وبين أخيه في الجنة كالسبابة مع الوسطى ، وكنت أريد زيارة ذنب هو رضيعي فسمعت موته فعنني ذلك ، قال يعقوب عليه السلام : اكتبوا هذا الحديث عن هذا الذنب . يا إخواني إن الذنب يزور أخاء في الله لطلب الثواب من الله والنجاة من عذابه والجمع بينه وبين أخيه في الجنة ، فكيف لا تطالبون الثواب من الله بزيارة إخوانكم

والنجاه من عذابه والجمع بينكم وبين إخوانكم في الجنة ؟ انتهى (موعظة) وأما ثواب التزاورين في الله ، فروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من عبد يزور أخا له في الله إلا قال الله تعالى في ملكوت عرشه : عبدى زارنى وعلى قراه : أى ضيافته ، لا أرضى لعبدى قرى دون الجنة » رواه صاحب الفردوس بغير إسناد . وروى عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « خرج رجل يزور أخا له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكا ، قال أين تريد ؟ قال أريد فلانا ، قال ألق رابته ؟ قال لا ، قال ألنعمه له عندك تريد ؟ قال لا ، قال فقيم تزوره ؟ قال إني أحبه في الله ، قال إني رسول الله وإنه يحبك وإياه » رواه صاحب الفردوس . وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » هذا من حسان الصايغ رواه أبو هريرة ، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لابد أن يكون له أصدقاء يحبهم في الله تعالى ، ولا بد أن يكون له من يبغضه في الله عند كونه عاصيا لله تعالى ، لأن من يكون محبوبا لسبب فالضرورة يكون مبغوضا لضده ، وهو مطرد في الحب والبغض ، لكن كل واحد منهما دفين في القلب ، وإنما يترشح عند الغلبة ؛ إذ عند غلبة الحب يظهر أفعال المحبين من التقاربة والمواقفة ، وتسمى موالة ؛ وعند غلبة البغض يظهر أفعال المبغضين من الباعدة والمخالفة ، وتسمى معاداة . فان قيل بأي طريق يمكن إظهار البغض ؟ فالجواب أن إظهاره لا يخلو إما أن يكون في القول أو في الفعل . أما في القول فيكون تارة بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته وتارة بتغليظ القول عليه ، وأما في الفعل فيكون تارة بقطع السعى في إعائته وتارة بالسعى في إساءته وإفساد مآربه فيما يفسد عليه في طريق المعصية لا فيما لا يؤثر فيه ، وهذا إذا صدرت عنه المعصية على طريق القصد كبيرة كانت أو صغيرة . وأما ما جرى مجرى الهفوة التي يعلم بأنه نادم عليها غير مصر عليها فالأولى فيه الإغماض والستر لا سيما إذا كانت معصية بالجناية على حقه أو حق من يتعلق بك ، فالإعراض عنه حسن ، لأن العفو عن ظلمك وإساءة إليك من أخلاق الصديقين . وأما من ظلم غيرك وعصى الله تعالى فعدم الإعراض عنه إخوان إليه فلا يحسن الإحسان إليه ، لأن الإحسان إليه إساءة إلى المظلوم وللظلم أولى بالمراعاة ، وتقوية قلب للظلم بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله تعالى من تقوية قلب الظالم (هذا من مجالس الروى) .

ولقد أمددنا الكلام بعناية الملك القوى ، السميع الجهر والحنى ، له الحمد في الأولى والأخرى .

المجلس الثامن والخمسون : في بيان معاداة الشيطان

سورة النور — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) فإشاعة الفاحشة ، وقرأ نافع والبرزى

وأبو بكر وأبو عمرو وحمزة يسكونها (ومن يثب خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والنكر)
بيان لعلته النهى عن اتباعه . والفحشاء ما أفرط قبحه والنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل
الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة للآحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكى) ما طهر
من دنسها (منكم من أحد أبدا) إلى آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة
وقبولها (والله سميع) بمقالمهم (عليم) بأفعالهم وبنياتهم (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أكثرتم على صلاة أكثرتم أزواجى الجنة »
صدق من نطق . وعن ابن هشام أنه قال : بلغنا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « أكثروا
من الصلاة على فى الليلة الزهراء واليوم الأزهر فانهما يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجسام
الأنبياء ، وما من مسلم يصلى على إلا حملها ملك حتى يؤديها إلى ويسميه حتى إنه يقول : إن فلانا
يقول كذا وكذا » (شفاء شريف) والراد بخطوات الشيطان سيرة الشيطان وطريقته . والمعنى
لا تسلكوا مسالكه ولا تتبعوا آثاره ووسواسه بإشاعة الفاحشة والإصغاء إلى الإفك والقول به
(شيخ زاده) قوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بالتوبة لما طهر منكم أحد إلى آخر الدهر من
دنس الإثم ، ولكن الله تعالى يطهر التوابين بقبول توبتهم بلطفه وكرمه (كشف) . عن شقيق
البلخى أنه قال : كان إبراهيم بن أدهم يمشى فى أسواق البصرة ، فاجتمع الناس إليه فقالوا : يا أبا
إسحق إن الله تعالى قال فى كتابه (ادعوني أستجب لكم) ونحن منذ دهر ندعو فلا يستجيب لنا ؟
قال يا أهل البصرة ماتت قلوبكم فى عشرة أشياء ، فكيف يستجاب دعاؤكم ؟ : الأول عرقم الله
تعالى ولم تؤدوا حقه . والثانى قرأتم القرآن ولم تعملوا به . والثالث ادعيتم حيدر رسول الله وتركتم
سنته . والرابع ادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه وواقتموه . والخامس ادعيتم دخول الجنة
ولم تعملوا لها . والسادس ادعيتم النجاة من النار ورميت فيها أنفسكم . والسابع قلم إن للوت
حق ولم تستعدوا له . والثامن اشتغلت بعبوب إخوانكم فلا ترون عبوب أنفسكم . والتاسع
أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروا له . والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم (حياة القلوب) .
وفى الخبر « إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس عليه اللعنة جنوده بأن يتفرقوا ويأثوا الناس
ويشغلهم عن الصلاة ، فيجىء الشيطان إلى من أراد الصلاة ، فيشغله حتى يؤخرها عن
وقتها ، فان لم يقدر على ذلك يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسييحها ، فان لم
يقدر على ذلك يشغل قلبه بأشغال الدنيا ، فان لم يقدر على شيء من ذلك ذهب خاسرا
ذليلا ، فيأمر إبليس عليه اللعنة بأن يوثق ذلك الشيطان ويرمى فى البحر ، وإن كان يقدر
على شيء من ذلك يكرمه ويعظمه » (تنبيه الغافلين) عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه قال « إن للشيطان لمة بابن آدم ولللك لمة ، فأما لمة الشيطان فيإبعاد الشر وتكذيب
(١٥ — درة الناهجين)

الحق ، وأما لئلا تترك فليعاذ الخير وتصديق الحق ، فمن وجد هذا فليعلم أنه من الله فليحمد الله تعالى ، ومن وجد الآخر فليتعوذ من الشيطان الرجيم » (مصابيح) فالله من الإلهم وهو القرب ، فان كل واحد من الملك والشيطان يقرب من الإنسان لهذين الأمرين ، وهما الإيعاذ بالخير والشر ، والراد بهما الإلهامان اللذان يقعان في القلب ، أحدهما بواسطة الملك والآخر بواسطة الشيطان ، وما وقع بواسطة الملك يسمى إلهاما وما وقع بواسطة الشيطان يسمى وسوسة ، والقلب متجاذب بينهما ، لأنه بأصل فطرته يصلح لقبول آثار الملك وآثار الشيطان صلاحا متساويا لا يترجح أحدهما على الآخر إلا بتأثير الهوى والإكباب على الشهوات أو بمخالفة الهوى والإعراض عن الشهوات (سنانية) وقال أبو الليث : اعلم أن لك أربعة من الأعداء تحتاج إلى أن تجاهد كل واحد منهم : الأول الدنيا قال الله تعالى (فلا تفرنكم الحياة الدنيا) والثاني نفسك وهي شر الأعداء ، لما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : قال صلى الله تعالى عليه وسلم « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » قال الله تعالى (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) والثالث شيطان الجن فاستعذ بالله تعالى منه كما قال الله تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) والرابع شيطان الانس فأحذر منه ، فإنه أشد عليك من شيطان الجن ، لأن شيطان الجن يكون إغواؤه بالوسوسة فقط ، وأما شيطان الانس فبالمعاناة والمواجهة والاعانة (تنبيه الغافلين) .

وذكر عن وهب بن منبه أنه قال : أمر الله تعالى إبليس أن يأتي محمدا عليه الصلاة والسلام ويحييه عن كل ما يسأله ، فجاءه على صورة شيخ صبيح ويده عكازة ، فقال عليه الصلاة والسلام من أنت ؟ قال أنا إبليس ، قال لماذا جئت ؟ قال إن الله أمرني أن آتيك وأجيبك عن كل ما سألتني ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا إبليس كم أعداؤك من أمي ؟ قال خمسة عشر : الأول أنت يا محمد . والثاني إمام عادل . والثالث غنى متواضع . والرابع تاجر صادق . والخامس عالم مصل يتخشع . والسادس مؤمن ناصح . والسابع مؤمن رحيم . والثامن نائب ثابت على توبته . والتاسع متورع عن الحرام . والعاشر مؤمن يداوم على الطهارة . والحادي عشر مؤمن كثير الصدقة . والثاني عشر مؤمن حسن الخلق . والثالث عشر مؤمن ينفع الناس . والرابع عشر حامل القرآن يديم قراءته . والخامس عشر قائم بالليل والناس نيام ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لإبليس كم رقاؤك من أمي ؟ قال عشرة : الأول حاكم جائر . والثاني غنى متكبر . والثالث تاجر خائن . والرابع شارب الخمر . والخامس القتات . والسادس صاحب الرياء . والسابع آكل مال اليتيم . والثامن المتهاون بالصلاة . والتاسع مانع الزكاة . والعاشر من يطيل الأمل ، فهؤلاء إخواني وأصحابي (نقل من تنبيه الغافلين) وذكر في الخبر « أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبد في صومعته

يقال له برصيصا العابد وكان مستجاب الدعوات ، وكان الناس يأتونه بمرضاهم ويبرئون الرقيض بدعائه ،
فدعا إبليس عليه اللعنة الشياطين فقال : من يقن هذا ويضله ؟ فقال عفريت من الشياطين أنا أقننه ،
فإن لم أقننه فليست منكم ، فقال إبليس أنت له ، فانطلق حتى أتى ملكا من ملوك بني إسرائيل وله
بنت من أحسن الناس وهي جالسة مع أبيها وأمهاتها فصرعها ، ففزعوا لذلك فزعا شديدا ،
فصار بنت مجنونة وكانت على ذلك أياما ، ثم أتاهم على صورة إنسان ، فقال لهم إن أردتم أن
تبرأ فاذهبوا بها إلى فلان الراهب وهو يرثها ويدعوها ، فذهبوا بها إليه فبرئت من علها ، فلما
رجعوا بها عاد ذلك ، فقال لهم الشيطان : إن أردتم أن تبرأ بالكلية فاجعلوها عنده أياما ، فانطلقوا
بها إليه وتركوها عنده ، فأبى الراهب فألحوا عليه وتركوها عنده ، فكان الراهب مقبلا للصلاة
مديما للصيام ، فأجلسها الراهب عنده فأطعمها حتى طال عليها الوقت ، فنظر إليها يوما
فرأى وجهها وجسدها لم ير مثلها في الحسن ، قال قلبه إليها بوسوسة الشيطان ولم يصبر ،
ثم قربها فحملت منه ، ثم أتاه الشيطان فقال له : إنك أجبتها وليس لك نجاة من الملك
فما صنعت بها إلا أن تقتلها وتدفعها عند صومعتك ، فإذا سألك عنها قتل إنها ماتت فأنهم
يسدقونك ، فدفعها ودفعها ، فجاءوا وسألوا عنها فقال ماتت بأمر الله تعالى فصدقوه ورجعوا
فانطلق الشيطان فقال لهم : إن الراهب قد وقع عليها ، فلما خشي أن يطلع عليها أحد
ذبحها ودفعها ، فركب الملك مع الناس مقبلا إلى نحو الراهب وجفروا قبرها فوجدوها
مذبوحة ، فأخذوا الراهب وصلبوه ، وجاء الشيطان وهو على مصليه فقال له أنا أنجيتك منها
إن سجدت لي سجدة من دون الله تعالى ، فقال كيف أسجد لك وأنا في هذه الحالة ،
فقال أَرْضِي مِنْكَ أَنْ تَوْحَى بِرَأْسِكَ ، فسجد له إيماء برأسه ، فقال الشيطان أنا برئ منك
إني أخاف الله رب العالمين ، وهو قوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما
كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين . فكانت عاقبتهم أنهما في النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين) هكذا روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما . فإذا علمت
حال برصيصا الذي صار في النار مخلدا ، فاعلم أن الإنسان إذا اتبع مقتضى الشهوات
والغضب يظهر تسلط الشيطان على قلبه بواسطة الهوى ، ويصير قلبه عيش الشيطان ومقره
لكون الهوى مزعى الشيطان ومرته ، وإذا جاهد نفسه ولم يتبع مقتضى الشهوات والغضب
يكون قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ، لكن لما لم يكن قلب من الملوك خاليا عن الشهوات
والغضب والحرص والطمع وغير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لم يتصور
أن يوجد قلب خال من أن يكون فيه للشيطان جولان بالوسوسة ، ولا نزول وسوسته إلا
بذكر شيء سوى ما يوسوس فيه إذ عند حصول ذكر شيء فيه ينعدم ما كان فيه من قبل

إلا أن كل شيء سوى ذكر الله تعالى وما يتعلق به يجوز أن يكون محالاً للشيطان ؛ فأما ذكر الله تعالى فهو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس محالاً للشيطان ، فخذ ما هدتك واعمل بالأمان سهل عليك الله الملك للستعان ؛ فقل القلب كمثل حصن له أبواب كثيرة والشيطان يريد أن يدخل فيه من كل باب وعلمك ويستولى عليه ، فلا بد للعبد من حفظه ، ولا يقدر على حفظه إلا بحراسة أبوابه وسد مداخله وأبوابه ، ومداخله الصفات الذميمة ، فليس للأدنى صفة من الصفات الذميمة إلا وهي قوة من قوى الشيطان وسلاح من أسلحته وباب من أبوابه ومدخل من مداخله (من مجالس الروى) وشروط التوبة ثلاثة : الأول الرجوع عن المعاصى ، والثانى التمسك عليها ، والثالث العزم على أن لا يعود إليها أبداً . وروى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر ، فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله تعالى عنه : يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة ، فقال يا أمير المؤمنين : وما توبة الصادقين ؟ قال هي اسم يقع على ستة معان : الندامة على الماضى من الذنوب ، والإعادة لما ضيع من القرائض ، ورد المظالم ، وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعية ، وإذاتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة للمعية ، والبكاء بدل ضحك ضحكته . كذا ذكره أبو السعود . قال نجم الدين قدس الله سره : إذا أراد الله أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى عليين القرب بخلصه من عبودية ماسواه . بتصرف جذبات العناية ، ثم يوقفه للرجوع إلى الحضرة ويقبل منه الرجوع بالتقرب إليه كما قال تعالى « من تقرب منى شبراً تقرب منه ذراعاً ، ومن تقرب منى ذراعاً تقرب منه باعاً » الحديث انتهى . معناه من تقرب إلى بالتوبة والطاعة تقرب إليه بالرحمة والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدت .

المجلس التاسع والخمسون : فى بيان الهجرة لطاعة الله

سورة النكبات — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) أى إذا لم تسهل لكم العبادة فى بلدة ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يمشى لكم ذلك . وعنه عليه الصلاة والسلام « من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام » والقاء جواب شرط محذوف ؛ إذ المعنى إن أرضى واسعة ، إن لم تخلصوا العبادة لى فى أرض فأخلصوها فى غيرها (كل نفس ذائقة الموت) تناله لا محالة (ثم إنا ترجعون) للجزاء ، ومن هذا عاقبته ينبغى أن يجتهد فى الاستعداد له (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لبوئهم) لنزلهم (من الجنة غرفاً)

عللى . وقرا حمزة والكسائي لشويهم : أى لتعيمهم من التواء فيكون انتصاب غرظ
لاجرائه مجرى لتزلهم أو بنزع الخافض أو تشبيه الطرف للوقت بالمهم (مجرى من تحتها الأنهار
خالد بن فيها نعم أجر العاملين) وقرئ فنعم ، والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه
ما قبله (قاضى يضاهى) .

روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال
« للصلى على نور على الصراط ، ومن كان على الصراط من أهل النور لم يكن من أهل النار »
صدق رسول الله . قال مقاتل والكلبي : نزلت هذه الآية في ضعف مسلمي مكة يقول : إن
كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة ، إن أرضي : يعنى للمدينة
واسعة أمينة . قال مجاهد هو أن أرضي واسعة فهاجروا فيها . وقال سعيد بن جبير : إذا عمل
في أرض بالمعاصي فاخرجوا فإن أرضي واسعة . وقال عطاء : إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا فإن
أرضي واسعة ، ولذلك يجب على كل من كان في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك
أن يهاجر إلى حيث تها إلى العبادة ، وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة ، وقالوا نخشى
إن هاجرنا نموت من الجوع وضيق المعيشة فأنزل الله تعالى هذه الآية ولم يحذرهم بترك الخروج .
وقال مطرف بن عبد الله إن أرضي واسعة أى رزقى بكم واسع فاخرجوا (معالم التنزيل)
روى عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا مات
للمؤمن حام روحه . حول داره شهرا ، فينظر إلى من خلف من عياله كيف يقسم ماله وكيف
يؤدى ديونه ، فإذا أتم شهرا رد إلى حفرته ، فيحوم حول قبره سنة وينظر من يأتيه ويدعو
له ومن يحزن عليه ، فإذا أتم سنة رفع روحه إلى حيث يجتمع فيه الأرواح إلى يوم ينفخ
في الصور » (بهجة الأنوار) . سئل أبو حنيفة رحمة الله تعالى عليه : أى ذنب أخوف
يلبس الإيمان ؟ قال ترك الشكر لله على الإيمان ، وترك خوف سوء الخاتمة وظلم العباد
(كنز الأخبار) ويرسل الله تعالى إليه بعد موته عند حمل الجنازة أربعة ملائكة ، فإذا أتوا
على رأس قبره نادى أحدهم انقضت الآجال وانقطعت الآمال ، ونادى الثانى ذهبت الأموال
وبقيت الأعمال ، ونادى الثالث زالت الأشغال وبقي الويال ، ونادى الرابع طوبى لك إن
كان مطعمك من الحلال وكنت مشغولا بخدمة ذى الجلال (بهجة الأنوار) . وحكى أن
سليمان عليه الصلاة والسلام لما وسع عليه في دنياه وحكم الانس والجن والوحوش والطيور
وحكم الرياح عزت نفسه فاستأذن ربه فقال : يارب ائذن لى حتى أعطى رزق كل مرزوق
سنة كاملة ، فأوحى الله تعالى إليه إنك لا تستطيع ، فقال إلهى ائذن لى يوما ، فأذن له
الله يوما ، فأمر سليمان عليه الصلاة والسلام الانس والجن أن يأتوا بجميع من فى الأرض ،

وأمر أن يطبخ ما يطبخ وأن يحضر ما يحضر ، فطبخ وحضر أربعين يوما ، ثم أمر الصبا أن
لاهب على الماء كولات حتى لا تفسد الطعام ، وأمر أن يصف الطعام في صحراء واسعة ، فكان طول
السماط مسيرة شهر وقس عليه عرضه ، ثم أوحى الله تعالى إلى سليمان عليه الصلاة والسلام : بمن
تبتدى من المخلوقات ؟ قال بسكان البر والبحر ، فأمر الله تعالى من سكان البحر المحيط خوفا
بأن يأتي دعوة سليمان ، فرفع الحوت رأسه وتقدم نحو السباط وقال : يا سليمان قد جعل الله وزقي
في هذا اليوم عليك ، فقال سليمان عليه الصلاة والسلام : دونك الطعام ، فابتدأ لما تم لحظة حتى
ابتلع ذلك الزاد كله ، ثم نادى يا سليمان أشبعني فاني جائع ، فقال أما شبعت ؟ قال إلى الآن ما شبع ،
فعند ذلك بخر ساجدا وقال : سبحان من تكفل برزق كل مبرزوق من حيث لا يشعر (بدع
الأمير) وروى أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل نملة فقال : كم رزقك في السنة ؟ فقالت
حبة من حنطة ، فجعل سليمان عليه الصلاة والسلام النملة في قارورة ووضع معها حبة من حنطة
ومعد رأسها ، فلما تمت السنة فتح قم القارورة فإذا النملة أكلت نصف الحبة ، فقال سليمان عليه
الصلاة والسلام : لماذا لم تأكلى نصفها الآخر ؟ قالت لأن توكلى كان على الله ، فأكل الحبة
لأنه لا ينسأني ، فلما صار توكلى عليك في القارورة تركت نصفها وقلت إن نسيني في هذه السنة
أكلت النصف الآخر في السنة الآتية (رجية) وفي الخبر : إذا أخذ العبد في التزغ ينادى ملك
الموت دعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الروح الصمد قال دعه حتى يستريح ، وإذا بلغ الخلق قوم جاءه
نداء دعه حتى يودع الأعضاء بعضها بعضا ، فتودع العين العين فتقول السلام عليكم إلى يوم القيامة ،
وكذلك الأذن واليدان والرجلان ، ويودع الروح النفس ، فتعوذ بالله تعالى من وداع الإيمان
اللسان العرق والجنان ؛ فبقى البدان بلا حركة والرجلان لا حركة لهما والعينان لا نظر لهما
والأذان لا سمع لهما والبدن لا روح له ولو بقي القلب بلا معرفة فكيف حال العبد في اللحد ،
لا يرى أحدا ولا أبيا ولا أما ولا أولادا ولا أصحابا ولا فراشا ولا إخوانا ولا حجابا ، فلو لم يربا
كراما فقد خسر خسرانا عظيما (زهرة الرياض) وفي الخبر أيضا « إن ملك الموت إذا أراد قبض
الروح يقول العبد لا أعطيك ما لم تؤمر به ، فيقول ملك الموت أمرني ربي بذلك ، ويطلب الروح
منه العلامة والبرهان ، فتقول الروح : إن ربي خلقني وأدخلني في جسدي ولم تكن عند ذلك
معي ، فالآن تريد أن تأخذني فيرجع ملك الموت إلى الله تعالى ويقول : إن عبدك فلانا يقول
كذا وكذا ويطلب البرهان ، فيقول الله تعالى صدق روح عبدي ، يا ملك الموت اذهب إلى
الجنة فقد تفاحة عليها علامتي وأرها روحه ، فيذهب ملك الموت ويأخذها وعليها مكتوب :
بسم الله الرحمن الرحيم فيريه إياها ، فإذا رآها روح العبد يخرج مع النشاط (زهرة الرياض)

روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « لا يخرج روح المؤمن حتى يرى مكانه في الجنة ، فلا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده عند ذلك من عشق ذلك المكان ، ولا يخرج روح المنافق حتى يرى مكانه في النار ، فلا ينظر إلى أولاده ولا أبويه من قزع ذلك المكان ؛ قيل يا رسول الله كيف يرى المؤمن مكانه في الجنة والمنافق مكانه في النار؟ قال إن الله تعالى خلق جبرائيل عليه الصلاة والسلام في أحسن صورة وله مائة ألف وأربعة وعشرون ألف جناح وبين تلك الأجنحة جناحان أخضران مثل جناح الطاوس إذا نشر جناحا من تلك الأجنحة بملأ ما بين السماء والأرض وطي جناحه الأيمن مكتوب صورة الجنة وما فيها من الحور والقصور والدرجات والخدام ، وعلى جناحه الأيسر مكتوب صورة النار وما فيها من الحيات والعقارب والدركات والزبانية ، وإذا جاء أجل واحد يدخل فوج من الملائكة في عروقه فيعصرون روحه من قدميه إلى ركبتيه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثاني فيعصرون روحه من ركبتيه إلى بطنه ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الثالث ، فيعصرون روحه من بطنه إلى صدره ، ويخرج ذلك الفوج ويدخل الفوج الرابع ، فيعصرون روحه من صدره إلى الحلقوم ، وعند ذلك يكون وقت التزع ، فإذا كان مؤمنا ينشر جبرائيل عليه الصلاة والسلام جناحه الأيمن فيرى مكانه في الجنة فيعشقه ، ولا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من عشق ذلك المكان فينصب بصره إليه ، وإن كان منافقا ينشر جناحه الأيسر فيرى مكانه في النار ، ولا ينظر إلى أبويه ولا إلى أولاده من قزع ذلك المكان فينصب بصره إليه ، فطوبى لمن كان قبره روضة من رياض الجنان وويل لمن كان قبره حفرة من حفر النيران » (زهرة الرياض في ذكر نداء الروح بعد الخروج من البدن) وفي الخبر « أنه إذا لارق الروح البدن نودى من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أقتلت الدنيا أم الدنيا قتلتك ؟ وإذا وضع على القفص نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم أين بدنك القوى ما أضعفك وأين لسانك القصيح ما أسكتك وأين أذنك السامعة ما أصمك ، وأين أجاؤك الخلف ما أوحشك ؟ وإذا وضع في الكفن نودى من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم طوبى لك إن محبك رضوان الله والويل لك إن محبك سخط الله ، يا ابن آدم طوبى لك إن كان مأواك الجنان والويل لك إن كان مأواك النيران ، يا ابن آدم تذهب إلى سفر بعيد بغير زاد وتخرج من منزلك فلا ترجع إليه أبداً لآباده ، وتصير إلى بيت الأهوال وإذا حمل على الجنازة نودى من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم طوبى لك إن كان عملك خيراً ، وطوبى لك إن كنت تائباً ، وطوبى لك إن كنت مطيعاً لله ؛ وإذا وضع للصلاة نودى من السماء بثلاث صيحات : يا ابن آدم كل عمل عملته تراه الساعة ، فإن كان عملك خيراً تراه خيراً ، وإن كان عملك شراً تراه شراً ؛ وإذا

وضعت الجنازة على شفير القبر نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم ما تزودت من العمران لهذا الخراب ! وما حملت من الفنى لهذا الفقر وما حملت من النور لهذه الظلمة ؟ وإذا وضع في اللحد نودى بثلاث صيحات : يا ابن آدم كنت على ظهري ضاحكا فصرت في بطنى باكيا ، وكنت على ظهري فرحا فصرت في بطنى حزينا ، وكنت على ظهري ناطقا فصرت في بطنى ساكتا ؛ وإذا أدبر الناس عنه يقول الله تعالى : يا عبدى بقيت فريدا وحيدا وتركوك في ظلمة القبر وقد عصيتنى لأجلهم وأنا أرحمك اليوم رحمة يتعجب منها الناس وأنا أناشفك عليك من الوالدة بولدها « كذا في دقائق الأخبار . عليك بمضمونه بعون الملك الغفار تكن في دار السلام رفيق الأبرار (كل نفس ذائقة الموت) أى واجدة مرارة الموت ، ومتجرعة غصص المفارقة كما يحمد الدائق ذوق الذوق ، وهذا مبنى على أن البوق يصلح للقليل والكثير كما ذهب إليه الراغب . وقال بعضهم : أصل الذوق بالهم فيما يقل تناوله ، فالمنى إذن أن النفوس تهلك بملابسة جزء من الموت . واعلم أن للانسان روحا وجسدا وبخارا لطيفا بينهما هو الروح الحيوانى ، فما دام هذا البخار باقيا على الوجه الذى يصلح أن يكون علاقة بينهما فالحياة قائمة ، وعند انطفائه وخروجه عن الصلاحية تزول الحياة ويفارق الروح البدن ، مفارقة اضطرارية وهو الموت الصورى ، ولا يعرف كيفية ظهور الروح في البدن ومفارقته له وقت الموت إلا أهل الانسلاخ التام (ثم إلينا) أى إلى حكمتنا وجزائنا (ترجعون) من الرجوع وهو الرد : أى تردون ؛ فمن كانت هذه عاقبته يتبغى أن يجتهد في التزود والاستعداد لها ويرى مهاجرة الوطن سهلة واحتمال الغربة هينا ، هذا إذا كان الوطن دار الشرك وكذا إذا كان أرض المعاصى والبدع وهو لا يقدر على تغييرها والنح منها فيهاجر إلى أرض للطيعين من أرض الله الواسعة (من روح البيان) .

المجلس الستون : فى بيان فضيلة ليلة البراءة

سورة الدخان — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) أى القرآن ، والواو للعطف إن كان حم مقسما به وإلا فللقسم والجواب قوله (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) فى ليلة القدر أو البراءة ابتدى فيها إزاله أو أنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، ثم أنزل على الرسول نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وبركتها لذلك فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية ، أولا فيها من نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأفضية (إنا كنا منذرين) استئناف يبين المقضى للأنزال وكذلك قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو التلبسة بالحكمة يبتدى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها (قاضى يضاوى) .

قال النبي عليه الصلاة والسلام « من نسي الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » ، وإتما أراد

بالنسيان التارك ، وإذا كان التارك يخطئ طريق الجنة كان الصلى عليه سالكا إلى الجنة الحديث .
 وقال قتادة إن حم اسم من أسماء القرآن ، ويقال اسم من أسماء الله تعالى ، ويقال قسم أقسم الله تعالى به ، ويقال معناه قضى ما هو كائن إلى يوم القيامة ، ويقال الحاء ، مفتاح كل اسم أوله حاء كالحكيم والحليم ، والهم مافى أوله ميم من الأسماء كالميتين والملك والهميم . وفي تفسير أبي الليث (حم) يا محمد بحق الحى القيوم (والكتاب البين) بحق القرآن الفارق بين الحق والباطل انتهى (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) أى فى ليلة القدر أو البراءة . قال صاحب الكشاف (فى ليلة مباركة) ليلة القدر . وقيل ليلة النصف من شعبان (إنا كنا منذرين) مع ما بعده تفسير لجواب القسم : أى أنزلنا إنذارنا وعذيرنا للكافرين من العذاب والعقاب (فيها يفرق) أى فى ليلة القدر أو البراءة يفصل ويكتب (كل أمر حكيم) أى محكوم بوقوعه من خبر وشر وورق وأجل وكل ما هو كائن من هذه الليلة إلى الليلة الأخرى من السنة القابلة (شيخ زاده) قوله : إن كان حم مقما به فيكون حم مجرور المحل بإضمار حرف القسم ولا يجوز أن يكون منصوبا بحذف الجار وإيصال الفعل إليه لأنهم قالوا فى الفرق بين حذف الجار وإضماره إن الضمر لا يكون مذكورا لفظا ، ولكن يكون أثره باقيا فى الكلام والمحذوف هو التروك أصلا لابقاء له لا بحسب لفظه ولا بحسب أثره ، وههنا أثر الجار قائم فى حم بشهادة العطف عليه وهو الكتاب (شيخ زاده) قوله : وإلا فالقسم أى وإن لم يكن حم مقما بها سواء جعلت تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوع المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف (شيخ زاده) وإنما سميت براءة لأن الله تعالى يعطى فى هذه الليلة للأعداء والأشقياء براءة من الجنة كما قال الله تعالى (براءة من الله ورسوله) ويعطى للأصفياء والأتقياء براءة من النار ، وفيها يرفع عمل الأرض من السنة إلى السنة ، وفيها تفرق الأرزاق كما قال الله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وعن على كرم الله وجهه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا كان ليلة النصف من شعبان يقوموا ليها وصوموا نهارها فإن الله تعالى ينزل فى تلك الساعة إلى سماء الدنيا عند غروب الشمس فيقول : هل من سائل فأعطيه سؤله وهل من مستغفر فأعقر له وهل من مستزق فأرزقه ؟ حتى يطلع القجر » (مجالس رومى) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب والإخلاص خمس مرات أنزل الله تعالى عليه خمسمائة ألف ملك مع كل ملك دقتر من نور يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام « والذى بعثنى بالحق نبيا من صلى على فى هذه الليلة يعطى من ثواب النبيين والرسلين والملائكة والناس أجمعين » (مشكاة الأنوار) روى عن أبي نصر بن سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لما كانت الليلة الثالثة عشرة من

فصيان أتاني جبرائيل ، فقال يا محمد قم فقد جاء وقت التهجد لتسأل برادك في أمتك ، ففعل عليه الصلاة والسلام ، فأثاه عند انفجار الصبح فقال : يا محمد إن الله تعالى قد وهب لك ثلث أمتك ، فبكى عليه الصلاة والسلام ، وقال يا جبرائيل أخبرني عن الثلثين الباقيين ، فقال لا أدري ، فأثاه الليلة الثانية وقال : يا محمد قم تهجد ففعل عليه الصلاة والسلام ، فأثاه عند الفجر وقال : يا محمد قد وهب الله لك ثلثي أمتك ؛ فبكى النبي عليه الصلاة والسلام وقال يا جبرائيل أخبرني عن الثلث الباقي ، فقال لا أدري ، ثم أثاه ليلة البراءة فقال : يا محمد البشارة لك ، فإن الله تعالى قد وهب لك جميع أمتك بمن لا يشرك بالله شيئا ، ثم قال جبرائيل عليه السلام : يا محمد ارفع رأسك إلى السماء فانظر ماذا ترى ، فنظر النبي عليه الصلاة والسلام فإذا أبواب السموات مفتوحة والملائكة من سماء الدنيا إلى العرش في السجود يستغفرون لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعلى كل باب سماء ملك ، فعلى باب الأولي ملك ينادى طوبى لمن يركع في هذه الليلة ، وعلى باب الثانية ملك ينادى طوبى لمن يسجد في هذه الليلة ، وعلى باب الثالثة ملك ينادى طوبى للذاكرين في هذه الليلة ، وعلى الرابعة ملك ينادى طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة ، وعلى باب الخامسة ملك ينادى طوبى لمن بكى من خشية الله تعالى في هذه الليلة ، وعلى باب السادسة ملك ينادى طوبى لمن عمل خيرا في هذه الليلة ، وعلى باب السابعة ملك ينادى طوبى لمن قرأ القرآن في هذه الليلة ، ثم ينادى ذلك الملك ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ وهل من داع فيستجاب له دعاؤه ؟ وهل من تائب فيتاب عليه ؟ وهل من مستغفر فيغفر له ؟ « وقال النبي عليه الصلاة والسلام » أبواب الرحمة مفتوحة على أمتي من أول الليل إلى طلوع الفجر ، فإن الله تعالى يعتق من النار في هذه الليلة أكثر من عدد شعر غنم لقينة بنى كلب « (زبدة الواعظين) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت « كنت نائمة مع النبي عليه الصلاة والسلام فانتبهت فما وجدت النبي عليه الصلاة والسلام ، وصرت متحيرة فظننت أنه رجع إلى بعض نسائه في نوبتي ، فطلبته في بيوتهن فلم أجده ، ثم جئت منزل فاطمة رضي الله عنها فقرعت الباب ، فنودي من على الباب ؟ فقلت أنا عائشة جئت هنا في هذا الوقت لطلب النبي عليه الصلاة والسلام ، فخرج علي والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين ، فقلت أين نطلب النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قالوا : نطلبه في الساجد فطلبناه فما وجدناه ، فقال علي : ما ذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلا إلى بقيع الغرقد ، فجئنا إلى المأتم فإذا نور يسطع في القبرة ، فقال علي رضي الله تعالى عنه : ما ذاك إلا نور النبي عليه الصلاة والسلام ، فجئنا فرأيناه ساجدا وهو يبكي ولا يشعر به أحد قط ويتضرع ويقول في سجوده : إن تعذبهم فاتهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ، فلما رأته فاطمة وقفت على رأسه ورفعت وجهه من الأرض فقالت

يا أبى ماذا أصابك أعدو تحضر أم وحى نزل ؟ قال : يا فاطمة ما حضر العدو وما نزل الوحي ولكن هذه الليلة ليلة البراءة أطلب من الله تعالى ، وقال يا عائشة : لو قامت القيامة فأنا أكون ساجدا وأطلب من ربي وأشفع ، ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : إن أردتم رضاى فاسجدوا وأعينوني بالدعاء والتضرع وقال يا طى : اسجد أنت واطلب الرجال ويا فاطمة ويا عائشة اسجدا أتما واطلبا الصبيان والنساء ، فسجدوا وبكوا إلى انفجار الصبح . يا أهل المجلس أتم أولى بالتضرع لأن ذنوبكم أكثر فانهم سيكون لأجلكم فأولى أن تبكوا على أنفسكم (روضة العلماء) . هذا دعاء البراءة : اللهم إن كنت كتبت اسمى شقيا فى ديوان الأشقياء فاعه وآكبتنى فى ديوان السعداء ، وإن كنت كتبت اسمى سعيدا فى ديوان السعداء فأثبتته فانك قلت فى كتابك الكريم (يحو الله ما يشاء وثبت وعنده أم الكتاب) (كذا فى على القارى عليه رحمة البارئ) وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا فيغفر لأكثر من عدد شعرت غم لقبيلة بنى كلب » وإنما خصها لأنها أكثر تقرا وغنا من سائر القبائل . والمعنى أنه تعالى يحول فى تلك الليلة صفة الجلال للقضية لقهر العدو والانتقام من العصاة إلى صفة الجمال للقضية للرحمة والمغفرة ، وإنما حمل لفظ الحديث على هذا المعنى ، لأن النزول والصعود والحركة والسكون لما كانت من صفات الأجسام المتحركة ، وقد ثبت بالأدلة العقلية والنقلية أن الله تعالى منزّه عن الجسم والتحيز امتنع النزول والصعود من موضع أعلى إلى ما هو أخفض منه ، فيكون المعنى على ما ذكره أهل الحق هو نزول رحمته تعالى على عباده وإجابة دعوتهم وقبول توبتهم (شرح) وعن عبد الله بن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « خمسة أوقات لا يرد فيها الدعاء : ليلة الجمعة وليلة العشر من المحرم ليلة النصف من شعبان وليلتنا العيدين » (زبدة الواعظين) ، حكى أن عيسى عليه السلام كان شامحا فنظر إلى جبل عال قصده ، فإذا هو بصخرة فى ذروة الجبل أشد ثياضا من اللبن فطاف حولها وتعجب من حسنها ؛ فأوحى الله إليه : يا عيسى أحب أن أرين لك أعجب من هذا ؟ قال عيسى عليه السلام نعم ، فارتفعت الصخرة فإذا هو بشيخ فيها عليه مدرعة من الشعر وبين يديه عكازة ويده غيب وهو قائم يصلى ، فتعجب عيسى عليه السلام ، فقال يا شيخ ما هذا الذى أرى ؟ قال : رزقى فى كل يوم ، فقال له منذ كم سنة تعبد فى هذه الصخرة ؟ فقال منذ أربعائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : يا إلهى أخلقت خلقا أفضل من هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه : لو أن رجلا من أمة محمد أدرك شهر شعبان فصلى ليلة النصف صلاة البراءة لمضى أفضل عندى من عبادة عبدي هذا أربعائة سنة ، فقال عيسى عليه السلام : ليتنى كنت من أمة محمد (زهرة الرياض) ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي

عليه الصلاة والسلام أنه قال « أتاني جبرائيل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال : يا محمد هذه الليلة تفتح فيها أبواب السماء وأبواب الرحمة قم فصل وارفع رأسك وبديك إلى السماء ، قلت يا جبرائيل ماهذه الليلة ؟ فقال هذه ليلة يفتح فيها ثلثمائة باب من الرحمة والغفرة فيغفر الله تعالى لجميع من لا يشرك به إلا من كان ساحرا أو كاهنا أو مشاهنا أو مدمن خمر أو مصرا على الزنا أو على الربا أو عاقا لوالديه أو نماما أو قاطع رحم ، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا أو يتركوا ، فخرج النبي عليه الصلاة والسلام فصلى وبكى في سجوده وهو يقول أعوذ بك من عقابك وسخطك ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى » (زبدة المجالس) . وقيل فضل الله الشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض ، لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى احترامها وتنشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها ، ويرغب الخلق في فضائلها . وأما تضاعف الحسنات في بعضها ، فمن الواهب الدنية والاختصاصات الربانية (ذلك فضلى الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) قال القاشاني في شرح التائية : كما أن شرف الأزمنة وفضلها بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته ، فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والمقاصد الباعثة ، وشرف النية في العمل أن يؤدي للمحسوب ويكون خالصا لوجهه غير مشوب بغيره آخر . قال عمر بن الفارض قدس سره :

وعندى عيدى كل يوم أرى به جمال عيها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر إن دنت كما كل أيام القفا يوم جمعة
(من روح البیان)

المجلس الحادى والستون : فى بيان يوم القيامة وحسابها

سورة الجاثية — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(وترى كل أمة جاثية) مجتمعة من الجنوة وهى الجماعة أو باركة مستوفزة على الركب وقرى جاذية : أى جالسة على أطراف الأصابع لاستيفازهم (كل أمة تدعى إلى كتابها) صحيفة أعمالها ، وقرأ يعقوب كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) محمول على القول (هذا كتابنا) أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه ، لأنه أمر الكتبة أن يكتبوا فيها أعمالهم (ينطق عليكم بالحق) يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ولا نقصان (إنا كنا نستنسخ) نستكتب لللائكة (ما كنتم تعملون) أعمالكم (قاضى يضاوى) .

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول « إن الله تعالى وعدنى إذا امت أن يسمعى صلاة من صلى على وأنا فى المدينة

وأمر في مشارق الأرض ومغاربها ، وقال : يا أبا أمانة إن الله تعالى يجعل الدنيا كلها في قبري ،
 وجميع ما خلق الله أسمعه وأنظر إليه ، فكل من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا . ومن
 صلى على عشرا صلى الله عليه مائة » (قوله جائية) أى مجتمعة أو بركة مستوفزة على الركب ،
 يقال استوفز في قعدة إذا قعد قعودا متصاعير مطمئن (شيخ زاده) وقيل الجثو جلوس على
 الركب جلسة الخاصم بين يدي الحاكم ، وذلك لأنها خائفة فلا تطمئن في جلستها (شيخ زاده)
 وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه قال ، « إذا كان يوم القيامة ، جمع الخلائق في صعيد
 واحد جنهم وإنسهم والأمم جثيا صفوها ، فينادى مناد ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم
 المحادون الله على كل حال ، فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثانيا ستعلمون اليوم من أصحاب
 الكرم ، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ،
 فيقومون فيسرحون إلى الجنة . ثم ينادى ثالثا ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ، ليقم
 الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فيقومون فيسرحون
 إلى الجنة ، فاذا أخذ هؤلاء الثلاث منازلهم وذهبوا إلى الجنة ، خرج عنق من النار وأشرفه
 على الخلائق وله عينان بصيرتان ولسان فصيح فيقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار
 عنيد فيلتقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم فيخنس بهم في جهنم ، ثم يخرج
 ثانية فيقول : إني وكلت بمن آذى الله ورسوله ، فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم
 في جهنم ، ثم يخرج ثالثة . قال أبو النہاج : حسبت أنه قال وكلت بأصحاب التصاوير
 فيلتقطهم من الصفوف فيخنس بهم في جهنم ، فاذا أخذ من هؤلاء الثلاث نشرت الصحف
 ونصب الميزان ودعيت الخلائق إلى الحساب » (تنبيه الناقلين) وذهب أكثر المفسرين
 إلى أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ يستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال
 بني آدم ، فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه . قالوا : والاستنساخ لا يكون إلا من أصل وهو
 أن يستنسخ كتاب من كتاب (وسيط) ويقال الشهداء على الناس سبعة : الأول الملائكة
 لقوله الله تعالى (وللملائكة يشهدون) والثاني الأرض لقوله تعالى (وقد الإنسان ما لها
 يومئذ تحدث أخبارها) والثالث الزمان كما قال في الخبر « ينادى كل يوم أنا يوم جديد وأنا
 على ما تعمل شهيد » والرابع اللسان لقوله تعالى (يوم تشهد عليهم ألسنتهم) الآية . والخامس
 الأركان لقوله تعالى (اليوم نحكم على أفواههم ونكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا
 يكسبون) والسادس الملكان الكاتبان لقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين
 يعلمون ما تفعلون) والسابع الديوان لقوله تعالى (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) فكيف
 يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهداء . وعن عمرو بن العاص رضى

الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل ؟ قال فيقوم أناس وهم يسرون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون ما كان فضلكم ؟ فيقولون إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسئء إلينا عفونا ، فيقال لهم ادخلوا الجنة فنع أجرا العاملين ، ثم ينادى المنادى أين أهل الصبر ؟ فيقوم أناس منهم يسرون سراعا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقولون ما كان صبركم ؟ فيقولون كنا نصبر على مصيبة الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة ثم ينادى أين المتحابون في الله ، فيقوم أناس منهم يسرون سراعا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون إنا نراكم سراعا إلى الجنة ، فمن أنتم ؟ فيقولون نحن المتحابون في الله ، فيقولون ما كان تحاييكم ؟ فيقولون كنا نتحاب في الله وتبادل في الله ، فيقال لهم ادخلوا الجنة . وقال عليه الصلاة والسلام « وضح الميزان للحساب بعد دخول هؤلاء الجنة » .

واعلم أن كيفية الحساب مختلفة وأحواله متباينة ، فمنه اليسر ومنه العسر ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل ويكون للمؤمن والكافر والإنس والجن إلا من ورد الحديث باستثنائهم ، وقال اللقاني : لم أقف في حساب الأطفال والمجانين وأهل الفترة على نص صريح . ومراتب الموقف البعث ثم الحشر ثم القيام لرب العالمين ثم العرض : أي تميز كل نبي بأمته ثم تطاير الصحف ثم أخذها بالإيمان والشكائيل ثم السؤال والحساب ثم الميزان ، وإذا جمع الله الخلائق في العرصات وأراد أن يحاسبهم تطايرت عليهم كتبهم كتطاير الثلج ، وينادى النادى من قبل الرحمن : يا فلان خذ كتابك يمينك ويا فلان خذ كتابك بجمالك ، ويا فلان خذ كتابك من وراء ظهرك ، فلا يقدر أحد أن يأخذ كتابه يمينه إلا الأتقياء يعطون كتبهم يمينهم والأشقياء بشمالهم والكفار من وراء ظهورهم . وكذلك الناس في المحاسبة على ثلاث طبقات : طبقة يحاسبون حسابا يسيرا ، وهم الأتقياء . وطبقة يحاسبون حسابا شديدا ثم يهلكون ، وهم الكفار . وطبقة يحاسبون ويناقشون ثم ينجون ، وهم العصاة . وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال « لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله تعالى حتى يسأل عن أربعة أشياء : عن عمره فيما أنشأه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه ، ويسأل عما في كتابه ، فإذا بلغ آخر الكتاب يقول الله تعالى : يا عبدي أعلمت هذا كله أم ملأكتي زادوا عليك في كتابك ؟ فيقول لا يا رب ولكن عملت ذلك كله ، فيقول الله تعالى : أنا الذي سترتها في الدنيا عليك وأنا أغفرها لك اليوم ، اذهب فإني قد غفرتها لك » هذا حال من يناقش في الحساب ثم ينجو بفضل الله تعالى .

وعما يجب اعتقاده أن الله تعالى ملائكة يكتبون أفعال العباد من خير وشر هزلا وجرأ خطاً ونسياناً في الصحة والمرض حتى أنينه وأنفاسه فيه والعبد مؤمناً كان أو كافراً . روى عن علي رضي الله عنه أنه قال : كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحدثنا عن أخبار بني إسرائيل والأمم للأنبياء ، ثم قال في آخر حديثه : يا علي إن جبرائيل أرسله الله تعالى يخبرني عن أحوال أمتي ، فقال يا محمد إن في أمتك رجلا يقفون في الحساب بين يدي الله تعالى ثم يتكلمون معه كما يتكلم الخصم مع خصمه ، قلت يا أخى جبرائيل فهل يقدر أحد على ذلك ؟ فقال نعم يا رسول الله ، قلت أعلمني بهم يا أخى جبرائيل ، فقال هؤلاء يطول شرحهم حتى أستأذن ربي و آتي إليك ، فتأب عن ساعة ثم أقبل وهو يضحك ، قلت : ماضحك يا أخى جبرائيل ؟ فقال يا محمد قد وقع لي في هذه الساعة حكايات عجيبة ، قلت ما هي ؟ فقال الحكاية الأولى التي وعدتك بها يا رسول الله ، فأعلم يا محمد إذا كان يوم القيامة يعطى الله كل أحد كتابه ، فيأخذ ذلك العبد كتابه فينظر إليه وقرؤه ويعرف ما فيه من خير وشر ، ثم يقول الله تعالى يا عبدي أقرأت كتابك فيقول نعم ، ولكن هذا الذي في كتابي ما عملته قط ، فيقول الله تعالى : يا عبدي أغيرك عمله ؟ فيقول يا رب لا أدري ، فيقول إن كراما كاتبين أحصوه عليك وأنت متغافل ، فيقول يا رب إن الملائكة الكاتبين هم عبيدك يقولون ما شاءوا ولا يتركونك معي فان كان ولا بد فأنت الحكم العدل لا تأخذ إلا بالبين ، فيقول الله تعالى يا عبدي ومن يشهد عليك وكلمهم عبدي وأنت اختصمت الملائكة للكرام وكتابتهم ؟ فيقول نعم يا رب لا أقبل شهودا على إيماني ، فيقول الله تعالى وإذا أثبت بالبينه منك أتقبل وتعترف ؟ فيقول العبد نعم يا رب ، فيقول الله تعالى للسان : بقدرتي انطق ولا تنقل إلا حقا ، فان هذا يوم يموت فيه الباطل ، فينطق اللسان بكل ما عمل في دار الدنيا من القبيح والحسن ، فيقول العبد : إلهي وسيدى ومولاي أنت تعلم أنني لا أحكم لي على اللسان وهو من طبعه أنه لا يزال ناطقا ولا أقبل شهادة ذلك فانه كان عدوى في الدنيا ، وجميع ما وقع لي من الآثام وقع بسببه ، وقد قال رسولك مخبرا عنه : اللسان عدا وإنسان ، وأنت تحكم بالعدل لا تقبل شهادة العدو على عدوه . فيقول الله لي عليك غير منك فما تقول ؟ فيقول ذلك العبد لا أتكلم بعد ذلك يا رب ، فيقول الله ليديه : انطقا ما فعل عبدي ، فتنطقان بكل ما فعل بهما وتشهدان ، فيقول ذلك العبد : إلهي وسيدى ومولاي إنك أرسلت إلينا رسولا فشرع فينا شرعا فاتبعناه بأذنك حتى قلت : من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فيقول الله تعالى : يا عبدي وما شرع رسولي ؟ فيقول : قد قال الشاهد الواحد في البينة لا يكفي واليدان شاهد واحد فلا يكفي وبقي الشاهد الثاني ، فيقول الله وإذا شهد عليك الشاهد الثاني أقهر وتعترف ؟ فيقول ذلك العبد نعم ، فيقول الله للأرجل : ما تقولين

انطقى بما فعل ذلك العبد واشهدى بالحق ، فتنطق بقدره الله وتقول : إنه مشى وعمل من حسن وقبح وتشهد بكل ما فعل ، فالتفت ذلك العبد وهو متحير إلى أعضائه ويعاتبهم ويقول : يا أعضاء ما أنا غيركم بل أنا أتم وأتم أنا ، وإنما أنازع ربى لأجلكم فما رأيت أجمل منكم أدافع عنكم وأتم تطعمون أنفسكم إلى النار ؟ فيقولون : أنت نسبتنا إلى الجهل والتقصير وما رأينا أجمل منك ، إنما نحن مأمورون أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ، ثم يصير ذلك العبد حائرا باهتا خجلا ، فيأمر الله تعالى الربانية أن يسجدوا ذلك العبد ، فيقول يارب أين رحمتك وأنت أرحم الرحمن ؟ فيقول الله تعالى هي لمسلم ، فلو وقع الاعتراف منك حصل الاتصاف ، فيقول يارب إني مقصر ومعترف ولكن خوف النار ألجأتني إلى ذلك ، فيقول الله تعالى : ياملئكى امضوا ببعدى إلى الجنة ، فإني قد غفرت له وعفوت عنه ، فيمضون به إلى الجنة وتقول تلك لللائكة (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) يا عبد الله دخلت في رحمتي (ادخلوها بسلام آمنين) « هذه مملكة جبرائيل مع النبي عليه الصلاة والسلام . وقيل (نستنسخ) أى نأخذ نسخته ، وذلك أن الملكين يرضان عمل الإنسان ، فيثبت الله سبحانه وتعالى منه ما كان له فيه ثواب أو عليه فيه عقاب ويطرح منه اللغو نحو قولهم لم واذهب . كذا في معالم التنزيل (سنانية) .

المجلس الثانى والستون : فى ذم حاق الوالدين وفضيلة برهما

سورة الأحقاف — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) أى إيضاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة (وحمله وفصاله) ومدة حملة وفصاله ، والفصال القطام . والرادية الرضاع التام للنتهى به ، ولذلك عبر به كما يعبر بالأمد عن المدة (ثلاثون شهرا) كل ذلك بيان لما تكابد الأم فى تربية الولد مبالغة فى التوصية بها (حتى إذا بلغ أشده) إذا اكتمل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يعث نبي إلا بعد أربعين (قال رب أوزعنى) ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) يعنى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها (وأن أعمل صالحا رضاء) نكره للتعظيم أولأنه أراد نوعا من الجنس يستجلب رضا الله عز وجل (وأصلح لى فى ذرىتي) واجعل لى الصلاح ساريا فى ذرىتي راسخا فيهم (إني تبنت إليك) عما لا رضاء أو يشغل عنك (وإني من المسلمين) المخلصين لك (قاضى يضاوى) .

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا كانت ليلة الجمعة يأتى قبرى ألف ملك لزيارتى ، فإذا قضا الزيارة يسبحون فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكل من سمعوه يصلى على ذهبوا بصلاته حتى يضعوها تحت العرش ،

فيقولون ياربنا هذه صلاة فلان ابن فلان ، فيقول الله تعالى إني صليت عليه أمثالها ، اذهبوا بها إلى جبرائيل يضعها عنده حتى تأتي صاحبها يوم القيامة ، وسأحطها في ميزان ذلك المصلّي وتأتي له تلك الصلاة فيرجع بها للميزان ويمضي صاحبها إلى الجنة » (موعظة) قيل نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه فيهم فإنه آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، ودعاهم وهو ابن أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه (من المدايرك) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول «أنا بريء ممن لم يؤد حق والديه، قتل يارَسُولَ اللَّهِ فإن لم يكن معه شيء» ، قال إذا سمع قولهما فليقل سمعا وطاعة ، ولا يقل لهما أف ولا ينهرهما وليقل لهما قولا كريما » أو كما قال . روى : أنه جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يارَسُولَ اللَّهِ أوصني بوصية أنفع بها في الدنيا والآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام : «هل لك والد ووالدة ؟ فقال نعم ، قال إذا أديت حقهما وأطعمتهما لك بكل لقعة قصر في الجنة » صدق رسول الله . وجاء رجل أيضا فقال : يارَسُولَ اللَّهِ إن لي والدة أتفق عليها وهي تؤذي بلسانها فكيف أصنع ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «أد حقها فلو قطع لحكنا أديت ربع حقها ، أما علمت أن الجنة تحت أقدام الأمهات ؟» فبكت الرجل وقالو الله لا أقول لها شيئا ، ثم أتى الرجل والدة وقبل قدميها وقال ياوالدي بذلك أمرني رسول الله . وذكر النبي عليه الصلاة والسلام حديثا طويلا وقال في آخره «والذي بعثني بالحق نبيا مامن عبد رزقه الله مالا ثم بر والديه إلا كان معي في الجنة» ، فقال رجل يارَسُولَ اللَّهِ فإن لم يكن له والدان في الدنيا فما يفعل ؟ قال يتصدق عنهما باطعام الطعام وقراءة القرآن أو بالدعاء فإن تركها فقد عقوقهما ومن عقوقهما فقد عصي ، وقال مامن عبد صلى الفريضة ، ودعا لوالديه بالمغفرة إلا استجاب الله تعالى له دعاءه وغفر له بركة دعائه لهما ولو كانا فاسقين » (موعظة) وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول «من مشى لزيارة والديه كتب الله تعالى له بكل خطوة مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة ورفع له مائة درجة ، فإذا جلس بين يديهما وتكلم معهما بطيب الكلام أعطاه الله تعالى يوم القيامة نورا يسعى بين يديه فإذا خرج من عندهما خرج مغفورا له » وروى أنه كان في زمن عمر رضي الله عنه رجل تاجر فأتت إليه والدة يوما تطلب منه شيئا تنفق على نفسها فقالت امرأته إن والدتك تريد أن تركنا قراء إذا كان كل يوم تطلب هكذا فبكت أمه ومضت ولم يعطها ، فبينما هو يمشي في بعض أسفاره مع التجارة إذ خرج عليه قطاع الطريق ونهبوا ما كان معه ثم أخذوا الرجل وقطعوا يده وعلقوها في عنقه وتركوه

(١٦ - درة الناصحين)

مطروحا مجندلا في دمه على الطريق فخر عليه قوم فحملوه إلى منزله فلما دخل عليه أقاربه قال لهم هذا جزائي فلو كنت أعطيت أمي يدي درهما ما قطعت يدي وما سلب مالي ، فأتت إليه والدته فقالت له : يا بني إني متحسرة عليك بما فعل العدو معك ، فقال الرجل يا أمي هذا كله بذنبي إليك فأسألك الرضى ، فقالت يا بني إني رضيت عنك ، فلما كان الليل أصبح الرجل وقد خادت يده كما كانت بقدرته تعالى (موعظة) . حكى أن شيخا كان مشهورا بالفضل فيوما قصد مكة وله أم لم ترض أن يسافر إلى مكة ، فلم يقتدر الشيخ على إرضائها ومضى إلى مكة فجاءت أمه من خلفه وقالت يارب ان ابنى أحرقتى بنار الفرقة سلط عليه عقابا وتضرعت وناجت ، فلما بلغ الشيخ مدينة من المدائن دخل مسجدا في الليل للعبادة ، فدخل لص في بيت من البيوت ، فلم صاحب البيت أن في البيت لصا ، فقرر اللص إلى جانب المسجد ، فتقبضه فلما جاءوا إلى باب المسجد غاب اللص فقالوا يل في المسجد ، فدخلوا فرأوا الشيخ قائما يصلى في الحال أخذوه فأتوا به ملك للدينة ، فأمر الملك بقطع يديه ورجليه وإخراج عينيه فقطعوا يديه ورجليه وأخرجوا عينيه ونادوا في السوق هذا جزاء السارق ، فقال الشيخ لا تقولوا ذلك بل قولوا هذا جزاء من قصد طواف مكة بلا إذن أمه فلما رأوا أنه الشيخ وعلوا بهذه الحالة بكوا وجزعوا فأعادوا الشيخ إلى أمه ووضعوه على باب الصومعة وفيها نادى أمه وتقول يارب إن ابتليت ابني يلاء أعدى إلى حتى أراه فنادى الشيخ أنا مسافر جائع فأطعميني فقالت إئت إلى الباب ، فقال مالى من رجلين أمشى إليك ، فقالت أمه امدد يديك ، فقال مالى من يدين ، فقالت أمه إن أطعمتك تحصل بيني وبينك حرمة ، فقال الشيخ لا تخافى مالى من عيني ، فأخذت أمه رغيفا واحدا وماء باردا بكوز فقدمت إليه ، فلما رأى الشيخ أمه وضع وجهه على قدميها وقال : أنا ابنك العاصي ، فقلت أمه أنه ابنها وبكت فقالت : يارب إذا كانت الحالة كذلك فاقبض روحى وروحه حتى لا يرى الناس سواد وجهنا ، فلم تم للناجاة إلا وقد قبض روحهما (من تفسير إنا عرضنا الأمانة) وعن طي بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال : « كنت جالسا مع النبي عليه الصلاة والسلام وجماعة من الصحابة إذ أتى رجل فقال السلام عليكم ، فقلنا وعليك السلام ، فقال يا رسول الله إن عبد الله بن سلام يدعوك ليودعك فانه مريض وطى خروج من الدنيا ، فلما سمع ذلك قام ثم قال : قوموا بنا زور أخانا عبد الله ، ثم مضى عليه الصلاة والسلام عند رأسه قال : يا عبد الله قل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فقالها في أذنه ثلاثا فلم يقلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وقال عليه الصلاة والسلام لبلال : يا بلال امض إلى امرأتك واسألها ما كان يعمل زوجها في الدنيا وما كان شغلها ، فمضى بلال رضى الله عنه وسألها

عن عمل زوجها فقالت لبلال : وحق رسول الله ما أعرف من يوم تزوجني أنه ترك الصلاة خلف رسول الله ، ولا مضى عليه يوم إلا وتصدق فيه بشيء إلا أن والدته غير راضية عنه ، فقال عليه الصلاة والسلام : اتوني بها ، فمضى بلال إليها وقال أجي النبي عليه الصلاة والسلام ، فقالت وما ذلك ؟ فقال ليصلح بينك وبين ولدك عبد الله ، وأنه على خروج من الدنيا ، فقالت وحق رسول الله لا أمضى ولا أجعله في حل مما آذاني لأدنياء ولا أخراه ، ثم امتنعت فأتى بلال إلى النبي عليه الصلاة والسلام فاعلمه ، فقال عليه الصلاة والسلام : يا عمر ويا علي اذهبا فائتاني بها ، فذهبا إليها فلما دخلا عليها قالا : أيتها العجوز إنه عليه الصلاة والسلام يدعوك ، قالت وما يريد مني وماله من حاجة ؟ فقالا لها لا بد أن تمشي معنا ، فثبتت معهما حتى أتته إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : أيتها العجوز انظري إلى ولدك وما هو عليه ، فلما نظرت إليه قالت : يا ولدي والله لا أجعلك في حل من حقي لا في الدنيا ولا في الآخرة ، فقال عليه الصلاة والسلام أيتها العجوز خف الله عز وجل واجعليه في حل ، فقالت كيف أجعله في حل وهو ضربني وطردني من بيته لأجل امرأته فهو آذاني وعصاني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إن حقك على إن جعلته في حل ، فقالت أشهد يا رسول الله أنت ومن معك أتت جعلته في حل ، فقال عليه الصلاة والسلام يا عبد الله : قل أشهد أن لا اله إلا الله ، فرفع صوته بالشهادة ثم مات بعد ذلك فلما صلينا عليه ودفناه قال عليه الصلاة والسلام : يا معشر المسلمين ألا من كانت له والدته لم يبرها خرج من الدنيا على غير الشهادة » (موعظة) وعن أنس رضي الله عنه أنه قال عليه الصلاة والسلام : « ما من رجل مات والداه وهما غير راضين عنه إلا أخرج الله روحه على غير الشهادة ، ولا يخرج من قبره إلا وعلى وجهه مكتوبه هذا جزاء من عقى والديه » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : إن رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « ما من عبد آتاه الله تعالى مالا ثم لم يؤد حق والديه إلا أحبط الله عز وجل عمله وأذاقه العذاب الأليم » الحديث ، روى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « رضا الرب في رضا الوالدين ، وسخط الرب في سخط الوالدين » كذا في الجامع الصغير ، لأنه تعالى أمر أت يطاع الأب ويكرم فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ، ومن أغضبه فقد أغضبه ، وهذا وعيد شديد يفيد أن العقوق كبيرة وعلم منه بالأولى أن الأم كذلك ، كذا في التيسير لأن حقها أكثر ، فعلى العاقل أن يحترز عن أن يكون عاقا لوالديه انتهى . قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى : لو لم يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه حرمة الوالدين ولم يوص بهما ، لكان يعرف بالعقل أن حرمتها واجبة ، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتها ويقضي حقهما ويسعى في تحصيل

رضاهما ، فكيف وقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في جميع كتبه في التوراة والإنجيل والزمور والفرقان ، وقد أسر بطاعتها في جميع كتبه ، وأوحى إلى جميع الرسل وأوصاهم بحرمه الوالدين ومعرفة حقهما ، وجعل رضاه في رضا الوالدين ، وسخطه في سخطهما انتهى .
(كذا في تنبيه الغافلين)

المجلس الثالث والستون : في بيان ذم سوء الظن والغيبة

سورة الحجرات — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) كونه منته على جانب وإيهام الكثير ليحاط على كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القليل ، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ، وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع ، وظن السوء بالمتؤمنين ، وما يباح كالظن في الأمور العاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل مستأنف للأمر ، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وألجمزة فيمن الواو كأنه يتم الأعمال : أي يكثرها (ولا تجسسوا) ولا تبخسوا عن عورات المسلمين . وفي الحديث « ولا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله تعالى عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته » (ولا يفتب بعضا) ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته (أحب أخذكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل لما يناله الفتاب من عرض الفتاب على أخش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر ، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكل كقول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله (فكرهتموه) تقريراً وتحقيقاً لذلك . والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) لمن اتقى ما نهى عنه وتاب بما فرط منه ، والبالغة في الثواب لأنه بليغ في قبول التوبة إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب (قاضي يضاوي) .

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام

« زينوا مجالسكم بالصلاة على ، فإن صلاتكم على نور لكم يوم القيامة » رواه صاحب الفردوس . وقال عليه الصلاة والسلام « لا يرى وجهي ثلاثة : عاق الوالدين وتارك سنتي ومن ذكرت عنده فلم يصل على » صدق من نطق . قيل سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام ضم إلى رجلين غنيين في السفر رجلا من قراء الصحابة ليصيب منهما من طعامهما ويتقدمهما في المنزل ويهيئ لهما المنزل والطعام ، فضم سلمان الفارسي إلى الرجلين المذكورين ، فترز ذات يوم منزلا ولم يهيئ لهما شيئا ، فقال له اذهب إلى رسول الله

فسله لنا فضل إدام ، فانطلق فقال أحدهما لصاحبه وقد غاب عنهما : إنه لو انتهى إلى بئر مميحة وهي الشهيرة بكثرة الماء لغار ماؤها ، فلما انتهى إلى رسول الله وبلغه الرسالة قال عليه الصلاة والسلام له : قل لها إنكما قد أكلتما الإدام ، فرجع إليهما . وأخبرهما بما قال رسول الله ، فأتيا النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا : ما أكلنا من إدام يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني لأرى حمرة اللحم في أفواهكما لا غنى بكما صايكما فنزلت هذه الآية . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » الحديث . روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « أربعة من الجفاء : الأول أن يبول الرجل وهو قائم ، والثاني أن يمسح جبهته قبل أن يفرغ من الصلاة ، والثالث أن يسمع النداء فلا يتشهد مثل ما يتشهد المؤذن ، والرابع إن ذكرت عنده لا يصلي على » (سيد علي زاده) وقال عليه الصلاة والسلام « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على » (قاضي يضاوي) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « الغيبة أشد من الزنا ، قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام : الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه ، وأما صاحب الغيبة فلا يغفر له حتى يغفر صاحبه » فلم من هذا الحديث أن الغيبة من الكبائر . روى أنه أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من دخل الجنة ، ومن مات مصراً عليها فهو أول من دخل النار (زبدة الواعظين) « سئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال : أن تذكر أخاك بما يكرهه ، فإن كان ذلك الشيء فيه فقد اغتبت به ، وإن لم يكن ذلك الشيء فيه فقد بهتته » (قاضي يضاوي) كما روى عن عكرمة « أن امرأة طويلة دخلت على النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما خرجت قالت عائشة : هذه طويلة التامة ، فقال عليه الصلاة والسلام : الفظي الغيبة ، فلفظت مضغة من لحم ، فقالت عائشة ما قلت إلا ما فيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : ذكرت قبح ما فيها » لأن الغيبة أن تذكر أخاك بما فيه ، وأما ما ليس فيه فهو البهتان ، وهو أشد من الغيبة ؛ لأنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع : الأول أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم ويقول : قد ذكرت عندهم فلانا بكذا ، فاعلموا أنني قد كذبت فيه . والثاني أن يذهب إلى من قال عليه البهتان ويطلب منه الاستحلال . والثالث أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ، ولذا قيل الغيبة سواء ذكرت نقصاً في نفسه أو عيباً أو ثوبه أو قوله أو نسه أو دابته أو شيء مما يتعلق به حتى قولك إنه واسع السكم أو طويل الذيل أو القامة كما في قصة عائشة (زبدة الواعظين) عن علاء بن الحارث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « المهازون والمهازون والمشاءون

بالتيمية الباغون للبراء الغيب يحشرهم الله يوم القيامة في وجوه الكلاب » (طريقة محمدية) عن
أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من مشى بالتيمية بين اثنين سلط الله عليه في
قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة » (موعظة) روى عن وهب بن منبه أنه قال : لما ركب نوح
عليه السلام السفينة أدخل معه من كل نوع زوجين حتى الكلب والهرة ومنع الكل عن الجماعة
لثلاثين يوماً فتضيق السفينة عليهم ، فلم يصبر الكلب فجامع ، فرأته الهرمة ، فجاءت إلى نوح وأخبرته
عليه السلام ، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولأمه غفلى سبيله ، ففعل ذلك مرة أخرى ، فجاءت
الهرمة وأخبرته ، فدعا نوح عليه السلام الكلب ولأمه وأنكر الكلب ، فقالت الهرمة : يا نبي الله رأيت
قد فعل فلان دعوت الله يظهر لك علامته وتبصره بعينك ، فدعا نوح عليه السلام وبه ، ثم إن الكلب
جامع فاشتد ذلك عليه بحيث لا يمكنه الاتصال حتى جاءت الهرمة وأخبرته ، فجاء نوح عليه
السلام فرآها كذلك فجل الكلب من ذلك ، فدعا ربه فقال : يا رب اجعل لها فضيحة
على رموس الخلائق وقت الجماع كما فضحتنا ، فاستجاب الله تعالى دعاءه حتى إن الهرمة
إذا جومت تصبح حتى يعلم الخلائق بصيحتها عقوبة لما كشفت ستر الكلب ، كذلك
ابن آدم إذا كشف ستر المؤمنين يكشف الله ستره يوم القيامة (زبدة الواعظين) .
عن كعب الأجر أنه قال : أصاب بنى إسرائيل قحط ، فخرج موسى عليه السلام إلى
الاستسقاء ثلاثة أيام فلم يستقوا ، فقال موسى عليه السلام : إلهي إن عبادك قد خرجوا
ثلاثة أيام فلم تستجب دعاءهم ، فأوحى الله تعالى إليه يا موسى إني لا أستجيب دعاء قوم
فيهم رجل تمام قد أصر على التيمية ، فقال موسى عليه السلام : يا رب من هو حق
تخرجه من بيننا ، فقال الله تعالى : يا موسى أنها كم عن التيمية وأكون نماما ، فتأبوا
بجمعهم فسقوا (زبدة الواعظين) عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال
« من اغتاب في عمره مرة يعاقبه الله بعشر عقوبات : الأولى يصير بعيداً من رحمة الله .
والثانية يقطع لللائكة عنه الصخرة . والثالثة يكون نزع روحه عند موته شديداً . والرابعة
يصير قريباً إلى النار . والخامسة يصير بعيداً من الجنة . والسادسة يشتد عليه عذاب القبر .
والسابعة يحبط عمله . والثامنة يتأذى منه روح النبي عليه الصلاة والسلام . والتاسعة
يسخط الله عليه . والعاشرة يصير مفلساً يوم القيامة عند الميزان » (زبدة الواعظين) .
عن أبي أمامة الباهلي أنه قال « إن العبد يعطى كتابه يوم القيامة فيرى حسنات لم يكن عملها
فيقول يا رب من أين هذا لي ؟ فيقول الله تعالى هذا عمل من اغتابك من الناس وأنت
لا تشعر » ولذا روى أن الحسن البصري قال له رجل فلان قد اغتابك ، فبعث إليه طبقاً
من الطرف وقال : بلغني أنك أهديت إلى حسناتك وأنا أهديت إليك هذا . عن أنس

ابن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتاب أخاه المسلم حول الله قبله إلى دبره يوم القيامة » وعن علي كرم الله وجهه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إياكم والغيبة لأن فيها ثلاث آفات : الأولى لا يستجاب له الدعاء ، والثانية لا تقبل له الحسنات ، والثالثة تزداد عليه السيئات » (زبدة) روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : « كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام فارتفع ريح جيفة منتنة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا الريح ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا ريح الذين يغتابون الناس من المؤمنين » فان قيل ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونفثها كان يظهر في أول الأمة ولا يظهر في زماننا . قلنا الغيبة كثرت في زماننا وامتلاّت منها الأنوف فلا تظهر رائحة التنّ كرجل دخل في دار الدباغين فلا يقف لشدة التنّ ساعة وأهلها يأكلون الطعام ولا يتبين لهم الرائحة لامتلاء أنوفهم منها (زبدة الواعظين) . قيل الغيبة على أربعة أوجه : مباح ومعصية ونفاق وكفر ، أما المباح فهو غيبة المجاهدين بالفسق وغيبة صاحب البدعة لما روى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس » وأما المعصية فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب باسمه عند جماعة ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة . وأما النفاق فهو ذكر إنسان بما فيه من العيب من غير ذكر اسمه عند من يعرف أنه يريد به فلانا ويرى من نفسه أنه متورع هذا هو النفاق . وأما الكفر فهو ذكر إنسان بما ليس فيه من العيب عند جماعة باسمه ، فإذا قيل له لا تعتب ، يقول هذا ليس بغيبة وأنا صادق فيما قلت فيه ، وهذا كفر لأنه يستحل ما حرم الله تعالى (زبدة الواعظين . خ م) عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول « لا يدخل الجنة قتات » وفي رواية « نعام » (طريقة محمدية) وروى عن حماد بن سلمة أنه قال : باع رجل غلاما ، فقال الرجل للمشتري ليس فيه عيب إلا أنه نعام ، فاستحققه المشتري فاشتراه على ذلك العيب ، فمكث الغلام عنده أياما ثم قال لزوجتي مولاة : إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك ، أفريدين أن يعطف عليك ؟ قالت نعم ، قال لها خذي موسى واحلقي شعرات من باطن لحيتي إذا نام ، ثم جاء الغلام إلى الزوج فقال : إن امرأتك تخادنت عليك : يعني اتخذت خدنا وتريد أن تقتلك ، أتريد أن يتبين لك ذلك ؟ قال نعم ، قال فتناول لها ففعل ، فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات ، فظن الزوج أنها تريد قتله ، فأخذ منها الموسى قتلها ، فجاء أولياؤها فقتلوه ، فجاء أولياء الرجل فوقع القتال بين الفريقين (موعظة) . (حكى) أن أبا الليث البخاري خرج حاجا ، فجعل في جيبه درهمين وحلف وقال : إن اغتبت في طريق مكة ذاهبا أو جائيا فله على أن أضرف الدرهمين ، فرجع إلى منزله

والدرهمان في جيبه ، قهيل له في ذلك ، فقال : لأن أزنى مائة مرة أحب إلى من أن أغتاب مرة واحدة ، ثم قال : من اغتاب رجلا قهيا جاء يوم القيامة مكتوبا على جبهته آيس من رحمة الله ، ومن اغتاب نبيا كان كمن قتل نفسا بغير حق ، ومن اغتاب قبله فصر عليها غفر له نصفه ذنوبه . فينبغي لصاحب الغيبة أن يستغفر الله تعالى ويتوب قبل القيام من المجلس عسى أن يغفر الله له ذلك كما قال عليه الصلاة والسلام « إذا ذكر أحدكم أخاه السلم بالسوء فليستعذ بالله تعالى فانه كفارة » واعلم أن الغيبة إنما رخص فيها في خمسة مواضع : الأول أن المظلوم يذكر ظلم الظالم عند السلطان ليدفع ظلمه ، وأما عند غير السلطان فلا . والثاني عند المستغنى إذا افتقر إلى ذكر السوء ، وقد قالت هذا القول امرأة أبي سفيان حين جاءت النبي عليه الصلاة والسلام مستغنية « إن أبا سفيان رجل لا يعطيني ما يكفيني » الثالث تحذير المسلم من شر الغير إذا علم . الرابع أن يكون معروفا باسم فيه كالأعمش والأعرج والعدول إلى اسم آخر أولى . الخامس أن يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه كالخنث ، قالوا من ألقى جلباب الحياء عنه فلا غيبة له (كذا في زبدة الواعظين) .

المجلس الرابع والستون : في بيان معجزات النبي عليه الصلاة والسلام

سورة القمر - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر ، وقيل معناه سينشق القمر يوم القيامة ، ويؤيد الأول أنه قرئ « وقد انشق القمر » أي اقربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر (وإن يروا آية يعرضوا) عن تأملها والإيمان بها (ويقولوا سحر مستمر) مطرد ، وهو يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخذ مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك ، أو محكم من المرة يقال أمرته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم ، أو مستبشع من استمر الشيء إذا اشتدت مرارته أو ما رذاهب لا يبقى (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرها بلفظ الماضي للإشعار بأنهما من عاداتهم القديمة (وكل أمر مستقر) منته إلى غاية من خذلان أو نصر في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة ، فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر ، وقرئ بالفتح أي ذو مستقر بمعنى استقراره ، وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل معطوف على الساعة (قاضي يضاوي) .

وعن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنه قال « ما من مجلس يضلى فيه على محمد عليه الصلاة والسلام إلا قامت منه رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء ، فتقول لللائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على محمد عليه الصلاة والسلام » (دلائل الخيرات)

روى أن حبيب بن مالك كان ملكاً من ملوك الجاهلية في الشام وكانت العرب يسجدون له ويحانه قريش ، فلما جاء مكتوب أبي جهل إليه لكذا وكذا كما مر ركب حبيب بن مالك ومعه اثنا عشر ألف فارس ، ونزل بالأبطح وهو موضع قريب من مكة ، وخرج أبو جهل إليه وعظماء مكة بالهدايا من العبيد والحلل ، فأقعدوه عن يمينه وسأله عن محمد ، فقال أيها السيل بن هاشم ، فقال لهم : ما تقولون في محمد ؟ قالوا نعرفه من صفته بالأمانة والصدق في القول ، فلما بلغ عمره أربعين سنة ، جعل يسب آلهم ويظهر ديناً غير دين آبائنا . فقال حبيب أحضر واحداً طوعاً ولو أبي فكرها ، فبعثوا إليه رجلاً ، فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر رضي الله عنه وخديجة يكيان يقولان : نخاف عليك من سطوة هذا الكافر : أي من قهره وغلبته وغضبه . قال عليه الصلاة والسلام لا تخافوا علي وفوضا أمري إلى الله ، فأقبل أبو بكر الصديق بحلة حمراء وعمامة سوداء ، فلبسهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وخرج حتى وقف بين يدي حبيب وأبو بكر عن يمينه وخديجة من خلفه ، فلما رأى النبي عليه الصلاة والسلام قام إكراماً للنبي عليه الصلاة والسلام ونصب له كرسيًا من ذهب وخديجة تدعو وتقول : اللهم انصر محمداً وأوضح حجته ، فلما جلس بين يديه والنور يتلألأ من وجهه سكثت وتناولت الأعناق ووقعت الهيبة على الناس ، فرفع حبيب رأسه وقال : يا محمد أنت تعلم أن للأنبياء كلهم معجزات ألك معجزة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام ماذا تريد ؟ فقال حبيب أريد أن تغيب الشمس ويخرج القمر وينزل إلى الأرض ، وينشق نصفين ويدخل تحت إزارك ، ويخرج نصفه منك يمينك ونصفه من كم شمالك ، ثم يجتمعان فوق رأسك ويشهد لك بالرسالة ، ثم يقول : إلى الله ، فقرأ منيراً ثم يغيب ، وتخرج الشمس بعده وتسير إلى منزلها كأول مرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فعلت ذلك كله أتؤمن بي ؟ قال نعم بشرط أن تخبرني بما في قلبي ، فوثب : أي قام أبو جهل إليه وقال : أحسنت يا أيها السيد لقد قلت وأبلغت ، فخرج عليه الصلاة والسلام وصعد إلى جبل أبي قبيس وصلى ركعتين وبسط يده يدعو ربه ، فنزل جبرائيل عليه السلام ومعه اثنا عشر ألفاً من الملائكة وبأيديهم رماح ، فقال السلام عليك يا رسول الله إن الله يقرئك السلام ويقول : حبيبي لا تخف ولا تحزن وأنا معك حينما كنت ، قد ثبت في علمي وجرى قضائي في الأول ما سألت حبيب عنه اليوم ، فاذهب إليهم وبلغ الحجة وأوضح شأنك وبين رسالتك ، واعلم أن الله تعالى قد سخر لك الشمس والقمر والليل والنهار وأن لحبيب بن مالك بنتا سطيحة ، يعني ساقطة على قفاها مالهaidان ولا رجلان ولا عنان فأخبره أن الله تعالى رد عليها يديها ورجليها وعينها ، فنزل عليه الصلاة والسلام وقد ازداد نوراً وسروراً وجبرائيل عليه السلام في الهواء وصفت الملائكة صفواً حتى وقف رسول الله عليه الصلاة

والسلام عند مقام إبراهيم ، وكان ذلك وقت غروب الشمس ، فجعلت الشمس تركض ركضا أى تسرع حتى غابت واشتد الظلام ثم طلع القمر بدرا منيرا ، فلما ارتفع أشار إليه بأصبعه فجعل القمر يركض ركضا حتى نزل إلى الأرض ووقف بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام وهو يرتعد كالسحاب ، ثم انشق نصفين ثم دخل تحت ثيابه وخرج نصفه من كمه الأيمن ؟ ونصفه من كمه الأيسر ثم عاد قرا منيرا ، ونادى رافعا صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قد أفلح من صدقك وقد خاب من خالفك ، ثم عاد إلى السماء قرا منيرا وغاب ، ثم عادت الشمس كما كانت أول مرة . ثم قال حبيب بقی الى الشرط ، فقال إن لك بنتا مسطیحة وإن الله قد رد عليها جوارحها ، قهض حبيب قائما وقال یا أهل مكة لا كفر بعد الإیمان ولا شك بعد الإیقان ، اعلّموا أنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأسلم معه أصحابه ، فقال أبو جهل أيها السيد أتؤمن بهذا الساحر إذ رأيت سحره ؟ ثم خرج حبيب إلى الشام مسلما ودخل قصره فاستقبلته بنته قائلة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فقال لها يابنتی من أين تعلت هذه الكلمات ، قالت أتى إلى فی المنام رجل فقال لی إن أباك قد أسلم ، فان كنت مسلمة فقد ردنا عليك أعضاءك سالمة ، فأسلت فی منامی وأصبحت كما ترانى ، فوقع حبيب ساجدا لله وشاكرًا لنعمة الإیمان وازداد إیقانا ثم حل حبيب بن مالك على خمسة جمال ذهبا وفضة وقاشا وأرسلها مع عبيده إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فلما قربوا من مكة ، فاذا أبو جهل يصطاد فقال لمن أنتم ؟ قالوا نحن لحبيب ابن مالك نريد رسول الله عليه الصلاة والسلام فحمل عليهم أبو جهل ليأخذها من أيديهم فأبوا حتى تضاربوا وقامت الحرب بينهم ، فأجتمع أهل مكة وأعمام النبي عليه الصلاة والسلام والعبيد يقولون : أهدى حبيب هذا المال إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأبو جهل يقول أهداه إلى ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام یا أهل مكة أترضون بقولى ؟ قالوا نعم ؟ فقال نعم الجمال فلمن تكلمت يكون له المال ، فقال أبو جهل : تؤخرها إلى الغد ، فرضى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأتى أبو جهل إلى بيت الأصنام فبات تلك الليلة عندها فقرب لها قربانا ودعا الأصنام وتضرع إلى الصباح ، فلما أسفر الصباح أقبل أهل مكة بأجمعهم وأقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأعمامه ، فأقبل أبو جهل ودار حول الجمال يقول : انطقي باللات والعزى ومنات فلم يزل على هذا حتى هجرت الشمس : أى ارتفعت فلم يسمع منهن شيء حتى قال أهل مكة حسبك يا باجرا فتقدم أنت يا محمد ، فأقبل إليهن ، فقال : أيها المخلوقة بخلق الله انطقي بقدرة الله تعالى ، فقام واحد منها وقال رافعا صوته : يا قوم نحن هدية من حبيب بن مالك إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، فأخذ عليه الصلاة والسلام زمامها إلى جبل أبي قبيس ، فأخرج الذهب

والفضة وجعلها تلاً ثم قال كوني تراباً ، فصارت كذلك إلى اليوم . قال الشيخ أبو حفص عمر بن حسن في القصة لما ظهر شأن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ أبو جهل في تدبير هلاكه فجمع وعياله على أن يحفر بئراً فحفر وستر رأسه بالحشيش والتراب الضعيف ، وأمر عبيده أن ينظروا فإذا جاء محمد ووقع في البئر أن يمشوا عليه التراب ، فلما انتهى خبر مرضه إلى النبي عليه الصلاة والسلام قام من حسن خلقه ليعوده ، فلما بلغ قريباً من باب داره جاء جبرائيل عليه السلام فأخبره بذلك ومنعه عن الدخول ، فرجع النبي عليه الصلاة والسلام ، فأخبر أبو جهل بذلك فقام من فراشه مسرعاً وعدا حلف النبي عليه الصلاة والسلام ليقول له لم رجعت ونسي البئر ووقع فيه ، فأدلوإا إليه حبلاً فلم يبلغ إليه ، فجمعوا الجبال والاطناب وكلما ازدادوا حبلاً ازدادوا سفلاً ، فنادى أبو جهل من البئر أن امضوا إلى محمد واتوني به فإنه لا يخلصني أحد دوني ، فسألوه الحضور عنده فحضر إلى رأس البئر وقال له إن أخرجتك من هذا البئر أتؤمن بالله ورسوله ، قال نعم ، ثم يد يده عليه الصلاة والسلام وأمسك بيد أبي جهل فأخرجه من البئر ، فلما صعد قال : ما أسحرك يا محمد ، وهذه من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « من حفر بئراً لأخيه المسلم وقع فيه » (موعظة) وروى في بعض الأخبار « أن النبي عليه الصلاة والسلام كان في حال صغره يلعب مع الصبيان ، فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل عليه السلام اذهب إلى الجنة وخذ منها طيناً وإبريقاً من ذهب واملاؤه من ماء الكوثر ، واذهب إلى محمد عليه الصلاة والسلام وشق صدره ثم استخرج منه قلبه ثم اغسله في الطست بذلك الماء الذي في الإبريق ثم املاؤه بالإيمان والحكمة ثم ارجع إلى مكانك ، فجاء جبرائيل عليه السلام كأنه طير في الهواء ورفع النبي عليه الصلاة والسلام من بين الصبيان وذهب إلى الصحراء ثم وضعه تحت الشجرة فضرب جناحه على صدره وشقه وأخرج قلبه ، ثم شقه وغسله بالماء الذي في الإبريق في ذلك الطست وأخرج منه كل ما كان فيه وقال هذا حظ الشيطان ثم أعاده إلى مكانه وقال : هذا قلب طهره الله من العيوب وذهب إلى السماء وتركه في ذلك المكان ، وذهب الصبيان إلى حليلة وقالوا : إن محمداً رفعة طير وذهب به في الهواء ، فيكت حليلة وكشفت عن رأسها ونفت شعرها وصاحت وقالت واحمده ، فاجتمع عندها الناس وأعمام محمد وأقاربه وأخبرتهم ، فركبوا الأفراس وذهبوا من كل وجه ، فوجدوا محمداً في ظل تلك الشجرة مستلقياً على قفاه مستغرقاً في عرقه ، فسألوه عن حاله فأخبرهم بالقصة ، فعجبوا من ذلك الأمر وقالوا إن هذا شيء عجب (موعظة) قال الشيخ أبو حفص : إن أبا جهل وأشراف قريش جاءوا إلى أبي طالب عم النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا : إن ابن أخيك هذا أظهر ديناً بخلاف ما كنا عليه ، وهو يسب آلهمتنا ونحن نعفونه شرفاً لك ، فإن ترك ماجرى

عليه من الخلاف وعاد إلى الوفاق وإلا لم يبق بيننا إلا السيف ، فقال لهم أبو طالب : اقموا حق استدعيه وأستخبره وأبصر ما يحيني ، فدعا حفص بن عمر وكان أبو طالب جالساً على سرير متكئاً عليه ، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام إلى هؤلاء الرؤساء من قريش حتى بلغ الشريفة ، فجلسوا واستند بحجب أبي طالب فقالوا لأبي طالب : أما رأيته كيف ترك حرمته وخطب أعناقنا وقعد بحجبتك على سريرك ؟ فقال إن كان فيما يقول ويدعي صادقاً فالיום قعد على سرير وغدا يقعد على أعناقكم ، فقالوا : إن كان صادقاً في دعواه ، قل له جئ بحجة قدامك حتى نقره ونصدقك ، فقال أبو طالب يا ابن أخي ما تقول فيما قالوا ؟ قال عليه الصلاة والسلام عنوا ما شئتم ، وكان في صحن الدار صخرة ، فاجتمعت آراؤهم على أن يخرج من هذه الصخرة شجرة تنشق رأسها نصفين يبلغ أحدهما للشرق والآخر المغرب ، فاشتغل النبي عليه الصلاة والسلام بالدعاء فترل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله تعالى يقول : منذ خلقت هذه الصخرة علمت أنهم يطلبونك بهذه للحجة ، وقد خلقت تلك الشجرة في جوفها ، فأشار عليه الصلاة والسلام فانثقت تلك الصخرة نصفين وخرجت منها تلك الشجرة وارتفعت حتى بلغت عنان السماء على حسب ما طلبوا منه ، فقالوا ما أحسن ما جئت به ولكن لا تؤمن بك حتى ترد الشجرة إلى الصخرة كما كانت ، ففكر النبي عليه الصلاة والسلام فترل جبرائيل عليه السلام وقال : إن الله يقرئك السلام ويقول : الدعاء منك والإجابة مني ، فدعا عليه الصلاة والسلام فرجعت الشجرة إلى حالها فقاموا من الوضع فقالوا ما أسحرك يا محمد ما رأينا قط مثلك (معجزات) .

المجلس الخامس والستون : في بيان البكاء

سورة الحشر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لقد) يوم القيامة محاسباً له لدنوه أولاً لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتكبره للتعظيم ، وأما تكبير النفس فلا استقلال الأتقى التواضع فيما قدم من الآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك (واتقوا الله) تكريماً للتأكيد ، أو الأول في أداء الواجبات لأنه مقرون بالعمل ، والثاني في ترك المحارم لاقرانه بقوله (إن الله خير بما تعملون) وهو كالوعيد على العاصي (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) نسوا حقه (فأنساهم أنفسهم) فجعلهم ناسين لها حتى لم يسموا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من المولود ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) أي الكاملون في الفسق (قاضى يضاهى) .

عن أبي كاهل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يا أبا كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لي وشوقاً إلى كان حقاً على الله أن ينفر

له ذنوب ذلك اليوم وذنوب تلك الليلة ، (زبدة الواعظين) قيل كان لعمر رضى الله عنه صحيفة يكتب فيها ما فعله من الأسبوع إلى الأسبوع من الخير والشر ، فإذا كان يوم الجمعة مرض أعمال الأسبوع على نفسه ، فكلما بلغ شيئا في غير رضا الله تعالى جعل يضرب بالدرة نفسه ويقول : أفعلت هذا ؟ فلما يأت أرادوا غسله ، فإذا في ظهره وجنيه سواد من كثرة الضرب ، وكان إذا سمع آية العذاب من القرآن خرم مشيا عليه ، ويكون مريضا ومجىء ، أحياه للعبادة وعلى وجهه خطان من كثرة سيلان دموع عينيه ويقول : ليتنى لم تلدنى أمى ، فيوما كان يمشى فسمع قارئا يقرأ القرآن (إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع) فسقط عن دابته مغشيا عليه ، فحملوه إلى بيته فلم يخرج من بيته شهرا (مجالس الأبرار) عن كعب الأحبار أنه قال : لأن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموع عينى أحب إلى من أن أتصدق بوزن نسي ذهبا ، لأنه ما من بك يبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموع عينه على الأرض إلا لم تحسبه النار (مجالس الأبرار) روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : ما زهد الزاهدون في شيء مثل الزهد في الدنيا ، وما تقرب للتقربون إلى شيء مثل الورع عما حرمت عليهم ، وما تعبد للتعبدون إلى عبث من بكى من خشيق ، فقال موسى عليه السلام : يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين فما تشيهم على ذلك ؟ قال الله تعالى : أما الزاهدون فأصبح لهم الجنة يتبوءون منها حيث يشاءون ، وأما التورعون عما حرمت عليهم فأدخلهم الجنة بغير حساب ، وأما الباكون من خشيق فهم مع الرفيق الأعلى في الجنة (موعظة) وفي الخبر « إذا كان يوم القيامة يوقف العبد بين يدي الله تعالى ، فيؤتى كتابه ويحد فيه سيئات كثيرة فيقول : إلهى ما فعلت هذه السيئات ؟ فيقول الله تعالى إن لى شهودا ثقات ، فلتفت إلى يمينه وشماله ولم ير أحدا من الشهود ، فيقول يا رب أين الشاهد ؟ فيأمر الله جوارحه بأن تشهد عليه ، فتشهد فتقول الأذنان : إنا سمعنا وعلينا أنه قد عمل والعينان إنا قد نظرنا واللسان أنا قد قلت وكذا اليدان والرجلان إنا فعلنا والفرج أنا زينت ، فيبقى العبد متعجرا فيأمر الله تعالى به إلى النار ، فيظهر من عينه البعوض شجرة واحدة تستأذن من الله تعالى أن تتكلم ، فيأذن الله تعالى لها فتقول : يا رب أأست قلت : أى عبد أغرق شجرة واحدة من أجفانه بدموع عينيه من خشيق إلا آتيته من النار ؟ فيقول الله تعالى بلى ، فتقول أنا أشهد أن هذا العبد اللذنب قد أغرقنى بالدموع من خشيتك ، فيأمر الله تعالى به إلى الجنة ، فينادى للنادى ألا إن فلان ابن فلان قد نجا من النار بشجرة واحدة من أجفان عينيه » (حياة القلوب) روى عن عطاء أنه قال : دخلت أنا وابن عمر وعبيد بن عمرو على عائشة رضى الله تعالى عنها فقال ابن عمر : يا عائشة حديثنا بأعجب شيء عن النبي عليه الصلاة والسلام فبكت

وقالت « أتاني رسول الله عليه الصلاة والسلام ليلة هي ليالي ، فالتزق جلده بجلدي ثم قال : يا عائشة ائذني لي أن أعبد ربي ، فقلت إني لا أحب هواي بل أحب قريبك إلى الله تعالى ، فقام إلى قرية في البيت وهو يكي فتوضأ وأكثر من صب الماء ، ثم افتتح القرآن فبكي حتى جرت دموعه على الأرض ، فجاء بلال وهو يكي ، فقال يا رسول الله بأتى أنت وأمتي ما يسيبك فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ وما يعنى عن البكاء وقد أنزل الله تعالى على البارحة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب . الذين يذكر الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار) يا بلال لا يطفئها إلا ماء العين ، ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يفكر فيها » (مجالس الأبرار) وروى عن ابن عباس وعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما أنهما قالوا : قال عليه الصلاة والسلام « إذا أشعر جلد العبد من خشية الله تعالى سقطت عنه ذنوبه كما تسقط عن الشجرة اليابسة أوراقها » (حياة القلوب) قيل « إذا كان يوم القيامة تخرج من الجحيم نار مثل الجبال ، فتقصد أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيجتهد النبي عليه الصلاة والسلام في دفعها فلا يقدر ، فينادى يا جبرائيل يا جبرائيل اخلق الحلق النار قد قصدت أمتي لتحرقهم ، فيأتى جبرائيل عليه السلام بفدح من الماء فيناوله الرسول فيقول : يا رسول الله خذ هذا الماء ورشه عليها ، فإذا ورشه عليها تطفأ في الحال ، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل ما هذا الماء لم أر مثله في إطفاء النار ، فيقول جبرائيل عليه السلام : ما هذا إلا دموع أمتك الذين سيكون من خشية الله تعالى في الخلوة ، فأمرني ربي أن آخذه وأحفظه إلى وقت احتياجك إليه لتطفى به النار التي قصدت أمتك » (موعظة) يقال إن آدم عليه السلام بكى حين هبط من الجنة ثلاثمائة عام وما رفع رأسه إلى السماء خياء من الله تعالى وسجد ساجدة على جبل الهند مائة عام يكي حتى جرت دموع عينيه في وادئ سرنديب ، فأثبت الله في ذلك الوادئ من دموع عينيه الدار صيني والقرنفل وشربت الطيور من دموع عين آدم عليه السلام ، فقالوا لم تشرب شرابا أعظم من هذا فظن آدم عليه السلام أنهم يسخرون منه لعصيانته ، فأوحى الله تعالى إليه يا آدم إني لم أخلق شرابا لك وأعظم من ماء عيون العضاة » (زهرة الرياض) .

(حكى) أن رباحا العبسي اشترى غلاما أسود بأربعة دنانير ، فكان لا يشام ولا يدع مولاه ينام ، فإذا جن الليل قال رباح : يا غلام لم لا تنام ولا تدعنا ننام ؟ فقال : يا مولاي إذا جن ظلام الليل ذكرت ظلمة القبر وظلمة جهنم فيطير نومي ، فإذا ذكرت الوقوف بين يدي ربي عظم غم قلبي ، وإذا ذكرت الجنة ونعيمها تضاعف شوقي ، فكيف لي

بالنوم يا مولاي ؟ فلما سمع رباح ذلك خر مغشيا عليه ، فلما أفاق قال : يا غلام مثلي لا يصلح أن يملك مثلك ، اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (مجالس الروي) روى أن رجلا له ابن صغير بيت معه في الفراش ، ففي ليلة اضطرب ولم ينام ، فقال له يا ولدي أبك وجع ؟ قال لا يا أبي ، ولكن غدا يوم الخميس يوم أعرض ما كسبت من العلم ويسمع معلى منى في الأسبوع ، فأخاف أن يجد الأستاذ خطأ فيضربني ويفضبط علي ، فصاح الرجل صيحة وأهال التراب على رأسه وبكى ، فقال : أنا أحق بهذا الخوف ليوم العرض على الرحمن بما كسبت في الدنيا من العصيان كما قال الله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) (موعظة) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « لا تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن جسمه فيم أبلاه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفق » (طريقة) قال أهل المعرفة : اغسلوا أربعا بأربع : وجوهكم بماء أعينكم ، وألسنتكم بذكر خالقكم ، وقلوبكم بخشية ربكم ، وذنوبكم بالتوبة إلى مولاكم . قال الفقيه : الذنب على وجهين : ذنب فيما بينك وبين الله وذنب فيما بينك وبين العباد ؛ فأما الذنب الذي بينك وبين الله فتوبته الاستغفار باللسان والندم بالقلب والإضمار أن لا يعود إليه أبدا ، فإن فعل ذلك فإنه لا تنفعه التوبة ما لم يقض ما فاتته ثم يندم ويستغفر الله ؛ وأما الذنب الذي بينك وبين العباد فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحاللوكم (موعظة) فأما العبد المذكور في الحديث الشريف فهو وإن كان عاما لكونه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه الصلاة والسلام « يدخل الجنة من أمي سبعون ألفا بغير حساب » فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفا ، فلا بد لكل من يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش في الحساب ويطلب بمناقيل الثمر من الأعمال والأفعال ، ويتحقق أنه لا ينجيه من هذه الأخطار إلا لزوم محاسبة النفس في تجارتها لآخرتها ومطالبتها في أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يحفف عليه يوم القيامة حسابه ويحضره عند السؤال جوابه ويحسن من قلبه ومآبه ، ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقفاته ويقوده إلى الحزى والمقت سيئاته ، فإذا لا بد للمؤمن من أن لا يغفل في تجارتها لآخرتها عن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن هذه التجارة يربح بها الفردوس الأعلى والبلوغ إلى سدة النسي مع النبيين والصديقين والشهداء (من مجالس الروي) .

قال الراغب : النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما لغفلة حتى ينحذف عن القلب ذكره ، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به ، فهو ما كان أصله

عن تعمد ، وما عذر فيه نحو ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان » فهو ما لم يكن سببه منه ، فقبوله تعالى (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) هو ما كان سببه عن تعمد منهم وترك على طريق الإهانة ، وإذا نسب ذلك إلى الله تعالى فهو تركه إياهم استهانة بهم وبمجازاة لما تركوه كما قال في الباب : قد يطلق النسيان على الترك ومنه قوله تعالى (نسوا الله فنسيهم) أى تركوا طاعة الله ترك الناسى فتركهم الله . وقال بعض المفسرين : إن قيل إن النسيان يكون بعد الذكر وهو ضد الذكر لأنه السهو الحاصل بعد حصول العلم ، فهل كان الكفار يذكرون حق الله سبحانه وتعالى ويعترفون بربوبيته حتى ينسوا بعد ؟ أوجب بأنهم اعترفوا وقالوا بلى يوم للثاق ثم نسوا ذلك بعد ما خلقوا ، والمؤمنون اعترفوا بعد الخلق كما اعترفوا قبله بهداية الله تعالى وراعوا حقها قل أو كثر جل أو صغر . مثل ذوالنون المصرى عن سر ميثاق مقام (ألسن بربكم) هل تذكره ، فقال كأنه الآن فى أذن (زوج البيان) .

المجلس السادس والستون : فى بيان فضيلة الجمعة

سورة الجمعة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة) أى أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لإذا وإنما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة ، وكانت العرب تسميه العروبة ، وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع الناس فيه إليه . وأول جمعة جمعها النبي عليه الصلاة والسلام أنه لما قدم المدينة نزل قباء وأقام بها إلى الجمعة ، ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى داربنى سالم بن عوف (فاسعوا إلى ذكر الله) أى فامضوا إليه مسرعين قصدا ، فان السعى دون العدو ، والذكر الخطبة ، وقيل الصلاة . والأمر بالسعى إلها يدل على الوجوب (واذروا البيع) أى واتركوا للعامة (ذلكم خير لكم) أى السعى إلى ذكر الله خير لكم من العامة ، فان شغل الآخرة خير وأبقى (إن كنتم تعلمون) أى الخير والشر الحقيقين ، أو إن كنتم من أهل العلم (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة » وكذلك روى عن أنى الدرداء أنه قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود يشهده الملائكة ، وإن أحد يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » الحديث . وسبب نزول هذه الآية وهى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة) « أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخطب على النبر يوم الجمعة إذا قبل حجة السكبي من تجارة الشام وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه ، فخرج الناس إليه ولم

يقيم في المسجد إلا اثنا عشر رجلا ، قُرئت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوا قائما) فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسي بيده لو لم يبق هؤلاء الاثنا عشر رجلا منكم لسال الوادي نارا « وهو قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) الآية . (سبغات) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : الجمعة واجبة على من بينه وبين الجمعة مسافة يمكن الرجوع بعد أدائها إلى وطنه .. قال عليه الصلاة والسلام « من ترك الجمعة بلا عذر فليصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار ومن ترك ثلاث جمع متواليات لا تقبل شهادته » (مصابيح) عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه ، وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة ، فإذا صلى الجمعة أجر بعمل مائتي سنة » ، وعن سعيد بن المسيب أنه قال : لأن أصلي صلاة الجمعة أحب إلي من حجة تطوعا ، وكذا روى عن ميسرة أنه قال : مررت بمقابر المسلمين فقلت : السلام عليكم يا أهل القبور أتم لنا سلف ونحن لكم تبع ، فرحم الله تعالى إيانا وإياكم وغفر لنا ولكم ، فسمعت نداء من قبر يقول : طوبى لكم يا أهل الدنيا تحبون في كل شهر أربع مرات ، فقلت أين نخرج كذلك ؟ قال : هي الجمعة ، أما تعلمون أنها حجة مبرورة ؟ فياليتنا ندور على أبواب مساجدكم حتى ننظر أعمالكم ونسمع أذكاركم ، ولكن قدر خينا عنكم يا أهل الدنيا بقولكم لنا رحم الله فلانا المتوفى (زبدة الواعظين) روى عن أبي عمرو عن أبيه عن جده عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن من وراء جبل قاف أرضا بيضاء ليس فيها شيء من النباتات كأنها مثل الفضة وسعتها مثل الدنيا منبع مرات مملوءة من الملائكة لو سقطت إبرة لسقطت عليهم ، وفي يد كل منهم لواء طوله أربعون فرسخا ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يجتمعون كل ليلة جمعة حول جبل قاف ، فيتضرعون إلى الله تعالى ويدعون بالسلامة لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فإذا انفجر الصبح يقولون : اللهم اغفر لمن اغتسل وحضر الجمعة ، فيرفعون أصواتهم بالبكاء فيقول الله تعالى : يا ملائكتي ماذا تريدون ؟ فيقولون نريد أن تغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول الله تعالى : قد غفرت لهم » (مشكاة الأنوار) روى في الخبر « أن الله تعالى خلق منارة من فضة بيضاء في جانب البيت للعمور وطول المنارة خمسمائة عام ، فإذا كان يوم الجمعة يصعد جبرائيل عليه الصلاة والسلام على تلك المنارة فيؤذن ، ويصعد إسرافيل عليه الصلاة والسلام على المنبر فيخطب ، فيؤم ميكائيل عليه الصلاة والسلام بالملائكة ، فإذا فرغوا من الصلاة يقول يا جبرائيل عليه الصلاة والسلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الأذان وهبته لجميع مؤذني المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في وجه الأرض ، ويقول إسرافيل عليه (١٧ - درة الناصحين)

الصلاة والسلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الخطبة وهبته لجميع الخطباء في وجه الأرض من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول ميكائيل عليه الصلاة والسلام : ما حصل لي من الثواب لأجل الإمامة وهبته لجميع من يؤم يوم الجمعة في وجه الأرض ، ويقول الملائكة كلهم : ما حصل لنا من الثواب لأجل الجماعة وهبناه لجميع من صلى الجمعة خلف الإمام ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي هل تظهرون عندي سخاوة ؟ وعزتي وجلالي قد غفرت اليوم لمن صلى من عبادي صلاة الجمعة امتثالاً لأمرى واقتداءً بحبيبي محمد (زبدة الواعظين) . (حكي) أن رجلاً حمل حنطة على حمار وذهب إلى الرحي قال فلما أخذت الحنطة عن الحمار هرب مني ولى جار في الأرض جاء فقال التوبة لك اليوم في الماء فاسق أرضك وإلا تلفت نوبتك ، وكان اليوم يوم جمعة ، فقلت لنفسي صلاة الجمعة أحب إلي من غيرها وتركت الكل وصليت الجمعة ، ثم رجعت إلى البيت فإذا الحنطة قد طحنت والحبر قد طبع والأرض قد سقيت والحمار قد رجع إلى البيت ، فقلت لا مرآتي كيف هذه الحالة ؟ فقلت ذهب جارنا إلى الرحي فطحن جوالقا وهو يظنه جوالقه ، فلما حمله إلى منزله عرفت أنه جوالقنا فأخذه إلى بيتنا ، وأما الأرض فجاء الماء من أرض الجار فامتلاّت ، فلما رأيت ذلك تركت أمور الدنيا كلها وداومت على العبادات والطاعات (مطالع الأنوار) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن الله تعالى خلق ملكاً قائماً تحت العرش وله أربعون ألف قرن من القرن إلى القرن مسيرة ألف عام ، وعلى كل قرن أربعون ألف صف من الملائكة ، وفي وجهه شمس وعلى قفاه قمر وعلى صدره كواكب ، فإذا كان يوم الجمعة يسجد لله تعالى ويقول في سجوده : اللهم أغفر لمن صلى صلاة الجمعة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، ويقول الله تعالى يا ملائكتي اشهدوا أنني قد غفرت لمن صلى صلاة الجمعة » (كنز الأخبار) عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من اغتسل يوم الجمعة كفرت عنه ذنوبه وإذا مشى إلى الجمعة كتب الله تعالى له بكل خطوة عبادة عشرين سنة ، فإذا صلى الجمعة أجر بعمل مائتي سنة » الحديث . (حكاية) . كان في زمن مالك بن دينار أخوان مجوسيان عبد أحدهما النار ثلاثاً وسبعين سنة والآخر خمسا وثلاثين سنة ، ثم قال الأصغر للأخ الأكبر يا أخي نعبد النار منذ كذا وكذا تعال نخبرها إن أحرقتنا كسائر الناس لم نعبدها قط وإلا نعبدها إلى الموت ، فأوقدوا ناراً ، فقال الأخ الأصغر للأخ الأكبر : أنت تضع يدك في النار أولاً أم أنا أضعها ؟ فقال بل أنت تضع يدك تبدأ بها فوضع الأصغر يده فيها فأحرقت يده ، فقال ويحك ونزع يده وقال لها : يا نار أعبدك منذ كذا وكذا فتؤذيني يا ظالمة ، ثم قال لأخيه الأكبر : يا أخي تعال تركها ، فقال لا أترك وترك الأصغر وجاء مع عياله إلى باب مالك بن دينار وهو جالس واعظاً وقص عليه القصة وعرض عليه الإسلام

وعلى أهل بيته ، فبكى الناس كلهم فرحا ، ثم قال له مالك بن دينار : اجلس فينا مع أصحابي أجمع لك من أصحابي شيئا من أموال الدنيا ، قال لا أريد أن أبيع الدين بالدنيا ، ثم انصرف فوجد من خربات البلد خربة ، فدخل فيها مع عياله فعبدوا الله تعالى ، فلما أصبح قالت امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملا واشتره طعاما ، فذهب إلى السوق فلم يستأجره أحد ، فقال في نفسه أعمل لله تعالى ، فدخل للمسجد وصلى إلى الليل ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، فقالت له امرأته ألم تجد شيئا ؟ قال عملت اليوم لواحد وقال أعطيك أجرتك غدا ، فباتوا جياعا ، فلما أصبح ذهب إلى السوق فلم يجد عملا ، فعقل الله كذلك ، ثم رجع إلى منزله صفر اليدين ، وسألت امرأته فأجاب كما أجاب أولا فباتوا جياعا ، فلما أصبح وكان اليوم يوم جمعة فلم يجد فيه عملا ، فذهب إلى المسجد وصلى ركعتي الجمعة ورفع يده إلى السماء وقال : يارب بحرمة هذا الدين وبحرمة هذا اليوم ارفع حزن نفقة عيالي عن قلبي ، وإني أستحي من عيالي وأخاف عليهم أن يرجعوا إلى دين أخى الأ كبر لقلبة الجوع عليهم ، فلما دخل وقت الظهر جاء شخص على باب تلك الخربة وقرع الباب ، فخرجت امرأته فاذا هو شاب حسن الوجه يده طبق من ذهب مغطى بمنديل ، فقال لها خذى هذا وقولى لزوجك : هذا أجره عملك لله تعالى يوم الجمعة فان العمل القليل في هذا اليوم كثير عند الله أجره ، فأخذت الطبق فكشفت غطاءه فاذا فيه ألف دينار ، فأخذت دينارا وإحدى وذهبت إلى الصراف فوزنه الصراف فزاد وزنه على ذهب الدنيا مثلين ، فنظر الصراف إلى نفسه فلم أنه ليس من دنائير الدنيا ، فقال لها من أين وجدت هذا قصصت عليه القصة ، فقال لها عرضي على الإسلام فعرضته عليه فأسلم فدفع إليها ألفا من ذهب الدنيا ، فلما صلى الشاب الجمعة جاء إلى منزله صفر اليدين ، فوضع في منديه شيئا من التراب وقال في نفسه لو سألتني امرأتى فقالت ما فعلت أقول فعلت بالديق ، فلما دخل إلى بيته وجد فيه ريع الطعام ، فوضع المنديل عند الباب لئلا تشعر هي ، ثم سألها عما رأى في البيت ، قصصت عليه القصة ، فسجد لله تعالى شكرا لما جاء من عند الله تعالى ، ثم قالت امرأته ما جئت به في المنديل ؟ فقال لا تسألى ، ففتحت المنديل فاذا التراب صار دقيقا باذن الله تعالى بحرمة صلاة الجمعة ، فسجد الشاب لله تعالى .

(هذه حكاية مختصرة من حديث الأربعين) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام ذهب إلى جبل بيت المقدس ، فرأى قوما يعبدون الله تعالى بالجهد والسعى ، فسألم فقالوا نحن من أمتك نعبد الله تعالى هنا منذ سبعين سنة بالجهد والسعى لباس الصبر وطعامنا نبات الأرض وشراينا ماء الطير ، فقهرج قومي عليه الصلاة والسلام بذلك ، فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لأمة محمد يوم فيه رجعتان خير من هذا كله ، فقال يارب أى يوم

هو؟ قال يوم الجمعة، فمضى موسى عليه الصلاة والسلام ذلك اليوم، فقال الله تعالى يا موسى يوم السبت لك ويوم الأحد لعيسى والاثنتين للخليل إبراهيم والثلاثاء لتركيا والأربعاء ليحيى والخميس لآدم والجمعة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأمته، فمعجب موسى عليه الصلاة والسلام من فضل هذه الأمة (زبدة) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «أتأتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام وفي كفه امرأة يضاء، وقال ههنا يوم الجمعة يرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولأمتك بسبك، وفي وسط المرأة قطعة، فقلت ما هذه النقطة؟ قال هي ساعة من أربع وعشرين ساعة، فمن دعا الله تعالى في تلك الساعة استجاب الله دعاءه وهو سيد الأيام» (زبدة الواعظين) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال «إذا كان يوم الجمعة يبعث الله تعالى لللائكة على وجه الأرض وفي أيديهم أقلام من ذهب وقراطيس من فضة، يقفون على أبواب المساجد ويكتبون اسم من دخل المسجد وصلى الجمعة، فإذا فرغوا من الصلاة يرجعون إلى السماء فيقولون ياربنا كتبنا اسم من دخل للمسجد وصلى الجمعة، فيقول الله تعالى يا ملائكتي وعزتي وجلالي إني قد غفرت لهم وما عليهم شيء من ذنوبهم» (رونق المجالس) قال عليه الصلاة والسلام «من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة، فإذا خرج الإمام إلى المنبر طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت لللائكة عند المنبر يستمعون الخطبة، فمن جاء بعد ذلك فكأنما جاء لحق الصلاة» ويقال إن الناس يكونون في قريتهم عند النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة، ولذا قيل: أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة، ولذا جاء في الأثر: إن لللائكة يتفقون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة ويقولون: اللهم إن كان مأخوذاً فافقه، وإن كان مرعاً فاشفه، وإن كان شغلاً فحضره لعبادتك، وإن كان لهواً فأمل قلبه إلى طاعتك، وكانت الطرق في القرن الأول بعد الفجر مملوءة من الناس يمشون بالسرير ويزدحمون فيها إلى الجامع كأيام العيد حتى انقطع ذلك (زبدة الواعظين).

المجلس السابع والستون: في بيان الجحيم والزبابة

سورة التحريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وقيل الطاعات (وأهلكم) بالنصح والتأديب، وقرئ: أهلكم عطفاً على قوا فيكون أهلكم أقس القيلين على تغليب المخاطبين في ناراً وقودها الناس والحجارة) ناراً تنقد بهما انتقاد غيرها بالخطب (عليها منازكة) تل

أمرها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الأقوال شداد الأفعال ، أو غلاظ الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لا يهزون الله ما أمرهم) فيأمنون (ويفعلون ما يؤمرون) فبا يستقبل ، أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤذون ما يؤمرون به (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ليردن على حوضي يوم القيامة أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم على » (شفاء شريف) وفي الخبر « إن العبد إذا بكى من خشية الله حتى خرج من عينيه دموع خلق الله من تلك الدموع شجرة يقال لها شجرة السعادة ، فإذا هبت عليها ريح الحزف والحزن خرج منها صوت يقول : وأحمداه ، فيرد الله ذلك النداء إلى رسوله عليه الصلاة والسلام في قبره ، فيبكي لأمة فيخلق الله من دموع عينيه شجرة يقال لها شجرة الشفاعة ، فإذا هبت عليها ريح النبوة والرسالة يخرج منها صوت يقول : وأمتاه ، فيرد الله ذلك الصوت على السموات ، فتسمع الملائكة ، فيسجدون لله ويكونون يتضرعون ويقولون : وأمة محمداه ، فيسمع الله بكاءهم وتضرعهم ويقول يا ملائكتي ما يبكيكم ؟ فيقولون ربنا أنت أعلم بكاننا وتضرعنا لأمة محمد ، فيقول الله تعالى : يا ملائكتي اشهدوا آتى قد غفرت لمن بكى من خشيتي من أمة محمد » (حياة القلوب) قيل المراد من الناس هم الكفار ، والحجارة : الجهال الذين لا يقبلون النصيحة ، والحجارة جمع حجر على غير القياس والقياس فيه الأحجار كالأشجار جمع شجر (تفسير النسفي) وقيل المراد من الحجارة هي الأصنام التي عبدوها من الشجر والحجر كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أتم لها والدون) وإنما جبل التعذيب بها ليتحقق عند أهل الأصنام أنها ليست بلائقة للعبادة وليروا ذلتها ومهاتها بعد اعتقادهم عزتها وعظمتها وإدخال الأصنام فيها لا لتعذيبها بل لتعذيب الكفار بها وما به العذاب لا يكون له العذاب كما قال الله تعالى (يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم) الآية . أدخلت الأموال في جهنم ليعذب بها مانع الزكاة والعذاب لأهل المال لا للمال (من تفسير النسفي) . (حكى) أن زكرياء عليه السلام كان إذا جلس للعبادة يلتفت يمينا وشمالا ، فإذا لم ير ابنه يحيى عليه السلام ذكر آيات العذاب وإذا رآه لم يذكر شيئا من آيات العذاب شفقة لابنه لعدم تحمله استماع النار ، فجلس يوما للعبادة ، فنظر القوم ولم ير ابنه لكثرة الناس ، وكان يحيى قد لف رأسه في مدرعته في وسط الناس ، فذكر زكرياء عليه السلام آيات النار وهو يبكي ، فقال حدثني جبرائيل عليه السلام أن في جهنم جبلا يقال له سكران ، وفي أصله واد يقال له غضبات ، خلق من غضب الرحمن ، وفي ذلك الوادي جباب من النار عميق كل جب مسيرة مائتي عام ، وفي تلك الجباب توايت من النار وفي تلك التوايت سلاسل وأغلال ، فلما سمع يحيى عليه السلام قام مسرعا وخرج وهو

ينادى : آه من السكران آه من الغضبان ، فوثب زكرياء عليه السلام وامرأته وخرجا فى أثره فلم يجداه فأبأ راعيا فقالا هل رأيت شابا كذا وكذا ؟ فقال لعلكما تطلبان يحيى ؟ قالا نعم ، قال تركته فى عتبة وهو يقول : لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى أعلم أنزلى فى الجنة أم فى النار ؟ فأبأ به وهو ينادى فبالت أمه : يا بني بحق ما حملتك فى بطنى كذا وأرضعتك من ثدى كذا أقبل علينا واذهب معنا إلى المنزل ، فأقبل وانطلق إلى المنزل ، وقال له أبوه : إن لى إليك حاجة تنزع هذه المدرعة وتلبس هذه الجبة ففعل ذلك ، فطبخت له أمه مرققة من عدس فأكل ، فأخذه النوم فنام ، فنودى فى نومه : يا يحيى وجدت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى ، فقام فزعا باكيا ، فقال ردوا على مدرعتى وخذوا جبتكم علمت أنكم تريدون هلاكى ، فقال زكرياء عليه السلام : دعوا ابني يعمل لنفسه لعله ينجو من النار ، فلما اشتدت عبادته أوحى الله تعالى إلى زكرياء عليه السلام : آتى قد حرمت عليكم النار ، ثم اطمانت قلوبهم وازدادوا فى عبادة الله كما قال الله تعالى فى حقهم (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (ذخرة العابدين) وروى فى الخبر « أن الله تعالى أرسل جبرائيل عليه السلام إلى مالك خازن جهنم بأن يأخذ من النار ، فيأتى بها إلى آدم عليه السلام حتى يطبخ بها طعامه ، فقال مالك يا جبرائيل كم تريد من النار ؟ قال جبرائيل عليه السلام : قدر تمر ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لذاب السبع السموات والسبع الأرضين من حرها ، فقال جبرائيل عليه السلام : نصفها ، فقال مالك : لو أعطيتك ما تريد لم ينزل من السماء قطرة ولم ينبت من الأرض نبات ، ثم نادى جبرائيل عليه السلام : إلهى كم آخذ من النار ؟ فقال الله تعالى خذ مقدار ذرة منها ، فأخذ مقدار ذرة وغسلها فى سبعين نهرا من أنهار الجنة سبعين مرة ، ثم جاء بها إلى آدم عليه السلام ، فوضعها على جبل شاهق من الجبال فذاب ذلك الجبل ورجعت النار إلى مكانها وبقي دخانها فى الأحجار إلى يومنا هذا ، فهذه النار من دخان تلك الدرة » فاعتبروا يا أيها الإخوان (دقائق الأخبار) قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن أهون أهل النار عذابا أن يعذب الرجل وله نعلان من النار يغلى منهما دماغه كأنه مرجل على حجارة يشعل منه لهب النار ويخرج جشاء بطنه من قدميه ، وإنه ليرى أنه من أشد أهل النار عذابا وهو من أهون أهل النار » (دقائق الأخبار) .

(جكى) عن منصور بن عمار أنه قال : كنت أطوف فى سكة من سبكات الكوفة فى ليلة مظلمة ، فسمعت صوتا فى منزل من منازلها يقول : إلهى بعزتك وجلالك لا تنظر إلى معصيتى واغفر ذنبي وأقبل عذرى ، فان لم تقبل عذرى فكيف يكون حالى ، فلما سمعت هذا قرأت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) الآية . فسمعت صوتا

وحركة شديدة ثم سكنت الحركة فلم أسمع بعدها أثر الحياة ففضيت ، فلما أصبحت رجعت من الطريق الذى جئت منه فرأيت القوم فى ذلك المكان يكونون وعجوزا تبكى وهى أم الميت تقول : لا يجازى الله قاتل ابنى خيرا وهو من تلا آية العذاب وهو قائم يصلى فى المحراب ، فلما سمعها لم يتحمل قلبه حتى صاح وخر ميتا ؟ فلما سمعت هذا وكنت مغتا رأيت تلك الليلة فى المنام العالى قتلته : ما فعل الله بك ؟ قال فعل بي ما فعل بشهداء أحد ويدر . قلت فكيف هذا ؟ قال لأنهم قتلوا بسيف الكفار ، وأنا قتل بسيف الملك الغفار (مشكاة الأنوار) وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي عليه والصلاة والسلام أنه قال « إن فى النار حيات وعقارب مثل أعناق الإبل ، فتلسع أحدكم لسعة يجد حرارتها أربعين خريفا » (دقائق الأخبار) . (حكى) أن شيخا كان يمشى على شط نهر قرأى صبيا يتوضأ وهو يبكى ، فقال الشيخ : يا صبي ما يبكيك ؟ فقال الصبي قرأت القرآن حتى جاءت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) الآية . خفت أن يلقينى الله فى النار ، قال الشيخ يا صبي أنت معصوم فلا تخف إنك لا تستحق النار ، فقال الصبي يا شيخ أنت عاقل ؟ ألا ترى أن الناس إذا أوقدوا نارا لحاجتهم وضعوا أولا صنار الحطب ثم وضعوا الكير ، فبكى الشيخ بكاء شديدا وقال : إن الصبي أخوف منا من النار فكيف يكون حالنا . فاعتبروا يا أولى الأبواب ، لم لا تبكى على نفسك المرهونة بالنار والموت راكب على عنقك والقبر منزلك والقيامة موقفك والحصاء أقوياء والقاضى الجبار والنادى جبرائيل والسجن جهنم والسجان الزبانية وأنت لا تصبر على حر الشمس ، فكيف تصبر على لسع الحيات والعقارب ؟ (جامع الجوامع) . روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « سمعت ليلة المعراج دويما ، قفلت لجبرائيل : يا جبرائيل ما هذا الدوى ؟ قال حجر ألقى فى السعير منذ سبعين خريفا والآن انتهى إلى قعرها » كما قال أبو هريرة رضى الله عنه « كنا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فسمعنا صوتا مع الهيبة والشدة ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أتدرون ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حجر أرسل فى جهنم منذ سبعين عاما والآن انتهى إلى قعرها » (زبدة الواعظين) . (وحكى) أن عابدا عبد الله تعالى مدة ثم توضأ يوما من الأيام وصلى ركعتين ورفع رأسه ويده فقال : إلهى قبل منى ، فنادى مناد من قبل الرحمن : لا تنطق يا ملعون فان طاعتك مردودة ، فقال العابد لم ذلك يا رب ؟ قال النادى إن امرأتك فعلت فعلا مخالفا لأمرى وأنت راض عنها ، فجاء العابد وسأل عن حالها ؟ فقالت ذهبت إلى مجلس الفساد وسمعت اللعب وتركت الصلاة ، فقال العابد أنت طالق منى فانى لا أقبلك أبدا ، فطلق امرأته وتوضأ وصلح ركعتين ثم رفع رأسه ويده وقال : اللهم تقبل منى ، فنودى الآن قد قبلت طاعتك (عيون) .

روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « تعوذوا بالله من
جب الحزن ، قيل يا رسول الله وما جب الحزن ؟ قال وادق جهنم تتعوذ جهنم منه كل يوم سبعين
مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين » (زبدة الواعظين) قال منصور بن عمار : بلغني أن مالك خازن
النار أيديا بعدد أهل النار مع كل رجل يد تقيمه وتقعنه وتغله بسلسلة ، فإذا نظر إلى النار أكل
بعضها بعضا من خوف مالك ، وحروف البسملة تسعة عشر ، وعدد الزبانية كذلك ، سموا بذلك
لأنهم يفعلون بأرجلهم كما يفعلون بأيديهم ، فيأخذ الواحد منهم عشرة آلاف من الكفار يد
واحدة وعشرة آلاف رجله وعشرة آلاف يده الأخرى ويأخذ بالرجل الأخرى كذلك ،
فيعذب أربعين ألف كافر مرة واحدة بما فيه من قوة وشدة ، أحدهم مالك خازن النار ، وثمانية
عشر مثله وهم رؤساء لللائكة تحت كل ملك منهم من الحزنة ما لا يحصى عددهم إلا الله ، أعينهم
كالبرق الحاطف ، وأسنانهم كيباض قرن البقر ، وشفاهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من
أفواههم ، ما بين كتفي كل واحد منهم مسيرة سنة واحدة ، لم يخلق الله في قلوبهم من الرحمة والرافة
مقدار ذرة ، يهوى أحدهم في بحار النار مقدار أربعين سنة فلا تضره النار لأن النور أشد من حر
النار ، فعوذ بالله من النار ، فيقول مالك للزبانية : ألقوهم في النار ، فإذا ألقوهم في النار نادوا
بأجمعهم لا إله إلا الله ، فترجع عنهم النار ، فيقول مالك يا نار خذيهم ، فتقول النار كيف آخذهم
وهم يقولون لا إله إلا الله ، فيقول مالك نعم بذلك أمر رب العرش العظيم فتأخذهم ، فمنهم
من يؤخذ إلى قدميه ، ومنهم من يؤخذ إلى ركبتيه ، ومنهم من يؤخذ إلى سترته ، ومنهم
من يؤخذ إلى حلقه ، فإذا هوت النار إلى الوجوه يقول مالك لا تحرقى وجوههم فطالما سجدوا
لأرحم مني ولا تحرقى قلوبهم فطالما عطشوا من شدة رمضان (دقائق الأخبار) .

المجلس الثامن والستون : في بيان التوبة

سورة التحريم — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) باللغة في النصح وهو صفة التائب فإنه
ينصح نفسه بالتوبة ، وصفت به على الإسناد المجازي مبالغة ، أو في النصيحة وهي الخياطة
كأنها تنصح ما خرق الذنب (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار) ذكر بصيغة الإطاع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه تفضل والتوبة
غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء (يوم لا يغزى الله النبي) ظرف
لبدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي إحماداً لهم وتعريضا لمن ناوهم ، وقيل مبتدأ
خبره (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أي على الصراط (يقولون) إذا طغى نور
الناقين (ربنا آثم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) وقيل تتفاوت أنوارهم

بحسب أعمالهم ، فيسألون إتمامه تفضلاً (قاضى يضاوى) .

عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى على يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم » (زبدة الواعظين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « التوبة على الذنب كالصابون على الثوب » قيل تمام التوبة يحصل بثانية أشياء : الندم على ماسلف من الذنب ، وقضاء القرائض ، وزد للظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تعزم على أن لا تعود ، وأن تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية ، وأن تذيبها مرارة الطاعات كما أذقتها حلالة المعاصي ، وإصلاح للأكول والمشروب (موعظة) . روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون من التائب ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : من تاب ولم تعلم العلم فليس بتائب ، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب ، ومن تاب ولم يرض الحياء فليس بتائب . ومن تاب ولم يغير لباسه وزينته فليس بتائب ، ومن تاب ولم يبدل أصحابه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يغير خلقه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يطو فراشه وبساطه فليس بتائب ، ومن تاب ولم يتصدق « أى ولم يتصدق ما فى يده فليس بتائب ، فإذا استبان من العبد هذه الخصال فهو تائب حقا » وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا قال العبد إني أخاف من النار ولم يكف عن الذنوب فهو كذاب عند الله غير تائب ، وإذا قال العبد إني أشتاق إلى الجنة ولم يعمل لها فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إني أحب الله عليه الصلاة والسلام من غير اتباع السنة فهو كذاب غير تائب ، وإذا قال العبد إني أشتاق إلى معاشة الحور ولم يقدم لها مهرا فهو كذاب غير تائب ، فإن التائب حبيب الله وحبيب رسول الله كما قال الله تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) » (زبدة الواعظين) عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : التوبة النصوح الندم على ما مضى والإقلاع في الحال عنه والعزم على أن لا يعود أبدا . وقال الله تعالى (إنما التوبة) أى الرجوع عن المناهي (على الله) على ليس للإيجاب كما قال المعتزلة لأنه لا وجوب على الله في شيء بل بمعنى عنه (للذين يعملون السوء) أى المعصية (بجهالة ثم يتوبون من قريب) أى بزمان قريب قبل حضور سكرات الموت (فأولئك يتوب الله عليهم) أى يقبل توبتهم ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (وكان الله عليا حكيم) عالما بأهل التوبة حاكما بقبولها ، وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يقبل التوبة من العبد ما لم يفرغ قبل توبته » (مصابيح) والفرغة : تردد الروح في الخلق ، فقرب الموت لا يمنع قبول التوبة ما لم يعان أحوال الآخرة ، وفيها لا تقبل توبة السوفيين والمتناقضين كما لا يقبل إيمان

الكافرين حال اليأس كإيمان فرعون كما قال الله تعالى (وليست التوبة) أى لا يقبل الله التوبة (للذين يعملون السيئات) أى الذنوب غير الشرك مصرين عليها (حتى إذا حضر أحدهم الموت) أى وقع في سكرات الموت سوى علامات الموت ، فإن التوبة تقبل بالعلامات لأن فيها لا يماين أحوال الآخرة (قال إني تبت الآن) من ذنوبي يعنى لا تقبل التوبة ثمة لأنه حالة اليأس دون الاختيار (ولا الدين) أى لا يقبل إيمان الدين (يموتون وهم كفار) كما لا يقبل إيمانهم بعد البعث أو في القبر (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) قال صاحب الكشاف : سوت هذه الآية بين الذين سوفوا توبتهم إلى أن حضر للموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنهم لا توبة لهم ، قال عليه الصلاة والسلام « هلك المسوفون » وللسوف هو الذى يقول سوف أتوب . وكذا قال الله تعالى (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) يعنى ذنوبه ويؤخر توبته ، قال عليه الصلاة والسلام « إذا تاب المؤمن كتب الله تعالى له بكل يوم مر عليه في فسقه عبادة سنة وأعطاه ثواب شهيد ، ويتوج يوم القيامة بألف تاج ، وفتح له في قبره باب إلى الجنة ، ويقوم يوم القيامة ملك عن يمينه وملك عن شماله وملك من بين يديه وملك من خلفه يبشرونه بالجنة » قال عليه الصلاة والسلام « إذا مات شاب تائب رفع الله العذاب عن مقابر المسلمين أربعين عاما لكرامته على الله » (خالصة) حكى « أنه دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبي عليه الصلاة والسلام وهو يكي فقال له ما ييكىك يا عمر ؟ فقال يا رسول الله إن في الباب شابا وقد أحرق فؤادى بكاؤه ، فقال عليه الصلاة والسلام أدخله على ، فأدخله عمر وهو يكي ، فسأله النبي عليه الصلاة والسلام عن بكائه فقال يا رسول الله أبكاني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان على ، فقال عليه الصلاة والسلام أأشركت بالله شيئا ، قال لا : قال عليه الصلاة والسلام : أقتلت نفسا بغير حق ؟ قال لا ، قال عليه الصلاة والسلام : إن الله يغفر ذنوبك ولو كانت ملء السموات السبع والأرضين السبع ، فقال يا رسول الله ذنبي أعظم من السموات السبع والجيال الرواسى ، قال عليه الصلاة والسلام أذنبتك أعظم أم الكرسى ؟ قال ذنبي أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبتك أعظم أم العرش ؟ قال ذنبي أعظم ، قال عليه الصلاة والسلام : أذنبتك أعظم أم الله ؟ يعنى غفران الله ورحمته قال بل الله أعظم وأجل ، قال عليه الصلاة والسلام أخبرني عن ذنبك ، قال أستحي منك يا رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام لا تستحي مني أخبرني عن ذنبك ، قال يا رسول الله إني كنت رجلا نباشا منذ سبع سنين حتى ماتت بنت من بنات الأنصار ، فنبشت قبرها وأخرجتها من كفنها وغلبني الشيطان فرجعت إليها وجامعتها ، فقالت لى البنت : أما تستحي من ديوان الله يوم يضع كرسية للقضاء ويأخذ حق للظلم من الظالم وقد تركتني عريانة في عسكر الموتى

وأوقفتني جنباً بين يدي الله ، فوثب رسول الله : أي قام بسرعة فقال له يا فاسق اخرج عنى ماجزأوك إلا النار ، فخرج الشاب باكياً نائياً نحو الصحراء لم يأكل شيئاً ولم يشرب ولم يمت مسبعة أيام ، حتى ذهبت طاقته وسقط في موضع ووضع وجهه على التراب ساجداً يقول : إلهي أنا عبدك المذنب الخطيء جئت إلى باب رسولك ليشفع لي عندي ، فلما سمع عظيم خطيئتي طردني عن بابي وأخرجني من عنده ، فبحث اليوم إلى بابك لتكون لي شفيماً عند جيبك فانك رحمن إلى عبيدك ولم يبق رجائي إلا بك وإلا فأرسل ناراً من عندي وأحرقني بها في دنياك قبل أن تحرقني في آخرتك ، ثم جاء جبرائيل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله : إن الله يقرئك السلام ، فقال عليه الصلاة والسلام : هو السلام ومنه السلام وإليه يرجع السلام ، قال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى لك أنت خلقت عبيدي ؟ فقال عليه الصلاة والسلام بل هو خلقني وخلقهم ، فقال جبرائيل عليه السلام : يقول الله تعالى أنت ترزقهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل هو الذي رزقهم ورزقني ، وقال جبرائيل عليه السلام : يقول أنت تقبل توبتهم ؟ قال بل هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، وقال جبرائيل يقول الله تعالى لك بعثت إليك عبداً من عبادي وأظهر من ذنوبه ذنباً فأعرضت عنه أشد الإعراض بسبب ذنب واحد ، فكيف يكون حال المذنبين غداً إذا جاءوا بذنوب كالجبال العظام أنت رسول أرسلتك رحمة للعالمين ، فكن للمؤمنين رحماً وللمذنبين شفيماً واعف عن زلة عبيدي فاني قد غفرت له حوبته ، ثم بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام رجالاً من أصحابه فوجدوه وبشروه بالعفو والغفران ، وجاءوا به إلى رسول الله فوجدوه في صلاة المغرب فاقتدوا به ، فلما قرأ سورة الفاتحة وضم إليها ألقاهاكم التكاثر إلى أن قال حتى زرتم المقابر صاح الشاب صيحة وسقط ، فلما أتموا الصلاة وجدوا الشاب قد مات وفارق الدنيا رحمه الله تعالى » (مشكاة الأنوار) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام عن الحليل عليه السلام « أنه قال ذات يوم : يا كريم العفو ، فقال جبرائيل عليه السلام أتندري ما كرم عفوه ؟ قال لا ، قال إذا عفا عن عبد لم يرض بذلك حتى يبدل سيئاته حسنات كقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) » (نكتة) .

حكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر وقتاً من الأوقات في سكك المدينة ، فاستقبله شاب وهو حامل تحت ثيابه شيئاً ، فقال له عمر : أيها الشاب ما الذي تحمل تحت ثيابك ؟ وكان خمراً ، فاستحيا الشاب أن يقول خمراً وقال في سره : إلهي إن لم تخرجني عند عمر ولم تفضحني وسترتني عنده فلا أشرب الخمر أبداً ، فقال يا أمير المؤمنين الذي أحمله خل ، فقال عمر أرني حتى أراه ، فكشفها عن يديه فرآها عمر وقد صارت خلا تقيعاً .

فاعتبروا أيها الإخوان حيث إن مخلوقاً تاب من خوف عمر وهو أيضاً مخلوق ، فبدل الله تعالى خمره بالحل ، فلو تاب العاصي للقلب المذنب عن الأعمال الفاسدة خوفاً من الله تعالى لبدل الله تعالى خمر سيئاته بمخل الطاعات لا يكون عجباً من لطفه وكرمه ، لقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيماً) (من أساس الدين) وفي الحديث « جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : أخطأت يا رسول الله فما الحيلة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : التوبة فان التوبة تغسل الحوبة » (كذا في خلاصة الحقائق) .

المجلس التاسع والستون : في علامة السعادة والشقاوة

سورة للدثر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله ، مصدر كانشقمة أطلقت على الفعول كالرهن ولو كانت صفة لهيل رهين (إلا أصحاب اليمين) فاتهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم ، وقبل هم الملائكة أو الأطفال (في جنات) لا يكتنه وصفها ، وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله (يتساءلون عن المجرمين) أى يسأل بعضهم بعضاً ، أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك توعده : أى وعده و قوله (ما سلككم في سقر) بجوابه حكاية لما جرى بين السائلين والمجرمين أجابوا بها (قالوا لم نك من الناصلين) الصلاة الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) ما يجب إعطاؤه ، وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع (وكنا نخوض مع الخائضين) نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب يوم الدين) أخره لتعظيمه : أى كنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة (حتى أتانا اليقين) الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو شفّعوا لهم جميعاً (قاضى يضاهى) .

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه » روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ، قيل يا رسول الله وما إخلاصها ؟ قال تحجزه عن محارم الله تعالى » (تذكرة القرطبي) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إذا جمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد عليه الصلاة والسلام في السجود ، فيسجدون فيسبحون فيه طويلاً ، ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا أعداءكم فداءكم من النار » عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن هذه الأمة مرهونة عذابها بأيديها ، فإذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل رجل من المسلمين رجلاً من المشركين ، فيقال هذا فداؤك من النار » (رواه مسلم) .

وعن أبيه بردة أنه قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » وفي رواية أخرى « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهوديا أو نصرانيا » الحديث (تذكرة القرطبي) قال عليه الصلاة والسلام « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد ، والرغبة فيها تنعب القلب والبدن » (طريقة محمدية) قال أبو يزيد البسطامي : ما غلبني أحد إلا واحدمن أهل بلخ قدم علينا فقال لي : يا أبا يزيد ما حد الزهد عندكم ؟ قال إذا وجدنا أكلنا ، وإذا قدنا صبرنا ، قال تفعل هذا كلاب بلخ ؟ قلت فما حد الزهد عندكم ؟ قال إذا قدنا صبرنا وإذا وجدنا آثرنا (مكاشفة القلوب) قال عليه الصلاة والسلام « من بات في طلب الحلال أصبح مغفورا له » وقال عليه الصلاة والسلام « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت » أي من الحرام « والنار أولى به » (مكاشفة القلوب) . اعلم أن علامة السعادة إحدى عشرة خصلة : إحداها أن يكون زاهدا في الدنيا وراغبا في الآخرة : والثانية أن تكون همه في العبادة وتلاوة القرآن . والثالثة أن يكون قليل القول فيما لا يحتاج إليه . والرابعة أن يكون محافظا على الصلوات الخمس . والخامسة أن يكون ورعا فيما قل أو أكثر من الحرام والشبهات . والسادسة أن تكون صحبته مع الصالحين . والسابعة أن يكون متواضعا غير متكبر . والثامنة أن يكون سخيا كريما . والتاسعة أن يكون رحيما بما خلق الله تعالى . والعاشرة أن يكون نافعا للخلق . والحادية عشرة أن يكون ذا كرا للموت كثيرا (تنبيه الغافلين) وعلامة الشقاوة أيضا إحدى عشرة : أولاها أن يكون حريصا على جمع المال . والثانية أن تكون همه في الشهوات ولذات الدنيا . والثالثة أن يكون فاحشا في القول ومكثارا للغيبة . والرابعة أن يكون متهاونا بالصلوات الخمس . والخامسة أن تكون صحبته مع الفجار . والسادسة أن يكون سىء الخلق . والسابعة أن يكون غمطلا غفورا . والثامنة أن يكون مانعا لمنفعة الناس . والتاسعة أن يكون قليل للرحمة للمؤمنين . والعاشرة أن يكون بخيلا . والحادية عشرة أن يكون ناسيا للموت . يعني أن الرجل إذا كان ذا كرا للموت فإنه لا يمتنع عن إطعام الطعام ورحم المسلمين والسلامات (تنبيه الغافلين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهي عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات للماضية ولا يدرى أقبلت أم ردت ، والنظر إلى من فوقه في الدنيا ، والنظر إلى من دونه في الدين يقول الله سبحانه وتعالى : أردتك فلم تردني فتحكتك » (منهاج التعلم) روى عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى ، كساه الله من خضرة الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما ، سقاه الله تعالى من رحيق مختوم »

(مصاييح) . حكى أنه كان في بني إسرائيل عابدوهو يعبد الله تعالى في الليل ويبيع متاعه للخلانق في النهار ويقول : يا نفس اتقي الله تعالى ، وكان يوما قد خرج من داره لبيع متاعه ، وجاء إلى باب الأمير ونادى باسم متاعه ، فرأت زوجة الأمير طى بابها رجلا تاجرا حسن الوجه ما رأت مثله ومالت نفسها إليه ، فدعت ذلك التاجر إلى دارها فقالت : يا تاجر إني عاشقة لك ولى مال كثير ولباس حرير فترك متاعك القليل واتزع لباسك والبس لباس الحرير وخذ المال الكثير ، فمالت نفسه إلى هذا الكلام فقال : يا نفس اتقي الله ثم قال إني أخاف الله رب العالمين ، فقالت والله لا أفتح الباب حتى تسلم نفسك إلى ، فقال التاجر يا نفس اتقي الله ثم تفكر ساعة في النجاة منها ، ثم قال يا زوجة الأمير أمليخى إلى أن أتوضأ وأصلى ركعتين ، فتوضأ وارتفع فوق الدار ثم صلى ركعتين فوقها ونظر إلى الأرض فرأى الأرض بعيدة مقدار عشرين ذراعا ، ثم نصب عينيه إلى السماء وتاجى ربه بأيا فقال : إني عبدتك منذ سبعين سنة خلصنى من شرها وإلا آتيتك معها ثم قال يا نفس اتقي الله يا نفس اتقي الله ، فرمى نفسه من فوقها في الحال ، فقال الله تعالى لجبرائيل خذ بيد عبدى فقد رمى نفسه من خوف عقابى قبل نزوله إلى الأرض ، فقل بسرعة فأخذه قبل نزوله إلى الأرض كأخذ الأم الابن وأقعد طى الأرض كالطير ، ثم ذهب إلى داره خالسا من شرها وفرحا من خلاصه وآتى أهله جائعا جوعا شديدا وبأيا حزينا وقعد عندها فجاء رجل من جيرانه يستقرض منه خبزا ، فقال العابد والله لا أخبز لنا منذ أيام وإن شئت فانظر إلى التنور ، فنظر المستقرض إليه فرأى فيه خبزا مطبوخا فأخبر العابد بأمره منه ، فتعجب أهله وقالت له هذه الكرامة منك لا منى فما سرها ؟ فكشف العابد سره وشكرت أهله إلى الله شكرا كثيرا كما قال الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (زببة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إذا قامت القيامة وقام الناس والجنت والمملك صفوا يحىء أطفال المسلمين فيكونون صفا ، وحينئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب وأدخل أطفال المسلمين في الجنة ، فيجيئون إلى بابها ويقفون فيه ويقولون : أين آباؤنا وأمهاتنا ؟ وإن دخول الجنة بغير آباءنا وأمهاتنا وليس بمناسب لنا ، فتقول الملائكة : إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأنهم عصوا ربهم واتبعوا أنفسهم وشياطينهم واستوجبوا النار ، فإذا مع الأطفال هذا المقال صاحوا صيحة عظيمة وبكوا بكاء كثيرا ، وحينئذ يقول الله تعالى العليم العلام يا جبرائيل ما هذه الصيحة ؟ فيقول جبرائيل عليه السلام هي صيحة أطفال المسلمين يقولون لا حاجة لنا إلى الجنة ولا يكون لنا لذات الجنان بغير آباءنا وأمهاتنا ، ونرجو من الله تعالى أن يعفو عنهم ويهب ذنوبهم لنا ويدخلهم معنا الجنة وإلا فليدخلنا معهم النار ،

وحيثئذ يقول الله تعالى لجبرائيل عليه السلام : اذهب واجلب آباءهم وأمهاتهم من أى مكان كانوا فسلمهم إلى أطفالهم لأنى قد غفرت ذنوبهم بشفاعتهم وأدخلهم معهم الجنة ، فاذا سمعوا هذا الكلام من الله تعالى فرحوا وسروا ووجدوا آباءهم وأمهاتهم وأخذوا بأيديهم ودخلوا الجنة معهم « هذا خوى الحديث . ذكر ابن المبارك رحمه الله عن أبى صالح الكلبى رحمه الله أنه قال فى قوله تعالى (الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون) قال الله لأهل النار وهم فى النار : اخرجوا فيفتح لهم أبواب النيران ، فاذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج وللمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فاذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم فذلك قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم وذلك قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) قال ابن المبارك رحمه الله أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة فى قوله تعالى (فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون) قال ذكر لنا أن كعبا يقول : إن بين الجنة والنار كوى ، فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوه كان فى الدنيا طلع عليه من بعض الكوى كما قال الله تعالى فى آية أخرى (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) قال ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماعهم القوم تغلى (تذكرة القرطبي) روى عن أبى الدرداء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « يسلط على أهل النار الجوع ، وعذاب الجوع يكون عليهم أشد من سائر العذاب فيكون يطلبون الطعام ، فتطعمهم الزبانية ضربا وهو حشيش فى البرية إذا أكله الجمل يقف فى حلقومه فيموت ، فاذا أكل أهل النار ذلك الضريع يقف فى حلقومهم فيطلبون ماء ، فيؤتون بمشربة من ماء حميم إذا قربوا للمشربة إلى أفواههم تقف لحوم وجوههم على للمشربة من شدة حرارة ذلك الماء ، فاذا شربوا قطعت أمعاؤهم فى بطونهم ، فينظرون ويتضرعون إلى الزبانية ، فتقول الزبانية لهم ألم يأتكم نذير فى الدنيا ؟ فيقولون بلى ولكن لم نسمع كلام الرسل ولم نصدقهم ، فتقول الزبانية الآن لا يميذكم الجزع والتضرع ، ثم يتضرعون إلى مالك فلا يجيبهم إلى ألف سنة ، فاذا تم الألف يقول مالك لهم (إنكم ما كنتم) فيها ، ثم يتضرعون إلى الله تعالى ويقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا) التى كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) عن الهدى (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) فعلنا معصية مما تكره (فإننا ظالمون) أى كنا من الظالمين : يعنى إن فعلنا معصية بعد ذلك فأدخلنا النار وعذبنا بنوع من عذاب جهنم ، ثم يأتى الخطاب من الله تعالى بعد ألف سنة (قال اخسئوا فيها ولا تكلمون) أى اسكتوا فيها ولا تكلمون فى رفع العذاب فأنى لا أرفعه عنكم ؛ لأنها ليست مقام سؤال ، فعند ذلك يأمسون ويذلون ويعبدون ، وبعد ذلك لا يقدرّون على التكلم وتكون أصواتهم كصوت الكلب ويكونون محرومين عن جميع الخيرات « (تفسير يس) .

المجلس السبعون : في بيان أحوال النفس

سورة القيامة — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) بما قدم من عمل عمله وبما أخر منه لم يعمل ، أو بما قدم من عمل عمله وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة عمل بها بعده ، أو بما قدم من مال تصدق به وبما أخر تخلفه أو بأول عمل وآخره (بل الإنسان على نفسه بصيرة) حجة بينة على أعمالها لأنه شاهد بها ، ووصفها بالبصارة على المجاز أو عين بصيرة بها فلا يحتاج إلى الإنباء (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به جمع معذار وهو العذر أو جمع معذرة على غير قياس كالناكير في النكر فان قياسه معاذر ، وذلك أولى وفيه نظر (قاضى يضاوى) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من عسرت عليه حاجته فليكثر من الصلاة على فانها تكشف الحُموم والغموم والكروب وتكثر الأرزاق وتفضي الحوائج » . وعن بعض الصالحين أنه قال : كان لى جار نساخ فبات فرأيت في المنام قلت ما فعل الله بك ؟ فقال غفرلى ، قلت بسم ؟ فقال كنت إذا كتبت اسم محمد عليه الصلاة والسلام فى كتاب صليت عليه ، فأعطانى ربى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (من دلائل الحيرات) قوله : ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ؛ أى من عمله لا يحتاج إلى أن ينبئه غيره لأنه على نفسه حجة (تفسير) قال ابن عباس رضى الله عنهما : للميزان كفتان إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب (تبصرة) وقال عليه الصلاة والسلام « كفتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحانه الله ومحمد سبحانه الله العظيم » (بخارى) وقال عليه الصلاة والسلام « من سن سنة حسنة » يعنى فى الإسلام فهو مقتدى به فى هذه السنة « فله أجرها وأجر من عمل بها » يعنى كل من أتى بعده بهذه السنة يكتب له أجرها « ومن سن سنة سيئة » فهو مقتدى به فى هذه السنة السيئة « فعليه وزرها ووزر من عمل بها » يعنى من أتى بعده بهذه السنة السيئة يكتب عليه وزر (بخارى) وعن معاذ بن جبل قال « لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فى أفناء ، وعن جسده فى أبلاء ، وعن عمله فى عمل به ، وعن ماله بن أين اكتسبه وفىم أنفق » (تنبيه الناقلين) قال الله تعالى فى سورة فصلت (حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) قال داود عليه السلام : يا رب إني أريد أن أشاهد الصراط والميزان فى دار الدنيا ، فقال الله تعالى : يا داود اذهب إلى وادى كذا ، فأذهب الله الحجاب عنه حتى رأى الصراط والميزان على الصفة التى جاءت فى الأخبار ، فبكى داود عليه السلام بكاء شديدا وقال : إلهى من يقدر من عبادك أن يملأ كفة الميزان بالحسنات

فقال الله تعالى : فوعزتي وجلالي من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة بالاعتقاد عبر على الصراط كالبرق الخاطف ، ومن تصدق بمثل تمرة لأجل يعلأ لليزان ، ولليزان أعظم من جبل قاف (مشارق الأنوار) قال الله تعالى في سورة يس (إنا نحن نحيي الموتى) أى الأموات عند البعث (ونكتب ما قدموا) من الأعمال من خير وشر (وآثارهم) أى ما صنعوا من سنة حسنة أو سيئة ، قال عليه الصلاة والسلام « علامة الشقاوة أربعة : نسيان الذنوب الماضية وهى عند الله محفوظة ، وذكر الحسنات الماضية ولا يدرى أقبلت أم ردت ، والنظر إلى من فوقه فى الدنيا وإلى من دونه فى الدين ، يقول الله تعالى أردته فلم يردنى فتركته » (منهاج التعلم) قال عليه الصلاة والسلام « لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم عند موته » (مصابيح) قوله (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أى خطاهم إلى المسجد ، روى عن أبى سعيد الخدرى قال : شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فأنزله الله تعالى (ونكتب ما قدموا وآثارهم) عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال « أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمرى المدينة فقال : يا بنى سلمة ألا تحبون آثاركم فأقاموا » عن أبى موسى الأشعرى أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم ممسى والذى ينتظر الصلاة حتى يصلها مع الإمام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام » (وكل شيء أحصيناه) أى حفظناه وعددناه وبيناه (فى إمام بين) وهو اللوح المحفوظ (تفسير معالم) قال الفقيه أبو الليث : يوم القيامة يؤتى بأربعة أقوام ويعتذر كل واحد منهم ولم يقبل عذرهم : أولهم الغنى يعتذر بأنى غنى ومشغول بحقوق أموالى فلم أعبدك ، فيقول الله تعالى : إن سليمان ملك ما بين المشرق والمغرب ولم يعص ربه ، فعذرك غير مقبول فيساقون إلى النار . والثانى الفقير يعتذر بفقره ، فيلزمه بعيسى عليه السلام أيضا . والثالث العبد يعتذر بخدمة مولاه ، فيلزمه يوسف عليه السلام . والرابع المريض يعتذر بمرضه ، فيلزمه بأبوب عليه السلام (تنبيه الغافلين) ويقال إن الله تعالى يحتج بأربعة أشخاص على أربعة أجناس يوم القيامة : يحتج على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام ، فيقول الغنى يارب كنت غنيا فالغنى شغلنى عن عبادتك . فيقول الله تعالى لم تكن أغنى من سليمان ، فلم يمنعه غناه عن عبادتى . ويحتج على العبيد يوسف عليه السلام ، فيقول العبد يارب كنت عبدا والرق منعتنى عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له إن يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتى . ويحتج على الفقراء بعيسى عليه السلام ، فيقول الفقير يارب إن حاجتى منعتنى عن عبادتك ، فيقول الله تعالى له أنت أحوج أم عيسى ؟ لم يمنعه فقره عن عبادتى . ويحتج على المرضى بأبوب عليه السلام ، فيقول للمريض يارب المرض منعتنى عن عبادتك ،

فيقول الله تعالى له أمر منك أشد أم مرض أيوب ؟ ولم يمنعه ذلك عن عبادتي ، فلا يكون لأحد عند الله عذر يوم القيامة (تنبيه الغافلين) قيل ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ، فالإنسان متنفس في كل ساعة مائة وثمانين نفسا ، ففي الليل والنهار يتنفس أربعة آلاف وثلثمائة وعشرين نفسا ، وفي كل نفس يسأل بسؤالين وقت الخروج ووقت الدخول : يعنى أى عمل عملت في خروج النفس ودخوله (روضة العابدين) فإذا علمت هذا ينبغي للعالم الزاهد أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، كما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عذب أهل قرية وفيها ثمانية عشر ألفايد عامل أعمالهم أعمال الأنبياء ، قالوا يا رسول الله كيف ذلك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لم يكونوا يفتضون لله تعالى ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر » فكل من شاهد منكرا من أحد ولم ينهه فهو شريك له فيه كالمستمع للغيبة فهو شريك مع الغتاب ، وكذا كل للعاصي ، مثلا من جلس في مجلس الشرب فهو فاسق وإن لم يشرب . عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « قلنا يا رسول الله ألا تأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ، وألا تنهى عن المنكر حتى نجتنبه كله ؟ قال بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله ، وانهاؤا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله » فلفاعل المنكر النهى عن المنكر حتى لا يجتمع إيمان ، كما يقال خذوا أقوال العالم السوء ولا تأخذوا فعله ، لأن قوله من الحق وفعله من الشيطان .

(حكى) أن رجلا قال لأبى القاسم الحكيم : ما بال علماء زماننا لا يتعظ الناس بمواعظهم كما كان يتعظ السلف ؟ فقال إن علماء السلف كانوا أيقاظا وكان الناس نياما ، فبينه الأيقاظ النيام ، وعلماء زماننا نيام والناس موتى ، فكيف يحيى النيام الموتى ؟ كما يقال : مكتوب في التوراة : من يزرع الخير يحصد السلامة . وفي الإنجيل : من يزرع الشر يحصد الندامة . وفي الفرقان (من يعمل سوءا يجز به) . (حكى) عن عكرمة أن رجلا مر على شجرة تعبد من دون الله فتعصب عليها ، فأخذ فاسا وركب حماره وتوجه إلى الشجرة ليقطعها ، فليقه إبليس في صورة إنسان ، فقال له أين تذهب ؟ فقال إلى شجرة تعبد من دون الله وعهدت الله عهدا أن أقطعها ، فقال له إبليس عليه اللعنة : مالك ولها دع قطعها فلم يدع ، فتخاصما فصرع إبليس ثلاث مرات ، فلما عجز إبليس عنه قال له ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم فقال الرجل أنفعل ذلك ؟ فقال نعم ، فرجع إلى منزله فلما رجع إلى سجاده صار يجده تحتها كل يوم أربعة دراهم إلى ثلاثة أيام ، فلما أصبح بعد ذلك لم يجد شيئا ، فأخذ الفأس وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ، فقام إبليس على تلك الصورة فقال له أين تريد ؟ قال أريد قطع تلك الشجرة ، فقال إبليس لا تطيق ذلك ، فتخاصما فصرعه إبليس لعنه الله ثلاث مرات ، فتعجب الرجل فقال

بأى سبب أنت غالب على وكنت غالباً عليك قبل ؟ فقال إبليس عليه اللعنة نعم كان خروجك أول مرة لله تعالى ، فلو اجتمع أعوانى كلهم عليك لا يقاومونك ، وأما الآن فإنما خرجت حيث لم تجد الدرام تحت سجادتك فلا جرم كنت غالباً عليك ، فارجع وإلا أضرب عنقك ، فرجع الرجل وترك قطع الشجرة (زبدة الواعظين) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفتاه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه » هذا الحديث من حسان للصايح ، والعبد المذكور فيه وإن كان عاماً لكونه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله صلى الله عليه وسلم « يدخل الجنة من أمى سبعون ألفاً بغير حساب » فعلى هذا يكون السؤال المذكور فيه لغير هؤلاء السبعين ألفاً ، فلا بد لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعلم أنه يسأل يوم القيامة ويناقش في الحساب ويطالب بمناقبه من الخيرات والالحظات ، وأنه تعالى لا ينجيه من هذه الأخطار إلا بزمه بحاسبة النفس في تجارتها لآخرتها ومطالبتها في أنفاسها وساعاتها وحركاتها وسكناتها ، فإن من حاسب نفسه قبل أن يحاسب يحف عليه يوم القيامة حساباً ، ويحضره عند السؤال جوابه ، ويحسن من قبله ومآبه ، ومن لم يحاسبها تدوم حسراته وتطول في عرصات القيامة وقفات ، وتعوده إلى الحزى والمقت سبباته ، فإذا لا بد للمؤمن أن لا يفتل في تجارتها لآخرتها عن مراقبة نفسه في حركاتها وسكناتها ولحظاتها وخطراتها ، لأن هذه التجارة ربحها الفردوس الأبقى وبلوغ سدره المنتهى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (مجالس الروى) .

المجلس الحادى والسبعون : فى بيان عيد الفطر

سورة الأعلى - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد أفلح من تزكى) تطهر من الكفر والعصية ، أو تسكّر من التقوى من التوكاه ، أو تطهر للصلاة ، أو أدى الزكاة (وذكّر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) كقوله تعالى (أقم الصلاة لذكرى) ويجوز أن يراد بالذكر تكبيرة التحريم ، وقيل من تزكى تصدق للفطر (وذكّر اسم ربه) كبر يوم العيد فصلّى صلاته (بل تؤثرن الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما يسعكم في الآخرة ، والخطاب للأشقي على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعى للدنيا أكثر في الجملة (والآخرة خير وأبقى) فإن نعيمها مبتلى بذل الذات خالص عن الغوائل لا يشطّعه له (إن هذا فى الصحف الأولى) الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح ثانه جامع أمر الديانة وخلاصة الكتب للنزلة (صحف إبراهيم وموسى) بل من الصحف الأولى ، قال النبي عليه الصلاة والسلام « من

قرأ سورة الأمل أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى وعحمد عليهم الصلاة والسلام » . (قاضى يضاوى) .

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال « إن رسول الله عليه الصلاة والسلام صعد للنبى فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثانية فقال آمين ، ثم صعد الدرجة الثالثة فقال آمين ، ثم استوى فجلس ، فقال له معاذ بن جبل : صعدت فأمنت ثلاث مرات فما حكته يا رسول الله ؟ قال أتانى جبرائيل قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان ولم يصم إلى آخره ولم يغفر له دخل النار فأبعده الله منها فقلت آمين ، وقال من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما مات دخل النار فأبعده الله منها فقلت آمين ، وقال من ذكر عندك اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده الله منها فقلت آمين » (زبدة) قيل (قد أفلح من تزكى) يعنى بالوالدين كقوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من ترك الليل إلى الظلمة كقوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من ترك النية كقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من ترك حبة الدنيا كقوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من ذكر الله كثيرا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من صبر على مضية الله كقوله تعالى (إنا بما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى من تطهر ظاهره وباطنه كقوله تعالى (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى بتلاوة القرآن كقوله تعالى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى بإخلاص عمله كقوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقيل (قد أفلح من تزكى) يعنى نهى النفس عن الهوى كقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى) (شيخ زاده) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله تعالى : يا ملائكتى كل عامل يطاب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أنى قد غفرت لهم ، فينادى مناد يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيئاتكم بالحسنات ، فيقول الله تعالى : يا عبادى صتم لى وأقطرتم لى فقوموا مغفورا لكم » (زبدة الواعظين) عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال « رمضان أوله رحمة ووسطه مغفرة وآخره عتق من النار » وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله يعشق

في كل ساعة من رمضان من الليل والنهار ستائة ألف عتيق من النار ممن استوجب العذاب إلى ليلة القدر ، وفي ليلة القدر يعتق بعدد من أعتق من أول الشهر ، وفي يوم الفطر يعتق بعدد من أعتق في الشهر وليلة القدر » (تنبيه الغافلين) عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « صوم العبد معلق بين السماء والأرض حتى يؤدي صدقة الفطر ، وإذا أدى صدقة الفطر جعل الله جناحين أخضرين يطير بهما إلى السماء السابعة ، ثم يأمر الله تعالى أن يجعل في قنديل من قناديل العرش حتى يأتي صاحبه » (زبدة) قال أنس بن مالك : للمؤمن خمسة أعياد : الأول كل يوم يمر على المؤمن ولا يكتب عليه ذنب فهو يوم عيد . والثاني اليوم الذي يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد . والثالث اليوم الذي يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة ويخلص من أيدي الخصوم والزبانية فهو يوم عيد . والرابع اليوم الذي يدخل فيه الجنة ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد . والخامس اليوم الذي ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد (أبو الليث) . وعن وهب بن منبه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « إن إبليس عليه اللعنة يصيح في كل يوم عيد فيجتمع أهله عنده فيقولون يا سيدنا من أغضبك إنا نكسره ، فيقول لا شيء ولكن الله تعالى قد غفر لهذه الأمة في هذا اليوم فضلكم أن تشغلهم باللذات والشهوات وشرب الخمر حتى يغضهم الله ، فعلى العاقل أن يمنع نفسه في يوم العيد عن الشهوات والنأى ويدأوم على الطاعات ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام « اجتهدوا يوم الفطر في الصدقة وأعمال الخير والبر من الصلاة والزكاة والتسبيح والتهليل ، فإنه اليوم الذي يغفر الله تعالى فيه ذنوبكم ويستجيب دعاءكم وينظر إليكم بالرحمة » (درة الواعظين) . (حكى) أن صالح بن عبد الله كان إذا كان يوم الفطر ذهب إلى المصلى ، فرجع بعد أداء الصلاة إلى داره وجمع أهله وعياله عنده وجعل على عنقه سلسلة من حديد وهال الرماد على رأسه وجسمه وبكى بكاء شديدا ، فقالوا يا صالح هذا يوم العيد ويوم السرور فما حالك هذا ، فقال عرفت ذلك ولكن أنا عبد أمرني ربي أن أعمل عملا له ففعلت ، فلا أدري أقبله أم لا ، وكان يجلس في طرف المصلى فقيل له لم لا تجلس في وسط المصلى ؟ قال جئت سائلا للرحمة وهذا مجلس السائقين (زبدة الواعظين) قال عليه الصلاة والسلام « إذا كان يوم الفطر يبعث الله الملائكة فينظرون إلى الأرض في كل البلاد ، فيقولون يا أئمة محمد اخرجوا إلى ربكم كركم ، فإذا برزوا إلى مصلاهم يقول الله اشهدوا يا ملائكتي أتى قد جعلت ثوابهم على صيامهم رضاي ومنفرتي » ويقال إن الحكمة في عيد الدنيا تذكرة عيد الآخرة ، فإذا رأيت الناس بعضهم يذهب مشاة وبعضهم ركباناً وبعضهم لابسا وبعضهم عريانا وبعضهم يلبس أطلسا

وبعضهم بلاسا وبعضهم لاعبا ضاحكا وبعضهم باكيا ، فاذكر سير القيامة فانه كذلك كما قال الله تعالى (يوم نحشر للمتقين إلى الرحمن وقدنا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وقال الله تعالى (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) وقال الله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ولذا قيل إن الأعياد مصيبة للأيتام وللبعض أصحاب الأموات .

حكى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام « أنه خرج لصلاة العيد والصبيان يلعبون وفيهم صبي جالس في مقابلتهم وعليه ثياب بذلة وهو يبكي ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام له : أيها الصبي مالك تبكي فلا تلعب معهم ؟ فلم يعرفه الصبي ، فقال له أيها الرجل مات أبي بين يدي رسول الله في غزوة كذا وتزوجت أمي وأكلت أموالي وأخرجني زوجها من بيتي ، وليس لي طعام ولا شراب ولا ثياب ولا بيت ، فلما نظرت اليوم إلى الصبيان ذوى الآباء أخذتني مضية أبي فلذلك أبكي ، فأخذه رسول الله بيده فقال له يا صبي هل ترضاني أن أكون أبا وعائشة أما وعليها عماما والحسن والحسين أخوين وفاطمة أختك ؟ فعرف الصبي أنه رسول الله ، فقال لم لا أرضى يا رسول الله ؟ فحمله النبي عليه الصلاة والسلام إلى منزله وألبسه أحسن الثياب وأشبعه وزينه وطيه فخرج الصبي ضاحكا مستبشرا ، فلما رآه الصبيان قالوا له كنت قبل هذا الآن تبكي فما بالك صرت الآن مسرورا ؟ فقال كنت جائعا فشبع وكنت عاريا فلبست وكنت يتيما فكان رسول الله أبي وعائشة أمي والحسن والحسين أخوي وطى عمي وفاطمة أختي أفلا أفرح ؟ فقال الصبيان ياليت آباءنا قتلوا في سبيل الله في تلك الغزوة فكأن ذلك ، فلما توفي النبي عليه الصلاة والسلام خرج الصبي وهو يحثو التراب على رأسه ، فاستغاث وقال الآن صرت غريبا ويتيما ، فضمه أبو بكر الصديق إلى نفسه رضى الله عنه « (زبدة) . صدقة الفطر واجبة عملا لا اعتقادا على الحر المسلم المالك لثياب فاضل عن الحوائج الأصلية وإن لم يكن تاميا وبه تحرم الصدقة ، وتجب الأنحية عن نفسه وولده الصغير الفقير وعبيده للخدمة ولو كان كافرا وكذا مدبره وأم ولده لاعن زوجته وولده الكبير وطفله الغنى بل من مال الطفل والمجنون كالطفل ولا عن مكاتبه ولا عن عبيده للتجارة ، ووقت أداء صدقة الفطر قبل صلاة العيد . روى « أن عثمان بن عفان رضى الله عنه نسي زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعل كفارته عتق رقبة ، ثم جاء النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله نسيت زكاة الفطر قبل صلاة العيد فجعلت كفارته عتق رقبة ، فقال عليه الصلاة والسلام : لو أعتقت يا عثمان مائة رقبة لم تبلغ ثواب زكاة الفطر قبل صلاة العيد « (زبدة الواعظين) قيل لأى شيء الركوع واحد والسجدة ثنتان مع أن كلا منها فرض ؟ قيل لأن الركوع أدعى للعبودية والسجدة شاهدان ، فكما لم يقبل الركوع إلا بالسجود فكذلك

لا يقبل الصوم إلا بصدقة القطر فإنها شاهدة عليه (زبدة الواعظين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من أعطى صدقة الفطر كان له عشرة أشياء : الأول يطهر جسده من الذنوب . والثاني يعتق من النار . والثالث يصير صومه مقبولا » كما قال الحسن البصري : إن صدقة الفطر للصوم كسجدة السهو للصلاة ، فكما تجبر سجدة السهو كل واقع في الصلاة فكذا الصوم يجبر بصدقة الفطر كل واقع فيه وبالتراخي لأن الحسنات يذهبن السيئات . « والرابع يستوجب الجنة . والخامس يخرج من قبره آمنا . والسادس يقبل ما عمل من الخيرات في تلك السنة . والسابع تجب له شفاعتي يوم القيامة . والثامن يمر على الصراط كالبرق الخاطف . والتاسع يرجع منزاته من الحسنات . والعاشر : حواء الله تعالى اسمه من ديوان الأشقياء » (شيخ زاده) وندب إخراجها قبل صلاة العيد ، ولا تسقط بالتأخير ، وهي نصف صاع من بر أو دقيق أو سويق أو صاع من تمر أو شعير والزبيب كالبر وعندهما كالشعير ؛ والصاع ثمانية أرطال ، ودفع قيمة ذلك أفضل وعليه القتوى لأنه أدفع لحاجة الفقير (ملتقى الأنهر) وقال عليه الصلاة والسلام « من أعطى صدقة الفطر كان له بكل حبة يعطيها سبعون ألف قصر طول كل قصر ما بين الشرق والغرب » (مشكاة الأنوار) أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله » وفي رواية أخرى « أعطاه الله تعالى ثواب ستة أنبياء : أولهم آدم عليه السلام ، والثاني يوسف عليه السلام ، والثالث يعقوب عليه السلام ، والرابع موسى عليه السلام ، والخامس عيسى عليه السلام ، والسادس محمد عليه الصلاة والسلام » والله أعلم بالصواب (زبدة الواعظين) يجب إخراج صدقة الفطر على الكبير والصغير سواء كان صحيحا أو مجنونا عندهما ؛ وعند محمد وزفر لا يجب على الصغير والمجنون ، ولو كان له داران دار يسكنها والدار الأخرى لا يسكنها ويؤجرها يعتبر قيمتها مائتي درهم ويجب عليه صدقة الفطر ، وكذلك لو كان له دار واحدة يسكنها وفصل عن سكناء بها شيء يعتبر قيمة الفضل وكذلك في الثياب والأثاث (محيط البرهان) .

المجلس الثاني والسبعون : في فضيلة عشر ذى الحجة

سورة والفجر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم بالصبح أو فلقه كقوله تعالى « والصبح إذا تنفس » أو بصلاته (وليال عشر) عشر ذى الحجة ، ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتكثيرها للتعظيم ، وقرئ (وليال عشر) بالإضافة على أن الراد بالعشر الأيام (والشفع والوتر) والأشياء كلها شفعا ووترها أو الحاق كقوله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » والخالق هو الله لأنه فرد ، ومن قسرها بالعناصر الأربعة والأفلاك أو البروج والسيارات أو شفع

الصلوات وترها وويومي النحر وعرفة ؛ وقد زوى مرفوعاً أو غيرها فلعله أفرد بالله كرم من أنواع الدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخل في الدين أو مناسبة لما قبلها أو أكثر منفعة موجبة للشكر (والليل إذا يسر) إذا مضى كقوله تعالى « والليل إذا أدبر » والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة ، أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام ، وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفاً (هل في ذلك) القسم والمقسم به (قسم) حلف أو محلف به (لذي حجر) يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه . والحجر : العقل سمى به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمى عقلاً ونهية وحصة من الإحصاء وهو الضبط والقسم عليه محذوف وهو يعذب من يدل عليه قوله (ألم تر كيف) الآية (قاضي يضاوي) .

وعن الحسن بن علي أنه قال : إذا دخلت للمسجد فسلم على النبي عليه الصلاة والسلام ، فإن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال « لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً ، وصلوا على حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني » وفي حديث أوس رضي الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي » وعن سلمان بن سعيد رحمه الله عليه أنه قال : رأيت النبي عليه الصلاة والسلام في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقهم سلامهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم وأرد عليهم (شفاء شريف) قال بعض العلماء : من صام هذه الأيام أكرمه الله بمشقة أشياء : البركة في عمره ، والزيادة في ماله ، والحفظ في عياله ، والتكفير لسيئاته ، والتضعيف لحسناته ، والتسهيل لسكرات موته ، والضياء لظلمات قبره والتثقيل لميزانه ، والنجاة من دركاته ، والصعود على درجاته . وكذا روى : إن الله اختار من السنة ثلاث عشرات : العشر الأخير من رمضان لما فيه من بركات ليلة القدر ، وعشر الأضحي لما فيه من يوم التروية ويوم عرفة والأضاحي والتلبية والحج وأنواع الناسك ، كما جاء في الخبر « إن الله تعالى ينهي ملائكته فيقول : انظروا إلى عبادي حيث جاءوا من كل فج عميق شعنا غبرا ليشهدوا منافع لهم اشهدوا يا ملائكتي آتي قد غفرت لهم » وعشر المحرم لما فيه من بركات يوم عاشوراء ولورود هذه الآثار وأمثالها . قال الفقهاء رحمهم الله : لو قال رجل لله على أن أصوم أفضل الأيام في سنتي هذه بعد رمضان يجب عليه العشر الأول من ذي الحجة ، لأن الأيام الفاضلة من السنة هذه الأيام . وفي الخبر « من صام يوم عرفة من ذي الحجة كتب الله تعالى له صيام ستين سنة وكتبه الله من القاتنين » (زبدة الواعظين) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام : يعني أيام عشر ذي الحجة ، قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل

خرج بنفسه وماله فلم يرجع بذلك » وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « ما من أيام أحب إلى الله أن يعبد فيها من عشر ذي الحجة يعدل صوم كل يوم منها صيام سنة وقيام كل ليلة منها قيام ليلة القدر » وفي الخبر أن موسى عليه السلام قال : يارب دعوت فلم تجب دعوتي فلمنى شيئا أدعوك به . فأوحى الله تعالى إليه يلموسى إذا دخل أيام العشر من ذي الحجة قل لا إله إلا الله أقض حاجتك ، قال يا رب كل عبادك يقولها ، قال يا موسى من قال لا إله إلا الله في هذه الأيام مرة لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة لليزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى لثقلت ورجعت هذه للقالة عليهن جميعا . وروى عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « اليوم الذى غفر الله فيه لآدم عليه السلام أول يوم من ذي الحجة ، من صام ذلك اليوم غفر الله له كل ذنب . واليوم الثانى استجاب الله دعاء يونس عليه السلام فأخرجه من بطن الحوت ، من صام ذلك اليوم كان كمن عبد الله تعالى سنة لم يعص الله في عبادته طرفة عين . واليوم الثالث الذى استجاب الله فيه دعاء زكريا عليه السلام ، من صام ذلك اليوم استجاب الله دعاءه . واليوم الرابع اليوم الذى ولد فيه عيسى عليه السلام من صام ذلك اليوم نفى الله عنه البأس والفقر ، فكان يوم القيامة من السفرة البررة الكرام . واليوم الخامس اليوم الذى ولد فيه موسى عليه السلام ، من صام ذلك اليوم برئ من النفاق أو من عذاب القبر . واليوم السادس اليوم الذى فتح الله تعالى لنبه فيه الخير ، من صامه ينظر الله إليه بالرحمة فلا يعذب بعده أبدا . واليوم السابع اليوم الذى يفتح فيه أبواب جهنم ولا تفتح حتى تمضى أيام العشر ، من صامه أغلق الله عنه ثلاثين بابا من العسر وفتح له ثلاثين بابا من اليسر . واليوم الثامن اليوم الذى يسمى يوم التروية ، من صامه أعطى من الأجر ما لا يملئه إلا الله تعالى . واليوم التاسع اليوم الذى هو يوم عرفة ، من صامه كان كفارة لسنة ماضية وسنة مستقبلة وهو اليوم الذى أنزل فيه (اليوم أكملت لكم دينكم وآممت عليكم نعمتى) . واليوم العاشر هو يوم الأضحى من قرب قربانا فيه فباول قطرة قطرت من دمه غفر الله له ذنوبه وذنوب عياله ، ومن أطعم فيه مؤمنا أو تصدق فيه بصدقة بعثه الله تعالى يوم القيامة آمنا ويكون ميزانه أثقل من جبل أحد » (مجالس) .

(حكى) عن سفیان الثوري أنه قال : كنت أطوف بمقابر المسلمين في البصرة من ليالى ذى الحجة ، فإذا نور في قبر رجل فوقت متفكرا فإذا صوت عال يقول : يا سفیان عليك بصيام عشر ذى الحجة يعط لك نور مثل هذا (زبدة الواعظين) وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من صام اليوم الأخير من ذى الحجة واليوم الأول من المحرم فقد ختم تسعة الماضية وفتح السنة القابلة بالصوم وجعل الله له كفارة خمسين سنة » وعن عائشة

رضى الله عنها أنها قالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من يوم يعتق الله تعالى فيه من النار أكثر مما يعتق في يوم عرفة » (كذا في زبدة الواعظين) خذما آتيتك ولا تكن من الجاحدين . قال عليه الصلاة والسلام « أفضل ما قلت أنا وما قال الأنبياء قبلي في هذه الأيام العشرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له » وقال عليه الصلاة والسلام « ما من أيام العمل فيها أفضل من عشر ذي الحجة ، فقيل يا رسول الله ولا رمضان ؟ فقال بل العمل في رمضان أفضل ، ولكن هذه الأيام حرمتهن أعظم » (موعظة) قوله (والشفع والوتر) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الشفع يوم التروية ويوم عرفة والوتر يوم العيد . وعن قتادة ومجاهد أنهما قالوا : الشفع هو الخلق كلهم والوتر هو الله تعالى وقد قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين » معناه ليعلموا أن الله تعالى واحد . وعن الحسن أنه قال : الشفع هو أربع صلوات : الفجر والعصر والعشاء ، والوتر هو صلاة المغرب ، أقسم الله تعالى بالصلوات الخمس التي يصلها أهل الإسلام . وقال بعضهم الشفع يوم الخميس ويوم الاثنين والوتر يوم الجمعة ، أقسم الله بهذه الأيام الثلاثة لفضلها وشرفها على سائر الأيام . وقال بعضهم : الشفع رجب وشعبان والوتر رمضان ، أقسم الله تعالى بهذه الشهور لشرفها وفضلها على سائر الشهور . وقال بعضهم : الشفع آدم عليه السلام وحواء رضي الله عنها والوتر محمد عليه الصلاة والسلام ، أقسم الله تعالى بهم لكثرة فضلهم وشرفهم (والليل إذا يسر) قال بعض العلماء : هي ليلة المزدلفة ، أقسم الله تعالى بها لفضلها وشرفها بسير الحجاج فيها . وقال الشيخ أبو سعيد هي ليلة للعراج يدل عليه قوله تعالى « سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » الآية (تفسير حنفي) . (والفجر) أي الأول على أن يكون الفجر اصمًا بمعنى الصبح أول وقت ظهور ضوء الشمس في جنب الشرق . والشأن أن يكون مصدراً بمعنى خروج الصبح بقلقه الظلام أي بشقه ، يقال فلتت الشيء فلما شققت ، أقسم الله به لما يحصل من انقضاء الليل لظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق وذلك مشاكل لنشور اللوتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل (شيخ زاده) . (وليل عشر) أي عشر ذي الحجة ، أقسم به لأنه أيام الاشتغال بنسك الحج وأعماله والحج للبرور من أفضل الأعمال لكفارته ذنوب العمر . وفي الخبر « ما من أيام العمل الصالح فيها أفضل من أيام هذا العشر » ولما فر اليلالي البشر بعشر ذي الحجة ، قيل المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر يوم عرفة أو فجر يوم النحر ، أقسم بفجر يوم عرفة لأنه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات للوقوف ، أو أقسم بفجر يوم النحر لأنه يوم عظيم يأتي فيه الإنسان بالقربان (شيخ زاده) . (والشفع والوتر) والأشياء كلها شفعا ووترها ، على أن يكون الشفع والوتر مما كناية

عن جميع الأشياء من حيث إن شيئا ما من أجناس الأشياء وأنواعها وأصنافها وأشخاصها جواهرها وأعراضها لا يتصور كونه خاليا عنهما ، فالقسم بهما قسم بجميع الأشياء بهذا الطريق وكذا إذا جعل الشفع كناية عن جميع المخلوقات ، لأنه تعالى خلق من كل شيء منها زوجين ذكرًا وأنثى ، ناطقًا وصامتًا عالمًا وجاهلًا قادرًا وعاجزًا حارًا وباردًا رطبًا ويابسًا فلکیًا وغنصريًا إلى غير ذلك ، وجعل الوتر كناية عن الخالق لأنه فرد لا تعدد فيه ، وقال بعض المتكلمين : لا يجوز أن يقال الوتر هو الله تعالى إذ لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره . روى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سمع من يقول : الله ورسوله قهاه عنه ، فقال « قل الله ثم رسوله » (شيخ زاده)

المجلس الثالث والسبعون : في بيان فضيلة ليلة القدر

سورة القدر — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أنزلناه في ليلة القدر) الضمير للقرآن ، فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المفضية عن التصريح كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه ، وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله (وما أذكرك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر) وإنزاله فيها بأن ابتدئ بإنزاله فيها أو أنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا على السفرة ، ثم كان جبرائيل عليه السلام ينزل به على النبي عليه الصلاة والسلام نجوما في ثلاث وعشرين سنة ، وقيل معنى إنزاله أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان ولعلها السابعة منها ، والداعي إلى إخفائها أن يحجب من ريدها ليالي كثيرة ، وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) وذكر الألف إما للتكثير أولا روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه ذكر إسرائيليا لبس السلاح وغزا في سبيل الله ألف شهر ، فتعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم ، فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي (تنزل الملائكة والروح فيها) أي في ليلة القدر (يا ذنوبهم) بيان لما له فضل على ألف شهر وتنزلهم إلى الأرض أو إلى سماء الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين (من كل أمر) أي من أجل كل أمر من الخير والبركة قدر في تلك السنة إلى القابل ، وقرئ « من كل أمر » أي من أجل كل إنسان (سلام) خبر مقدم (هي) أي ليلة القدر مبتدأ مؤخر : أي ماهي إلا السلامة : أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة ، ويقضى في غيرها السلامة والبلاء ، أو ماهي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أي وقت مطلعه : أي طلوعه ، وقرئ بالكسر على أنه كالمراجع أو اسم زمان على غير قياس كالمركب (قاضي يضاوي) .

روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة » روى عن أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير قال : مات وراق بالكوفة فرآه عالم في المنام ، فقال له ما فعل الله بك يا وراق ؟ قال غفر لي ربي ، فقال بماذا ؟ فقال يلحق الصلوات عقيب اسم النبي عليه الصلاة والسلام ، فمن يكتب صلواته بالقرطاس يجد الغفران ، فكيف لا يغفر الله لقاءها لسانا وقلبا (كذا في زبدة الواعظين) قيل عظم الله تعالى القرآن بثلاثة أوجه : الأول بأن أسند إزاله إليه وجعله مختصا به دون غيره . والثاني جاء بالضمير دون الاسم الظاهر شهادة له بالنباهة في رفعة القدر لكمال الشرف . والثالث رفع مقدار الوقت الذي أنزل فيه (كشف) وإنما سميت ليلة القدر قدرا لأن فيها تقدير الأمور والأحكام والأرزاق والآجال وما يكون في تلك السنة إلى مثل هذه الليلة من السنة لليلة يقدر الله تعالى ذلك في بلاده وعباده . ومعنى هذا أن الله تعالى يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بأن يكتب لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم إياه وليس للراد منه أن يحدثه في تلك الليلة ، لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل . قيل للحسين بن الفضل أليس أنه قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ قال نعم ، قيل له فما معنى ليلة القدر ؟ قال سوق المقادير إلى التوقيت وتنفيذ القضاء للقدر (تفسير لباب) وإنما سميت ليلة القدر ، لأنها يقدر فيها الأمور والأحكام كلها من تلك السنة إلى السنة القابلة ، ثم تسلم للدبرات دقة الرحمة والعذاب إلى جبرائيل عليه السلام ، ودقت النباتات والأرزاق إلى ميكائيل عليه السلام ، ودقت الأمطار والرياح إلى إسرافيل عليه السلام ، ودقت قبض الروح وانقضاء الآجال إلى عزرائيل عليه السلام لقوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) أو القدر بمعنى الضيق ، لأن الأرض تضيق تلك الليلة لكثرة نزول للملائكة عليهم السلام (مشكاة الأنوار) قيل سبب نزول للملائكة إلى الأرض في ليلة القدر أنهم لما قالوا (آتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) قال إني أعلم ما لا تعلمون) أظهر أن الأمر خلاف ما قالوا وبين حال المؤمنين قتلوا يسلمون عليهم ويستندرون مما قالوا ويدعون ويستغفرون لهم (بخاري) وسبب نزول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال « ذكر جبرائيل عليه السلام عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عبدا يقال له شمعون الغازي ، وهو غزا الكفار ألف شهر ، وكان سلاحه لحى جمل وليس له غيرها من آلة حرب ، وكلما ضرب الكفار بهذا اللحي قتل ما لا يحصى عددهم ، فإذا عطش يخرج من موضع الأسنان ماء عذب فيشربه ، وإذا جاع يئبث منه لحم فيا كله ، فكان على هذا كل يوم حتى مضى من عمره ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فعجز الكفار عن رده ، فقالوا لامرأته وهي كافرة إنا نعطيك أموالا كثيرة إن قتلت زوجك ،

قالت أنا لا أقدر على قتله ، قالوا ، نعطيك حبالاً شديد الشدة ، بيديهم ورجليه في ثوبه ونحن نقتله ، فشده
 المرأة في ثوبه فاستيقظ فقال من شدني ؟ قالت أنا شدت لأجربك ، فجذب يده فقطع الحبل
 ثم جاء الكفار بسلسلة فشده للمرأة بها فاستيقظ ، فقال من شدني ؟ قالت أنا شدت لأجربك
 فجذب يده فقطع السلسلة ، ثم قالت كالأولى ، فقال يا مرائي أنا ولي من أولياء الله تعالى لا يقلب على
 شيء من أمر الدنيا إلا شعري هذا ، وكان له شعر طويل ، فسمعت امرأته فلما نام قطعت ذوائبه
 في حال نومه ، وكانت ثمانى قطع من شعر رأسه وكلها تخرج على الأرض ، فشدت بأربع ذوائب
 منها يديه وبالأربع الأخرى رجله في ثوبه ، فاستيقظ فقال من شدني ؟ قالت أنا شدت لأجربك ،
 فلم يقدر على قطعها ، فأخبرت امرأته الكفار ، فجاءوا وذهبوا به إلى مذبحهم وكان فيه عمود
 فأوثقوه على ذلك العمود ، قطعوا أذنيه وعينه وشفتيه ولسانه ويديه ورجليه وكلهم مجتمعون
 في ذلك البيت ، فأوحى الله تعالى إليه : أى شيء تريد بهم أصنعه ؟ قال أن تعطينى من القوة
 حتى أحرك عمود هذا البيت فينهدم عليهم ، قواه الله وحرك نفسه فوق السقف عليهم وأهلكوا
 جميعاً وامرأته معهم ، فأنجاه الله تعالى منهم ورد الله عليه أعضائه ، فبعد ذلك عبد الله ألف شهر
 مع قيام ليلها وصيام نهارها ، فضرب بالسيف في سبيل الله فبكى أصحاب النبي عليه الصلاة
 والسلام اشتياقاً لذلك ، قالوا يا رسول الله هل تدري ثوابه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام
 لا أدري ، فأنزل الله جبرائيل عليه السلام بهذه السورة وقال يا محمد أعطيتك وأنتك ليلة القدر
 العبادة فيها أفضل من عبادة سبعين ألف شهر ، وقال بعضهم : قال الله تعالى : يا محمد ركعتان
 في ليلة القدر خير لك ولأمتك من ضرب السيف ألف شهر في زمان بنى إسرائيل (سبانية)
 وقيل سبب نزولها أنه لما دنا وفاة النبي عليه الصلاة والسلام وقرب فراقه عن أمته بكى رسول
 الله وحزن وقال : إذا خرجت من الدنيا فمن يبلغ سلام الله على أمتي ، واغتم قلبه عليه الصلاة
 والسلام ، ففرح الله قلبه لقوله (تنزل الملائكة والروح) حتى يبلغوا سلامي ولا أمتع عنهم
 فلا تحزن يا حبيبي (موعظة) قال الإمام الرازي : فإذا طلع الفجر في ليلة القدر نادى جبرائيل
 عليه السلام : يا معشر الملائكة الرحيل الرحيل ، فيقولون يا جبرائيل ما صنع الله بالمسلمين
 في هذه الليلة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، فيقول لهم : إن الله تعالى نظر إليهم بالرحمة
 وغفر عنهم وغفر لهم إلا أربعة نفر . قالوا من هؤلاء الأربعة ؟ قال مدمن الخمر وعاق الوالد
 وقاطع الرحم وللشاحن : يعني للصارم وهو الذي لا يكلم أخاه فوق ثلاثة أيام (زبدة الواعظين)
 عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من صلى في ليلة القدر ركعتين
 يقرأ في رحمة الكتاب مرة والإخلاص سبع مرات فإذا سلم يقول أستغفر الله
 وأتوب إليه سبعين مرة ، فلا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه ، ويستغفر الله تعالى

ملائكة إلى الجنان يفرسون له الأشجار وبينون القصور ويمجرون الأنهار ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ذلك كله » . (تفسير الحنفي) قال النبي عليه الصلاة والسلام « إن الله ينزل في كل ليلة القدر رحمة واحدة تصيب جميع المؤمنين من شرق الأرض إلى غربها . ويقي منها بقية ، فيقول جبرائيل عليه السلام : يا رب بلغت رحمتك جميع المؤمنين وبقيت فضلة ، فيقول الله تعالى اصرفها إلى المواليد الدين والذواق هذه الليلة ، فيصرف جبرائيل تلك الرحمة إلى مواليد الإسلام والكفار ، وسارت تلك الرحمة لأولاد الكفار خاصة ، وهي تجرم إلى دار السلام فيموتون بها مؤمنين » كما قال موسى عليه السلام في مناجاته : إلهي أريد قربك ، فقال الله تعالى قربني لمن استيقظ ليلة القدر ، وقال إلهي أريد رحمتك ، فقال الله تعالى رحمتي لمن رحم المسكين ليلة القدر ، وقال إلهي أريد الجواز على الصراط كالبرق ، فقال الله تعالى ذلك لمن تصدق ليلة القدر ، وقال إلهي أريد أن أقعد تحت ظل أشجار الجنة وآكل من ثمارها ، فقال الله تعالى ذلك لمن سبغ تسبيحة ليلة القدر ، وقال إلهي أريد النجاة من النار ، فقال الله تعالى ذلك لمن استغفر الله تعالى ليلة القدر إلى الصبح ، وقال إلهي أريد رضاك ، فقال الله تعالى رضاى لمن صلى ركعتين ليلة القدر (زبدة الواعظين) روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « أبواب السموات مفتوحة في ليلة القدر ما من عبد يصلى فيها إلا جعل الله تعالى له بكل تكبيرة غرس شجرة في الجنة لو سار الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وبكل ركعة بيتا في الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وبكل آية من قراءته في الصلاة تاجا في الجنة وبكل جلسة درجة من درجات الجنة ، وبكل تسليمة حلقة من حلل الجنة » (زبدة الواعظين) روى في الخبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال « ينزل في ليلة القدر أربعة ألوية : لواء الحمد ولواء الرحمة ولواء المغفرة ولواء الكرامة ، ومع كل لواء سبعون ألف ملك ، وعلى كل لواء مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله ، قال عليه الصلاة والسلام : من قال في تلك الليلة ثلاث مرات لا إله إلا الله محمد رسول الله غفر له بواحدة وأتجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة ، فينصب لواء الحمد بين السماء والأرض ، ولواء المغفرة على قبر النبي عليه الصلاة والسلام ، ولواء الرحمة فوق الكعبة ولواء الكرامة فوق الصخرة في بيت المقدس ، وكل واحد منهم يحى في تلك الليلة على باب المسلمين سبعين مرة يسلم عليهم » (سنانية) وعن وهب ابن منبه أنه قال : كان عابدي بنى إسرائيل عبد الله تعالى ثلاثمائة سنة ورجا أن يوحى إليه ، وقد أنبت الله تعالى له نخلة شمر كل ليلة ما يكفيه وكان قلبه مطمئنا إليه ، فلم يوح إليه ، فتودى إلى لا أوحى إلى رجل قلبه مطمئن بغيري ، قال يا رب ما يطمئن به قلبي ؟ فقيل بالشجرة التي تأكل منها فقطع تلك الشجرة وشرع في العيادة ، فقال له ربه : إن لعبادي ليلة هي ليلة القدر خير

من عبادتك كلها . وقال بعض العلماء : هنا نكتة شريفة : وذلك أن نوح عليه الصلاة والسلام دعا الخلق ألف سنة إلا خمسين عاما وأنت يا محمد دعوت الخلق ثلاثا وعشرين سنة ، وأنت خير من نوح عليه الصلاة والسلام ، ومدتك القليلة خير من مدة نوح عليه الصلاة والسلام ، وتوابعك إلى أكثر من توابع نوح عليه الصلاة والسلام ، فكذا الضارب بالسيف ألف شهر والقائم ألف شهر وإن كان كثيرا ، فصلاة الركعتين من أمتك وإن كانت قليلة في تلك الليلة أفضل من ذلك كله ، ليعلم الخلائق أن فضلى ورحمى على محمد وأمه أفضل من رحمى على جميع الخلائق (تفسير الحنفى) .

واختلفوا في ذلك : فقال بعضهم إنها كانت في عهد رسول الله ثم رقت . وذهب عامة المشايخ إلى أنها باقية إلى يوم القيامة . واختلفوا في تلك الليلة : فقال بعضهم أول ليلة من رمضان . وقال بعضهم ليلة سبعة عشر . وقال الأكثر في العشر الأخير من رمضان . وافترق عامة الصحابة والعلماء على أنها ليلة سبع وعشرين من رمضان . (حكى) أن أبا يزيد البسطامي قال : رأيت ليلة القدر في جميع عمرى مرتين ، وهى واقعة في موقع السابع والعشرين . وذكر في حقائق الحنفى أنه قال : إن حروف ليلة القدر تسعة أحرف ، وقد ذكر الله تعالى لفظ ليلة القدر في ثلاثة مواضع ، فتكون سبعا وعشرين ، والسر في إخفائها على الأمة أن يجتهدوا في العبادات جميع ليالى رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، والصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، والاسم الأعظم في الأسماء ، ورضاه في الطاعة ليرغبوا ويجتهدوا في جميعها (مشكاة الأنوار) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من قام ساعة في ليلة القدر قد رما عجب الراعى شاة أحب إلى الله من صيام الدهر كله » والذي يعتنى بالحق نيبا لقراءة آية من القرآن ليلة القدر أحب إلى الله من أن يختم في غيرها من الليالى » وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قلت : يا رسول الله لو واقت ليلة القدر فما أقول ؟ قال « قولى : اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني » (موعظة) .

واختلف للفسرون في معنى الروح : قال بعضهم هو جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وعن كعب الأحبار أن سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم عندهم إلا الله تعالى ينزلون مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام في ليلة القدر ومقام جبرائيل في أوسطها يدعون للمؤمنين والمؤمنات بخير ولا يترك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أحدا من الناس إلا صاحبه . وعلامة ذلك أن من أقشع جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فهو من مصاحبة جبرائيل عليه الصلاة والسلام . وقال بعضهم : المراد من الروح هو ملك عظيم لو التقم السموات والأرض لكانت لقمة له لآتره الملائكة إلا في ليلة القدر ينزل لخدمة المؤمنين مع الملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام .

وقيل طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا في ليلة القدر . وقيل خلق الله تعالى يأكلون

ويلبسون ليسوا من الثلاثة ولا من الإنس ولعلمهم خدام أهل الجنة . وقيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام ، إذ الروح اسمه ينزل موافقة للملائكة ليطلع على أمة محمد عليه الصلاة والسلام . وقيل هو ملك رجلاه تحت الأرض السابعة ورأسه تحت العرش الأعلى ، وله ألف رأس أعظم من الدنيا ، وفي كل رأس ألف وجه ، وفي كل وجه ألف قم ، وفي كل قم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ، فينزل تلك الليلة ويستغفر لأمة محمد عليه الصلاة والسلام (تفسير التيسير) وقال بعضهم : المراد من الروح الرحمة يعث الله تعالى جبرائيل عليه الصلاة والسلام مع الرحمة على عباده الأحياء تفضل منهم ، فيقول الله يا جبرائيل اقسم الباقي على الأموات فيفضل ، فيقول جبرائيل يا رب قد فضلت رحمتك عنهم ماذا تأمر ؟ فيقول الله تعالى : يا جبرائيل خزائن رحمتي مملوءة فاقسم الباقي على الكفار في دار الحرب فيقسم جبرائيل على من علم أنه يموت مسلماً (شيخ زاده) .

المجلس الرابع والسبعون : في فضيلة الأضحية ويا ب تكبيراتها

سورة الكوثر - (بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أعطيناك الكوثر) أى الخير للفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين . وروى عنه عليه الصلاة والسلام « أنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشدّ يابضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد ، حاقناه الزبرجد وأوانيه من الفضة لا ينظم من شرب منه » . وقيل حوض فيها : وقيل أولاده وأتباعه أو علماء أمتهم أو القرآن العظيم (فصل لربك) قدم على الصلاة خالصاً لوجه الله خلاف الساهى عنها المرأى فيها ، شكراً لإنعامه ، فإن الصلاة جامعة لأقسام الشكر (وانعم) البدن التي هي خيار أموال العرب وتصدق على المحايج خلافاً لمن يدعمهم ويمنع عنهم للماعون ؛ فالسورة كالمقابلة للسورة للتقدمة ، وقد فسر الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية (إن شئت) إن من أبغضك لبغضه لك (هو الأبر) الذي لا عقب له إذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر ؛ وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة ، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ، عن النبي عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الكوثر سقاء الله من كل نهر في الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعد كل قربان قربه العباد في يوم النحر » (قاضى يضاوى) .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « من صلى على تعظيماً لي جعل الله تعالى من تلك الكلمة ملكاً له جناحان جناح بالشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت العرش يقول له الله تعالى صل على عبدى كما صلى على نبي ، فيصلى عليه إلى يوم القيامة » (زبدة الواعظين) روى مسلم عن أنس

رضى الله عنه أنه قال « نام عليه الصلاة والسلام نومة خفيفة ، ثم قام ورفع رأسه متبسما ، فقيل له ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال نزلت على آتفا : أى قريبا سورة فقرأ علينا (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شاتك هو الأبر) » سبب نزولها ما روى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال : إن العاص بن وائل بن هشام رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام يخرج من المسجد وهو داخل ، فالتفيا عند الباب وتحدا وجاعة قريش في المسجد ، فلما دخل العاص عليهم قالوا من ذا الذى تحدته ؟ قال ذلك الأبر ، وإنما قال هذا لأن قريشا سموا محمدا أبر عند موت ابنه إبراهيم ، وكان في الجاهلية إذا لم يكن للرجل ولد ذكر يسمونه أبر ، فسمع النبي عليه الصلاة والسلام ما قاله العاص فحزن قلبه ، فأزل الله تعالى تسلية لقلبه وجوابا لعدوه ، لو عاش ابنك فلا يخلو إما أن يكون نبيا أولا ، فإن لم يكن نبيا فلا يكن لك فيه شرف ، وإن كان نبيا فلا تكون أنت خاتم النبيين وقرنت اسمى باسمك في التوحيد والأذان والصلاة وكثير من الأشياء وأنت صاحب الكوثر فكيف تكون أنت أبر ؟ (روضة العطاء) وهو أى إبراهيم مات في حال الرضاع ، وروى أنه كان طفلا ابن سبعين يوما أو زيادة . وأبناء الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة : قاسم وهو ولد قبل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وصار إلى العقبي قبل نبوته في مدة سبعة عشر يوما على القول الأصح ، وإبراهيم مرت أقواله آتفا . وعبد الله ، قالوا اسمه طيب وطاهر وهو ولد بعد نبوة محمد عليه الصلاة والسلام في مكة ومات في حال صفه ، وقال بعضهم إن طيبا وطاهرا غير عبد الله . وأما بناته فأربع : فاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهن ، ولدن كلهن من بطن خديجة سوى إبراهيم فاته ولد من جارية قبطية اسمها مارية : وأولاده عليه الصلاة والسلام كلهم ماتوا قبله غير فاطمة الزهراء وهى ماتت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام بستة أشهر ، وهى أفضل بناته (كذا في شرح البركوى للقنوى) روى أن الكوثر نهر في الجنة ، وقيل حوض فيها ، وقيل في الموقف ، وقيل فضائل كثيرة ، وقيل اللقاه المحمود ، وقيل خلق حسن ، وقيل رفعة ذكره ، وقيل هذه السورة ، وقيل أولاده وأتباعه ، وقيل علماء أمته ، وقيل القرآن العظيم ، وقيل علماء أولاده ، وقيل ما أوحى إليه مطلقا ، وقيل النبوة ، وقيل أصحابه العظام ، وقيل تفسير القرآن ، وقيل تحقيق الشرائع ، وقيل كثرة أمته ، وقيل الكرامات الواقعة ، وقيل الشفاعة الكبرى (مشاب الدين) وجه المقابلة أن الله تعالى وصف المنافقين في السورة للتقدمة بأربعة أمور : الأول البخل ، وهو المراد من قوله تعالى (الذى يدع اليتيم ولا يحض) الآية . والثانى ترك الصلاة ، وهو المراد من قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) . والثالث الرياء في الصلاة وهو المراد من (١٩ - درة الناصحين)

قوله (الذين هم راءون) . والرابع منع الزكاة ، وهو المراد من قوله (ويعمنون الماعون) فذكر في مقابلة (عن صلاتهم ساهون) قوله فصل ، وفي مقابلة (الذين هم راءون) قوله (لربك) ، وفي مقابلة (الذى يدع اليتيم - ويعمنون الماعون) قوله (وانحر) لأن بذل خيار الأموال يقابل البخل ، وصرفها إلى المحايج يقابل منع الماعون (شيخ زاده) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كان له سعة فلم يضح ، فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » وفي رواية « من كان له سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا » وعن علي رضي الله عنه « من خرج من بيته إلى شراء الأضحية كان له بكل خطوة عشر حسنات وعما عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ، وإذا تكلم في شرائها كان كلامه تسبيحا ، وإذا فقد ثمنها كان له بكل درهم سبعائة حسنة ، وإذا طرحتها على الأرض يريد ذبحها استغفر له كل خلق من موضعها إلى الأرض السابعة ، وإذا أهرق دمها خلق الله بكل قطرة من دمها عشرة من الملائكة يستغفرون له إلى يوم القيامة ، وإذا قسم لحمها كان له بكل لقمة مثل عتق رقبة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام » (جواهر زاده) عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة « يا عائشة قدمي أضحيتك واشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر لك الله تعالى ما سلف من ذنوبك فقالت يا رسول الله أأنا خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : بل لنا وللمؤمنين عامة » وعن وهب بن منبه أنه قال : إن داود عليه الصلاة والسلام قال : إلهي ما ثواب من ضحى من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ؟ قال ثوابه أن أعطيه مكل شعرة على جسده عشر حسنات وأححو عنه عشر سيئات وأرفع له عشر درجات ، وله بكل شعرة قصر في الجنة وجارية من الحور العين ومركب من ذوات الأجنحة خطوها مد البصر يركبها أهل الجنة فيطير بها حيث يشاء . أما علمت يا داود أن الضحايا هي للطايا وترفع البلايا يوم القيامة ؟ (زهرة الرياض) حكى عن أحمد بن إسحق أنه قال : كان لي أخ فقير ، وكان مع قفره يضحى كل سنة بشاة ، فلما توفي صليت ركعتين فقلت : اللهم أرني أخى في نومي فأسأله عن حاله ، فتمت على الوضوء فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وحشر الناس من قبورهم ، فإذا أخى راكب على فرس أشهب وبين يديه نجائب ، فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لي ، فقلت بهم ؟ فقال بسبب درهم تصدقت به على امرأة عجوز فقيرة في سبيل الله ، فقلت ما هذه النجائب ؟ قال ضحاياي في الدنيا والتي أركبها أول أضحيتي ، فقلت إلى أين قصدت ؟ قال إلى الجنة فغاب عن بصرى (سنانية) وأما إذا لم يكن للمؤمنين مركب من الأضحية فيكون عمله الصالح مركبا له يخلق الله تعالى من أعماله الصالحة بعيرا يركب عليه إذا خرج من قبره ، فيتقدم إلى ربه تعالى (سنانية) عن أنس وعن علي رضي الله عنهما أنهما قالا : قال النبي عليه الصلاة والسلام « إذا حشر المؤمنون من قبورهم يقول الله تعالى يا مبلأئكتي لا تمشوا عبادي راجلين بل أركبوهم على

نجائبهم ، فانهم اعتادوا الركوب في الدنيا ، كان في الابتداء صليباً يهيم مركبهم ثم بطن أمهم مركبهم ،
 فحين ولدتهم أمهم فحجراً أمهم مركبهم إلى أن يتم الرضاع ، ثم عنق أبيهم مركبهم ، ثم الفرس والبغال
 مراكبهم في البراري والسفن والزوارق في البحار ، وحين ماتوا فأعناق إخوانهم ، وحين قاموا
 من قبورهم لا تمشوم راجلين فانهم اعتادوا الركوب وقداموا نجائبهم « وهى الأضحية لقوله تعالى
 (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أى ربكنا ولداً قال عليه الصلاة والسلام « عظموا ضحاياكم
 فانها على الصراط مطاياكم » (رجبية) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرب
 قربانا إذا قام من قبره رآه قائماً على رأس قبره ، فإذا لم يشعر من الذهب وعيناه من يواقيت الجنة وقرناه
 من الذهب ، فيقول من أنت وأى شيء أنت وما رأيت أحسن منك ؟ فيقول أنا قربانك الذى قربتني
 في الدنيا ثم يقول اركب على ظهري ، فيركب عليه وينهب به ما بين السماء والأرض إلى ظل
 العرش » (رجبية) وقال عليه الصلاة والسلام « من صلى صلاتا ونسك نسكنا فهو منا ،
 ومن لم يصل صلاتا ولم يضح فليس منا إن كان غنياً » وقال عليه الصلاة والسلام « خيار
 أمتي يضحون وشرار أمتي لا يضحون » وقال عليه الصلاة والسلام « ألا إن الأضحية
 من الأعمال للنجبة ، تنجى صاحبها من شر الدنيا والآخرة » (زبدة الواعظين) . الأضحية
 واجبة على كل مسلم مقيم موسر وهو أن يملك نصاباً وهو مائتا درهم أو قيمتها فاضلاً عن
 حوائجه الأصلية لا يعتبر فيه وصف الثناء ولا يعتبر الحولان كالزكاة ، فإن الزكاة يعتبر فيها
 الحولان ، ومن كان فقيراً فوجد المال في أيام الأضحية تجب عليه الأضحية ، ومن كان
 غنياً فلف ماله في أيام الأضحية سقطت عنه الأضحية (كذا في كتب الفقه) وإنما
 تجوز الأضحية من أربعة أصناف من الحيوان : الإبل والبقر والغنم والمز ، ذكورها وإناثها ،
 ومن البقر ما تمت له ستان وطعن في الثالثة ، ومن الإبل والبقر يكفي الواحد عن واحد إلى
 سبعة كلهم يريد القرية ، فلو أراد أحدهم بنصيبه اللحم أو كان كافراً لا يجوز عن واحد
 منهم ولم ينقص نصيب أحد منهم ، ويجوز الجذع كالجماء والحصى والتولاء . الجذع : شاة
 لها ستة أشهر . والجماء : هى التى لا قرن لها . والتولاء : هى المجنونة ؛ ولا يجوز العمياء التى
 ليس لها عينان ، ولا العرجاء التى تمشى بثلاث قوائم ، ولا العوراء التى لها عين واحدة ،
 ولا العجفاء التى لا مخ في عظمها ، ولا ما ذهب أكثر من ثلث أذنها أو عينها أو أليتها
 (كذا في كتب الفقه) وأول وقتها بعد الصلاة في المص ، ولا يذبح قبلها بخلاف القرى ،
 وآخره قبل غروب اليوم الثالث ، والأفضل أن يذبح بنفسه إن قدر وإلا يأمر غيره .
 ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ، ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل
 الذبح : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ،

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد بسم الله الله أكبر ، فيذبح ثم يصلي ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام « ألقوا ما في أيديكم من السكين ثم اركعوا ركعتين ، فانه ما ركعها أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه » ويقول بعد السلام : اللهم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (ضياء الدين) ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قدر رمح أو رمحين إلى زوالها . وبيان صلاتها أنه إذا دخل وقت الصلاة بارتفاع الشمس وخروج وقت الكراهة يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة يكبر تكبيرة الإحرام ، ثم يضع يديه تحت سترته ويثنى ثم يكبر ثلاث تكبيرات ، يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة قدر ثلاث تسيجات ، ويرفع يديه عند كل تكبيرة ويرسلهما في أثنائهن ، ثم يضمهما بعد الثالثة ويتعوذ ويسمى ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يكبر ويركع ، فإذا قام إلى الواجب وهو تكبيرات الزوائد : يعنى إلى الركعة الثانية يبدأ بالقراءة ويفعل هكذا بعد قراءة الفاتحة والسورة ، ثم يركع ويسجد ؛ وتكبيرة هذا الركوع واجبة لمقارنتها إلى الزوائد الثلاث ، والتكبيرات التسع واحدة منها فرض وهي تكبيرة الافتتاح ، وواحدة منها سنة وهي تكبيرة الركوع الأول ، وسبعة منها واجبة وهي الزوائد مع تكبير الركوع الثانى . (كذا فى كتب الفقه) .

(مسئلة) رجل له مائتا درهم فاشترى بعشرين أضحية يوم الثلاثاء مثلا فهلكت الأضحية يوم الأربعاء ، وجاء الأضحية يوم الخميس لا يجب عليه أن يضحي ، لأن الأضحية إنما تجب في يوم الأضحية وهو فقير فيه (كذا فى فتاوى الواقعات) .

المجلس الخامس والسبعون

فى فضيلة قراءة سورة الإخلاص مع البسملة

سورة الإخلاص — (بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق ، وارتفاعه بالابتدائية وخبره الجملة التى بعده ولا حاجة إلى العائد لأنها هى هو أو لما سئل عنه : أى الذى سألتهم عنى هو الله ؛ إذ روى أن قريشا قالوا : يا محمد صف لنا ربك الذى تدعوننا إليه فنزلت هذه الآية (الله الصمد) السيد للصمود إليه فى الحوائج من صمد إليه إذا قصده وهو الموصوف به على الإطلاق ، فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج إليه فى جميع جهاته وتعريفه لهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير لفظ الله للاشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية ، وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالتبجيعة للأولى أو الدليل عليها (لم يلد) لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة

والفناء عليه ، ولعل الاختصار على الماضي لوروده ردا على من قال : الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله أو ليطابق قوله (ولم يولد) وذلك لأنه لا يفترق إلى شيء ولا يسبقه عدم (ولم يكن له كفوا أحد) أى ولم يكن أحد يكافئه : أى يماثله من صاحبة وغيرها وكان أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفوا ، لكن لما كان المقصود نفي الكفاة عن ذاته قدم تقديم اللام ، ويجوز أن يكون حالا من المستكن في كفوا ، أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ، ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال ، فهي بكلمة واحدة منه عليها بالجمل الثلاث (قاضى يضاوى) .

كان سبب نزول هذه السورة كما قال أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأبو العالية والشعبي وعكرمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين : أنه اجتمع كفار مكة وهم عامر بن الطفيل وزيد بن قيس وغيرها وقالوا : يا محمد صف لنا ربك من أى شيء هو ؟ أهو من ذهب أم من فضة أم من حديد أم من نحاس ؟ فان آلهتنا من هذه الأشياء ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام من تلقاء نفسه « هو لا يشبه شيئا » فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال (قل) يا محمد (هو الله أحد . الله الصمد) قال ابن عباس : الصمد الذى لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، فلو كان مجوفا لاحتاج إلى شيء وهو لا يحتاج إلى شيء بل كل الخلائق محتاجون إليه ، ولو كان محتاجا إلى شيء لكان لا يليق بالربوبية (من حديث الأربعين) روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعائشة « لا تنامى حتى تعملى أربعة أشياء : حتى تختمى القرآن ، وحتى تعملى الأنبياء لك شفعا يوم القيامة ، وحتى تعملى للسليمن راضين عنك ، وحتى تعملى حجة وعمرة » فدخل عليه الصلاة والسلام فبقيت على الفراش حتى أتم الصلاة فلما أتمها قالت يا رسول الله : فذاك أبى وأمى أمرتني بأربعة أشياء لا أقدر في هذه الساعة أن أفعلها ، فتبسم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال « إذا قرأت (قل هو الله أحد) فكأنك ختمت القرآن ، وإذا صليت على وعلى الأنبياء من قبلى فقد صرنا لك شفعا يوم القيامة ، وإذا استغفرت للمؤمنين فكلمهم راضون عنك ، وإذا قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقد حججت واعتمرت » (تفسير حنفى) عن طى بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : قال عليه الصلاة والسلام « من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الغد عشر مرات لم يصل إليه ذنب وإن جهده الشيطان » وهي سورة مكية ، وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفا . وعن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة قل هو الله أحد مرة واحدة أعطاه الله تعالى من الأجر كمثل أجر مائة شهيد » (من حديث الأربعين) وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « إن فى الجنة شجرة تسمى حولب ، وعليها أثمار أكبر من التفاح وأصغر من الرمان وأحلى من

العسل وأشد يا ضا من اللبن وألين من الزبد » قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : من يأكلها يا رسول الله ؟ قال عليه الصلاة والسلام « من سمع اسمى فصلى على فهو يأكلها » (زهرة الرياض) وإنما سميت سورة الإخلاص لأنها تخلص قارئها من شوائب الدنيا والآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة .

(حكى) أن رجلا مات فراه أبوه في المنام تلك الليلة كأنه في الجحيم والأغلال ، ثم رآه في ليلة ثانية في الجنة ، فقال رأيت في البارحة كذا لما هذا ؟ فقال مرعلينا رجل ققرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات ووهب أجره لنا ، قسم علينا فهذا الذى تراه نصيبى منه (تفسير خازن) عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « من قرأ سورة الإخلاص مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله ، ومن قرأها عشر مرات بنى الله تعالى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء » وفي الخبر « من قرأ سورة الإخلاص في الفرائض غفر الله له ولوالديه ومحا اسمه من ديوان الأشقياء وكتبه في ديوان السعداء » (مجالس) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « كنت أخشى العذاب على أمتى بالليل والنهار حتى جاء جبرائيل عليه السلام بسورة قل هو الله أحد ، فسلمت أن الله تعالى لا يعذب أمتى بعد نزولها لأنها نسبة الله ، ومن تعبد قراءتها تناثر البر من عنان السماء على رأسه ونزلت عليه السكينة ونفشت الرحمة ، فينظر الله تعالى إلى قارئها فيغفر له مغفرة لا يعذب بعدها أبدا ، ولا يسأل الله تعالى شيئا إلا أعطاه » (تفسير حنفى) . أخرج البيهقي عن أبي أمامة الباهلى أنه قال : « أتى جبرائيل عليه السلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو بتيوك في سبعين ألفا من الملائكة ، فقال جبرائيل عليه السلام : يا رسول الله اشهد جنازة معاوية (١) فخرج النبي عليه الصلاة والسلام ووضع جبرائيل عليه السلام جناحه على الأرض ، فتواضعت حتى نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة وصلى على معاوية مع جبرائيل عليه السلام وللملائكة ، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل بم بلغ معاوية هذه المرتبة ؟ فقال بقراءته قل هو الله أحد قائما وقاعدا وراكما وماشيا » . « روى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما خرج مهاجرا إلى المدينة اجتمع كفار مكة على باب دار الندوة ، وحى في سكة أبي جهل عليه اللعنة ، وقالوا من يرد محمدا إلينا أو رأسه نعطيه مائة ناقة حمراء سوداء الحدقة ومائة جارية رومية ومائة فرس عربية ، فقام رجل يقال له سراق بن مالك وقال : أنا أردّه إليكم ، فضعنوا له هذه الأموال ، فخرج خلفه وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام فسل سيفه ليقتله ، فزّل جبرائيل عليه

(١) معاوية هذا غير معاوية بن أبي سفيان الصحابى الجليل الشهير اهـ .

السلام فقال : يا رسول الله إن الله سخر الأرض لأمرك ، فقال رسول الله يا أرض خذيه ، فتسفل فرسه في الأرض إلى الركبة ، فقال يا رسول الله لأفعل ، الأمان الأمان ، فدعا رسول الله فأنجاه الله بدعائه عليه الصلاة والسلام ، فسار ساعة ثم سل سيفه وأراد قتله ، فتسفل فرسه في الأرض حتى أخذته الأرض إلى سترته ، فقال الأمان الأمان يا رسول الله لأفعل بعدها شيئا ، فدعا رسول الله عليه الصلاة والسلام فأنجاه الله تعالى ، فنزل عن فرسه وجثا بين يدي ناقة رسول الله وقال : يا رسول الله أخبرني عن إهلك حيث كانت له قدرة عظيمة مثل هذه أمن الذهب أم من الفضة ؟ فنكس رسول الله عليه الصلاة والسلام رأسه ساكتا فنزل جبرائيل عليه السلام وقال يا محمد (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد) و (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء) و (فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذكركم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فقال سرقة يا رسول الله اعرض علي الإسلام ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم وحسن إسلامه « (من حديث الأربعين) وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ سورة الإخلاص مع اللوذتين وينفث على يديه ويمسح بها على جسده عند النوم إذا كان وجعا ويأمر بذلك . قال بعض العلماء : ومن واطب على قراءتها نال كل خير وأمن من كل شر في الدنيا والآخرة ، ومن قرأها وهو جائع شبع أو عطشان روى . عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال « كنا مع النبي عليه الصلاة والسلام بتبوك ، فطلعت الشمس بضياء وشماع نورها لم ير مثله فيما مضى ، وكان بينه وبين المدينة مسيرة شهر ، فطلعت الشمس يوما مغبرة ، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل مالي أرى الشمس مغبرة ؟ فقال جبرائيل عليه الصلاة والسلام لكثرة أجنحة الملائكة ، فقال عليه الصلاة والسلام : ولم ذلك ؟ قال جبرائيل عليه السلام : لأن معاوية مات بالمدينة اليوم ، فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه ، قيل لم ذلك ؟ قال لكثرة قراءته قل هو الله أجد بالليل والنهار في مشيه وقيامه وقعوده وذاهبا وجائيا وعلى كل حال ، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال : يا رسول الله هل لك أن أقبض الأرض فتصلي عليه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام نعم ، فضرب بجناحيه على الأرض فضاقت ، ورفع له سريره حتى نظر إليه وخلقه صوف من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك ، فصلى عليه الصلاة والسلام عليه ثم رجع إلى تبوك « روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال : إن الله تعالى جزأ القرآن وهو بتشديد الزاى العجمة بمعنى قسمة ثلاثة أجزاء . فجعل

قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن ، وجه كونه جزءا يجوز أن يكون باعتبار الثواب يعنى أن الله تعالى يعطى قارئ هذه السورة ثواب قراءة ثلاث القرآن من غير تضعيف أجر (كذا . قاله النووي) وقيل إن القرآن على ثلاثة أنحاء : قصص وأحكام وصفات الله ، وقل هو الله أحد ، أحد هذه الثلاثة ، وهو صفات الله تعالى (ابن ملك على المشرق) .

(حكى) أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالسا على باب المدينة إذ مرت جنازة رجل . فقال عليه الصلاة والسلام : هل عليه دين ؟ فقالوا عليه دين أربعة دراهم ومات ولم يؤدها ، فقال عليه الصلاة والسلام : صلوا فاني لأصلي على من كان عليه دين ومات ولم يؤده ، قتل جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال : يا محمد إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : بعثت جبرائيل بصورته وأدى دينه ، قم فصل فإنه مغفور له ، ومن صلى على جنازته غفر الله له ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : يا جبرائيل من أين له هذه الكرامة ؟ فقال : بقراءته كل يوم مائة مرة سورة قل هو الله أحد ، لأن فيها بيان صفات الله والثناء عليه ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام « من قرأها في عمره مرة لا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة خصوصا من قرأها في الصلوات الخمس في كل يوم مرة يشفع يوم القيامة لجميع أقربائه وعشيرته بمن قد استوجب النار » (حديث الأربعين) . وفي الحديث « من قرأ قل هو الله أحد مع التسمية غفر الله له ذنوب خمسين سنة » (تفسير حنفى) .

(حكى) عن بعض الصالحين أنه رأى في المنام مائة حمامة من حمام مكة بلا رؤوس ، فلما انتبه قص رؤياه على للعب ، فقال له لعلك قرأت سورة الإخلاص مائة مرة بلا تسمية ، فقال صدقت (تفسير حنفى) عن ابن عباس عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لما أسرى بي إلى السماء رأيت العرش على ثلاثمائة وستين ألف ركن ، من الركن إلى الركن مسيرة ثلاثمائة ألف سنة ، وتحت كل ركن اثنا عشر ألف صحراء ، كل صحراء من المشرق إلى المغرب ، وفي كل صحراء ثمانون ألفا من الملائكة يقرءون قل هو الله أحد ، فإذا فرغوا من القراءة يقولون ياربنا وباسيدنا قد وهبنا ثواب هذه القراءة لمن قرأ سورة الإخلاص من الرجال والنساء ، فذهبوا من ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : أتعجبون يا أصحابي ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسى بيده إن (قل هو الله أحد) مكتوب على جناح جبرائيل عليه السلام (الله الصمد) مكتوب على جناح ميكايل عليه السلام (لم يلد ولم يولد) مكتوب على جناح عزرائيل عليه السلام (ولم يكن له كفوا أحد) مكتوب على جناح إسرافيل عليه السلام ، فمن قرأ من أمي

سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب من قرأ التوراة والإنجيل والزيور والفرقان العظيم ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : أتعجبون يا أصحابي ! قالوا نعم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : والذي نفسي بيده إن (قل هو الله أحد) مكتوب على جبهة أبي بكر الصديق (الله الصمد) مكتوب على جبهة عمر القاروق (لم يلد ولم يولد) مكتوب على جبهة عثمان ذي النورين (ولم يكن له كفوا أحد) مكتوب على جبهة علي السخي رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، فمن قرأ سورة الإخلاص أعطاه الله تعالى ثواب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين » (حياة القلوب) « روى أن رجلا شكأ إلى النبي عليه الصلاة والسلام من الفقر ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إذا دخلت منزلك ، فاقرأ سورة الإخلاص ، ففعل ذلك فوسع الله عليه الرزق » وقال عليه الصلاة والسلام : « من قرأ سورة الإخلاص في مرضه الذي يموت فيه لم ينتن في قبره ، وأمن من ضيق القبر ، وحملته الملائكة بأجنحتهم حتى يجوزوا به من الصراط إلى الجنة » . (كذا في تذكرة القرطبي لكن شرطه مع البسمة) .

خاتمة

نسأل الله حسنها

قال المؤلف : الحمد لمن وقفنا بين اللوقين بإنجاز المعارف المطلوبة ، وأنعم علينا بإتمام الدورة لللتقطة من الكتب للرجوبة ، وصير حال الحرج فرجا بقطاع الدموع من الأقلام النصوبة ، والصلاة والسلام على من هو أفضل الرسل وأكمل البرية ، وعلى آله وأصحابه الذين نالوا ما نالوا باعتصام الشريعة النبوية ، يسر الله لنا شفاعتهم يوم القيامة والجمعية .

وقد تمت على يد الحقير الفقير العاصي ، الراجي رحمة ربه القدير ، يوم يؤخذ بالنواصي
« عثمان بن حسن بن أحمد الشاكر الخوبوي » أكرمه الله في الدارين بلطفه وكرمه للولوي ،
وغفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما ، بحرمة سيد الأنبياء والمرسلين .
وكان ذلك في سنة أربع وعشرين ومائتين وألف هجرية ، على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى التحية آمين .

فهرس

صفحة

٣	مقدمة الكتاب	
٥	دعاء يقال عند ابتداء المجلس	
	دعاء يقال عند ختام المجلس	
	دعاء يقال عند ختام الكتاب جميعه	
٦	دعاء يقال عند الانتهاء من الطعام	
٧	المجلس الأول	في فضيلة شهر رمضان
١٠	» الثاني	في فضيلة الصوم
١٤	» الثالث	في فضيلة العلم
١٨	» الرابع	في فضيلة شهر رمضان
٢٠	» الخامس	في اطمئنان القلب بمشاهدة قدرة الله تعالى
٢٣	» السادس	في فضيلة إعطاء الصدقة في سبيل الله
٢٧	» السابع	في ذم أكل الربا
٣١	» الثامن	في فضيلة الصلاة مع الجماعة
٣٤	» التاسع	في فضيلة التوحيد
٣٨	» العاشر	في فضيلة التوبة
٤١	» الحادى عشر	في فضيلة رجب المرجب
٤٥	» الثانى عشر	في فضيلة الرجال على النساء
٤٩	» الثالث عشر	في فضيلة بر الوالدين
٥٣	» الرابع عشر	في فضيلة المحبة لله ورسوله
٥٦	» الخامس عشر	في بيان فضيلة السلام
٥٩	» السادس عشر	في وفاة النبي عليه الصلاة والسلام
٦٤	» السابع عشر	في ذم شارب الخمر

صفحة	
٦٨	المجلس الثامن عشر : في ذم الحسد
٧١	» التاسع عشر : في نزول المائدة من السماء بدعاء عيسى عليه السلام
٧٤	» العشرون : في فضيلة صيام ستة أيام من شوال
٧٧	» الحادى والعشرون : في فضيلة الجهر والحفية
٧٩	» الثانى والعشرون : في بيان الإيمان
٨٣	» الثالث والعشرون : في بيان ترك أوامر الله تعالى
٨٥	» الرابع والعشرون : في قوله تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة) الآية
٨٩	» الخامس والعشرون : في فضيلة رجب
٩٣	» السادس والعشرون : في فضيلة السخاء
٩٧	» السابع والعشرون : في بيان الرزق
١٠١	» الثامن والعشرون : في بيان ذم إعانة الظالم
١٠٥	» التاسع والعشرون : في بيان أحوال الناس يوم القيامة
١٠٧	موعظة حسنة
١٠٨	المجلس الثلاثون : في بيان مغفرة توبة التائب
١١٢	» الحادى والثلاثون : في بيان العدل والإحسان
١١٥	» الثانى والثلاثون : في بيان معراج النبي عليه الصلاة والسلام
١٢٤	» الثالث والثلاثون : في بيان فضيلة الإنسان
١٢٧	» الرابع والثلاثون : في بيان صلاة التهجد
١٣١	» الخامس والثلاثون : في بيان فضيلة الأصحاب
١٣٥	» السادس والثلاثون : في بيان ذم الدنيا وزوالها
١٣٩	» السابع والثلاثون : في بيان شدة الموت
١٤٣	» الثامن والثلاثون : في بيان تارك الصلاة
١٤٧	» التاسع والثلاثون : في بيان ذم المعرض عن القرآن
١٥٠	» الأربعون : في بيان ألم الموت
١٥٦	» الحادى والأربعون : في بيان الساعة
١٦١	» الثانى والأربعون : في بيان التواضع
١٦٥	» الثالث والأربعون : في ذم المعصية والظلم

صفحة	
١٦٨	الجلس الرابع والأربعون : في الذكر والتوحيد
١٧٢	» الخامس والأربعون : في فضيلة الذكر
١٧٦	» السادس والأربعون : في بيان خيانة أمانة الله
١٨٠	» السابع والأربعون : في فضيلة قراءة القرآن الكريم
١٨٤	» الثامن والأربعون : في بيان عذاب الكفار في الجحيم
١٨٨	» التاسع والأربعون : في بيان ذبح سيدنا إبراهيم ابنه إسماعيل عليهما السلام
١٩٢	» الخمسون : في بيان صبر أيوب عليه السلام
١٩٠	» الحادى والخمسون : في بيان النار
٢٠٢	» الثانى والخمسون : في بيان الجنة
٢٠٥	» الثالث والخمسون : في بيان استغفار الملائكة للمؤمنين
٢٠٩	» الرابع والخمسون : في فضيلة الاستقامة
٢١٣	» الخامس والخمسون : في فضيلة التوبة
٢١٧	» السادس والخمسون : في فضيلة شهر شعبان المعظم
٢٢١	» السابع والخمسون : في بيان الحب في الله والبغض في الله
٢٢٤	» الثامن والخمسون : في بيان معاداة الشيطان
٢٢٨	» التاسع والخمسون : في بيان الهجرة لطاعة الله
٢٣٢	» الستون : في بيان فضيلة ليلة البراءة
٢٣٦	» الحادى والستون : في بيان يوم القيامة وحسابها
٢٤٠	» الثانى والستون : في ذم عاق الوالدين وفضيلة برهما
٢٤٤	» الثالث والستون : في بيان ذم سوء الظن والنية
٢٤٨	» الرابع والستون : في بيان معجزات النبي عليه الصلاة والسلام
٢٥٢	» الخامس والستون : في بيان البكاء
٢٥٦	» السادس والستون : في بيان فضيلة الجمعة
٢٦٠	» السابع والستون : في بيان الجحيم والزبانية
٢٦٤	» الثامن والستون : في بيان التوبة النصوح
٢٦٨	» التاسع والستون : في بيان علامة السعادة والشقاوة
٢٧٢	» السبعون : في بيان أحوال النفس

صفحة	
٢٧٥	المجلس الحادى والسبعون : فى يان عيد القطر
٢٧٩	» الثانى والسبعون : فى فضيلة عشر ذى الحجة
٢٨٣	» الثالث والسبعون : فى فضيلة ليلة القدر
٢٨٨	» الرابع والسبعون : فى فضيلة الأضحية ويان تكبيراتها
٢٧٨	» الخامس والسبعون : فى فضيلة قراءة سورة الإخلاص مع البسملة
٢٨٣	خاتمة الكتاب

